كتاب

المنازل والديار

تأليف

مجد الدولة الأمير أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني

٤٨٨ — ٥٨٤ هـ

الجزء الأول

المكتب الإسلامي للطباعة والنشر

المكتب الاسلامي للطباعة والنشر

لصاحبه

محمد زهير الشاويش

دمشق : الحلبوني ص . ب ٨٠٠ هاتف ١١٦٣٧ برقيا : اسلامي

بيروت : ص . ب ٣٧٧١ هاتف ٢٥٠٦٨

الطبعة الأولى

١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥ م

بسم الله الرّحمن الرّحيم

مُقدّمة :

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطيبين .

وبعد ، فهذا كتاب موضوعه طريف ، ما نعلم أحداً أفرده بالتأليف ، وهو البكاء على المنازل العافية ، والأطلال الدارسة ، حفز المؤلف إلى جمعه ، كما ذكر في مقدمته ، ما نال بلاده وأوطانه من الخراب ، وما أصابها من الزلازل التي أبادت أسرته تحت أنقاض الحصن ، وما توالى عليه بعد ذلك من نكبات مستمرة جعلته يستريح إلى جمعه .

ولما كان هذا الموضوع يتناول معاني شتى ، فقد عقد أسامة لكل معنى من هذه المعاني فصلاً خاصاً أورد فيه قليلاً من النثر ، وكثيراً مما تخيَّره من شعر الجاهليين فمن بعدهم حتى أيامه ، وخلله مقاطيع من شعره لم يرد لأكثرها ذكر في ديوانه .

ومما تجدر الاشارة إليه ، أنه لم يورد نصاً مما اختاره إلا وجاء فيه لفظ مما عنون به الفصل .

وقيمة الكتاب لاتقتصر على إيراده هذه النماذج المتخيَّرة مصنفة على معانيها فحسب ، بل إن شطراً كبيراً من قيمته يرجع إلى أنه حفظ لنا قدراً كبيراً من الشعر لانصيبه في غيره من الكتب والدواوين .

أما تاريخ تأليفه لهذا الكتاب ، فإن نكبة الزلزال تحدِّدها ، فقد تم ذلك في أعقابها مباشرة ، أي خلال سنة اثنتين وخمسين وخمسمئة للهجرة ، وانتهى من جمعه في جمادى الأولى لسنة ثمان وستين وخمسمئة للهجرة ، كما هو مذكور في نهاية الأصل ، وعلى هذا يكون جمعه وتأليفه قد استغرق ست عشرة سنة مع ما كان يقوم به المؤلف من أعمال .

الأصل ومنهج العمل فيه :

أما الأصل الذي اعتمدنا عليه في إخراج هذا الكتاب ، فهو النسخة المطبوعة بالتصوير عن المخطوطة الأم التي نشرتها دار النشر للآداب الشرقية في أكاديمية العلوم للاتحاد السوفياتي ، وهي المخطوطة المصوَّرة الوحيدة التي رجعنا إليها ، إذ ليس للمخطوطة الأم أكثر من نسخة فيما نعلم ، وقد ذكر على غلافها في ذيل عنوان الكتاب ما نصه :

« وهذه النسخة بخط المصنف الجامع كما ذكره العلامة الطالوي [1] قبل هذه الورقة في ترجمة المؤلف ، وإن ذلك مذكور في آخر هذه المجلدة ، ولمرور الأيام فقدت من آخر المجلدة بعض الأوراق التي أثبت فيها أن هذا الكتاب بخط المصنف رحمه الله تعالى ، وكان كتبه لهذه النسخة في جمادى الأولى سنة ٥٦٨ » .

وقد قام العلامة الطالوي المذكور بترجمة للمؤلف أثبتها في أوائل الكتاب قبل عنوانه ، وذكر خلالها قوله : « لفق هذه الترجمة من تراجم فقير عفو ربه المتعالي الطالوي محمد أبو المعالي مالك هذه النسخة التي هي بخط مؤلفها مجد الدولة العلامة الفهامة الأمير أسامة ، علقها لنفسه وبحصن كيفا وقع الفراغ منها في جمادى الأولى سنة ثمان وستين وخمسمئة كما نص في آخرها وسمع عليه أيضاً بدمشق ، وصورة السماع آخر الكتاب مع سماعات أخر والحمد لله وحده . حرره الفقير محمد بن أحمد الطالوي ، بمنزله بدمشق عام ست بعد الألف في غرة رمضان » اهـ .

وهذا يدل على أن النسخة قرئت على المؤلف ، وسمعها منه غير واحد ، وأن علماء الشام كانوا يتداولونها فيما بينهم .

وقد جاء فيها بعض التعليقات بخط مغاير للأصل أثبتناها مع الاشارة إليها في مكانها

---

(١) هو محمد بن أحمد الطالوي ، الأرتقي ، الدمشقي ، الحنفي ، أبو المعالي (٩٥٠ ــ ١٠١٤) هـ : أديب ، ناظم ، ناثر ، مؤرخ . توفي بدمشق ختام شهر رمضان . من آثاره : « سانحات دمى القصر في مطارحات بني العصر » جمع فيها أشعاره وترسلاته ، وتراجم بعض الأدباء ، و« الجواهر المضية في تواريخ الدولة الطالوية الأرتقية » ، و« منتقى من شعر أبي تمام » . ترجمته في « المحبي » ٢/١٤٩ و « هدية العارفين » ٢/٢٦٦ و « إيضاح المكنون » ٢/١ وفهرس مخطوطات الظاهرية ، وفهرست الخديوية ٤/٢٦١ .

عند التحقيق ، وهي لاتعدو تصويب لفظة ، أو تعيين اسم قائل لم يعينه المؤلف ، أو تفسير كلمة لغوية . وهذا مع ما سبق يجعل لها مكانة مرموقة من الوجهة العلمية والتاريخية .

وخط النسخة لايخلو من صعوبة منشؤها طبيعة الخط ذاته ، وإهمال الحروف المعجمة من النقط غالباً ، جرياً على سنَّة الأقدمين في الكتابة . وقد أعان تخريج النصوص على تذليل جانب من تلك الصعوبة وتيسيرها .

أما عملنا في الكتاب ، فقد عمدنا إلى نسخ الأصل المخطوط ، ومقابلة المنسوخ عليه ، واستيفاء ضبطه ، ثم تخريج ماورد فيه من الحديث والشعر فيما أمكننا الوقوف عليه من أمهات المصادر الأدبية والحديثية ، وإثبات اختلاف الرواية [1] ، وشرح غريب النصوص ، والاشارة إلى مانقلناه بالنص عن أئمة الأدب واللغة ، وعزو ما أورده المؤلف مغفل النسبة من الشعر إلى قائله ماأمكن ، والتعريف ببعض الشعراء وخاصة المغمورين منهم .

والله يعلم مدى الجهد الذي كابدناه في سبيل إخراج الكتاب على صورته هذه .

هذا وقد تولى تحقيق الكتاب وتخريج نصوصه والتعليق عليه ، والاشراف على تصحيحه الأستاذ شعيب الأرنؤوط بمعاونة قسم التحقيق والتصحيح في المكتب الاسلامي .

والله سبحانه نسأل أن يغفر زلاتنا ويعفو عن تقصيرنا ، ويلهمنا السداد في القول والعمل ويجزي من أسهم من الفضلاء بقسط محمود في تذليل عقبات التحقيق ، إنه ولي التوفيق .

غرة المحرم : ١٣٨٥ هـ المكتب الاسلامي

---

(١) لايفوتنا بهذه المناسبة أن نقول : إن رواية المؤلف لكثير من النصوص أعلى وأجود من الروايات المعروفة في غيره من المصادر ، وإن كان يرد فيه أحياناً روايات ضعيفة كنا ندعها كما هي باعتبار أن أصل الكتاب بخط المؤلف ، ونشير في الحاشية إلى رواية المصادر الأخرى .

ترجمة المؤلف *

نسبه :

هو أسامة بن مرشد بن علي بن مقلّد بن نصر بن منقذ بن محمد بن منقذ بن نصر بن هاشم بن سوار بن زياد بن رغيب بن مكحول بن عمرو بن الحارث بن عامر بن مالك بن أبي مالك بن عوف بن كنانة بن عوف بن عُذرَة بن زيد اللات بن رُفَيدَة بن ثور بن كلب بن وَبْرة بن تغلب بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حِميَر بن سبأ بن يشجُب ابن يعرُب بن قحطان .

قال ياقوت : هكذا ذَكر هو نسبه ، وفيه اختلاف يسير عند ابن الكلبي .

كناه ولقبه :

كنيته : أبو المظفر ، ونقل ياقوت كنية أخرى له ، وهي : أبو أسامة . وقال العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله : وقد وجدت له كنية ثالثة في عنوان كتابه « البديع في نقد الشعر » الموجود بمكتبة بلدية الاسكندرية ، وهي : أبو الفوارس . والكنية الأولى أشهر ، ولم أجد ما يؤيد الأخريين . ويلقب بمؤيد الدولة مجد الدين .

مولده ووفاته :

قال العماد الاصفهاني : وكنت أتمنى أبداً لقياه ، وأشيم على البعد حياه ، حتى لقيته في صفر سنة إحدى وسبعين بدمشق ، وسألته عن مولده ، فقال : سنة ثمان وثمانين وأربعمئة ، يوم الاحد السابع والعشرين من جمادى الآخرة .

(*) مصادر الترجمة : « وفيات الاعيان » ١/١٧٥ ، « معجم الأدباء » ٥/١٨٨ ، « خريدة القصر وجريدة العصر » قسم شعراء الشام ١/٤٩٨ ، «تهذيب ابن عساكر» ٢/٤٠٠ ، « البداية والنهاية » ١٢/٣٣١ ، « الدارس في تاريخ المدارس » ١/٣٨٤ ، « إعلام النبلاء » ٤/٢٧٦ ، واستعنا أيضاً في ترجمته بما كتبه عن نفسه في « الاعتبار » وبما كتبه الاستاذ أحمد محمد شاكر رحمه الله في «لباب الآداب» والاستاذ أحمد أمين في «فيض الخاطر» ٤/١١٣ .

وترجم له ابن كثير في سنة أربع وثمانين وخمسمئة ، وقال : بلغ من العمر ستاً وتسعين سنة ، توفي في هذه السنة ليلة الثلاثاء الثالث والعشرين من رمضان ودفن شرقي جبل قاسيون .

أسرته :

بنو منقذ أسرة مجيدة نشأ فيها رجال كبار جلّهم فارس شجاع ، وشاعر أديب ، وكانوا ملوكاً بالقرب من قلعة شَيْزَر عند جسر بني منقذ المنسوب إليهم ، وكانوا يتردَّدون إلى حماة وحلب وتلك النواحي ، ولهم بها الدور النفيسة ، والأملاك المثمنة ، وذلك كله قبل أن يملكوا قلعة شيزر ، وكان ملوك الشام يكرمونهم ، ويجلُّون أقدارهم ، وشعراء عصرهم يقصدونهم ويمدحونهم .

وكان حصن شيزر لآل منقذ الكنانيين يتوارثونه من أيام صالح بن مرداس الذي ملك حلب سنة (٤١٧) وقتل سنة (٤١٩) ، ويظهر أنه خرج من أيديهم بعد ذلك إلى الروم ، واسترده منهم سديد الملك أبو الحسن علي بن مقلّد جد أسامة في يوم السبت (٢٧) رجب سنة (٤٧٤) بالأمان بمال بذله للأسقف الذي كان فيه . وبقي الحصن في أيديهم حتى خرب بالزلازل في سنة (٥٥٢) ، وقتل كل من فيه من بني منقذ تحت أنقاضه .

ورأس هذه الأسرة وزعيمها : أبو المتوّج مقلّد بن نصر بن منقذ الملقب «مخلص الدولة» . قال ابن خلكان : كان رجلا نبيل القدر، سائر الذِّكر ، رزق السعادة في بنيه وحفدته . مات بحلب في ذي الحجة سنة (٤٥٠) وحمل إلى كفر طاب . وكان الشعراء يقصدونه ويمدحونه ، ورثاه بعضهم بقصائد نفيسة ، منهم أبو محمد بن سنان الخفاجي مؤلف « سر الفصاحة » .

ثم ابنه : أبو الحسن علي بن مقلّد الملقب « سديد الملك » ، وكان أديباً شاعراً ، وشجاعاً

مقداماً، قوي النفس كريماً، مات سنة (٤٧٥)، ومدحه جماعة من الشعراء كابن الخياط وابن سنان.

ثم ابنه أبو سلامة مرشد بن علي – والد المؤلف – الملقب مجد الدين، ولد سنة (٤٦٠) ومات سنة (٥٣١)، وكان فارساً شجاعاً، ثابت الجنان عند البأس، لا يرتاع، صالحاً، دائباً على مرضـاة ربه، ليس له شغل سوى الحرب وجهاد الافرنج والاكثار من الصيام والمواظبة على تلاوة القرآن ونسخه، يحكى عنه أنه نسخ القرآن أكثر من أربعين مرة، وكان مغرماً بالصيد لهجاً به، له فيه ترتيب لا نظير له فيما حكى ابنه عنه، وحضر وقائع كثيرة، وفي بدنه جراح هائلة، ومات على فراشه.

وكانت إمارة الحصن لأخيه الأكبر نصر بن علي، فمات سنة «٤٩١» عن غير عقب، ولما حضرته الوفاة عهد بالامارة إلى مرشد هذا، فأبى زهداً فيها، وقال: والله لا وليتها، ولأخرُجَنَّ من الدنيا كما دخلتها، ثم ولاها أخاه أبا العساكر سلطان بن علي، وكان أصغر منه.

وسلطان هـذا لم يرزق أولاداً في أول أمره، فاصطفى لنفسه ابن أخيه – مؤلف الكتاب – وكان يوليه عنايته ويعهد إليه بكثير من المهام، ثم رزق أولاداً في آخر أمره، فأظهر التجني على أخيه وأولاد أخيه، وكان في الأمر بعض الستر في حياة مرشد، وأما بعد وفاته، فقد صارح سلطانُ أولادَ أخيه العداء، وأخرجهم من الحصن كرهاً في العام التالي سنة (٥٣٢) وكان هذا من فضل الله عليهم، فقد نجَوا من الموت تحت أنقاض الحصن في سنة (٥٥٢).

نشأته وأخباره:

كانت قلعة شيزر مطمح المحاربين، وما أكثرهم، فالعرب من بني كلاب في حلب يريدون الاستيلاء عليها، والاسماعيلية يودّون أن يتخذوها مركزاً لهم ولدعايتهم، والروم يطمعون في استردادها، والصليبيون يرون أنها باب الشام يريدون أن يمروا

منها إليه، كل ذلك والقلعة بحصونها وخنادقها، وفيها بنو منقذ بقلوبهم وشجاعتهم وفنونهم الحربية، استطاعت أن تصدَّ كل مهاجم وتخيّب كل آمل.

وكان لابد للقلعة وحولها كلُّ هؤلاء الأعداء أن يكون برنامج أهلها كله حربياً، وسكانها كلهم جنوداً، فالطفل جندي صغير، والشيخ جنـدي كبير، والبيت مدرسة حربية، والأم إحدى المعلمات، والزوجة محرّضة الزوج، والفتاة تخطب الشجاع، والحياة رخيصة، يخرج الرجل من بيتـه وأغلب الظن ألا يعود، ويسير السائر في الطريق وفي أغلب الأحيان يخرج عليه صليبيٌّ يقـاتله أو كلابيٌّ يباغته.

وفي ضواحي الحصن كانت أجمات مليئة بالأسود ما أشد ما تفترس ومـا أكثر ما تنهش، وفي كل لحظة خبر بقتيل، ونبأ بغزو، وإنذار بغارة، وغـارة بلا إنذار، وحديث القوم في سمرهم رواية أعمال الأبطال: كيف قتل رجل من الحصن عشرة، وكيف تغلّب رجل على أسدين، وكيف استطاع فلان الصبي أن ينـازل صليبيين ويغلبهما ويقتلهما ويأخذ سلبهما!...

وكان من برنامج الحصن درس مـادة هـامة هي الأدب، ولكن كانوا يدرّسونه على نمط غريب أيضاً، كانوا يقولون لأبنائهم: إن جدكم ربيعة بن مكدم كان بطلاً كبيراً، وكان شاعراً كبيراً، ثم يروون أحـداثه وشعره، ويُلزمونهم حفظه، ثم يذكرون لهم مَن اشتهر بالفتك في الجاهلية، كثابت بن جابر، والبراض، وتأبط شراً، ومَن اشتهر به في الاسلام، كمالك بن الريب، وعبد الله بن سَبْرَة، وعبد الله بن حازم، ويروون لهم فعـالهم، ويحفظونهم أقوالهم، ويعمدون إلى أقوى الشعر وأبعثه على القتال، فيلزمونهم حفظه، كقول عامر بن الطفيل:

إنيّ وإنْ كنتُ ابنَ سيّدِ عامرٍ   وفارسَها المندوبَ في كلِّ موكبِ

فما سوّدتني عامرٌ عن قرابةٍ ... أَبى الله أنْ أسْمو بأمٍ ولا أب

ولكنّني أحمي حِماها وأتّقي ... أذاها وأرْمي مَنْ رماها بمَنْكِبِ

وقول خالد بن الوليد رضي الله عنه : « ما ليلة أقرَّ لعيني من ليلة تُزَفُّ إليَّ فيها عروس إلا ليلة أغدو فيها لقتال عدو » .

في هذا الحصن العجيب ، وهذا الوسط الغريب ، ولد بطلنا فارس كنانة ، أسامة ابن منقذ حفيدُ فاتح الحصن سديدِ الملك أبي الحسن .

ونشأ أسامة في كنف أبويه وعمه وجده ، وفي وسط أُسرة من أعظم الأسر العربية الاسلامية ، وبعد ولادته بنحو سنتين بدأت الحروب الصليبية في بلاد الشام سنة (٤٩٠) ورباه أبوه على الشجاعة والرجولة ، ومرّنه على الفروسية والقتال ، وكان يخرجه معه إلى الصيد ويدفع به بين لهوات الأسود [1] ، فأخرج منه فارساً كاملاً ورجلا ثابتاً كالرواسي لاتزعزعه الأعاصير ، ولا تهوله النكبات والرزايا ، فهو يقول عن نفسه بعد أن جاوز التسعين إذ يحكي بعض ما لقي من الأهوال : « فهذه نكبات تزعزع الجبال ، وتفني الأموال ، والله سبحانه وتعالى يعوِّض برحمته ويختم بلطفه ومغفرته ، وتلك وقعات كبار شاهدتها ، مضافة إلى نكبات نُكِبْتُها ، سلمت فيها النفس لتوقيت الآجال ، وأجحفت بهلاك المال » [2] .

ويقول أيضاً : « فلا يظن ظان أن الموت يقدِّمه ركوب الخطر ، ولا يؤخِّره شدة الحذر ، ففي بقائي أوضح معتبر ، فكم لقيت من الأهوال ، وتقحّمت

(١) انظر « الاعتبار » لاسامة ص ١٠

(٢) « الاعتبار » ص ٣٥

المخاوف والأخطار ، ولاقيت الفرسان ، وقتلت الأسود ، وضُربت بالسيوف ، وطُعنت بالرماح ، وجُرحت بالسهام والجروخ [1] ، وأنا من الأجل في حصن حصين ، إلى أن بلغت تمام التسعين ، فأنا كما قلت :

مع الثمانين عاث الدَّهرُ في جَلَدي ... وساءني ضعف رُجلي واضطراب يُدي

إذا كتبتُ فخطي جدُّ مضطرب ... كخطِّ مرتعش الكفَّين مرتَعِد

فاعجب لضعف يدي عن حملها قلماً ... من بعد حطْمِ القنا في لَبَّة الأسد

وإن مشيت وفي كفي العصا ثقلت ... رجلي كأني أخوض الوحل في الجلد

فقل لمن يتمنَّى طول مُدّته ... هذي عواقبُ طول العمر والمدد [2]

وقال بعد أن وضع السيف وحمل العصا :

أصبح كفي مالكاً للعصا ... من بعد حَمْلِ الأسمر الذابل

كأنني لم أمشِ يوم الوغى ... إلى نِزالِ البطلِ الباسل

ولم أشقَّ الجيشَ لا أختشي ... منَ الرَّدَى كالقدَرِ النَّازل

فانظُرْ إلى ما فعل العُمْرُ بي ... مِنْ طولِه لم أحظَ بالنائل

يا حَسْرَتا إني غداً ميّتٌ ... على فراشي مِيتَةَ الخامل

هلاَّ أتاني الموتُ يومَ الوغى ... بينَ القنا والأسَلِ الناهل

وقد سجل في شعره أعمال بطولته ، ومواقفه في القتال ، وسجل مشاعره في مراحل حياته تسجيلاً صادقاً قوياً ممتعاً ، استمع إلى قوله في مستهل حياته :

لأرمينَّ بنفسي كلَّ مهلكة ... مخوفة يتحاماها ذوو الباس

حتى أصادف حَتْفِي فهو أجملُ بي ... من الخُمولِ وأستغني عن النَّاسِ

(١) الجروخ من أدوات الحرب ترمى عنها السهام والحجارة

(٢) « الاعتبار » ص ١٦٣ ـ ١٦٤

ويقول :

يجهلُ في الإقدام رأيي معاشرٌ أراهم إذا فرّوا من الموتِ أجهلا
أيرجو الفتى عندَ انقضاءِ حياته وإن فرّ من وردِ المنيّةِ مَزحَلا
إذا أنا هبتُ الموتَ في حومةِ الوغى فلا وجدتْ نفسي من الموتِ مَوئلا
وإنّي إذا نازلتُ كبشَ كتيبةٍ فلستُ أبالي أيّنا ماتَ أوّلا

ويقول :

سأُنفقُ ما لي في اكتسابِ مكارمٍ أعيشُ بها بعدَ المماتِ مخلّدا
وأسعى إلى الهيجاءِ لا أرهبُ الرّدى ولا أتخشّى فارساً ومهنّدا
فإن نلتُ ما أرجو فللمجدِ ثمّ لي وإن مِتُّ خلّفتُ الثّناءَ المؤبّدا

ولم يكتف أبوه بتربيته الحربية ، بل كان يحضر له الشيوخ الكبار ليعلموه هو وإخوته ، فسمع الحديث من الشيخ الصالح أبي الحسن علي بن سالم السِّنبسي سنة (٤٩٩) كما في « تاريخ الإسلام » للذهبي . وكان يؤدّبه الشيخ العالم أبو عبد الله محمد بن يوسف المعروف بابن المنيرة المتوفى سنة (٥٠٣) . وقرأ علم النحو قريباً من عشر سنين على الشيخ العالم أبي عبد الله الطُّلَيطِلي النحوي ، وكان في النحو سيبويه زمانه ، والتوسعُ في علم النحو هذه السنين الطويلة يستدعي كثرة الاطلاع على الشعر القديم ، وعلى غريب القرآن وتفسيره ، وعلى علوم البلاغة وما يتبعها ، وكان الأدباء والشعراء يقصدون أمراء بني منقذ يمدحونهم ويسترفدونهم ، وكانوا هم أيضاً علماء شعراء ، فاقتبس أسامة من هذا المجتمع الأدبي الذي نشأ فيه أدباً جماً وعلماً واسعاً ، وحفظ الكثير من الشعر ، فقد نقل الحافظ الذهبي في « تاريخ الإسلام » عن الحافظ أبي سعيد السمعاني قال : « قال لي أبو المظفر – يعني أسامة – أحفظ أكثر من عشرين ألف بيت من شعر الجاهلية » .

وصار شاعراً فحلاً ، حتى كان السلطان صلاح الدين الأيوبي لشغفه بديوان شعره يفضله على جميع الدواوين .

ولما خرج أسامة من شيزر سنة (٥٣٢) أقام بدمشق نحواً من ثماني سنين في رعاية صديقه وظهيره الأمير معين الدين أنز وزير شهاب الدين محمود حتى نَبَتْ به دمشق « كما تنبو الدار بالكريم »، فسار إلى مصر ، فدخلها يوم الخميس (٢) جمادى الآخرة سنة (٥٣٩)، قال: « فأقرني الحافظ لدين الله – يعني الخليفة الفاطمي عبد المجيد بن المنتصر بالله العلوي – ساعة وصولي ، فخلع عليَّ بين يديه ، ودفع لي تخت ثياب ومئة دينار ، وخوّلني دخول الحمام ، وأنزلني في دار من دور الأفضل بن أمير الجيوش ، في غاية الحسن ، وفيها بسطها وفرشها ومرتبة كبيرة ، وآلتها من النحاس ، كل ذلك لا يستعاد منه شيء ، وأقمت بها مدة في إكرام واحترام وإنعام متواصل » .

ثم مات الخليفة الحافظ ، وولي الخلافة ابنه الأصغر الظافر بأمر الله أبو منصور اسماعيل، وكان عمره ١٧ سنه تقريباً ، ووثب على الوزارة سيف الدين أبو الحسن علي بن السلار ، فخلع عليه الخليفة خلع الوزارة ، ولقبه : الملك العادل ، وأرسل ابن السلار أسامة في مهمة حربية سياسية لدى الملك العادل نور الدين بن زنكي ، وبعد وقائع وحروب عاد إلى مصر باستدعاء ابن السلار ، ومكث فيها إلى سنة (٥٤٩) ، ثم خرج منها مكرهاً بعد قتل الخليفة الظافر . وقد وقعت في مصر في هذه السنوات الخمس مدة خلافته (٥٤٤ — ٥٤٩) أحداث وفتن كبار ، قتل فيها ابن السلار الوزير والظافر الخليفة ، واتهم المؤرخون أسامة بأن له يداً في قتلها ، بل بأنه هو الذي حرض على هذه الجرائم المنكرة ، وقد برأه الله من أن يغمس يده في الدماء البريئة ، وإنما اتهم بذلك افتراء واتباعاً للشائعات الكاذبة التي أشاعها ذوو الأغراض من الدساسين ، وأسامة حكى في « الاعتبار » تفاصيل هذه الحوادث .

وتحول أسامة من مصر إلى دمشق فأقام بها مدة ، ثم انتقل بأهله وولده إلى حصن كيفا[1] وأقام بها إلى أن أخذ السلطان صلاح الدين الأيوبي دمشق في ربيع الأول سنة (٥٧٠) ، وكان الأمير عضد الدين أبو الفوارس « مرهف بن أسامة » جليس صلاح الدين وأنيسه ، ولم يزل مشغولاً بذكر أسامة ، مشتهراً بإذاعة نظمه ونثره ، فاستدعاه إلى دمشق وهو شيخ قد جاوز الثمانين .

قال العماد : فلما جاء مؤيد الدولة – يعني أسامة – أنزله أرحب منزل ، وأورده أعذب منهل ، وملّكه من أعمال المعرة ضيعة زعم أنها كانت قديماً تجري في أملاكه ، وأعطاه بدمشق داراً وإدراراً ، وإذا كان – يعني السلطان صلاح الدين – بدمشق ، جالسه وآنسه ، وذاكره في الأدب ودارسه . وكان ذا رأي وتجربة وحنكة مهذبة ، فهو يستشيره في نوائبه ، ويستنير برأيه في غياهبه ، وإذا غاب عنه في غزواته كاتبه ، وأعلمه بواقعاته ووقعاته ، واستخرج رأيه في كشف مهماته ، وحل مشكلاته .

ومكث أسامة في دمشق إلى أن مات بها ليلة الثلاثاء (٢٣) رمضان سنة (٥٨٠) .

قال ابن خلكان : ودفن من الغد شرقي جبل قاسيون ، ودخلت تربته ، وهي على جانب نهر يزيد الشمالي .

وأخباره ، رحمه الله كثيرة ، وآثاره عظيمة ، حكى منها كثيراً في كتاب « الاعتبار » .

ثناء العلماء عليه

وصفه الذهبي في « تاريخ الاسلام » بأنه أحد أبطال الاسلام ، ورئيس الشعراء الأعلام ، وقال ياقوت في « معجم الأدباء » : « وفي بني منقذ جماعة أمراء شعراء ، لكن أسامة أشعرهم وأشهرهم » . وقال العماد الأصبهاني : « أسامة كاسمه في قوة نثره ونظمه ، يلوح من كلامه أمارة

(١) من أطراف العراق والشام ، قال ياقوت في «معجم البلدان» : هي بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة ، بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر .

الإمارة ، ويؤسس بيت قريضه عمارة العبارة ، نشر له عَلَمَ العلم ، ورقي سُلَّم السِّلْم ، ولزم طريق السلامة ، وتنكَّب سُبُل الملامة ، واشتغل بنفسه ، ومحاورة أبناء جنسه ، حلو المجالسة ، حالي المساجلة ، نديّ النَّديّ بماء الفكاهة ، عالي النجم في سماء النباهة ، معتدل التصاريف ، مطبوع التصانيف » وقال أيضاً : « هذا مؤيد الدولة من الأمراء الفضلاء ، والكرماء الكبراء ، والسادة القادة العظماء ، وقد متعه الله بالعمر وطول البقاء ، وهو من المعدودين من شجعان الشام ، وفرسان الاسلام ، ولم تزل بنو منقذ ملاّك شيزر ، وقد جمعوا السيادة والمفخر ، وكلهم من الأجواد الأمجاد ، وما فيهم إلا ذو فضل وبذل ، وإحسان وعدل ، وما منهم إلا مَن له نظم مطبوع ، وشعر مصنوع ، ومَن له قصيدة ، وله مقطوع . وهذا مؤيد الدولة أعرقهم في الحسب ، وأعرفهم بالأدب » ، وقال أيضاً : « وكنت قد طالعت مذيَّل السمعاني ووجدته قد وصفه وقرَّظه ، وأنشدني العامري له بأصفهان من شعره ما حفظه » .

وقال الحافظ ابن عساكر : « اجتمعت به بدمشق وأنشدني قصائد من شعره سنة (٥٥٨) وقال لي أبو عبد الله محمد بن الحسن بن الملحي : إن الأمير مؤيد الدولة أسامة شاعر أهل الدهر ، مالك عنان النظم والنثر ، متصرف في معانيه ، لاحق بطبقة أبيه ، ليس يستقصى وصفه بمعان ، ولا يعبر عن شرحها بلسان ، فقصائده الطوال لا يفرق بينها وبين شعر ابن الوليد ، ولا ينكر على منشِدها نسبتها الى لبيد ، وهي على طرف لسانه بحسن بيانه ، غير محتفل بطولها ، ولا يتعثَّر لفظه العالي في شيء من فضولها ، وأما المقطعات فأحلى من الشهد ، وألذ من النوم بعد طول السهد ، في كل معنى غريب ، وشرح عجيب » .

وقد سمع منه من الكبراء والأجلاء : الحافظ أبو سعد السمعاني عبد الكريم ابن محمد (٥٠٦ – ٥٦٢ هـ) وهو صاحب كتاب «الأنساب» . والحافظ ابن عساكر ، وهو أبو القاسم علي بن الحسن (٤٩٩ – ٥٧١ هـ) صاحب «تاريخ دمشق» . والعماد الكاتب

الأصبهاني ، واسمه محمد بن محمد بن حامد (٥١٩ – ٥٩٧ هـ). والحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي (٥٤١ ـ ٦٠٠ هـ) وغيرهم .

مؤلفاته

١ – الاعتبار : وهو كتاب طريف يتحدث فيه عن سيرته وأحواله في أطوار حياته ، ألفه وهو ابن تسعين سنة كما نص على ذلك فيه ص (١٦٣)، وقد طبع مرتين : الأولى في ليدن سنة «١٨٨٤ – ١٨٨٦» باعتناء المستشرق الفرنسي هر تويغ درنبورغ . والثانية : في مطبعة جامعة برنستون بالولايات المتحدة «١٩٣٠» باعتناء الأستاذ فيليب حتي، وهي التي أشير إليها في التعليقات .

٢ – لباب الآداب : نشره الأستاذ أحمد محمد شاكر ، وقد رتبه مؤلفه على سبعة كتب، وقسمه خمسة عشر فصلاً، وقد ألفه وهو ابن إحدى وتسعين سنة كما ذكر في آخره .

٣ – البديع في نقد الشعر : وهو كتاب جمع فيه ما تفرق في كتب العلماء المتقدمين المصنفة في نقـد الشعر، وذكر محاسنه وعيوبه كما قال في مقدمته ، وقد طبع بمطبعـة مصطفى البابي الحلبي بتحقيق الدكتور أحمد أحمد بدوي ، والدكتور حامد عبد المجيد .

٤ – التأسي والتسلي : أشار اليه في « لباب الآداب» ص (٢٩٤ و ٤١٠) .

٥ – الشيب والشباب : أشار إليه في «اللباب» ص (٣٧٧)، وذكر ياقوت أنه ألفه لأبيه.

٦ – النوم والأحلام : أشار إليه في «الاعتبار» ص (١٨٦) .

٧ – أزهار الأنهار : ذكره صاحب « كشف الظنون » .

٨ – التاريخ البدري : جمع فيه أسماء من شهد بدراً من الفريقين ، ذكره الذهبي .

٩ – التجائر المربحة والمساعي المنجحة : ذكره صاحب «كشف الظنون».

١٠ – كتاب القضاء : ذكره ياقوت .

١١ – تاريخ القلاع والحصون
١٢ – نصيحة الرعاة
١٣ – أخبار النساء
} ذكرها فيليب حتي

١٤ – أخبار البلدان : في مدة عمره ، ذكره الذهبي

١٥ – ذيل يتيمة الدهر : ذكره ياقوت ، وسماه الذهبي : ذيل خريدة القصر للباخرزي، وهو خطأ ، فان كتاب الباخرزي اسمه : «دمية القصر» ، وهو ذيل «اليتيمة» .

١٦ – ديوان شعره : نشر سنة (١٩٥٣) وحققه وقدم له الدكتور أحمد أحمد بدوي ، والأستاذ حامد عبد المجيد .

١٧ – كتاب في أخبار أهله ، هكذا ذكر ياقوت وقال : إنه رآه .

١٨ – المنازل والديار : وهو هذا الكتاب الذي نقوم بنشره لأول مرة .

★ ★ ★

فصل

في ذكر المنازل

عن ابن الحريم قال عرفت بشوبية عبد الوهاب بعقد خرب

وعلى حائط منها مكتوب

[5] هم ما نال الأقوام عهدتهم في خفض عيش وعز ما له خطر

صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا الى القبور فلا عين ولا أثر

وقال الأسود بن يعفر

ماذا أؤمل بعد آل محرق تركوا منازلهم وبعد إياد

أهل الخورنق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سنداد

[10] جرت الرياح على محل ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد

فإذا النعيم وكل ما يلهى به يوماً يصير الى بلى ونفاد

ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة في ظل ملك ثابت الأوتاد

وقال بشر بن أبي خازم

لوحة رقم (١) وهي الصفحة ١٩ من الأصل

[illegible] عشيتي [illegible] يطيب على [illegible] الملا الثنا

وقال امرؤ القيس بن حجر الكندي

تذكرت أهلي الصالحين وقد أتت على جمل منا الركاب فأعفرا

ولما بدت حوران والآل دونها نظرت فلم تنظر بعينيك منظرا

[5] تقطع أسباب اللبانة والهوى عشية جاوزنا حماة وشيزرا

عشية جاوزنا حماة وشيزرا أخو الجهد لا يلوي على من تعذرا

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول ملكاً أو نموت فنعذرا

تم هذا التأليف المبارك المسمى بالمنازل والديار الذي هو بخط كاتبه العالم العلامة مجد الدولة الأمير [illegible] امام

[10] [illegible] وكان [illegible] في دار [illegible] في جمادى الأولى سنة ثمان وستين [illegible]

أفضل الصلوة وأكمل التحية وقد علقها [illegible]

[illegible] العلامة [illegible] محمد [illegible] محمود الطالوي [illegible]

[illegible]

تاريخ كتابة [illegible] الأيام [illegible]

[15] [illegible] الطالوي [illegible] المبارك [illegible]

[illegible]

[illegible]

لوحة رقم (٢) وهي الصفحة الأخيرة من الأصل

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أسامةُ بنُ مُرْشِد بنِ عليّ بنِ مقلّد بنِ نصر بنِ منقذ الكناني غفر الله له ، ولجميعِ أُمّةِ محمّدٍ صلى الله عليه وسلّم :

الحمد لله وإن تنقّلت بنا الدنيا تنقُّلَ الظِّلال ، وتقلَّبَ بنا الدّهرُ من حالٍ إلى حال ، وعفَت رسومُ آثارنا ، واستولتْ يدُ الاعتداء على ديارِنا ، وتصدَّع شملُنا أيدي سبا[1] ، وتشعَّبتْ بنا سُبُلُ المذاهبِ ، وأخنَتِ الحوادثُ على مَعشري وآلي ، وأفنى الموتُ أسودي وأشبالي[2] .

---

(١) اقتباس من المثل : « تفرقوا أيدي سبا » . وسبا : هو سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان ، وقيل : اسم بلدة كانت تسكنها بلقيس . قال في « تاج العروس » يكتب بالألف لأن أصله الهمز ، قاله أبو علي القالي في « المدود والمقصور » وقال الأزهري : العرب لا تهمز « سبأ » في هذا الموضع ، لأنه كثر في كلامهم فاستثقلوا فيه الهمز ، وإن كان أصله مهموزاً . ضرب المثل بهم لأنه لما أشرف مكانهم على الغرق ، وقرب ذهاب جنّاتهم ، قبل أن يدهمهم السيل ، تبددوا في البلاد ، فلحق الأزد بعمان ، وخزاعة ببطن مرّ ، وهو مر الظهران المسمى الآن بوادي فاطمة قرب مكة ، والأوس والخزرج بيثرب ، وآل جفنة بأرض الشام ، وآل جذيمة الأبرش بالعراق . وقوله : أيدي سبا ، أي : متفرقين . واليد : الطريق . قيل للقوم إذا تفرقوا في جهات مختلفة : ذهبوا أيدي سبا ، أي : فرّقتهم طرقهم التي سلكوها ، كما تفرق أهل سبأ في مذاهب شتى .

(٢) يشير إلى ما حصل له مع إخوته ، فقد أمره عمه أبو العساكر سلطان –

كلٌّ ذلك بقدَرٍ جرى به القلمُ في القِدَمِ ، وقضاء سَبقت به المَشيئةُ قبلَ الخروج إلى الوجودِ من العدَمِ ، ألقى ما سرَّ مـن ذلك وساء بالتسليم والرضى ، وأفوِّض إليهِ ـ جلَّ وعلا ـ فيما قدَّر وقضى ، وأقرُّ بأن ابتلاءه بعدله ومعافاته بفضله ، وأرجو من رحمته أن يكون ذلك كفـارةً لذنوبٍ سلفَتْ ، وموعظَةً دعَتْ عن المعاصي وصرَفَت ، وأنَّ ما نالنا من الدُّنيا وآفاتهـا بذنوبٍ اقترفناها ، فرُحمنا بتعجيلِ مكافاتها .

وصلى الله على رسوله الأمين محمَّدٍ خاتم النَّبيين ، الذي وصفه في كتابـه الكريم فقال : (وإنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عظيمٍ)[القلم : ٥] .

وعلى آلِهِ الطَّيِّبينَ الطاهرينَ ، وأصحابِهِ البَرَرَةِ المُتَّقينَ ، وأزواجِـهِ الطَّاهِراتِ أُمَّهاتِ المؤمنين ، صلاةً دائمةً إلى يوم الدِّين .

وبعد ، جعلَكَ الله بنَجْوَةٍ من النوائب ، وأصفى لكَ الحياةَ من كَـدَرِ الشوائبِ ، ولا راعكَ بحادثةٍ تُنسي ما قبلَها ، وتصغِّر ما بعدَها ، وتفتحُ

ـ بن علي ـ حاكم شيزر ـ وإخوته بالرحيل ، فتشتتوا في البلاد ، وكان في ذلك الخير لهم ، لانهم نجوا من الزلازل التي هدمت شيزر وقضت على بني منقذ بأسرهم ، وذهبت بملكهم سنة ٥٥٢ هـ . ومضى أسامة يوم أخرج من شيزر إلى دمشق ، واتصل بحاكمها معين الدين أنر ، ثم إلى القـــاهرة ، في عهد الخليفة الحافظ لدين الله سنة ٥٣٩ هـ . ثم عاد إلى دمشق . فلما نزلت كارثة الزلزال بشيزر ، وذهبت بملك أهله وبأهله ، أخذ يبكيهم ، ويندب حظهم ، ويرثي منازلهم .

منَ النكَباتِ أبواباً لاتستطيع سدَّها ؛ فإني دعاني إلى جَمْعِ هذا الكتاب ما نالَ بلادي وأوطاني من الخراب ، فإنَّ الزَّمانَ جرَّ عليها ذيلَهُ ، وصرفَ إلى تعفيتِها حَوْلَه وحَيْلَه[1] ، فأصبحَتْ كأنْ لم تغْنَ بالأمس ، مُوحِشَةَ العَرَصاتِ بعد الأُنس ، قد دَثَر عُمرانُها ، وهلكَ سُكَّانُها ، فعادَتْ مغانيها رُسوماً ، والمسرَّاتُ بها حَسَراتٍ وهموماً .

ولقد وقفتُ عليها بعدما أصابَها من الزَّلازل ما أصابَها ، وهـي أوَّلُ أرض مسَّ جِـلْدي ترابُها[2] ، فما عرفتُ داري ، ولا دُورَ والدي وإخوتي ولا دورَ أعمامي وبني عمي وأسرتي ، فبهِتُّ متحيِّراً مستعيذاً بالله مـن عظيم بلائه ، وانتزاع ما خوَّله من نعمائه .

ثم انصرفتُ فلا أَبثُّكَ خيبتي رَعِشَ القيامِ أميسُ مَيْسَ الأصورِ[3]

وقد عَظُمتِ الرَّزيَّةُ حتى غاضتْ بوادِرُ الدُّموع ، وتتابعت الزَّفراتُ حتى أقامت حنايا الضُّلوع ، وما اقتصَرتْ حوادِثُ الزَّمانِ على خرابِ الدِّيارِ

(١) في « الصحاح » : الحول : القوة ، وكذلك : الحيل ، يقال : لا حيل ولا قوة ، لغة في « حول » .

(٢) اقتباس من قول الشاعر :

بلاد بها نيطت علي تمائمي وأول أرضٍ مس جلدي ترابها

(٣) الصور ، بالتحريك : الميل . و : « أصور » نعت منه .

دون هلاكِ السُّكانِ ، بل كان هلاكُهم أجمعُ ، كارتدادِ الطَّرفِ أو أسرع .

ثم استمرَّت النَّكباتُ تترى من ذلك الحينِ وهَلُمَّ جرًّا . فاسترحتُ إلى جَمْعِ هذا الكتاب ، وجعلتُه بكاءً للديار والأحباب ، وذلك لا يُفيد ولا يُجدي ، ولكنَّه مبلغُ جُهدي ، وإلى اللهِ عزَّ وجلَّ أشكو ما لقيتُ من زماني وانفرادي من أَهلي وإِخواني ، واغترابي عن بلادي وأوطاني .

لَوْ كانتِ الأحلامُ فاجتني بما   أَلقاهُ يقظانَ لأصماني الرَّدى [1]

وإليه عزَّ وجلَّ أرغبُ في أن يَمُنَّ عليَّ وعليهم بغفرانه ، ويُعوِّضنا برحمته في دارِ رضوانه ، إنَّه لا يرُدُّ دعاءَ من دعاه ، ولا يُخيِّبُ رجاء من رجاه .

وقد جعلتُ هذا الكتابَ فُصولاً ، فافتتحتُ كلَّ فصلٍ بما يوافقُ حالي ثم أَفضتُ فيما يُوافق ذا القلب الخالي ، لكي لا يأتي الكتاب وهو كلُّه عويل ونياحة ، ليس فيه لِسوى ذي البثِّ راحة .

على أنَّ رزايا الدنيا ، كالأجل تُمهِلُ ولا تُهْمِل ، وإن تولَّتِ اليوم فغداً تُقبل . فما أحدٌ من ريبهِنَّ سليم .

وتتبُّع هذا المعنى صعب ، وحصره لا يمكن ، وقد أوردتُ فيه ما يُبرِّد اللَّوعة ، ويُسكِّنُ الرَّوعة ، والعذر إلى من وقف عليه مبذول ، وهو عند الكرام مقبول .

---

(١) « فاجتني » مخففة من « فاجأتني » . وأصماني الردى : قتلني الموت ، قال في « اللسان » : وأصميت الصيد : إذا رميته فقتلته ، وأنت تراه .

فصول الكتاب

فصل في ذكر المنازل

فصل في ذكر الديار

فصل في ذكر المغاني

فصل في ذكر الأطلال

فصل في ذكر الربع

فصل في ذكر الدِّمن

فصل في ذكر الرسم

فصل في ذكر الآثار

فصل في ذكر المساكن والمحال والمعاهد والأعلام والمعالم والعرصات

فصل في ذكر الأرض

فصل في ذكر الأوطان

فصل في ذكر المدن

فصل في ذكر البلاد

فصل في ذكر الدار

فصل في ذكر البيت

فصل في بكاء الأهل والاخوان

فصل
في ذكر المنازل

عن ابن أبي مريم[1] ، قال : مررت بسُوَيقة عبد الوهاب[2] ، وقد خربت ، وعلى حائط منها مكتوب :

هذي منازلُ أقوامٍ عهِدْتُهم ... في خفضِ عيشٍ وعزٍّ مالَهُ خطَرُ[3]
صاحتْ بهم نائباتُ الدّهرِ فانقلبوا ... إلى القُبورِ فلا عَينٌ ولا أثرُ

---

(١) في « معجم الأدباء » ٢١٢/١١ : هو أبو عبد الله بن أبي مريم النسابة ، ذكره ابن النديم ، وقال : له من التصانيف كتاب « المآثر » ، وكتاب « النسب » ، وكتاب « نواقل العرب » .

(٢) في « معجم البلدان » ١٨٣/٥ : وسويقة عبد الوهاب : محلة قديمة بغربي بغداد ، تنسب إلى عبد الوهاب بن ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس . ثم ذكر الخبر الذي أورده المصنف . وعبد الوهاب هذا ، أمير من الشجعان القادة ، سيره عمه الخليفة المنصور سنة ١٤٠ هـ . في سبعين ألفاً إلى ملَطْية ، وبعث معه الحسن بن قحطبة ، فخافتها الروم ، فنزلوا عليها ، وعمروا ما كان خربه الروم منها . وغزا الصائفة سنة ١٥١ وسنة ١٥٢ هـ . وتوفي ببغداد . « الكامل » لابن الاثير ١٨٦/٥ ، ٢١٤ ، ٢٢٥ .

(٣) في « اللسان » الخطر ، بالتحريك : مثل الشيء وعدله ، ولا يقال إلا في الشيء الذي له قدر ومزية .

وقال الأسود بن يعفُر[1] :

ماذا أُرَجّي بعد آلِ محرّقٍ ... دَرَسَتْ منازلُهم وبَعدَ إيادِ[2]

---

(١) هو الأسود بن يعفر بن عبد الأسود النهشلي . وهو أحد العُشي ، وهو أعشى بني نهشل ، يكنى : أبا الجراح ، شاعر جاهلي ، مقدم ، فصيح ، فحل ، كان ينادم النعمان بن المنذر . والأبيات من قصيدة معدودة من مختار أشعار العرب وحكمها ، مفضلية مأثورة ، أنشدها المفضل الضبي ص : ٢١٥ .

(٢) رواية البيت في « المفضليات » :

ماذا أؤمّل بعد آل محرّقٍ ... تركوا منازلهم وبعد إياد

ومحرّق : لقبٌ ، لقّبَ به بعض ملوك العرب . وإياد : قبيلة ، وقصتها : أنها كانت أكثر نزار عدداً ، وأحسنهم وجوهاً ، وأمدّهم وأشدّهم وأمنعهم ، وكانوا لَقاحاً ، لا يؤدون خرجاً . وهم أول معدّيٍّ خرج من تهامة ، فنزلوا السواد ، وغلبوا على ما بين البحرين إلى سِنْداد والخورنق ، وسنداد : نهر كان بين الحيرة إلى الأبلّة . وكانوا أغاروا على أموال لانوشروان فأخذوها ، فجهز إليهم الجيوش فهزموهم مرة بعد مرة ، ثم إن إياداً ارتحلوا حتى نزلوا الجزيرة ، فوجه اليهم كسرى بعد ذلك بجيش عظيم ، وكان لقيط متخلفاً عنهم بالحيرة ، فكتب إليهم :

سلام في الصحيفةِ من لقيطٍ ... إلى مَن بالجزيرةِ من إيادِ
بأن اللّيثَ كسرى قد أتاكم ... فلا يشغلْكم سوقُ النِّقادِ

فلم يلتفتوا الى قول لقيط ، وتحذيره إياهم ، ثقة بأن كسرى لا يُقدِم عليهم ، فلقيهم بالجزيرة في موضع يقال له : مرج الاكم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فظفر بهم وهزمهم ، وأنقذ ما كانوا أصابوا من الأعاجم يوم الفرات . ثم اختلفت إياد بعد ذلك ، –

أهلِ الخَوَرْنَقِ والسَّدِير وبارقٍ والقصرِ ذي الشُّرُفاتِ من سِنداد (١)

جرتِ الرِّياحُ على محلّ ديارِهم فكأنَّما كانوا على ميعاد (٢)

فإذا النَّعيمُ وكلُّ ما يُلهى بـه يوماً يصيرُ إلى بِلىً ونَفادِ

ولقد غَنُوا فيها بأنعمِ عيشةٍ في ظلِّ مُلْكٍ ثابتِ الأوتاد (٣)

وقال بشر بن أبي خازم (٤) :

ـفلحقت فرقة بالشام، وفرقة رجعت الى السواد ، وأقامت فرقة بالجزيرة . انظر « الشعر والشعراء » ١/١٥١ ، و « الاغاني » ٢٢/٣٩٣ .

(١) الخورنق ، بفتح أوله وثانيه ، وراء مهملة : قصر النعمان بظهر الحيرة ، وانظر في « خزانة الأدب » ١/١٤٢ ، سبب بناء الخورنق . السدير : قصر أو نهر بالحيرة . بارق : ماء بالعراق . سِنداد : نهر أسفل من الحيرة ، بينها وبين البصرة .

(٢) البيت تمثل به حر بن قيس وهو ينظر الى آثار كسرى ، فقال له علي ابن أبي طالب رضي الله عنه : أفلا قلت : (كم تركوا من جنّاتٍ وعيونٍ وزُروعٍ ومقامٍ كريمٍ ونَعْمَةٍ كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوماً آخرين فما بكت عليهم السّماء والأرض وما كانوا منظرين) . الدخان : ٢٥ - ٢٨ .

(٣) غنوا : أقاموا ، يقال : غنينا بمكان كذا وكذا .

(٤) هو بشر بن أبي خازم بن عمرو بن عوف بن حميري بن ناشرة بن أسامة ابن والبة بن الحارث (.. نحو ٩٢ ق ه) . شاعر ، فارس ، فحل ، جاهلي قديم ، شهد حرب أسد وطيىء .

أيَّ المنازلِ بعدَ الحـوْلِ تَعـتَرِفُ أم هل صِباكَ وقد حُكِّمْتَ مُنصرِف (١)

أم ما بكاؤكَ في دارٍ عهِدتَ بهـا عهداً فأخلف أم في أيِّها تقفُ ؟ (٢)

كأنها بعد عَهْدِ العاهـدينَ بهـا من الذَّنوب وخَزْمَى واحفٍ صُحُف (٣)

أضحت خلاءً قِفاراً لا أنيسَ بهـا إلا الجوازِئُ والظِّلمانُ تختلِفُ

«الجوازئ» : بقر الوحش ، تتجزأ بالعشب الرطب عن الماء . و« الظلمان » : ذكور النعام .

فأصبحوا بعـدَ نُعماهمْ بمبأسةٍ والدَّهرُ يَخدعُ أحياناً فينصرِفُ (٤)

---

(١) رواية البيت في الديوان ص ١٣٧ :

أيَّ المنازلِ بعد الحيِّ تعترِفُ أم ما صِباكَ وقد حُكِّمتَ مطَّرَفُ

تعترف : تسأل وتستخبر . وأم ـ ههنا ـ بمعنى : بل . والصبا : جهلة الفتوة واللهو والغزل . وحكمت : صرت حكيما مجربا من الحكمة .

(٢) في الديوان « أم في آيها تقف » .

(٣) كذا الأصل ، وفي « معجم ما استعجم » ، و « معجم البلدان » ، و « اللسان » بين الذَّنوب وحَزْمَي واهبٍ .. وهو اسم جبل لبني سليم . وفي الأصل تحت كلمتي « الذنوب » ، و « خَزمي » و « واحف » ما نصه : مواضع . والحزم : الغليظ المرتفع من الأرض كالحزن ، إلا أن الحزم أغلظ وأرفع . والذنوب وواحف : موضعان . شبه آثار الدار الدارسة بصحائف الكتاب .

(٤) في الديوان أربعة أبيات قبل هذا البيت وهي :

وقفتُ فيها قَلوصي كي تجاوبَني أو يخبرَ الرَّسمُ عنهم أيَّةَ صرفوا

وسلْ نُميراً غداةَ النَّعفِ من شَطِبٍ إذ فُضَّتِ الخيلُ من ثهلان ما ازدهفوا ؟

قوله : «يخدع» ، أي : يخالف ما تريد ، يقال للرجل إذا وعد ثم أخلف : « خدع » ، وإذا أطلع الضبُّ رأسه ، ثم أدخله ، يقال : «خدع الضبُّ» « وخدع الريق » : إذا تغير وفسد ، و«خدعت السوق» : إذا كسدت . وقوله : « فينصرف » ، أي : ينقلب ويحول .

تبكي لهم أعينٌ من شَجوِ غيرهم ... وإن بكى لهمُ باكٍ فقد لَهِفوا [1]

وقال ابن أبي طاهر :

يا مَنْزِلاً لعِبَ الزّمان بأهلِه ... طوراً يُفرِّقهم وطوراً يَجْمعُ [2]

لما رأيتم رماح القوم حـَطّ بكم ... إلى مرابطهـا المَقورَّة الخُنُفُ

إذ يُتَّقى ببـني بدر وأردفهم ... خلفَ المناطق منّا عاندٌ يكف

(١) في الأصل تحت كلمة « لهفوا » ما نصه : أي : الحق ذلك . ولعل الصواب « حق لهم ذلك » . وفي « الديوان » : « فان بكى منهم باك فقد لهفوا » وفي « المعاني الكبير » ٢/٩٣٩ : وإن يكن منهم . والشجو : الهم والحزن . وفي « اللسان » : و لَهِف فهو لهفان ، ولُهِف ، فهو ملهوف أي : حزين ، قد ذهب له مال أو فجع بحميم . يقول : يبكي لهم من ليس منهم رحمة وحزناً عليهم ، وإن بكى منهم باك فقد حق لهم ذلك ، لأنهم أصيبوا بأحبابهم وخلصانهم .

(٢) في هامش الأصل ما نصه : قلت :

يا ليت أن ديارنا كانت كـذا ... طوراً تفرِّقُنا وطوراً تجمع

لكنّها دَرَسَتْ وأوحشها الرّدى ... من أهلها فهي القفار البلقع

لا يُرتجى لَهُمُ إيابٌ جامعٌ ... لشتاتهم حتى يَضُمَّ المجمَع

أينَ الذينَ عهِدتُهم بك مرّةً ... كان الزمانُ بهم يَضرُّ وينفعُ

أصبحتَ تُفزِعُ من رآك وطالما ... كنّا إليكَ من الحوادثِ نفزَعُ

أيامَ لا أغشى لأهلِكَ مَرْبعاً ... إلّا وفيه للمسرّةِ مَرْبَعُ

لهفي عليكَ لوَ انَّ لهفاً ينفعُ ... أو أنَّ دَهْراً راحمٌ من يجْزعُ

ما كان ذاكَ العيشُ إلا خُلسةً ... خطفاً كرجْعِ الطَّرف أو هو أسْرعُ

وقال عبد الله بن الزِّبَعْرى في العاص بن وائل [1] :

وأصبحتِ المنازِلُ وهي قَفرٌ ... مخـلَّاة عليهـنَّ القتامُ

كأنَّ الناسَ بعدَكَ نظمُ سِلكٍ ... تقطَّـعَ لا يقـومُ له نِظـام

وقال المتنبي أبو الطيب أحمد بن الحسين [2] :

أبَني أبينا نحنُ أهلُ منازلٍ ... أبداً غرابُ البينِ فينا ينْغِقُ [3]

(١) هو عبد الله بن الزِّبعرى بن قيس بن عدي أحد شعراء قريش المعدودين أسلم يوم الفتح ، فقبل رسول الله ﷺ إسلامه ، وعفا عما سلف له ، ومـدح النبي ﷺ ، واعتذر إليه . وأما العاص أو العاصي ، فهو العاص بن وائل بن هاشم السهمي من قريش . أحد الحكام في الجاهلية . كان نديماً لهشام بن المغـيرة وأدرك الاسلام ، وظل على الشرك ، ويعد من المستهزئين ، ومن الذين ماتوا على الكفر .

(٢) ديوانه ٢/٢٣٢ . والأبيات من قصيدة يمدح بها أبا المنتصر شجاع بن محمد ابن أوس بن الرضا الأزدي ، ومطلعها :

أرق على أرقٍ ومثليَ يأرقُ ... وجوىً يزيدُ وعبْرةٌ تترقرقُ

(٣) في « الديوان » : « ينعق » . وغراب البين مثـل في التفرق ، كانت-

نبكي على الدنيا وما مِنْ مَعْشَرٍ   جَمَعَتْهُمُ الدُّنيا فلم يتفرَّقوا [١]

أينَ الأكاسرةُ الجبابرةُ الأُلى   جمعوا الكُنوزَ فما بقينَ ولا بَقُوا [٢]

ـ العرب إذا صاح في ديارهم الغراب، تشاءمت به، وهو كثير في الأشعار. ونغق، بالغين المعجمة، ونعق، بالمهملة: صاح. قال أبو الفتح: أبني أبينا: يا إخواننا، غراب البين: داعي الموت، وأنه انتقل من الغزل إلى الوعظ، وهذا حذق منه، وحسن تصرف.

وقال الواحدي: هذا فاسد، وليس على مذهب العرب، فداعي الموت لا يسمع له صياح، والأمر في غراب البين أشهر من أن يفسر بما فسره به، وقد انتقل من الغزل والتشبيب الى الوعظ، وذكر الموت لا يستحسن الا في المراثي.

والمعنى: يا إخواننا، ويا بني آدم، لأن الناس كلهم بنو آدم، ويجوز أن يكون يريد به قوماً مخصوصين، من رهطه أو قبيلته. يقول: نحن نازلون في منازل يتفرق عنها أهلها بالموت.

(١) المعشر والعشيرة، والجماعة: الأهل. يقول: نبكي على فراق الدنيا، ولا بد منه، لأن الدنيا دار اجتماع وفرقة، وعادتها التفريق والجمع، وما اجتمع فيها قوم الا تفرقوا. ومثله قول بعضهم:

لا يُلْبِثُ القرناء أن يتفرَّقوا   ليلٌ يكرُّ عليهم ونهار

(٢) الأكاسرة: جمع كسرى، على غير قياس، وهم ملوك فارس. والجبابرة: جمع جبار. والأُلى: بمعنى الذين، لا واحد له من لفظه. والكنوز: جمع كنز وهو المال المدفون. يقول: أين الملوك، وأين الجبابرة الذين كنزوا المال وأعدوه فلن يغني عنهم مع الموت شيئاً، ثم مع هذا ما بقي هو ولا هم. ـ

مِنْ كلِّ مَنْ ضاقَ الفضاءُ بجيشه   حتى توى فَحَواه لحدٌ ضيّقُ [١]

خُرْسٌ إذا نُودوا، كأنْ لم يَعلَموا   أنَّ الكلامَ لهم حلالٌ مُطلَقُ [٢]

ـ قال العكبري: هذا وعظ شاف، وهو من قول أبي العاليه:

أين الألى كنزوا الكنوز وأسسوا   أين القرونُ هي القرون الماضية

درجوا فأصبحت المنازلُ منهم   عُطُلاً وأصبحت المساكن خالية

(١) في « الديوان »: ثوى.

ومن ـ في أول البيت ـ للتفسير. والجار والمجرور في موضع الحال من الأكاسرة. ومَنْ في قوله: « مَنْ ضاق » نكرة موصوفة، والجملة بعدها صفة لها. الفضاء: الأرض الواسعة. ثوى: بالثاء المثلثة: معناه: نوى، أي: أقام في قبره، وحواه اللحد. وتوى: بالتاء المثناة: هلك. واللحد: ما يكون في جنب القبر، ومنه قوله ﷺ: « اللحد لنا والشق لغيرنا ». يريد: أين الأكاسرة والملوك الجبارون، من كل ملك ضاقت بجيشه وجنوده الأرض الواسعة انضم عليه اللحد وضيقه، بعد أن كان الفضاء يضيق عن جنوده، وهذا مثل قول أشجع:

وأصبح في لَحْدٍ من الأرض ضيّقٍ   وكانت به حيّاً تضيق الصحاصح

(٢) يقول: هم موتى لا يجيبون داعياً، كأنهم يظنون أن الكلام محرم عليهم، ولا يحل لهم أن يتكلموا. قال الواحدي: ولو قال: خرس إذا نودوا لعجزهم عن الكلام، وعدم القدرة على النطق، كان أولى وأحسن مما قال، لأن الميت لا يوصف بما ذكر.

وقال البحتري (١) :

وما أهلُ المَنازِلِ غيرَ رَكْبٍ   مَنايَاهُمْ رَوَاحٌ وابتكارُ (٢)

لنا في الدَّهر آمالٌ طِوالٌ   نُرَجّيها وأعمارٌ قِصارُ

وقال أيضاً :

يا مَنْزِلاً نَسَجتْ لهُ أيدي الصَّبا   من حَوْكِهِنَّ سبائباً وبُرودا (٣)

هل كنتَ إلا منزلاً عَمَدَتْ له   عُقَبُ الزَّمانِ فغادَرَتْه عميدا (٤)

وقال أيضاً (٥) :

(١) ديوانه ٢/١٩٥ وهما من قصيدة يمدح فيها الحسن بن وهب . أولها :

أناةً أيُّها الفَلَكُ المُدارُ   أنَهْبٌ ما تَطَرَّقَ أم جُبارُ

(٢) الرواح : نقيض الصباح ، وهو اسم للوقت من زوال الشمس إلى الليل . وقد يكون مصدر راح يروح رواحاً ، وهو نقيض قولك : غدا يغدو غدواً . والابتكار : التبكير ، يقال : أبكرت ، وابتكرت ، وبكَّرْتُ .

(٣) السبائب : جمع سبيبة ، وهي شُقَّةُ كتانٍ رقيقة . والبرود : جمع بُرد . وهو ثوب فيه خطوط ، وخص بعضهم به الوشي .

(٤) في « القاموس » عَمَدَ للشيء : قصده . وفي « اللسان » والعقُب : العاقبة ، مثل عُسْر وعسُر ، ومنه قوله تعالى : « هو خير ثواباً ، وخير عُقباً » أي : عاقبة . ورجل معمود وعميد : هدَّه العشق .

(٥) كذا قال المؤلف ، وهو مشعر بنسبة البيتين للبحتري ، والصحيح أنهما –

قِفا نُعْطِ المنازِلَ من جُفونٍ   لها في الشَّوقِ أحْساءٌ غِزارُ (١)

عفَتْ آياتُهُنَّ ، وأيُّ رَبْعٍ   يكون له على الزَّمنِ الخيارُ ؟ (٢)

وقال أبو تمام حبيب بن أوس الطائي (٣) :

يا منزلاً أعطى الحوادثَ حُكمها   لا مَطْلَ في عِدَةٍ ولا تَسْويفا (٤)

أرسى بناديكَ النَّدى وتنفَّست   نفساً بعَقوتك الرياحُ ضعيفا (٥)

– لأبي تمام من قصيدة في ديوانه ٢/١٥٢ – ١٦٠ يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبانة ، وهما الثالث والرابع من أبياتها . والبيتان مع آخر يليهما لأبي تمام في أمالي المرتضى ٢/٣٤ أيضاً .

(١) الأحساء : جمع حسي ، وهو الرمل المتراكم أسفله جبل صلد . فإذا مطر الرمل نشف ماء المطر ، فإذا انتهى إلى الجبل الذي أسفله أمسك الماء ومنع الرمل حر الشمس أن ينشف الماء ، فإذا اشتد الحر نبث وجه الرمل عن ذلك الماء فنبع بارداً عذباً . « اللسان » .

(٢) عفا الأثر : اندرس وامَّحى . والآية : العلامة .

(٣) ديوانه ٢/٣٧٦ والأبيات من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف ويعرض بانسان ولي الثغور مكانه ، وكان ناسكاً فهزم . ومطلعها :

أطلالُهم سلبَتْ دُماها الهيفا   واستبدلَتْ وحشاً بهنَّ عُكوفا

(٤) قال التبريزي : يقال : سوَّف الرجل : إذا أمطله ، ووعده وعوداً لا تنجيح . أي : وعد الحوادث أن يدرس ويستوحش ، فلم يقدر على أن يمطلها ، ولا أن يسوفها .

(٥) يدعو للمنزل بالخصب وتنسيم الرياح ، لأن النسيم ينفع ولا يضر ، وربما ضرَّت الريحُ القومَ . وأرسى : أي : أقام . والعَقْوة : الساحة وما حول الدار .

شُعِفَ الغمـامُ بعَقْوَتيك وربّما رَوَّت رُباكَ الهائمَ المشعوفا [١]

ولئن ثوى بك مُلْقياً أجرانه ضيفُ الخطوب لقدأصاب مَضِيفا [٢]

وهي الفجائعُ لم تزلْ نكباتُها يألفْنَ ربـعَ المنزلِ المألوفا [٣]

خَلَفَتْ بعَقْوتِـكَ السِّنونَ وطالما كانت بناتُ الدهر عنك خُلوفا [٤]

(١) في الاصل شعف الغرام والتصويب من الديوان . وفيه « بعرصتيـــك » مكان « بعقويتك » .شعف الغمام : استعارة ، وإنما أراد أنه يواصل المطرُ في هـذا المكان ، فكأنه قد شُعِفَ به . والشعف : غلبة الحب على القلب . الهائم : الذي يذهب على وجهه في الأرض من حب أو جنون . والمعنى : أن الغمام قد يُمطر الهائمَ المشعوفَ فيروى به ، وأنت يا ربع كأنك هائم بهؤلاء الذين كانوا فيك لما كنت تؤثرهم على سواهم . قال التبريزي : وهذا من دعوى الشعراء ، لأن المنازل لا تُحبّ ولا تُبغض .
وقال ابن المستوفي « شعف الغمام بعرصتيك » دعاء له .

(٢) في الأصل « ولئن نزى » والتصويب من الديوان . وثوى : أقام . أجرانه : في الديوان : أجرامـه : وهما بمعنى ، قال في « اللسان » : ألقى فلان على فلان أجرامه ، وأجرانه ، وشراشـره . وقال التبريزي : ويقال : ألقى اجرامه بالمكان : إذا اقام ، والأجرام : جمـع جرْم ، وجمَعَه لأن كل عضو من البدن يجوز أن يجعل جِرْماً . قال الصولي : أي : وجد عندك ضيف الخطوب ما أراد ، لايحاشك من أهلك . وقال الخارزنجي : يريد : لقد اصاب ضيف الخطوب من يحسن ضيافتـه وقراه . ومَنْ روى « مضيفاً » بفتح الميم فهو موضع الضيافه ، وهو حسن .

(٣) في الديوان : وهي الحوادث . يقول : هذه الخطوب والأحداث هي فجائع لم تزل مولعة بألفة الربوع والمنازل التي كانت مألوفة بأهلها قبل خفوفهم عنها .

(٤) في الأصل : « الشؤون » قال التبريزي : كأنه يقول : خلف بعرصتك الجَدْبُ

أيامَ لا تسطو بأهلِـكَ نَـكْبـةٌ إلا تراجعَ صرفُها مَصْروفا [١]

وقال أيضاً [٢] :

وأبي المنازلِ إنَّهـا لَشُجونُ وعلى الصَّبابَةِ إنَّهـا لتبين [٣]

فاعقِلْ بِـنضْوِ الدارِ نِضْوكَ نقتسِمْ فيها الصَّبابة مُسعِدٌ ومعـين [٤]

الخصبَ ، والوحشَةُ الأنس ، وقال الخارزنجي : والسنون : القحط . وبنات الدهر : الشدائد . يقول : لمـا ارتحـل عنك أهلك خلفتهم الشدائد . والخلوف : الغيب . قال الصولي : والقوم خلوف : إذا غابوا عن ربعهم وفارقوه ، وقـوم خلوف : متخلفون في الدار ، وهذا من الأضداد .

(١) في « اللسان » وصرف الدهر : حدثانه ونوائبه .

(٢) ديوانه ٣/٢٢٣ والأبيات مطلع قصيدة يمدح بها الواثق بالله .

(٣) في الديوان : « وعلى العُجومة » قال التبريزي : أقسم بأبيها وإن كان لا أب لهـا اتساعاً . يقول : إن المنازل الخالية عن أهلها لهموم ، أقسم بها تعظيماً لها . والشجون ، جمع شجن : وهو الحزن ، أي : إنها تذكر العاشق العهود ، فتكسبه حزناً ، وعلى ما بها من العجمة تشكو سوء حال تأثير الزمان فيهـا ، وما ابتليت بـه من تسلّط الدروس عليها لمفارقة سكانها . وإنما يريد : أن الواقف عليها باعتباره وتأمّله يحصل له ذلك ، فكأن الدار عرفته وأخبرته .

(٤) كذا جاء البيت في أصل المؤلف ، ورواية الديوان :

. . . . . . يقتسم فرطَ الصبابةِ مسعدٌ وحزين

وهي أجـود وأحـكم . ونضو الدار : رسمهـــا . ونضوك : راحلتك ، أي : اعقلها حتى يبكي المشتاق إلى من كان فيها .

لا تَمنعنّي وقْفةً أَشفي بها   داءَ الصَّبابة إِنَّها ماعُون [١]

واسق الأثافيَ من شؤونك رِيَّها   إِنَّ الضَّنين بدمعِه لضنين [٢]

وقال أبو نواس الحسن بن هانىء [٣] :

عفا المصلَّى وأقوت الكُثُبُ   منّيَ فالمِربدانِ فاللَّببُ [٤]

فالمسجدُ الجامعُ المروءةَ والمجدَ عفا   فالصَّمَّانُ فالرَّحَبُ [٥]

منازلٌ قد عمرتُها زمناً   حتى بدا في عِذاريَ الشُّهُب [٦]

في فتيةٍ كالسُّيوفِ هزَّهم   شرخ شبابٍ وزانهم أدب [٧]

---

(١) في الديوان : « داء الفراق فانها ماعون » قال التبريزي : الماعون : ما كان سهلاً يسيراً من الأشياء . ويسمى الماء: ماعوناً ، وكذلك العطاء السهل . و « الماعون » في الجاهلية : كان اسماً لكل ما ينتفع به من فأس وقِدْرٍ ودَلْوٍ الى غيرها . وفي الاسلام : هو اسم لما كان طاعة وحسناً من المنافع ، واشتقاقه من « المَعْن » وهو المعروف . فيقول : هذه الوقفة لي فيها نفع ، فتبرّعْ بها عليّ .

(٢) في الديوان : « من شؤوني » قال التبريزي : أي : مَنْ ضنَّ بدمعه مع الشوق الغالب ، فهو الغاية في البخل .

(٣) ديوانه ص ٣ .

(٤) الكثب : تلال الرمل ، جمع كثيب . وأقوت : خلت . المربدان : يريد المربد فثناه ضرورة ، والمربد : موضع بالبصرة ، وهو في الاسلام كعكاظ في الجاهلية .

(٥) في الديوان « الصيّحان »

(٦) في « الديوان » « يفعا » واليفع : الغلام قارب العشرين .

(٧) شرخ الشباب : أوله .

ثم أرابَ الزَّمانُ فاقتسَموا   أَيدي سبا في البلادِ فانشعبوا [١]

لن يُخلِفَ الدَّهرُ مثلَهم أبداً   عليَّ هيهاتَ شأنُهم عَجَبُ

وقال البُحتري [٢] :

فيئي إِليك فقد تخوَّنَ أُسرتي   حتْفُ الرَّدى وتحامُلُ النَّكبَات [٣]

تلك المنازلُ ما تُمتِّعُ واقفاً   بزُهى الشُّخوص ولاوغى الأصوات [٤]

لن تُخْلِفَ الأيامُ لي بدلاً بهم   أيهات من بدل بهم أيهاتِ [٥]

ومعيّري بالدَّهر يعلمُ في غدٍ   أنَّ الحصادَ وراءَ كلِّ نبات

---

(١) أراب الزمان : صار ذا ريب ، والريب : صرفه وخطبه · انشعبوا : تفرقوا .

(٢) ديوانه ١ / ٣٦٣ والأبيات من قصيدة يفتخر بها ، ويعاتب قوماً من أهل بلده ومطلعها :

أحببْ اليَّ بطيف سُعْدى الآتي   وطروقه في أعجَب الأوقات

(٣) في الديوان : « حيف الردى » والفيء : الرجوع . وتخون : تنقص .

(٤) الزُّهى : الزينة والايناق . وفي الديوان بعد هذا البيت :

أبني عُبَيْدٍ شدّ ما احترقتْ لكم   كبدي وفاضت فيكمُ عبراتي

ألقى مكارمَكم شجىً لي بعدَكم   وأرى سوابقَ مجدِكم حسراتي

شرف تفاقد وارثوه فأصبحوا   أصداء قفرٍ بالعراء رُفات

من بَعْدِ ما بُنِيت على جبلِ العُلا   أحسابُهم وجرَوْا الى الغايات

كانوا همُ ثَبَج الجميع لطيّىءٍ   في أمرها وطوائف الأشتات

(٥) في الديوان : « لن تحدث الأيام » .

وقال كاسب بن غياث أحد بني حُن [1] :

هل مَنزِلٌ دارِسٌ يُبينُ ... سُؤالَ مَنْ مالَهُ مُعينُ
أَقوى وأَودَتْ بهِ اللَّيالي ... وَصَرْفُ دَهرٍ له فُنُونُ [2]
فما بِرَبعيْهِ من أنيسٍ ... كأنَّ مَنْ فيه لم يكونوا
صاحَ بمن حلَّهُ زَمانٌ ... واخترَمَتْهُمْ بهِ المنونُ
فكلُّ عَهدٍ لَهُمْ مُحيلٌ ... وكلُّ رَبْعٍ لهُمْ دفينُ [3]
سوى الذي حلَّ في فؤادي ... من حبِّهم فهو لا يبينُ
وكلُّ حَيٍّ إلى افتراقٍ ... تَشعَبُهم نِيَّةٌ شَطونُ [4]

---

(١) جاء في « جمهَرة الأنساب »: وبنو حُن بن ربيعة أخي رِزاح بن ربيعة لأبيه وأمه ، وهما قبيلا عذرة وفي « الاشتقاق » ٥٤٧ : ومنهم (أي من بني عذرة) بنو حن الذين يقول فيهم النابغة :

لقد قلت للنعمان يوم لقيته ... يريد بني حُنٍّ بُبرقَةِ صادرِ
تجنّب بني حُنٍّ فان لقاءهم ... كريهٌ وإنْ لم تلق إلا بصابر

قلت : والبيتان في ديوانه ٤٦ : من قصيدة يمدح بها بني عُذرة .

(٢) دهر له فنون : أي ضروب ، يريد أن الدهر ذو تارات ، كما يهب يرتجع وكما يصفي يكدر .

(٣) في الأصل : محيل بفتح الميم ، والصواب ضمها ، قال في « اللسان » أحالت الدار : أتى عليها حول ، والمحيل : الذي أتت عليه أحوال وغيرته . والعهد : المنزل الذي لا يزال القوم اذا انتأوا عنه رجعوا اليه ، وكذلك المعهد .

(٤) شعبتهم : فرقتهم . والكلمة من الأضداد . يقال : شعبت الشيء : إذا جمعته وأصلحته ، وشعبته : إذا فرقته . والنية والنوى : الوجه الذي -

وقال آخر :

دَعني وتَسكابَ دَمعي في منازِلِهِم ... فلِلشُّؤونِ ولي من بَعدِهم شانُ [1]
أحبابَنا ما الدِّيارُ اليومَ بعدَكُمُ ... تلكَ الدِّيار ولا الأوطانُ أَوطانُ

وقال القاضي أبو المجدِ محمَّدُ بن عبدِ الله بن سليمان [2] رحمه الله :

يا مَعشَرَ الأَحْبابِ قد ... أضحتْ منازِلُهم قُبورا
كنتُ الصَّغيرَ فليتَني ... لم أُدْعَ بعدَهمُ كبيرا

عن زُنام الزامر قال : لما اشتدَّ بالمعتصِم المرض الذي مات فيه ، أفاق في بعض الأيام ، فقال : هيئوا لي الزلال لأركب فيه في دجلة غداً ، فعملوه ، فركب وركبت معه ، فمرَّ في دجلة بإِزاءِ منازله فقال : يا زنام ازمُرلي :

يامنزلاً لم تَبلَ أطلالُهُ ... حاشَ لأطلالِكَ أن تبلى
لم أبكِ أطلالَكَ لكنَّني ... بَكَيْتُ عيشي فيكَ إذْ ولَّى

- ينويه المسافر من قرب أو بعد ، وهي مونثة لا غير . ونوى شطون : بعيدة ، قال النابغة :

نأت بسعاد عنك نوى شطون ... فبانت والفؤاد بها رهين

(١) الشؤون جمع شأن : وهي مواصل قبائل الرأس وملتقاها ، ومنها تجيء الدموع .

(٢) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سليمان ، أبو المجد التنوخي المعري ، وهو حفيد أخ لابي العلاء ، مارس القضاء ، ونظم الشعر ، ولما دخل الافرنج الى المعرة انتقل الى شيزر وتوفي بها ٥٢٣ هـ . وكان يفتي على مذهب الشافعي ، له ديوان شعر ورسائل .

والعيشُ أولى ما بكاهُ الفتى   لا بُدَّ للمحزون أن يسلى

قدْ كان لي فيكَ هوىً مرَّة   غيَّرَهُ الدَّهرُ وما ملَّا

فما زال ينتحب حتى عاد إلى منزله .

مات المعتصِمُ رحمه الله لثماني عَشْرةَ [ليلة] بقيت من ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين [1] .

وحدثني من أَثِقُ به أنه لما وقع بمصر الغلاء العظيم في أيّام المستنصر بالله [2] واستولت كتامة [3] والجندُ على الدولة ، واستنفدوا ما في الخزائن من الأموال ، وتضعضعتِ الدولة ، أمر المستنصر بإحضار ابن الجوهري الواعظ ، فحضر ونُصِبَ له كرسيٌّ ، فلما صَعِدَ على الكرسيِ ، تلفَّت يميناً وشمالاً إلى نواحي القصر ، ثم أنشد :

يا مَنْزِلاً لم تَبلَ أطلالُه   حاشا لأطلالك أن تبلى

الأبيات .

فارتفع البكاء والضجيج في القَصر ، وما زاد على ذلك ، يُستعاد منه ، ويكرره حتى انقضى المجلس .

---

(١) الخبر بنحوه مع زيادة في آخره في « تاريخ الطبري » ٦/١١ طبعة الحسينية .

(٢) هو معد (المستنصر بالله) بن علي بن الحاكم بأمر الله ، (٤٢٠ - ٤٨٧ هـ) من خلفاء الدولة العبيدية بمصر ، مولده ووفاته فيها .

(٣) كتامة : قبيلة بربرية ، عرفت بالشدة والبأس والقوة ، وطول الباع في الملك ، انظر خبرها في « تاريخ ابن خلدون » ١٤٨/٦ .

وقال آخر :

أحِبُّ منازلَ الأحبا   بِ إن غابوا وإن حَضَروا

وأسقيها دُموعَ العيـ   ـن إن لم يَسقِها المطَرُ

بقدْرِ كرامةِ الأحبا   بِ يُكرَمُ بَعدَها الأثرُ

ولولا راحةُ الشَّكوى   لكان القلبُ ينفَطِرُ

وقال آخر [1] :

---

(١) الأبيات مع خبرها في « معجم ما استعجم » ٥٨٠/٢ ، و « معجم البلدان » ١٣٩/٤ ، و « مسالك الأبصـــار » ٣٣٢/١ قال أبو الفرج : حدثني جعفر بن قدامة ، قال : حدثـــني أبو عبد الله بن حمدون ، قال : كنت مع المتوكل لما خرج الى الشام ، فركب يوماً من دمشق يتنزه في رصافـــة هشام ، يزور قصوره وقصور ولده ، ثم خرج فدخل ديراً هناك قديماً من بناء الروم ، بين أنهار ومزارع وأشجار ، فبينا هو يدور ، إذ بصر برقعة ملصقة ، فأمر أن تقلع ، فقُلِعَت ، فاذا فيها .

أيا منزلاً بالدير أصبح خاليا   . . . الابيات

قال : فلما قرأها المتوكل ارتاع لهـــا وتطير ، وقال : أعوذ بالله من سوء أقداره ، ثم دعا بصاحب الدير ، فقال له : من كتب هذه الرقعة ؟ فأقسم أنـــه لا يدري ، قال : وأنا منذ نزل أمير المؤمنين هذا الموضع لا أملِك من أمر هـذا الدير شيئاً ، يدخله الجند والشاكرية ، ويخرجون ، وغاية قدرتي أني متوارٍ في قلايتي ، فهمّ بضرب عنقه ، وإخراب الدّير ، فكلمه صحبه الى أن سكن غضبُه ، ثم بان بعد ذلك أن الذي كتب الأبيات رجـل من بني روح بن زنباع الجذامي ، وأمه من موالي هشام بن عبد الملك .

أيا مَنزِلاً بالدَّيرِ أصبحَ خالياً ... تَلاعَبُ فيه شَمألٌ ودَبورُ (١)

كأنَّكَ لم تَسكُنْكَ بيضٌ نواعِمٌ ... ولم تَتَبخْتَرْ في فِنائِكَ حُورُ (٢)

وأبناءُ أملاكٍ كِرامٌ وسادةٌ ... صغيرُهم بينَ الأنامِ كبيرُ (٣)

إذا لبِسوا أدراعَهم فَضَراغمٌ ... وإن لبِسوا تيجانَهم فبُدورُ (٤)

وقال الحارث بن شداد أخو بني كعب بن عمرو:

إلى الله أشكو ما أرى من عَشيرتي ... وما كنتُ فيما قد مضى أستزيدُها

تُذكِّرُنيهم وَحْدتي ومنازِلٌ ... سواءٌ علينا رثُّها وجديدُها

أرى الناس راعوا للدِّيار وللحيا ... وكعبُ بنُ عمرو لا يَريعُ شريدُها (٥)

أنشدني الخطيب العالم قدوة الشريعة أبو زكريا يحيى بن سلامة الحصكفي (٦)

---

(١) الدبور: الريح التي تقابل الصَّبا.

(٢) في «معجم ما استعجم» و«المسالك» و«معجم البلدان»: «بيض أوانس».

(٣) في «معجم ما استعجم» عباشيم سادة ... صغيرهم عند الأنام .. والعباشم: نسبة إلى عبد شمس.

(٤) في «معجم ما استعجم» و«معجم البلدان»: «فعنابس» والعنبس: من أسماء الأسد، وفي «اللسان» والعنابس من قريش: أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر، وهم ستة: حرب وأبو حرب، وسفيان وأبو سفيان، وعمرو وأبو عمرو، وسموا بالأسد، والباقون، يقال لهم: الأعياص.

(٥) في «اللسان» الحيا: الخصب، وراع الشيء ريعاً: رجع وعاد، قال البعيث:

طمِعْتَ بليلى أن تريع وإنّما ... تُضرِّبُ أعناقَ الرِّجال المطامعُ

(٦) هو يحيى بن سلامة بن الحسين، أبو الفضل معين الدين (٤٥٩ - ٥٥١ هـ) -

رحمه الله عند اجتماعي به بميّافارقين (١) في سنة سبع وعشرين وخمسمئة لبعض أهل المعرَّة، وقد اجتاز بقريةٍ من أعمال المعرَّة، يقال لها: سياث (٢) وفيها علوجٌ من الإفرنج يهدِمون من جدرانها الحجارة، ويكسرونها بالمعاول ليخفَّ عليهم حملها، فوقف كالمتأسف وقال:

مررتُ بِرَبعٍ من سياثٍ فهاجني ... بها زَجَلُ الأحجارِ تحت المعاولِ (٣)

- الخطيب الحصكفي الطنزي الفقيه النحوي الكاتب الشاعر ولد في - طنزة في ديار بكر - ونشأ في حصن كيفا، وقدم بغداد، فأخذ بها الأدب عن الخطيب أبي زكريا التبريزي، وتفقه على مذهب الشافعي، ثم رحل إلى ميّافارقين فسكنها وولي بها الخطابة، وصار إليه أمر الفتوى، وتوفي فيها.

(١) ميافارقين: بتشديد الياء، بعدها فاء وألف وراء مهملة وقاف مكسورة بعدها ياء ونون: بلد معروف بديار بكر. بينه وبين آميد ثلاثة برد.

(٢) سياث، بكسر أوله وبعد الألف ثاءٌ مثلثة، قال ياقوت: كانت بليدة بظاهر معرّة النعمان، وهي القديمة، والمعرة اليوم محدثة، كذا ذكره ابن المهذب في «تاريخه». قال: وقد اجتاز بها القاضي أبو يَعْلَى عبد الباقي بن أبي حصن المعري والناس ينقضون بنيانها ليعمروا به موضعاً آخر، فقال: وذكر الأبيات.

(٣) في «معجم البلدان»:

مررت برسم في سياث فراعني ... بن زَجَلُ الأحجار تحتَ المعاول

قال في «اللسان» والزجل بالتحريك: اللعب والجلبة ورفع الصوت، وخص به بعضهم: التطريب، وأنشد سيبويه للشماخ.

له زجَلٌ كأنَّه صوت حادٍ ... إذا طلب الوسيقة أو زمير

قلت: والبيت في «الكتاب» ١١/١، قال الأعلم: أراد كأنهو فحذفت الواو ضرورة -

تصدّى لها عَبلُ الذِّراع كأنّما جنى الدهرُ فيما بينهم حَربَ وائل [١]

فقلتُ له شَلّتْ يمينُـكَ خلِّها لمستَخبرٍ أو واقفٍ أو مُسائل [٢]

منازلُ قومٍ حدَّثتنا حديثَهم ولم أرَ أحلى من حـديثِ المنازلِ

وقال آخر :

إذا أنت لم تَرعَ العُهودَ لمنزلٍ فلستَ براعٍ عَهدَ أهلِ المنازلِ

ولا سيَّما دارٌ وُلِدْتَ بربعها وكنتَ بها جَذلانَ في خيرِ آهلِ

ـ والزَّجل : رفع الصوت الطرب . وفي حديث الملائكة : « لهم زجَلٌ بالتسبيح » أي : صوت رفيع عال . وسحاب زَجل : أي : ذو رعد .

(١) في « معجم البلدان » :

تناولها عَبْلُ الذراع كأنما رمى الدهر فيما بينهم حرب وائل

والعبل : الضخم من كل شيء . ورجل عبل الذراعين : أي : ضخمهما .

وحرب وائل : يريد حرب البسوس ، وقعت بين بكر وتغلب ابني وائل ، ومكثت أربعين سنة . والبسوس : اسم امرأة وهي خالة جسّاس بن مرة الشيباني ، كانت لهـا ناقة يقال لها : « سراب » فرآها كليب وائل في حِماه وقد كسرت بيض طير كان قـد أجاره ، فرمى ضرعهـا بسهم ، فوثب جسّاس على كليب فقتله ، فهاجت حرب بكر وتغلب ابني وائل بسببها أربعين سنة ، حتى ضربت بها العرب المثل في الشؤم ، وبها سميت الحرب .

(٢) في « البلدان » :

أتُتْلِفُها شَلّتْ يمينك خلّها لمُعتبرٍ أو زائرٍ أو مسائلِ

يقال : شَلّت يـده تَشَلّ بالفتح ، وأشلها الله . قال الفراء : لا يقـال : شُلّت يدُه ، وإنما يقال : أشلَّها الله .

وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي [١] :

هاج ذا القلبَ منزِلُ بالبُليَّيـن مُحـوِلُ [٢]

غيَّرتْ آيه الصَّبا وَجَنـوبٌ وشَمْـأل

فلئن بان أهـلُهُ لـبما كان يُـؤْهَـلُ [٣]

قـد أرانا بغِبْطَـةٍ فيه نَلْهو ونَجْذَلُ

---

(١) هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي القرشي أبو الخطاب (٢٣ – ٩٣ هـ) أرق شعراء عصره ، ولم يكن في قريش أشعر منه .

(٢) رواية البيت في « الديوان » ص : ٣٤٠

هـاج ذا القلب منزلٌ دارس الآي محـول

وهاج القلب : أثار أشجانه وحرك بلابله . ودارس : ذاهب المعالم طامس الآثار . والآي : جمع آية ، وهي العلامة . محول : أتى عليـه حول . والبُلَيّين ، بالضم ثم الفتح كأنه تثنية ‹بلَيّ› . قال في « البلدان » . تثني الشعراء هذا وأمثاله كثيراً إما يعتقدون ضمّه إلى موضع آخر ثم يثنونه ، كما قالوا : القمران والعمران ، وإما لاقامة وزن الشعر . « وبُلي » بكسر اللام قد ذكرت في شعر عمر بن أبي ربيعة . قال :

سائلا الربع بالبُليّ وقولا هِجتَ شوْقاً لي الغداة طويلاً

(٣) في « الديوان » : فبما كان يؤهل ، ورواية الأصل هي الصواب ، لانه اذا اجتمع شرط وقسم فالجواب للسابق ، وقبل البيت :

ولقد كان آهلاً فيـه ظبي مبتّل

طيّبُ النشر واضح أحورُ العين أكحل

وقال جريرُ بنُ عطيَّة بن الخطفى [١] :

ذُمَّ المنازِلَ بعدَ مَنْزِلَةِ اللِّوى ۝ والعيشَ بعد أولئـك الأقوام [٢]

ضَرَبتْ معارِفَها الروامسُ بعدَنا ۝ وسِجالُ كلِّ مُجَلجِلٍ سَجَّام [٣]

---

(١) ديوانه : ٥٥١ والأبيات من قصيدة يرد فيها على الفرزدق ، وهي من «النقائض» ١ / ٢٥٦ وأولها :

سَرَتِ الهُمُومُ فَبِتْنَ غير نيام ۝ وأخو الهموم يروم كلّ مرام

ذُمّ المنازل . . . . . .

(٢) في الأصـل « ذم » بصيغة الماضي . واللّوى : بالكسر وفتح الواو والقصر : قال في « البلدان » : وهو في الأصل منقطع الرملة ، يقال : قـد ألويتم ، فانزلوا: إذا بلغوا منقطع الرمل ، وهو أيضاً موضع بعينه ، قـــد أكثرت الشعراء من ذكره وخلطت بين ذلك اللوى والرمل فعزّ الفصل بينهما . وهو في واد من أودية بني سليم . ومما يدل على أنه واد ، قول بعض العرب :

لقـد هاج لي شوقاً بكاءُ حمامةٍ ۝ ببطن اللّوى ورقاء تصدع بالفجر

والمنزلة والمنزل : موضع النزول .

(٣) معارفها : قال أبو عبيدة : ما بقي من آثار الدار ممـا يعرف مثل الحائط الدارس حتى يبقى جذمه ، أو العرصة قد امحّت إلا ما بقي من رسمها وموضعها الذي تعرف بـــه . والروامس من الرياح : ذات التراب ، والرمس : التراب بعينـه . والمجلجل : يريد صوت الرعد من السحاب . وقوله : سجال : يريد مطرة بعـــد مطرة . والسجل : الدلو . وإنما شبه المطر في كثرته به ، يريد كأن القطر في عظمه إذا دفع بالارض كوقع مصبّ الدلو في كثرته وعظمه .

ولقد أراكِ وأنتِ جامعةُ الهوى ۝ يُثنى بعهدِكِ خيرَ دارِ مُقام [١]

وإذا أتيتُ على المنازل باللِّوى ۝ فاضتْ دموعي غيرَ ذاتِ نظامِ [٢]

وقال أبو حيَّة النميري [٣] :

أَلا حَيِّيا قصْراً رُسومَ المنازل ۝ بسُلَّانَ سُلْمانَيْن أَو مِيْث عاقل [٤]

---

(١) في « الديوان» و «النقائض» نثني . جامعة الهوى : قال أبو عبيدة : أي : مجتمعة الهوى ، لم يفترق ، وكان فيك مَنْ يحبني وأحبه ، فهذا اجتماع الهـوى . ويروى : أثني ، أي : أثني بمـا كنا أولينا ، ونصب خير على النداء ، والمعنى في ذلك : أراك خير دار مقام .

(٢) في «النقائض» و«الديوان» : « فاذا وقفت على المنازل » قال أبو عبيدة : ويروى : مررت ، ويروى : دموعك . وغـــير ذات نظام : أي تقطر قطراً غير متسق لكثرته .

(٣) هو الهيثم بن الربيع بن زرارة من بني نمير بن عامر ، أبو حية (٠٠٠-١٨٣ هـ) شاعر مجيد ، فصيح راجز من أهل البصرة ، من مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية .

(٤) في الأصل « سلمانين أو ميث » بفتح أولهما. وفي « اللسان » أتيته قصراً ، أي : عشياً . والسُّلان : بضم أوله وتشديد ثانيه على وزن فعلان . قال البكري : موضع بين البصرة واليمامة . وقال الخليل : السّلان بالكسر ، والسليل ، والسّلة : أودية بالبادية معروفة . وسُلمانين : بضم أوله وتكرير النون ، علم مرتجل بلفظ التثنية ، قال البكري : واد بين تبْرع وبين العتْك . وقال في « البلدان » هما واديان في جبل لغني ، يقال له : سواج . ومَنْ روى : بلفظ جمع السلامة لسُلمان ، فقال : سلمانين واد يصبّ على الدهناء شمالي الحفر حفر الرّباب بناحية اليمامة بموضع يقال له: الهُرار . وميث : بكسر أوله وسكون ثانيه ، والميثاء : الرملة اللينة، وجمعها-

خلتْ مِنْ أنيسٍ صالحينَ فأصْبحتْ   مَراداً لوُحْدانِ النِّعاجِ الخواذلِ [١]

بما قد أرى الحيَّ الجميعَ بِغبطةٍ   بها ، والنّوى قطّاعة للوسائلِ [٢]

وقال أيضاً :

أأبكاكَ رسمُ المنزلِ المتقادمِ   بأمراشَ أقوى من حُلولِ الأخارمِ [٣]

ميث ، وذو الميث : موضع بعقيق المدينة . العاقل ، بكسر القاف على وزن فاعل : قال البكري : قال عمارة : هو ماء لبني أبان بن دارم من وراء القريتين ، وقال الطوسي عن شيوخه : هو جبل كان يسكنه حُجرٌ أبو امرىء القيس .

(١) الأنيس : المؤانس ، وكل ما يؤنس به ، ومراداً : من رادت الابل ترود رياداً في المرعى مقبلة ومدبرة ، وذلك ريادها ، والموضع : مراد . الوُحدان : جمع الواحد ، ويقال : الأحدان في موضع الوحدان ، وفي حديث العيد « فصلينا وُحداناً » أي : منفردين . النعاج : جمع النعجة ، وهي الأنثى من الظباء والبقر الوحشي والشاء الجبلي ، والجمع نعاج ونعجات . قال أبو عبيد : ولا يقال لغير البقر من الوحش: نعاج . والخواذل : جمع خاذل ، من خذلت الظبية والبقرة وغيرهما من الدواب ، وهي خاذل وخذول : إذا تخلفت عن صواحبها وانفردت ، وقيل : تخلفت فلم تلحق . وخذلت الظبية : أقامت على ولدها .

(٢) الحي الجميع : المجتمع . الوسائل : جمع الوسيلة ، وهي الوصلة والقُربى . وقال الجوهري : الوسيلة ما يتقرب به إلى الغير .

(٣) لم أجد هذه الأبيات في كتب الأدب ، ولعلها مطلع القصيدة التي منها الأبيات السائرة :

وخبرك الواشون أن لن أحبكم   بلى وستور الله ذات المحارم

انظر « الأمالي » ٢/٢٨٠ ، و « السمط » ٩٣٤ . وفي الأصل تحت كلـة-

فأمرتْ به عيناكَ لما عَرفْتها   بمبتدرٍ نظمَ الفريدين ساجمِ [١]

لِعرفانك الرَّبعَ الذي صَدعَ العصا   به البينُ صَدعاً ليس بالمتلائمِ [٢]

فقد كنت أدري أنَّ للبين صَيْحةً   على الحيِّ في يومٍ لنفسك ضائمِ

ـ « أمراش » : موضع . والرسم : الأثر الباقي من الدار بعد أن عفت . وأمراش : قال « ياقوت » : بالشين المعجمة ، موضع فيه روضة .

قلت : وقد ذكرها في الرياض ، واستشهد بقول بعض بني نمير :

بروضة أمراشٍ رمتنا بطرفها   أناةَ الضحى كسلى القيام عروبُ

وأقوت الدار والأرض : خلت من أهلها .

(١) أمرت : أصله من المري ، وهو مسح ضرع الناقة لتدر ، يقال : مرى الناقة مرياً : مسح ضَرْعها للدِّرَّة ، والاسم : المرْية ، وأمرت هي : درَّ لبنها . والفريد والفرائد : الشَّذر الذي يفصل بين اللؤلؤ والذهب ، واحدته فريدة . والفريد : الدرُّ اذا نُظم وفُصِل بغيره . وسجم الدمع سجوماً وسجاماً : سال .

(٢) قوله : صدع العصا : قال في « اللسان » : وأصل العصا ، الاجتماع والائتلاف . ومنه : إياك وقتيل العصا ، معناه : إياك أن تكون قاتلاً أو مقتولاً في شق عصا المسلمين . وانشقت العصا : أي : وقع الخلاف ، ويقال للرجل إذا أقام بالمكان واطمأن : ألقى عصاه وألقى بوانيه . وقال أبو الهيثم : العصا تضرب مثلاً للاجتماع ، ويضرب انشقاقها مثلاً للافتراق الذي لا يكون بعده اجتماع ، وذلك لأنها لا تُدعى عصا إذا انشقت . التلائم : من قولك : لأمت الجرح والصدع : إذا شددته فالتأم ، ولاءَمت بين القوم ملاءمة : إذا أصلحت وجمعت ، وإذا اتفق الشيئان فقد التأما .

وقال الراعي ، وهو عبيدُ بنُ حُصين النُّميري [١] ، وكان قومُه ارتحلوا ، فصار بعضهم إلى العراق ، وبعضهم إلى الشام :

تذكَّرتَ فاستبكاكَ رسمُ المنازلِ   بقارة أقوى أو بسوقة حائلِ [٢]

---

(١) هو عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل من بني نمير (٠٠ – ٩٠ ﻫ) شاعر من فحول المحدثين ، عاصر جريراً والفرزدق .

(٢) في « الأمالي ٢/١٤٠ » : قال أبو عمرو بن العلاء : سمعت جندل بن الراعي ينشد بلال بن أبي بردة قصيدة أبيه :

نعوسٌ إذا درّت جروزٌ إذا غدت   بويزل عامٍ أو سديسٌ كبازلِ

قال : فكاد صدري ينفرج لحسن إنشاده ، وجودة الشعر . وقال البكري في « السمط » ٢/٧٦٤ :

هذا بيت من القصيدة ، وأولها :

تذكرت واستبكاك رسمُ المنازل   بقارةَ أهوى أو ببرقة حائل

ورواية البيت في « اللسان » مادة هنف :

تهانفت واستبكاك رسم المنازل   بسوقة أهوى أو بقارة حائل

وقد أنشده بعد قوله . وقد يكون « التهانف » بكاء غير الطفل ، ثم قال : فهذا هنا إنما هو للرجال دون الأطفال ، لأن الأطفال لا تبكي على المنازل والأطلال ، وقد يكون « تهانفت » تشبهت بالأطفال في بكائك .

ورواه في « معجم البلدان » :

بقارة أهوى أو بسوقة حائل

وقال : أهوى ، بالقصر : موضع بأرض هجر ، قال الحفصي : أهوى : أرض باليمامة ثم من بلاد قشير ، وقيل: ما آن لحمان ، وهما المروت ، وأهل المروت بنو حمان –

خَلَتْ من جميعٍ ساكنٍ وتبدّلت   ظِباءَ السَّليل بعد خالٍ وجامل [١]

ذكرتُ بها مَنْ لن أباليَ بعدهُ   تفرّقُ حيٍّ في النّوى متزايل [٢]

وإنَّ امرءاً بالسّيف أكبرُ همِّه   وبُطنان ليس الشّوقُ عنه بغافل [٣]

– وهو جبل فيه مياه ومراتع ، وبين أهوى ، وحجر اليمامة أربعة ليال . وفي « اللسان » مادة سوق : سوقة أهوى وسوقة حائل : موضعان ، وأنشد البيت .

(١) الجميع : الحيّ المجتمع . والسليل : بفتح أوله وكسر ثانيه . قال في « البلدان » قال الليث : السليل والسُّلان : الأودية . وقيل : العرصة التي بعقيق المدينة . وفي « اللسان » وإنه لخال مالٍ ، وخائل مال ، وخولُ مالٍ ، أي : حسن القيام على نعمه يدبره ويقوم عليه . والجامل : القطيع من الابل مع رعاته وأربابه .

(٢) متزايل : من تزيّل القوم تزيُّلاً وتزييلاً : تفرقوا . والتزايل : التباين . والمزايلة : المفارقة .

(٣) رواية البيت في « معجم ما استعجم » ١/٢٥٩

وإن امرءاً بالشام أكثر أهله   وبُطنان ليس الشوق عنه بغافل

وقال : بطنان على لفظ جمع بطن : موضع من أرض الشام . وكان عبد الملك يشتو به في حربه مصعباً ، ومصعب يشتو بمسكن قال كثير :

وما لست من نصحي أخاً لي بمنكر   وبطنان إذ أهل القباب عماعم

وقال الراعي :

وإن امرءاً . . . . . . البيت

وقال جرير بن عطية (١)

شَعِفْتَ بعهدٍ ذكّرتْهُ المنازلُ ... وكيف تناسي الحِلم والشّيبُ شامل (٢)

لعمرُكَ لا أنسى ليالي مَنعِجٍ ... ولا عاقلاً إذ منزلُ الحيّ عاقِل (٣)

فيا حبذا أيامَ يحتلُّ أهلُها ... بذاتِ الغضى والحيُّ في الدار آهِل (٤)

وإذ نحن ألّافٌ لدى كلِّ مَنْزلٍ ... ولما تفرّقْ للطّياتِ الحمائل (٥)

---

(١) ديوانه : ٤٣٩ من قصيدة يمدح بها الحجاج بن يوسف الثقفي .

(٢) في « الديوان » : « وكدت تناسى » وشعفت : من الشعف ، وهو شدة الحب . يقال : شعفني حبها : أصاب مني شَعْفَةَ القلب ، أي : رأسه عند معلّق النياط . قال الأزهري : ما علمت أحداً جعل للقلب شعْفَةً غير الليث ، والحب الشديد يتمكن من سواد القلب لا من طرفه .

(٣) منعج : بفتح أوله وإسكان ثانيه ، بعده عين مهملة مكسورة : واد يأخذ بين حفر أبي موسى والنّباج ، ويدفع في بطن فلج ، ويوم منعج من أيام العرب لبني يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناه بن تميم على بني كلاب . وعاقل : وادٍ لبني أبان بن دارم من دون بطن الرمة ، وهو يناوح منعجاً من قدامه وعن يمينه ، أي : يحاذيه ، قال ذلك السكري في شرح قول جرير : لعمرك لا أنسى . . . « معجم البلدان » .

(٤) في « الديوان » :

ألا حبذا أيامَ يحتلّ أهلُنا ... بذات الغَضى والحيّ في الدار آهل

والآهل : العامر ، يريد أن الدار آهلة بالحي .

(٥) في « الديوان » « الجمائل » وهي جمع : جمال . والطيات : قال في ـ

وقال أيضاً (١) :

حيِّ المنازلَ إذ لا نَبتغي بَدَلاً ... بالدّار داراً وبالجيران جيرانا (٢)

نُهْدي السّلام لأهلِ الغَوْرِ من مَلَحٍ ... هيهاتَ مِنْ مَلَحٍ بالغورِ مَهْدانا (٣)

ـ « اللسان » : الطّيّة : الوطن والمنزل والنيّة . وبعدت عنا طِيّته : وهو المنزل الذي انتواه ، والجمع طيّات ، وقد يخفف في الشعر .

(١) ديوانه ٥٩٣ والأبيات من قصيدة يهجو بها الأخطل ، أولها :

بانَ الخليطُ ولو طُوّعتُ ما بانا ... وقطّعوا من حبالِ الوصْلِ أقرانا

ومن أبياتها السائرة :

إن العيون التي في طرْفها مرضٌ ... قتلننا ثُمّ لم يُحيين قتلانا

يصرعن ذا اللبّ حتى لا حراك به ... وهنّ أضعف خلقِ الله أركانا

(٢) في الديوان بعد هذا البيت :

قد كنتُ في أثرِ الأظعانِ ذا طرَبٍ ... مروّعاً من حذار البين مِحزانا

يا رُبَّ مكتئبٍ لو قد نُعيت له ... باكٍ وآخر مسرور بمنعانا

لو تعلمين الذي نلقى أويتِ لنا ... أو تسمعين إلى ذي العرش شكوانا

كصاحبِ الموج إذ مالت سفينته ... يدعو إلى الله إسراراً وإعلانا

يا أيها الراكبُ المزجي مطيّته ... بلغ تحيّتنا لُقّيتَ حُملانا

بلغ رسائل عنّا خفٌّ محملُها ... على قلائص لم يحملْنَ حيرانا

كيما نقولَ إذا بلّغْتَ حاجتنا ... أنت الأمين إذا مستأمنٌ خانا

(٣) مَلَح : بفتح أوله وثانيه : قال في « البلدان » : ذكر السكري في شرح شعر جرير : أنه ماء لبني العَدَويّة . والغور : ما انحدر واطمأن من الأرض وهو هنا موضع بعينه .

أحببْ إليّ بـذاك الجزعِ منزلةً   بالطَّلحِ طَلْحاً وبالأعطانِ أعطانا [١]

روي أن أبا عمرو ابن العلاء [٢] رحمه الله غاب عن البصرة عشرين سنة ، ثم عاد فجلس مَجْلِسَه في الجامع ، ففقد إخوانه وأصحابه الذين كانوا يقعدون إليه ، فبكى وأنشأ يقول :

يا مَنزل الحيّ الذيـ   ـنَ تفرّقت بهم المنازلْ

أصبحْتَ بعد عِمارةٍ   قفراً تهبُّ بك الشَّمائلْ [٣]

فلئن رأيتُك مُوحشاً   فبما رأيتُ وأنت آهلْ [٤]

وقال عديُّ بن الرِّقاع العاملي [٥] :

---

(١) جزع الوادي : بالكسر : حيث تجزعه ، أي : تقطعه . أو هي هنا : محلة القوم . الطلح : شجرة حجازية ، جناتها كجناة السَّمُرة ، ولها شوك أحجن ، ومنابتها بطون الأودية ، وهي أعظم العضاة شوكاً ، وأصلبها عوداً ، وأجودها صمغاً . والعطن للابل : كالوطن للناس ، وقد غلب على مبركها حول الحوض ، والجمع أعطان . وفي الحديث «صلوا في مرابض الغنم ولا تصلوا في أعطان الابل» .

(٢) هو زبان بن عمار التميمي المازني البصري ، أبو عمرو ، ويلقب أبوه بالعلاء (٧٠ – ١٤٥ هـ) من أئمة اللغة والأدب ، وأحد القراء السبعة ، ولد بمكة ، ونشأ بالبصرة ، ومات بالكوفة .

(٣) الشمائل : جمع الشمال ، وهي الريح التي تهبّ من ناحية القطب .

(٤) كذا الأصل « فبما » والصواب « لبما » انظر ص : ٢٧ التعليق رقم : ٣ .

(٥) هو عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرِّقاع ، من عاملة (٠٠ – نحو ٩٥ هـ) كان شاعراً مقدماً عند بني أمية ، مداحاً لهم ، خاصاً بالوليد بن عبد الملك . والبيت ـ

فهل انتَ منصرفٌ فتنظُرَ ما ترى   أبقى الحوادثُ من رُسومِ المَنْزلِ [١]

دار بإحدى الرَّجْلتَين كأنَّها   قد عُفّيتْ حِججاً ولمّا تَحْلَلِ [٢]

وكأنَّ سُهْكَ المُعصِراتِ كَسَوْنَها   تُرْبَ الفدافدِ واليفاعِ بمُنخُلِ [٣]

فسُقيتِ من دارٍ وإن لم تسمعي   أصواتَنا مَطَرَ الربيعِ المُسبِلِ

قد كان أهلُك مرّةً لك زينةً   فاستبْدلوا بَدَلاً ولم تستبدلي

فابكي إذا بكتِ المنازلُ أهلَها   معذورةً وظلَمْتِ إنْ لَمْ تَفْعلي

أهلاً كِراماً لن يَحُلَّكِ مِثْلُهم   في ذا الزَّمانِ ولا الزَّمانِ المُقبِلِ

ـ الأول والثاني في « الشعر والشعراء » ٢/٦٠٣ من جملة أبيات ، استهلها ابن قتيبة بقوله: وقال في آخر الرحلتين ، بالحاء المهملة ، وكذلك جاءت في البيت الثاني وهو تصحيف .

(١) في « الشعر والشعراء » هل أنت منصرف فتنظر ما ترى .

(٢) الرجلتين : قال البكري : رجلة بكسر أوله وإسكان ثانيه وهي ثلاث رِجَل . رجلة التيس ، ورجلة أحجاء ، ورجلة أبلى . وزاد « ياقوت » رجلتا بقر ، وكلها مواضع . وقال أبو حنيفة : والرِّجلة : مسيل ينبت الكلأ . عُفّيت : قال في « اللسان » : عفا المنزل يعفو ، وعفت الدار ونحوها عفاءً وعفوّاً ، وعفّت وتعفّت تعفّياً : درست ، يتعدى ولا يتعدى ، والتشديد للمبالغة .

(٣) البيت في « اللسان » وفيه « البقاع » بدل « اليفاع » وسهك المعصرات : قال أبو حنيفة : وقال قوم : إن المعصرات الرياح ذوات الأعاصير ، وهو الرهج والغبار ، واستشهدوا بقول الشاعر :

وكأن سهك المعصرات . . . البيت ـ

وقال أيضاً [1] :

لمن المنـازلُ أقفرَتْ بعبـاء | لو شِئْتُ هيَّجتِ الغـداةَ بكائي [2]
لولا التجلُّدُ واعترافي أنَّـهُ | لا قومَ إلا عقْرُهم لِفَناء [3]
لرثيتُ أصحابي الذينَ توجَّهوا | ودعوتُ أخْرسَ لايُجيبُ دُعائي [4]
وفراقِ ذي حَسَبٍ ورَوْعة فاجعٍ | داويتـه بتجمُّـلٍ وعَزاء [5]

ـ وسهكه يَسْهَكه ، لغة في سحقه . وقيل : السَّهك : الكسر ، والسحق بعد السهك ،وسهكت الريح : إذا أطارت ترابها،وسهكت الريح : أي : مرت مرّاً شديداً . الفدافد : جمع الفدفد وهي الفلاة التي لا شيء بها ، وقيل : هي الأرض الغليظة ذات الحصى . والفدفد أيضاً : المكان المرتفع فيه صلابة . اليفاع : المشرف من الأرض والجبل ، وقيل : التل المشرف .

(١) الأبيات الثلاثة في « معجم البلدان » ٣٠٤/٦ . وفي « الشعر والشعراء » ٦٠٣/٢ في ترجمة عدي قصيدة في عمر بن الوليد يشبه أن تكون هذه الأبيات مطلعها .

(٢) في « معجم البلدان » « بغباء » بالغين المعجمة ، وقال ياقوت : غباء بالفتح والمد : موضع بالشام ، وذكر البيت ، وجاء فيه بعده :

فالغمر غمر بني جذيمة قـد ترى | مأهولةً فخلت من الأحياء

(٣) في « معجم البلدان » لولا التجلد والتعزي أنه : وفي « اللسان » العقر : المنزل والضيعـة .

(٤) في «معجم البلدان» ناديت أصحابي . . . . ما يجيب . . . .
والأخرس : يريد بها الأطلال .

(٥) ربع فلان يُراع ، إذا فزع . وراعه الشيء رؤوعاً ورووعاً وروعةً : ـ

ليرى الرجالُ الشامتون صَلابتي | وأكفَّ ذاك بعفَّةٍ وحياء

وقال البحتري [1] :

منازلُ أضحتْ للرِّياح منازلاً | تَرَدَّدُ فيها بين نُؤيٍ ورِمْدِدِ [2]
شَجَتْ صاحبي أطلالُها فتهلَّلتْ | مدامعُهُ فيها وما قُلْتُ أسعِدِ [3]
وقلَّتْ لعيني في المنازلِ عَبْرةٌ | من الشَّوْقِ لم تَمْلِكْ بصبْرٍ فتَرْدَدِ [4]

وقال أيضاً :

سألتُ الغوادي مُلحفاً في سُؤالها | وناشدتُها في سَقْيِ بُرْقةِ ثَهْمَدِ [5]

ـ أفزعه بكثرته أو جماله . والتجمل : تكلف الجميل ، والعزاء : الصبر عن كل ما فقدت ، وقيل : حسنه .

(١) ديوانه ١٤٩/١ وهي . من قصيدة يمدح بها أحمد بن المدبر ، أولها :

لعَمْرُ المغاني يوم صحراء أرْثَد | لقدْ هيّجتْ وجداً على ذي توجُّد

(٢) النؤي : حفير حول الخيمة يمنع السيل . ورمدد » في الأصل : بفتح الراء والدال ، والصواب كسرهما: صفة للرماد الكثير ، يقال : رمادٌ أرمدٌ ورِمْدِد ، ورمديد : كثير دقيق جداً .

(٣) تهللت الدموع : سالت . أسعد : من الاسعاد وهو المعونة . وفي الحديث : أنه قال : « لا إسعاد في الاسلام » وهو إسعاد النساء في المناحات ، تقـوم المرأة ، فتقوم معها أخرى من جاراتها فتساعدها على النياحة .

(٤) في الديوان :
«وقلَّتْ لدار المالكيَّة عَبْرةٌ» . . . . . .

(٥) الغوادي: جمع غادية ، وهي السحابه تنشأ صباحاً . ملحفاً : من ـ

منازلُ ما أبقى البِلى من عِراصِها — سوى أرسُمٍ مَعفوَّةِ الآي هُمَّدِ [١]

وقال آخر :

تَزافَرَ صَحْبي يومَ ذي الأَثْلِ زَفرةً — تذوبُ قلوبٌ من لَظاها وأَضْلُعُ [٢]

منازلُ لم تَسْلَمْ عليهنَّ مُقلةٌ — ولاجَمَّ بعد البين فيهنّ مَدْمَعُ [٣]

فدمعٌ على رَسْمِ الدِّيارِ مُفرَّقٌ — وقلبٌ على أهلِ الدِّيارِ مُروَّعُ

وقال عُبَيد الله بنُ قيس الرُّقَيَّات [٤] :

ـ الالحاف ، وهو شدة الالحاح في المسألة ، وفي التنزيل : « لا يسألون الناس إلحافاً » .

البُرقة ، بضم الأول : هي في الأصل الأرض ذات الحجارة المختلفة الألوان . وثهمد : بفتح أوله وإسكان ثانيه ، وبالميم المفتوحة والدال المهملة . هو جبل في حمى ضَرِيّة كما في « معجم ما استعجم » . وبرقة ثهمد : لبني دارم .

(١) الأرسم : جمع رسم ، وهو الأثر ، وقيل : ما ليس له شخص من الآثار . معفوّة : دارسة ، الآي : جمع آية ، وهي العلامة .

(٢) تزافر : من الزّفير ، وهو أن يملأ الرجل صدره غمـاً ثم هو يزفر به ، يقال : زَفَر يزفِرُ : أخرج نَفَسَه بعد مدِّه . ذو الأثـل : قال « البكري » موضع بودّان ، بفتح أوله وإسكان ثانيه .

(٣) في « الصحاح » جم الماء يجمّ جموماً : إذا كثر في البئر ، واجتمع بعدما استُقي ما فيها .

(٤) هو أبو هاشم عبيد الله بن قيس بن شريح أحد بني عمرو بن عامر ابن لؤي ، شاعر قريش في العصر الأموي ، كان مع مصعب الزبير ، وله فيه أشعار كثيرة ، توفي نحو ٨٥ هـ . والأبيات في ديوانه : ٧٥ مطلع قصيدة كلها في الغزل .

يا سَنَدَ الظَّاعنينَ من أُحُدٍ — حُيِّيتَ من منزلٍ ومن سَنَدِ [١]

مـا إنْ بمثواكَ غيرُ راكدةٍ — سُفْعٍ وهابٍ كالفرْخ مُلْتَبِدِ [٢]

استبدلتْ بالظبـاء والبقَرِ الـ — عين خِلافَ العقائـل الخُـرُدِ [٣]

أساخِطٌ أنت أَمْ رضيتَ بمـا — استبدلت بالحيِ بعدهم فقَـدِ [٤]

بُدِّلتَ غَيْرَ الرِّضى وشطَّ بهـم — عَنكَ صُروفُ المنون والأَبَدِ [٥]

---

(١) السند : ما قابلك من الجبل وعلا من السفح . وأحد : اسم الجبل الذي كانت عنده غزوة أحـد سنة ثلاث ، وهو تلقاء المدينة .

(٢) في الديوان بعد هذا البيت :

والنؤي كالحوضِ خُطّ دون عوا — دي السَّيلِ منه ومَضْرب الوَتِـدِ

والوحش فيه كأنها همَـلٌ — ترعى بجوٍّ عـوازِبَ العَقِـدِ

السفع : الأثافي ، واحدتها سفعاء . الهابي : الرماد .

(٣) في الديوان :

أبدلَـتْ عُفْرَ الظباء والبقرِ الـ — عينِ . . .

والعفر : مفردها أعفر ، وهو الظبي الذي تعلو بياضه حمـرة ، أو الذي في ظهره حمرة وأقرابه بيض ، أو الأبيض ليس بالشديد البياض . والعين : بقر الوحش سميت كذلك لعظم سواد عينها في سعة . العقائل : واحدتها عقيلة ، وهي الكريمة المخدرة . والخرد : واحدتها خريدة ، وهي البكر لم تمس ، أو الخفرة الطويـلة السكوت ، الخافضة الصوت المتسترة .

(٤) في الأصل : فساخط ، وأثبت رواية الديوان . فقد ، أي : فحسب .

(٥) شط بهم : بعد بهم . والأبد : الدهر .

وقال الشريف المرتضى أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى بن محمد ابن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم [١] :

أَعلى العهدِ منزلٌ بالجناب   كانَ فيه متى أردْتُ طلابي [٢]

المغاني تلكَ المغاني فهل فيـ   ـهنَّ ما قد عهدْتُ من أطرابي [٣]

ليستِ الدارُ بعدأن توحشَ الدا   رُ ترى غيرَ جندلٍ وترابِ [٤]

وإذا لم يُعِدْ حنيني على الدا   رِ حبيباً فليسَ يُغني انتحابي [٥]

(١) هو علي بن الحسين العلوي الأديب الفقيه المتكلم (٣٥٥ - ٤٣٦ هـ) من أحفاد الحسين بن علي بن أبي طالب نقيب الطالبيّين ، من تآليفه « أمالي المرتضى » و « ديوان شعر » والأبيات في ديوانه : ١/٨٣ مطلع قصيدة يمدح بها فخر الملك .

(٢) الجناب : بكسر أوله وبالباء المعجمة بواحدة قال « البكري » : أرض لغطفان ، هكذا قال أبو حاتم عن الأصمعي . وقال في موضع آخر : الجناب : أرض لفزارة وعُذرة. وقال ابراهيم بن محمد بن عرفة : الجناب : أرض بين فزارة وكلب ، ويدل أن لعذرة فيها شركة ، قول جميل لبثينة : ما رأيت عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان على البلاط ، إلا غرت عليك وأنت بالجناب . قال : وكان فائق الجمال . وقال ياقوت : هو موضع بعراض خيبر وسلاح ووادي القرى . وقيل : هو من منازل بني مازن .

(٣) المغاني ، جمع المغنى : وهـو المنزل . والاطراب ، جمع الطرب : وهو الشوق .

(٤) في الاصل : « نوى » والتصويب من الديوان .

(٥) في الديوان : « وإذا لم يعـد نحيبي على الربع » والنحيب والانتحاب : رفع الصوت بالبكاء ، أو أشدّ البكاء .

وقال الشريف نظام الملك أبو الحسن علي الفاطمي أحد شعراء الدولة بمصر إذ أنابها ، ويعرف بالأخفش [١] :

أحبابَنا لم تذقْ عيناي مذ بَعُدَتْ   عنّي منازلُكمْ غمضاً ولا وسَنا

ولا وجدْتُ لقلبي من يُسَرُّ به   ولم ترَ العينُ شيئاً بعدَكم حَسَنا

وقال البكّاء واسمه أرطاة بن كعب - جاهلي [٢] :

لمن المنازلُ قد عفونَ سنينا   أقفرنَ بعدَ تحدُّدٍ وبَلينا [٣]

بقنان ودعة والبُقيل تغيّرت   بعدي تحنُّ بها الرّياح حنينا

ما كنت أوّل من تفرّق شملُه   ورأى الغداة من الفراق يقينا

وبدارةِ السَّلَمِ التي شوّقتها   دِمَنٌ يظلُّ حمامُها يُبكينا [٤]

(١) ذكره العماد في « خريدة القصر وجريدة العصر » قسم - شعراء مصر ١/٢٣٨ : فقال : كنت أسمع التجار من أهل مصر وغيرهم من أهل الشام يصفونه ويطرونه ، وعلى منْ بمصر من الشعراء يقدّمونه ، فاذا استنشدهم أحدٌ شعره قالوا : ما نحفظه ، لكنا لقبوله بمصر بعين الفضل نلحظه حتى أنشدني الشريف أحمد بن حيدرة الزيدي الحسيني شعره ، فوجدتُ موافقاً لخَبَرِه خُبْرَه .

(٢) في « الاصابة » ١/١١١ : أرطاة بن كعب بن قس بن حبيب بن عامر بن حيويه بن لوذان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة الفزاري ، يلقب البكاء ، ذكره المرزباني ، وقال : مخضرم ، ثم أنشد له البيتين الثالث والرابع ، وهما أيضاً في « معجم ما استعجم » ٢/٥٣٥ ، « ومعجم البلدان » ٤/١٩ .

(٣) كذا الأصل « تحدُّدٍ » بالحاء المهملة ، ولعل الصواب « تجدد » بالجيم.

(٤) في « معجم ما استعجم » دارة السلم : بفتح السين واللام ، وهو الشجر المعروف ، وهي في ديار فزارة .

وقال الرماح بن ميَّادة [١] ، وميادة أمه سندية ، وأَبوه الأَبرد بن ثوبان بن سراقة بن سلمى بن ظالم :

مَنازلُ أما أَهلهـا فتحمَّلُوا   فساروا وأَمَّـا خَيْمُهـا فمقيمُ [٢]

كأنّيِ بها لما عرفتُ رُسُومَها   ثقيلٌ لدى أيـدي الرُّقاةِ سليم [٣]

ولم ترَ عيني مَرْبَعاً مثل مَرْبَعٍ   بذي العُشِّ لو أن النعيم يدوم [٤]

وقال عباس بن كثير بن جابر بن عمرو بن غيظ بن السَّبد :

سقى الصَّفرات العُفْرِ حولَ تَبالَةَ   إلى رُحَبٍ بالوشـم غيْثٌ مطبّق [٥]

---

(١) هو أبو شرحبيل الرماح بن أبرد بن ثوبان بن سراقة من بني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ، وأمه ميادة غلبت عليه . شاعر رقيق هجاء ، أدرك الدولتين الأموية والعباسية توفي سنة ١٤٩ هـ .

(٢) البيت في « اللسان » مادة : خيم ، منسوب لمزاحم . والخيم : أعواد تنصب في القيظ ، وتجعل لها عوارض ، وتظلل بالشجر ، فتكون أبرد من الأخبيـة ، وقيل : هي عيدان يبنى عليها الخيام .

(٣) الرسوم : آثار الدار . والرقاة ، جمع راق ، وهو الذي يعوذ صاحب الآفة كالحمى والصرع . والسليم : الملدوغ ، قال الأصمعي وأبو عبيد : إنما سمي الملدوغ سليماً ، على جهة التفاؤل بالسلامة ، كما سميت المهلكة مفازة على جهة التفاؤل لمن دخلها بالفوز .

(٤) البيت في « معجم ما استعجـم » وقال : ذو العُش : على لفـظ عش الطائر : موضع ببلاد بني مرة ، دون حرة النار بليلة .

(٥) في « معجم ما استعجم » تبالة ، بفتح أوله باللام على وزن َفعالة : بقربـ

منازلُ من حيَّي ذؤَيبِ بن مازنٍ   وغيظٍ وكعبٍ قبل أن يتفرَّقوا

عصائبَ في برِّ البـلاد وبحرهـا   فمنهم شآمٌ غائرٌ ومُشرّق

ديارٌ من الحـيِّ الذين رِماحُهم   معاقلُ في الهيجا وبالوتْر تسبق

عِظامٌ مقاريهم جِماعٌ قدورُهم   مَدى الدَّهر تُنتابُ النَّهارَ وتُطرَق [١]

بهم تُتَّقى الحربُ العوانُ وفيهم   حِفاظٌ على جُلِّ الأمورِ ومَصدَقُ [٢]

ـ الطائف على طريق اليمن من مكة ، وهي لبني مازن ، قال عمرو بن معدي كرب :

أأغزو رجال بني مازن   ببطن تبالةَ أم أرقـــد

وهي التي يضرب بها المثل ، فيقال : « أهون من تبالة على الحجاج » وزعم أبو اليقظان أن أول عمل وليه الحجاج عمل تبالة ، وهي بلدة صغيرة من اليمن فلما قرب منها ، قال للدليل : أين هي ؟ قال : تسترها عنك هـــذه الأكمة . فقال : أهون عليَّ بعمل بلدة تسترها عني أكمة وكر راجعاً . وهي مما يضرب المثـــل بخصبها . قال لبيد :

فالضيف والجار الجنيب كأنما   هبطا تبالةَ مخصباً أهضامُهـــا

والوشم : موضع باليمامة ، يشتمل على أربـع قرى ، وبين الوشم وقراه مسيرة ليلة ، وبينها وبين اليمامة ليلتان . وغيث مطبق : شامل عام .

(١) في « اللسان » المقاري : القدور ، عن ابن الأعرابي وأنشد

ترى فصلانهم في الورد هزلى   وتسمن في المقاري والحبال

وانتاب الرجل القوم : إذا قصدهم مرة بعد مرة ، وهو ينتابهم . وطرق القوم يطرقهم طرقاً وطروقاً : جاءهم ليلا .

(٢) في « الصحاح » والعوان من الحروب : التي قوتل فيها مرة بعد مرة ، ـ

عن سنان بن يزيد الديلمي قال : كنت مع مـولاي جرير بن سهم التيمي وهو يسير أمام أمير المؤمنـين علي بن أبي طالب رضوان الله عليه إلى الشام ، فلما انتهى إلى مدائن كسرى ، وقف مولاي ينظر ، ثم تمثل :

جرت الرياحُ على محلِّ ديارهم ... فكأنَّما كانوا على ميعاد

الأبيات التي تقدمت للأسود بن يعفر ، فقال له علي رضوان الله عليـه أي شيء قلت ؟ فأنشده الشعر فقال : هلا قلت :

(كم تركوا من جنات وعيون . . .) ثم قال : يا ابن أخي إن هـؤلاء كفروا النِّعم ، فحلَّت بهم النِّقَم ، فإياكم وكُفْر النِّعم ، فتحـلَّ بكم النِّقَم .

وقال الشريف البياضي :[1]

مالي أُعَلِّلُ نفسي بالوقوفِ على ... منازلٍ أقفرتْ منكم وأطلالِ

ـكأنهم جعلوا الأولى بكراً . وفي « اللسان » الحفاظ : الذب عن المحارم ، والمنع لها عند الحروب . والمصدق : الجد ، والصلابة .

(١) هو أبو جعفر مسعود بن عبد العزيز بن المحسن بن الحسن بن عبـد الرزاق البياضي : شاعر هاشمي من أهل بغداد مولداً ووفاة . وإنما قيـل له : البياضي ، لأن أحد أجداده ، كان في مجلس بعض الخلفاء مع جماعة من العباسيين، وكانوا قد لبسوا سواداً ما عداه ، فانه كان قد لبس بياضاً ، فقال الخليفـة : من ذلك البياضي ؟ فثبت ذلك الاسم عليه ، واشتهر به . توفي سنة ٤٦٨ هـ .

وأبتغي البُرءَ فيها وهي بالِيَةٌ ... هيهاتَ كيفَ يُداوي بالياً بالي[1]

وقال آخر :

يذكِّرني لَمعُ البروقِ منازِلي ... بنجدٍ وأهليها فأضنى بها وجْدا

وهذي النوى حكْمٌ من الله نازِل ... وما كُنْتُ مِمَّنْ يَستطِيعُ له ردَّا

وقال الأقرع بن معاذ :

حيِّ المنازلَ بين حَمَّةَ فاللِّوى ... إنْ كنتَ مشتغلاً بهنَّ عميدا[2]

يا برقَ حَمَّةَ ما فعلتَ على البِلى ... لازلتَ يصحبُكَ الغمامُ سديدا

فلئن بكيتُ لأبكينَّ صبابةً ... ولئن صَبَرْتُ لأصبِرَنَّ جليدا

وقال عبيد الله بن قيس الرقيات :

ما هاجَ من مَنزلٍ بذي العَلَمِ ... بَيْنَ لوى المنجنونِ فالسَّلَمِ[3]

لم تُبقِ منه الرِّياحُ مَعْلَمةً ... إلا بقايا الثُّمامِ والحُمَمِ[4]

---

(١) في هامش الأصـل : « منهـا » .

(٢) في « معجم البلدان » ٣٤٤/٣ : وفي بلاد العرب حمَّاتٌ كثيرة ، ثم ذكرها فانظره .

(٣) ديوانه : ٧ ورواية البيت فيه :

ما هاج من منزلٍ بذي عـلم ... بين لوى المنجنون فالثَّـلم

والعلم : الجبل ، ربما يكون اسم موضع بعينه . لوى المنجنون : اللوى : منقطع الرمل ، والمنجنون : موضع . الثلم : بلدة بالشام .

(٤) المعلمة : الاثر يستدل به على وجودهـا . الثمام : نبت ضعيف لا يطول ، ـ

وقفتُ بالدّار مـا أبيِّنُها إلا ادِّكاراً توَهُّمَ الحُلُمِ

بادَتْ وأقوتْ من الأنيس كمـا أقوت محاريبُ دارسِ الأمَمِ [١]

واستبدَلَ الحيُّ بعدَها إضَماً هيهات غَمْرُ الفراتِ مـن إضَمِ [٢]

قيل لأعرابية أصيبتْ بابنها : ما أحسنَ عزاءَكِ ! قالت : إن فقدي إياه أمَّنني كلَّ فقدٍ سواه ، وإن مصيبَتَه هوَّنت عليَّ المصائب من بعـده ، ثم قالت : [٣]

مَن شاء بعدَكَ فليَمُتْ فعلَيـكَ كنتُ أحاذِرُ

كنتَ السَّواد لنـاظري فعلَيـكَ يبـكي النَّاظرُ [٤]

ـ واحدته : ثمامة قال السكري : والثمام يلقى على خشب يتبردون بها كشبه الخيمة ، وهو أبرد من غيره ، وهي الخيام ، وإذا رحلوا ، قلعوا أخبيتهم وتركوا الخيام فتبقى .

(١) أقوت : خلت من الأنيس. المحاريب : المساجد تعمل من حجارة منقورة ، فترفع عن الأرض فلذلك تبقى وهي النصائب .

(٢) إضم : واد دون المدينة . يقول : ما أبعـد الأرض التي يغمرها الفرات عن إضم .

(٣) الخبر في « العقد الفريد » ٣/٢٥٤ ، و « نهاية الأرب » ٥/١٦٦ بزيادة بيت هو :

إني وغيري لا محا لة حيث صار القوم صائر

والأول والثـاني في « شعر الصولي » ١٦٩ ، و « الأغاني » ١٠/٤٩ ، و« الوفيات » ١/٢٩ لابراهيم الصولي .

(٤) في « الأغاني » و« اوفيات » . . . لمقلتي فبكى عليك الناظر

ليتَ المنـازِلَ والدِّيا رَ حَفـائرٌ ومَقـابرٌ [١]

كان الرَّقاشيُّ [٢] يجتمعُ إليه جماعةٌ من أصحابه وإخوانه يتحدثون ويتذاكرون ، فغاب في بعض أحواله ، ثم رجع بعد مدَّةٍ ، فـوجد بعضهم قد مات ، وبعضهم قد غاب ، فوقف على محلَّتهم وبكى وقال :

لولا التَّطَيُّرُ قُلْتُ غيَّركم رَيْبُ الزَّمان فخُنتُمُ عهدي

دَرَسَتْ منازلُ كنتُ آلَفُها من بَعدِكم وتغيَّرتْ بعدي

وقال أبو العلاء بن سليمان المعري [٣] :

أعفى المنازِلِ قبرٌ يُستراحُ به وأفضلُ اللُّبسِ فيما أعلمُ الكَفَنُ

إن الذين على وجهِ الثَّرى وَطِئوا يُشابِهون أناساً في الثَّرى دُفِنوا [٤]

وقال آخر [٥] :

دعني وتَسْكابَ دَمْعي في منازِلِهم فللشُّؤون ولي مِن بَعدِهم شَانُ

أحبابَنا ما الدِّيارُ اليومَ بعدَكُم تِلْكَ الدِّيارُ ولا الأوطانُ أوطانُ

وقال آخر :

(١) في الأصل : « حضائر » وهو تحريف . وفي «الأساس» الحفيرة : القبر .

(٢) هو الفضل بن عبد الصمد بن الفضل أبو العباس الرقاشي البصري : شاعر مجيد ، قدم بغداد ومدح هارون الرشيد ومحمد الأمين والبرامكة .

(٣) «اللزوميات» ٢/٣٣٣.

(٤) في « الديوان » : «يشابهون أناساً بعده دفنوا» .

(٥) سبق ذكر هذين البيتين ، انظر الصفحة : ٢١ .

أبكي إلى الشَّرْقِ أن كانتْ منازِلُكم ... بجانبِ الغرب خَوفَ القيل والقالِ

أقولُ بالخدِّ خالٌ حين أذكرُه ... خَوفَ الرَّقيبِ وما بالخدِ من خالِ

وقال مهيار [١] :

يا مَنْزِلاً لَعِبتْ به أيدي البِلى ... لَعِبَ الشُّكوكِ وقد بدا بتيَقُّنِ [٢]

إمّا تُناشِدْني العُهُودَ فإنّها ... خِيسَتْ فكانتْ بئسَ ذُخْرُ المقتني [٣]

نفضَ الصِّبا أوراقَه وأعادَني ... خُوطَ اليراعةِ كيفَ تُغمَزُ تَنْحَني [٤]

إني لأعلَمُ قبلَ فضِّي خَتمَه ... ما في كِتابٍ بالمشيبِ مُعنونِ

---

(١) هو الحسين مهيار بن مَرْزَوَيه: الكاتب الفارسي الديلمي الشاعر المشهور كان مجوسياً ، فأسلم على يد الشريف الرضي . وكان شاعراً جزل القول ، مقدماً على أهل وقته ، رقيق الحاشية ، طويل النفس في قصائده . توفي ليلة الأحد لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة ثمان وعشرة وأربعمئة هجرية .

(٢) ديوانه ٤/٣٠ والأبيات من قصيدة يمدح بها الوزير الكافي أبا العباس أحمد بن إبراهيم الضبي . ورواية البيت فيه :

يا منزلا لعبت به أيدي الصَّبا ... لعبَ الشُّكوك وقد بدت بتيقُّن

(٣) في الديوان : «حُفِظت فكانت بئس ذُخر المقتني» وخاس العهد خيساً وخيساناً : نقضه وخانه .

(٤) الخوط : الغصن . واليراعة : القصبة . يُغمز : يُجس . وفي «الديوان» قبل هذا البيت الأبيات التالية :

سكَنَتْكَ بَعْدَهمُ الوحوشُ تشبُّهاً ... بِهِـمُ وليتك آنِفاً لم تُسكَنِ

لِعيونِهِـنّ عـلامةٌ سحريّةٌ ... عندي فما بالُ الظِّباء تنشُّني ؟! –

وقال آخر [١] :

أَمُزْمِعةٌ لِلْبَيْنِ ليلى ولم تَمُتْ ... كأنكَ عمّا قد أظلّك غافلُ [٢]

سَتعلَمُ إنْ شطّتْ بهم غربةُ النَّوى ... وزالوا بلَيْلَى أنَّ لبَّكَ زائلُ [٣]

وأنّكَ مَسلوبُ التَّصبُّرِ والأسى ... إذا بَعُدَتْ ممن تُحِبُّ المنازِلُ [٤]

وقال آخر [٥] :

تطوي المنازلَ عن حبيبكَ دائباً ... وتظَلُّ تبكيه بدَمْعٍ ساجمِ [٦]

ألّا أقمْتَ ولو على جَمْرِ الغَضى ... قُلِّبتَ أو حدِّ الحسامِ الصارمِ

– أزمانَ أنفقُ من شبابي مُسرفاً ... والعيش أعمى عن صُروف الأزمُنِ

ندمان كلّ فصيحـة التأنيث لو ... خطبتْ لتنعتَ حُسنها لم تُحسِنِ

تمشي قناةً ثم يذكرُ قدُّهـا ... أن التثنـي للقضيب فينثني

لله ما تلك الغصون لوَ انهـا ... غيرَ الخديعة أثمرتْ للمجتني

(١) البيتان الأول والثاني للمجنون في « الأغاني » ٢/٧٨، و « أمالي القالي » ١/١٦٤، وقد أيد البكري في « اللآلي » ص ٤٢٥ هذه النسبة ووصلهما بالبيت الثالث . وقد أدرج الخالديان الأبيات الثلاثة في مقطوعة ابن الدمينة التي مطلعها :

هل القلب عن ذكرى أميمة ذاهل ... نعم حين يمشي بي الى القبر حامل

انظر ديوانه ، ص : ١٩ التعاليق رقم : ٥

(٢) في « الأشباه والنظائر » أمزمعة بالبين ، وفي « الأمالي » أمزمعة ليلى ببين .

(٣) في « الأشباه والنظائر » ستعلم إن زالت . . . فزالوا . . عقلك . . .

(٤) في «السمط» وانك ممنوع التصبر والعزا .

(٥) الأبيات في «الأمالي» ١/١٦٥ ، ولم ينسبها لقائل .

(٦) في « الأمالي » تطوي المراحل .

كذَبَتكَ نفسُكَ لستَ من أهل الهوى   تشكو الفراقَ وأنتَ عَيْنُ الظالم

قلت : لي على من تقدّم ذكره من الشعراءِ أفضلُ المزيّة ، إذ كنت دونَهم صاحب الرزيّة ، فكان شعري أولى أن يقدّم على أشعارهم ، وإن قصَّرت بي البلاغةُ عن اقتفاء آثارهم ، لكن للمتقدِّمِ السَّبقُ ، وهو بالتَّقدِمَة أولى وأحق . وإنْ كُنْتُ وهم كما قال ذرٌّ لأبيه : يا أَبَه ! مالك إذا تكلّمتَ أبكيتَ الناس ، وإذا تكلّم غيرُك لم يُبكِهِم ؟ قال : يا بُنَيَّ ليس النائحةُ المستأجرةُ كالثكلى .

وأنا ذاكرٌ شيئاً من شعر أخي رحمه الله وشعري مما يدخل في هذا الفصل .

قال أخي عزُّ الدّولة أبو الحسن علي بن مرشد بن علي بن مقلّد بن نصر بن منقذ رضي الله عنه :[1]

يا مَنْزلاً لَعِبَ البلى برُسومِهِ   شَعَفاً ببَهْجَتِهِ فليس يَريمُ [2]

لا تَبْعَدَنَّ وجادَ ربعَكَ وابلٌ   يُروي ثراكَ أَتيُّهُ ويُسيمُ [3]

(١) قال الحافظ ابن عساكر : ولد سنة ٤٨٧ هـ بشيزر ، وسمع الحديث ببغداد ، وكتبه بخط حسن ، وكان فهماً شاعراً ، قدم دمشق غير مرة . استشهد رحمه الله على باب غزة في شهر رمضان سنة ٥٤٥هـ في حرب الفرنج لعنهم الله .

(٢) الشعف : شدة الحب . ليس يريم : ليس يبرح .

(٣) في « اللسان » الوابل: المطر الشديد الضخم القطر . وسيل أتي وأتاوي: لا يُدرى من أين أتى ، وقال اللحياني : أي : أتى ولبَّس مطره علينا ، قال العجاج:

كأنّه والهول عسكريٌّ   سيلٌ أتيٌّ مدّه أتيٌّ

فاسْقِ الرُّبوعَ من الدُّموعِ سِجالَها   إنَّ الرُّسومَ لها عليكَ رُسومُ [1]

وقال أيضاً :

سَلِ المنازلَ عمّن كان يَسكُنُها   مِنَ الأحبَّةِ والإخوانِ ما صَنَعوا

تُخبِرْكَ وعظاً بلا لَفْظٍ فقد نظرَتْ   آمالَهم والمنايا كيفَ تصطَرِع

وهكذا بعدَ نَفْخِ الصُّورِ خاويةً   تُضحي المنازلُ أعلاهُنَّ مُتَّضِع

بني أبي إنْ عدا دَهْرٌ ففرَّقنا   فهَمُّ نفسي بكم ما عشتُ مُجتمِع [2]

بَرَّحْتُمُ أدمعي حتى لقد مَحِلَت   جُفونُ عيني وماتَ اليأسُ والطَّمَع [3]

وإنَّ دَهراً رمى عن جيده دُرَراً   أمثالَكم لزمانٌ عاطِلٌ ضَرِع [4]

وقال أيضاً :

يا مَنْزلاً أضحى كجِسمي بالياً   حَزَنَ القُلوبِ وحَسْرَةً للنّاظر

لي كلَّ يومٍ في رُبوعِكَ زَفْرةٌ   يرمي لَظاها بالشِّرارِ الطائر

غرَبَتْ شموسُكَ والذين عهدتُهم   بكَ في مُلِمّاتِ الزَّمانِ الغابر

فعليهمُ منّي سلامٌ نشرُهُ   مُتضوِّعٌ كثنائهم في الحاضر

(١) « الرسوم » : ما لصق بالأرض من آثار الديار . و« رسوم » من : رسَم له كذا ، أي : أمره به .

(٢) هذا البيت والبيتان بعده في « معجم الأدباء » ٥/٢٢٠ بزيادة بيت آخر وهو:

هل تعلمون الذي في النفس من أسفٍ   عليكم وحنينٍ ليس ينقطعُ

(٣) في « معجم الأدباء » : نزحتم أدمعي . أي : استنفدتموها حتى لم يبق شيء منها ، من نزح البئر : استقى ماءها حتى أتى عليه أو كاد .

(٤) الضرع : الضعيف الذليل .

قلتُ : كان رحمه الله تأخّر عنا ، وخرجتُ أنا وأخواي إلى دمشق ، ثم إلى مصر ، فكان يتأسفُ لبُعدِنا عند خلوّ منازلنا منا .

وهذا شيء من شعري في هذا المعنى بعدما أصابنا من الزلزال ما أصابنا قلت :

إلى الله أشكو روعتي لمنازلٍ … خَلَتْ وجوى قلبي لأهل المنازل
سُيوفي إذا ما نازَلتْني مُلِمَّةٌ … حُصُوني إذا خِفتُ الرّدى ومعاقِلي
مَضَوْا سَلَفاً قَبْلي فلَمْ أحظَ بعدَهُم … مِنَ العيْشِ والعُمْرِ الطّويل بطائل

وقلت :

هَذي مَنازِلُهم عَفتْ وتَفرّقوا … فسَلِ المنازلَ عنهُم ماذا لَقُوا
تُخْبِرْكَ أنّ الأرضَ قدْ وارَتْهمُ … وأبَتْ لَهُم أن يَسْمعوا أو ينطقوا
وبَقيتُ بعدَهُمُ لِهمّ فادحٍ … وكآبَةٍ تُضْني وخَطبٍ يَطرُق
أرجو اللّحاق بهم ودون لحاقهم … بابٌ من الأجَلِ الموقّتِ مُغلَقُ
فإذا نَهاني عن رَجاء لِقائِهم … بأسي هَفا قلبٌ إليهم شيّق

وقلت :

قُل لِلّذي فقدَ الأحِبّةَ وانثنى … يسقي مَنازِلَهم دُموعاً تَسجُم
ماذا وُقوفُكَ في الدّيارِ مُسائلاً … عن أهلها ومتى يُجيبُ الأبكَم؟
سَلْ عَنْهُمُ صَرْفَ الزّمان فإنّه … بِهِمُ من الدّارِ المحيلةِ أعلَم
أفناهُمُ رَيْبُ المنون وهذه … آثارُهم عِظةٌ لمن يتوسّم [1]

(١) توسم الشيء : تخيله وتفرسه وتعرفه .

هي شيمَةُ الأيّامِ كفٌّ تَبتني … مُذْ كانتِ الدُّنيا وكفٌّ تهدِمُ
وإذا رأيتَ مُحسَّدينَ فقلّما … تُرْجيهمُ الأيّامُ حتى يُرْجَموا [1]
ونرى تقلُّبَ هذه الدُّنيا بنا … وكأنّنا فيها سُكارى نُوّمُ

وقلت :

يُعنّفُني في الدارِ صَحبي على البُكا … فيا ويْحَ قلبي من خَليّ وجاهلِ
وقالوا أتَبكي للمنازلِ قلتُ لا … ولكنّما أبكي لأهلِ المنازلِ

وقلت : [2]

حيًّا رُبوعَك من رُبىً ومَنازلِ … ساري الغَمامِ بكلِّ هامٍ هامِلِ
وسَقتْكِ يادارَ الهوى بعدَ النّوى … وَطفاءُ تَسْفحُ بالهَتونِ الهاطِلِ [3]
حتى تُروِّضَ كلَّ ماحٍ ماحِلٍ … عافٍ وتُرْوي كلَّ ذاوٍ ذابلِ [4]
أبكيكِ أم أبكي زماني فيكِ أمْ … أهليكِ أم شرْخَ الشَّبابِ الزائِلِ؟ [5]

(١) في « الأساس » :والأكابر محسدون ، قال :

إن العرانين تلقاها محسّدَةً … ولا ترى للئام النّاس حُسّادا

قلت : والبيت للمغيرة شاعر المهلّب وهو في « معجم الشعراء » ٢٧٣ . وقيل للمهلبية : ما أكثر حسّادكم ، فأنشدوه البيت . وفي « اللسان » وأرجى الأمر : أخره ، لغة في أرجأه ، قال ابن السكيت : أرجأت الأمر وأرجيته : إذا أخرته، يهمز ولا يهمز .

(٢) « ديوانه » ص : ٣٠٤ من قصيدة يندب فيها وطنه وأهله الهالكين في الزلزال .

(٣) سحابة وطفاء : مسترخية لكثرة مائها ، أو هي الدائمة السح .

(٤) روّض المكان : جعله روضة .

(٥) في « الديوان » : الراحل . وشرخ الشباب : أوله .

ما قدْرُ دمعي أنْ يُقَسِّمَه الجوى ... والوجدُ بينَ أحِبَّةٍ ومنازِلِ [١]

أنفَقْته سَرَفاً وَها أنا ماثِلٌ ... في ماحِلٍ أبكي بجَفْنٍ ماحِلِ [٢]

وإذا فزِعتُ إلى العزاءِ دعوتُ مَن ... لا يَسْتجيبُ ورُمتُ نُصْرةَ خاذِلِ

وقلت :

أنظُرْ منازِلَ آلِ مُنقِذَ إنَّها ... عِظَةُ اللَّبيبِ وعِبْرَةٌ للنَّاظِرِ

كانوا بها في نِعمةٍ مَحروسَةٍ ... بمكارمٍ وذوابلٍ وبَواتِرِ [٣]

ما رامَها مَلِكٌ ولا ذو قُدْرَةٍ ... إلا انثنى عنها بقَلْبٍ طائرِ

مُتلَهِّفاً ما اسطاعَها ومَنِ الذي ... يَلِجُ العرينَ على الهِزَبْرِ الخادِرِ؟ [٤]

فأصابَها قدَرٌ فأهلَكَ مَنْ بها ... وأعادَ شامِخَها كرَسمٍ داثِرِ

فإذا ذكرْتُهُمُ عرَتْني حَسْرَةٌ ... تَمري سَحائِبَ دَمعيَ المتبادِرِ

وقلت :

يا منزلاً كان فيه العِزُّ مقْتَرناً ... بالسَّيْفِ والمالُ مقروناً إلى الكرَم

مَنْ خافَ جَوْراً وَعُدْماً ثم لاذَ به ... لاقى الأمانَيْنِ مِنْ جَوْرٍ ومِنْ عَدَم

---

(١) في « الديوان » . . يقسمه الأسى .

(٢) يريد بـ « ماحل » الأولى : المنزل الجدب ، وبـ « ماحل » الثانية : الجامد الذي لا يدمع .

(٣) في « اللسان » وقنا ذابل : دقيق لاصق الليط ، وفي « الأساس » : ومن المجاز : وقنا ذابل ، ورماح ذوابل .

(٤) الهزبر : من أسماء الأسد ، وأسد خادر : مقيم في عرينه ، داخل في الخدر .

أَفنَتْ حُماتَكَ أحداثُ الزَّمانِ فيا ... للهِ مِنْ فتكِها بالأُسْدِ في الأُجُمِ

أعيَت مناواتُهم غُلْبَ الملوكِ إلى ... أن جاءهم قَدَرٌ قد خُطَّ بالقَلَم

فأصبَحُوا لا تُرى إلا مساكِنُهم ... كأنَّ ما خُوِّلوه كان في الحُلُم

ولم تَدَعْ منهُمُ إلا حديثَهُمُ ... كما تُحدِّثُ عن عادٍ وعن إرَمِ

فيا لقلبي لِأحزانٍ أُكاتِمُها ... عليهِمُ ولِدَمْعٍ غيرِ مُكتَتَمِ

وقلت :

غاضَتْ دُموعي في المنازِلِ وارعوى ... صَبْري وراجَعني الرُّقادُ النَّافِرُ

إن لم أَسُحَّ بها سَحائبَ أدْمُعٍ ... يَنجابُ خشيتَها الغمامُ الباكرُ

أَأُحَمِّلُ الأطلالَ منَّةَ عارِضٍ ... وسحابُ دمعي مُستَهِلٌّ ماطِرُ

إنّي إذاً بشؤون عيني باخِلٌ ... وبعَهْدِ من سَكَنَ المنازلَ غادرُ

وقلت : [١]

إنْ لَمْ تُطيقا يومَ رامَهْ ... أَن تُسعِدَا فذَرا المَلامَهْ [٢]

عنَّفتُماني أنْ وقَفْ ... تُ بمنزلٍ أقضي ذِمامَهْ [٣]

وشَكَوْتُما من وقفةٍ ... فيه الكَلالَةَ والسآمَهْ [٤]

هو مَنْزِلُ الأحباب لَمْ ... يَدَعِ البلى إلا رِمامَه

---

(١) ديوانه : ٠٩٧

(٢) رامة : قال البكري : موضع بالعقيق . والاسعاد : المعونة .

(٣) في « الديوان » أن مررت . والذمام : العهد ، وكل حرمة تلزمك إذا ضيعتها المذمَّة .

(٤) ليس هذا البيت في الديوان ، وكللت من المشي أكِلُّ كلالاً وكلالة ، أي : أعييت .

وعليَّ حقٌّ أن تُصا ... فِحَ سُحْبُ أجفاني رَغامه

وأبيكما لأُرْوِيَنَّ ... ولو بسَحِّ دَمٍ أُوامَهْ (١)

فإلامَ لوْمُكما أفي ... رَعْيِ العُهودِ عليَّ آمَهْ؟ (٢)

وقلت :

هـذي منازِلُهم وأنْـ ... ـتَ بهم معنًى مُغرَمُ

فاسفحْ دُموعَكَ في ثرا ... ها أو يُمازِجُها الدَّمُ

واسألْ بهم صَرْفَ الزَّما ... نِ فإنَّه هـو أعلَمُ

يُخبِرْكَ أنَّ القومَ قد ... قدِموا على ما قدَّموا

وغداً يُخيِّمُ حيث حَلّوا في القُبورِ وخَيَّموا

وقال مهيار : (٣)

أنظُرْ مَعي فهْيَ نظرةٌ أَمَمُ ... أَعلَمُ السَّفحِ ذلك العَلَمُ

أنتَ بريءٌ مما تُشبِّهُهُ الـ ... ـعَيْنُ وطَرفي بالدمعِ مُتَّهمُ

يُطرِبُني اليومَ للمنازِلِ ما ... أسأرَ عِندي أيامُها القُدُمُ (٤)

ويَطَّبيني على فصاحةِ شكـ ... ـوايَ إليها ربوعُها العُجُمُ (٥)

(١) الأوام : شدة العطش . وفي « الديوان » بعد هذا البيت :

ما الدمع للأطلال لـ ... ـكن أهلها أجرَوْا سِجامه

(٢) في « اللسان » الآمة ، بتخفيف الميم : العيب .

(٣) ديوانه ٣/٢٥٧ .

(٤) أسأر : أبقى

(٥) ويطبيني : يستميلني .

عليَّ يا دارُ جُهدُ عيني وما ... عليَّ عارٌ أنْ تبخلَ الدِّيَمُ

لكِ الرِّضى من جِمامِ أدمُعِها ... أو دَمِها إن سقى ثراكِ دَمُ (١)

وقال أيضاً (٢) :

لها مَنزِلٌ بالغَورِ بينَ مُفدَّنٍ ... مَشيدٍ ومَنشورِ البساطِ مُرَوَّضِ (٣)

حَبستُ به أبغي الحياةَ لقاتلي ... غراماً وأدعو بالشفاءِ لِمُمرِضي

رأتْ شيبةً ما صرَّحتْ لعوارضي ... فصرَّحَ بالهِجرانِ كلُّ مُعرِّضِ

وقالتْ أشَيْخٌ قُلتُ كَهلٌ فأطرقتْ ... وقالتْ : أمامَ السهمِ إنذارُ مُنبضِ (٤)

نَبا عنكَ بعدَ الشيبِ قلبي وناظري ... ومِن أينَ يَصفو أسوَدانِ لأبيضِ (٥)

* * *

(١) في الديوان : وذمِّها ، وهو تصحيف ، والجمام : معظم الماء .

(٢) ديوانه : ٢/١٥٠ .

(٣) في « اللسان » بناء مفدّن : طويل ، ورواية الديوان بـين مُعدَّن ، والمعدن : المموه بالمعدن .

(٤) في الأصل «أمام الشيب» والمنبض : الذي يجذب وتر القوس ، لتصوت ، وفي المثل : « لا يعجبك الانباض قبل التوتير » يضرب في استعجال الأمر قبل بلوغ إناه ، ومنه أيضاً « إنباض بغير توتير » .

(٥) في الديوان : يناغيك ، وهو تصحيف .

فصل آخر

في ذكر المنازل

السابق إلى بكاء المنازل امرؤ القيس بن حُجر ـ واسمه حُنْدُج . والحندجة: القطعة الصغيرة من الرمل ـ بقوله : [1]

قِفا نبكِ من ذِكرى حبيبٍ ومنزلِ   بسِقْطِ اللِّوى بين الدَّخول فحَومَلِ [2]

فتوضِحَ فالمِقراةِ لَمْ يَعفُ رَسْمُها   لما نَسَجَتْهُ من جَنوبٍ وشَمْأَلِ [3]

(١) « ديوانه » : ٨ ، و « شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات» : ١٥ .

(٢) قال الأعلم : السَّقط والسِّقط والسُّقط : منقطع الرمـل . واللوى : حيث يسترق الرمل فتخرج منه إلى الجدَد ، وفي المثل : ألويتم فانزلوا . وإنما خص منقطع الرمل وملتواه ، لأنهم كانوا لا ينزلون إلا في صلابة من الأرض، ليكون أثبت لأوتاد الأبنية ، وأمكن لحفر النؤي ، وإنما تكون الصلابة حيث ينقطع الرمـــل ويلتوي ويرق . والدَّخول وحومل : بلدان .

(٣) توضح والمقراة : موضعان . لم يعف : لم ينمح . الرسم : ما لصق بالأرض من آثار الديار . ونسج الريحين : اختلافهما وتعاقبهما عليها ، وستر إحـداهما إياهـا بالتراب ، وكشف الأخرى التراب عنها . قال الأعلم : وقوله : « لم يعف رسمها » يقول : تغير لتقادم عهده ، وبقيت منه آثار تدل عليه ، منعها من أن تذهب البتة اختلاف الريحين عليه ، فكلما رمسته هذه ودفنته بما هالت عليه من الرمل ، سفرت ـ

وُقوفاً بها صَحبي عليَّ مَطِيَّهُم   يَقولونَ لا تَهلِكْ أسىً وتجمَّلِ [1]

وإنَّ شفائي عَبْرَةٌ لو سَفَحْتُها   فَهَل عِندَ رسمٍ دارسٍ مِن مُعوَّلِ؟ [2]

ـ عنه الأخرى وأظهرته . فهو ـ وإن تغير أثره ـ باق ، فنحن ننظر إليـه ونحزن ، ولو ذهب كل الذهاب لاسترحنا ، ولم ننظر إلى ما يحزننا .

(١) المطي : الابل ، واحدها مطية وانما سميت بذلك ، لأنه يركب مطاها ، أي ظهرها ، ويقال : إنما سميت مطية ، لأنه يُمطى بها في السير ، أي يمد بها . وهو منصوب بقوله : وقوفاً . وقفت الدابة : حبستها . الأسى : الحزن . تجمل : تصبر .

(٢) في « الديوان » وإن شفائي عـبرة إن سفحتها . وفي « شرح القصائد » : « وإن شفائي عبرة مهراقـة » . وسفحتها : صببتها . المعول : من العويل والبكاء وأن يقول : واعولاه . ويحتمل أن يكون من التعويل والاعتماد على الشيء ، أي أن البكاء على الرسوم لا يجدي ، فلا ينبغي أن يعول عليه ، قال ابن الأنبـاري : فان قال قائل : كيف قال في البيت الأول : « لم يعف رسمها » فخبر أن الرسم لم يدرس وقال في هذا البيت : « عند رسم دارس » ؟ قيل له : في هذا غير قول . قال الأصمعي : قد درس بعضه ، وبقي بعضه ، ولم يذهب كله ، كما تقول : قـد درس كتابك ، أي ذهب بعضه وبقي بعضه . وقال أبو عبيـدة : رجع فأكذب نفسه بقوله : « فهل عند رسم دارس » كما قال زهير :

قف بالديار التي لم يعفها القدم   بلى وغيرهـا الأرواح والدِّيَمُ

وقال آخرون : ليس قوله في هذا البيت : « فهل عند رسم دارس » بناقض لقوله « لم يعف رسمها » ، لأن معناه : لم يدرس رسمها من قلبي وهو في نفسه دارس .

وقال النابغةُ الذبياني وهو زياد بن معاوية [١] :

دعاكَ الهوى واستَجْهَلَتْكَ المنــازلُ ... وكيفَ تصابي المرءِ والشَّيبُ شاملُ؟ [٢]

وَقفتُ بربعِ الدارِ قد غيَّرَ البلى ... معالِمَها والسَّارياتُ الهَواطِلُ [٣]

أسائلُ عن سُعدى وقد مرَّ دونَها ... على حُجُراتِ الدارِ سَبعٌ كوامِلُ [٤]

وقال جريرُ بنُ عطيَّة [٥] :

قُلْ للمنازلِ منْ أُثيلَةَ تَنطِقِ ... بالجزْعِ جَزْعِ القَرْنِ لما تُخْلَقِ [٦]

حُيِّيتَ مِنْ طَلَلٍ تقادَمَ عهدُهُ ... وسُقيتَ من صَوبِ الغمامِ المُغدِقِ

---

(١) « ديوانه » بشرح البطليوسي ص ٥٨ ، من قصيدة يرثي بها النعمان بن الحارث بن أبي شمر الغساني .

(٢) قال البطليوسي : قال أبو الحسن : يقول : لما رأيت منازل من كنت تهوى وعرفتها ، حركت منك ما كان ساكناً ، وذكرتك بعض ما قد نسيت ، وحملتك على الجهل والصبا . وقوله : « وكيف تصابي المرء » : رجع يعذل نفسه ، ويزجرها عما دعته إليه من اللهو ، إذ لا يليق بذي الشيب الصبا .

(٣) في « الديوان » « معارفها » والربع : المنزل حيث كان . والساريات : سحاب يأتي ليلاً . والهواطل : السوائل بالمطر . قال البطليوسي : يقول : وقفت بربع هذه الدار ، وقد محت الأمطار رسومها وغيرتها .

(٤) في « الديوان » « وقد مر بعدنا على عرصات الدار » وقوله : سبع كوامل : أراد سبع سنين كوامل ، لم ينقص منهن شيء . ودونها : بعدها . وحجرات الدار : نواحيها .

(٥) لم أجدها في ديوانه .

(٦) في « المحيط » وذو المأثول ، وذات الأثل ، والأثيلة : مواضع ، قال المرتضى : وأما « الأثيلة » فانها لبني ضمرة من كنانة .

وقال أرطاة بن سُهَيَّة [١] ، وسُهَيَّة أمه ، وأبوه زفر بن عبد الله بن مالك ابن شدّاد :

ومِنْ عَجَبِ الأيامِ أنْ كلُّ مَنْزِلٍ ... لوَجْرَةَ منْ أكنافِ رَمَّانَ دارسُ [٢]

طِلابٌ بعيدٌ واختلافٌ من النَّوى ... إذا ما أتى من دونِ وَجْرَةَ فارس

وقَدْ طالما عِشْنا جميعاً وَوُدُّنا ... جميعٌ إلى مَن يَبتغي الأُنسَ آنِسُ

وقال أبو حَيَّةَ النُّميري ، واسمُه الهَيْثَمُ بن الربيع :

لعلَّ الهوى إنْ أنتَ حَيَّيتَ منزلاً ... بأكيابِ مُرتَدٌّ عليكَ عَقابـلُه [٣]

فلمَّا سألتُ الربعَ أينَ تيمَّمَتْ ... نَوى الحَيِّ لَمْ يَنْطِقْ وضَلَّلَ سائلُه [٤]

---

(١) في « الاصابة » ١/٢١١ : هو أرطاة بن زفر بن عبد الله بن مالك بن سواد بن ضمرة الغطفاني المزني الشاعر المشهور ، أدرك الجاهلية ، وعاش إلى خلافة عبد الملك بن مروان .

(٢) وجرة : قال الأصمعي : هو موضع بين مكة والبصرة على ثلاث مراحل من مكة ، طولها أربعون ميلاً ، ليس فيها منزل ، فهي مربّ الوحش . ورمّان : قال ياقوت : بفتح أوله وتشديد ثانيه : جبل في بلاد طيء في غربي سلمى ، أحد جبلي طيء ، وإليه انتهى فلّ أهل الردّة يوم بزاخة ، فقصدهم خالد رضي الله عنه ، فرجعوا إلى الاسلام ، وهو جبل في رمل وهو مأسدة .

(٣) في « اللسان » العقابيل : بقايا العلة والعداوة والعشق ، واحدها : عقبولة وعقبول ، قال المرتضى الزبيدي : قلت : ويجمع أيضاً على عقابل في ضرورة الشعر .

(٤) في « الصحاح » النية والنوى : الوجه الذي ينويه المسافر من قرب أو بعد .

وكنتُ إذا خُبِّرتُ أن مكلَّفاً ... بكى أو تعنَّاه عِدادٌ يُماطِلُهْ [1]

من الحبِّ عَنَّفتُ المُحِبَّ فقد بكى ... فؤاديَ حتى أسلَمَتْه عواذِلُهْ

كأنَّ فؤادي طائرٌ في حِبالةٍ ... رأى غيَّه لما اعتقته حبائِلُه [2]

وقال أبو تمام حبيب بن أوْس الطائي [3]:

يا بَرْقُ طالِعْ منزلاً بالأبرَقِ ... واحْدُ السحابَ له حُداءَ الأنْيُقِ [4]

دِمَنٌ لَوَتْ عَزْمَ الفؤادِ ومَزَّقَتْ ... فيها دموعَ العَيْنِ كلُّ مُمَزَّقِ [5]

وقال المتنبي [6]:

---

(١) في « اللسان »وعنى عناء وتعنّى : نصب،وعنَّيته أنا تعنية ، وتعنَّيْتُه أيضاً فتعنّى ، وتعنى العناء : تجشمه وعنّاه هو وأعناه . وفيه أيضاً ويقال : به مرض عِداد : وهو أن يدعه زماناً ، ثم يعاوده ، ويقال : بالرجل عِدادٌ ، أي : مس من جنون،وقيده الأزهري ، فقال : هو شبه الجنون يأخذ الانسان في أوقات معلومة.

(٢) الحبالة ، ككتابة : وهي التي يصاد بها ، والجمع حبائل .

(٣) ديوانه : ٤٠٦/٢ من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب ، ويصف فرساً حمله عليه .

(٤) قال التبريزي : يقول للبرق : سق سحابك برعده ، وصوّبه إليه ، كما تُساق النوق بالحُداء .

(٥) قال التبريزي : لوت : ثنت ، أي : كان في الفؤاد تعديها والاستمرار على السير ، فلما انتهينا إليها ، ثنت هذا العزم ، وردته حتى تركنا السير ، ووقفنا عليها . ويروى : « أي ممزق » .

(٦) ديوانه ٢٤٩/٣ من قصيدة يمدح بها القاضي أحمد بن عبد الله الأنطاكي .

لكِ يا منازِلُ في القُلوبِ منازِلُ ... أَقْفَرتِ أنتِ وهُنَّ منْكِ أواهِلُ [1]

يَعْلَمْنَ ذاكِ وما علِمتِ وإنما ... أَوْلاكُما يُبْكَى عليه العاقِلُ [2]

وأَنا الذي جَلَبَ المنيَّةَ طرفُهُ ... فَمَنِ المُطالِبُ والقتيلُ القاتِلُ [3]

تخلو الدِّيارُ من الظِّباءِ وعِندَهُ ... من كلِّ تابعةٍ خيالٌ خاذِلُ [4]

---

(١) ديوانه : ٢٤٩/٣ من قصيدة يمدح بها القاضي أبا الفضل أحمد بن عبد الله الأنطاكي وأقفرتِ : خلوت ورحل عنك أهلوك.وأواهل : عامرة ذات أهل . يقول مخاطباً منازل الأحبة : قد تمثل خيالك في قلوب المحبين ، فكان لك فيها منازل ، غير أنك قد أقفرت من أهلك ، أما القلوب فما برحت آهلة بك .

(٢) قال العكبري : يروى « يُبكى » على مالم يُسمّ فاعله ، وروى أبو الفتح « بكى » على المصدر . والعاقل : يريد به الفؤاد . قال الواحدي : إن منازلك التي في القلب تعلم اقفاركِ وخلوّكِ من الأحبّة وأنتِ لاتعلمين ، والأحق منكما بالبكاء عليه هو العاقل ، يعني : القلب ، أي : ان قلبي أحق بأن يبكى عليه منكِ ، لأنكِ جماد لاتعلمين ماحلّ بك ، أما هو فعليم به .

(٣) في « الديوان » « اجتلب » وجلب واجتلب بمعنى . يقول : إن طرفي هو الذي جلب المنيّة إليّ بالنظر ، فمن أطالب بدمي ، وأنا الذي قتلت نفسي ؟! .

(٤) الضمير في « وعنده » للذي جلب في البيت السابق ، يعني نفسه . الظباء : الحبائب الشبيهات بالغزلان . والتابعة : التي تتبع أمها في المرعى ، أراد الصغيرة السن من الظباء . وظبية خاذل وخذول : إذا تأخرت عن المرعى .

قال العكبري : تخلو ديارهم من حسانها وتفارقها ، وخيال من أهواه لايفارقني . وقال الواحدي : تخلو الديار من النساء الحسان ، وعندي من كل صغيرة منهن خيال يأتيني ، كأنه تأخر عنهن .

وقال البحتري :

سَقَمٌ دونَ أعينٍ ذاتِ سُقمٍ   وعَذابٌ دونَ الثَّنايا العِذابِ [1]

وكمثلِ الأحبابِ ـ لو يَعلَمُ العا   ذِلُ ـ عندي منازلُ الأحبابِ

وقال ابن زريق الكاتب : [2]

باللهِ يا مَنزِلَ اللّهوِ الذي درسَتْ   آياتُهُ وعفَتْ مُذْ بِنْتُ أربُعُهُ [3]

هَلِ الزمانُ مُعيدٌ فيكَ لذَّتنا   أمِ اللّيالي التي أمضَتْهُ تُرجِعُهُ ؟

---

(١) ديوانه ١/٨٣ من قصيدة يمدح بها اسماعيل بن شهاب . الثنايا : من الأضراس الأربع التي في مقدم الفم ، ثنتان من فوق ، وثنتان من أسفل . والعذاب : الحلوة .

(٢) هو علي بن زريق البغدادي أبو الحسن ، شاعر هجر وطنه ، وتوفي بالأندلس . وفي « نفح الأزهار في منتخبات الأشعار » وكانت له ابنة عم قد كلف بها أشد الكلف ، ثم ارتحل من بغداد لفاقة أصابته ، فقصد أبا الخير عبد الرحمن الأندلسي فى الأندلس ، ومدحه بقصيدة بليغة ، فأعطاه عطاء قليلاً ، فقال ابن زريق : إنا لله وإنا اليه راجعون . ثم تذكر فراق ابنة عمه ، وما بينهما من بعد المسافة وتحمل المشقة ، فاعتل غماً ومات . قالوا : وأراد عبد الرحمن بذلك أن يختبره . ولما كان بعد أيام سأل عنه فتفقدوه في الخان الذي كان فيه ، فوجدوه ميتاً ، وعند رأسه رقعة مكتوب فيها هذه القصيدة :

لا تعذليه فان العذل يُولعه   قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعُه

وانظر « الوافي » للصفدي ١٢/٦٥ – ٦٧ ، و« كشف الظنون » : ١٣٢٩ .

(٣) القصيدة بتمامها في « الكشكول » ١/١١٨ . وقد ذكر أبو حيان في « الامتاع والمؤانسة » ٢/١٦٦ بيتين من القصيدة ، دون أن ينسبهما لقائل .

في ذِمّةِ اللهِ مَنْ أصبَحتَ مَنزِلَهُ   وجادَ غيثٌ على مَرْباكَ مُمرِعُهُ [1]

مَن عندَهُ ليَ عهدٌ لم يُضِعْهُ كما   عندي له عهدُ صِدقٍ لا أُضَيِّعُهُ [2]

ومَن يُصدِّعُ قلبي ذِكرُهُ وإذا   جرى على قلبِهِ ذكري يُصدِّعُهُ

أستودِعُ اللهَ في بغدادَ لي قمراً   بالكَرْخِ من فلَكِ الأزرارِ مَطلَعُهُ [3]

ودَّعتُهُ وبوُدّي أن يُودِّعَني   روحُ الحياةِ وأني لا أُودِّعُهُ [4]

كَمْ قد تشفَّعَ بي أن لا أفارِقَهُ   وللضَّرورةِ حالٌ لا تُشفِّعُهُ [5]

وكم تشبَّثَ بي يومَ الرحيلِ ضُحىً   وأدمعي مُستهِلّاتٌ وأدمُعُهُ

---

(١) في « الكشكول » وجاد غيث على مغناك ممرعه . وفي « اللسان » ومكان مَرِع ومريع : خصيب ممرع ناجع ، وغيث مريع ومراع : تمرع عنه الأرض . وفي حديث الاستسقاء « اللهم اسقنا غيثاً مريئاً مريعاً مربعاً » المريع : ذو المراعة والخصب .

(٢) في « الكشكول » :

من عنده ليَ عَهْدٌ لا يضيّعُه   كما له عهدُ صِدْقٍ لا أضيّعه

(٣) الكرخ : حي من أحياء بغداد اليوم في غربي المدينة . وانظر « معجم البلدان » ٧/٢٣١ . وفي « اللسان » الأزرار : الخشبات التي يدخل فيها رأس عمود الخباء . وقيل: الأزرار : خشبات يخرزن في أعلى شقق الخباء ، وأصولها في الأرض ، واحدها : زر . وقال ابن الأثير : الزر : واحد الأزرار التي تشدّ بها الكلل والستور على مايكون في حجلة العروس .

(٤) في « الكشكول » صفو الحياة .

(٥) في « الكشكول » كم قد تشفع بي أن لا أفارقه .

لا أكذبُ اللهُ ثوبُ الصَّبرِ مُنخَرِقٌ　　عنّي لفُرقَتِه لـكِنْ أُرقّعه

وقال آخر :

تطوي المنازلَ عن حَبيبكَ دائبـاً　　وتظلُّ تبكيهِ بدَمعٍ ساجمِ [1]

ألّا أقمْتَ ولو على جَمْرِ الغضى　　قُلّبتَ أو حدِّ الحُسامِ الصّارمِ

كذَبتك نَفسُكَ لستَ من أهلِ الهوى　　تشكو الفِراقَ وأنتَ عينُ الظالمِ [2]

وقالت امرأة من كلب :

سقـا اللهُ المنازلَ بينَ شَرْجٍ　　وبينَ نواظرٍ دِيَماً رِهاما [3]

فـلو أنا نُطـاعُ إذا أمرْنا　　أطلنا في دِيارهم المُقاما

فإني لا أَني ما عِشتُ أُهـدي　　لها ولِمَن يَحِلُّ بهـا السَّلاما [4]

وما يُغني السَّلامُ إذا نزَلنـا　　لِوى لامٍ ألامَ اللهُ لاما [5]

---

(١) قد مرّ ذكر هذا الابيات ص : ٥١ وتخريجها .

(٢) كذبتك نفسك : أي أوهمتك وأخطأتك .

(٣) الأول والثاني في « معجم البلدان » ٥ / ٢٥١ من غير نسبة ، وجاء فيه بعد الاول بيت آخر هو :

وأوساط الشقيق شقيق عبس　　سقى ربي أجارعــــه الغماما

قال ياقوت : وشرج : ماء لبني عبس بنجد من أرض العالية . وقال الخارزنجي : نواظر آكام : معروفة في أرض باهـلة ، وقيل : ناظـرة وشرج : ماءان لعبس . والرِّهمة بالكسر : المطر الضعيف الدائم الصغير القطر ، والجمع: رِهَم ورِهام .

(٤) أني : مضارع . ونى ، بمعنى : فتر وضعف وكلّ وأعيى .

(٥) يقال : لُمْت فلاناً على كذا لوماً : اذا عذلته ، وألامه ولوّمه وألمته : بمعنى : لُمْته .

وقال إسماعيل بن يسار مولى قريش [1] :

ما على رَسمِ منزلٍ بالجنـابِ　　لو أبان الغداةَ رَجْعَ الجوابِ [2]

غيَّرتْـه الصَّبـا وكلُّ مُلِثٍّ　　دائمِ الوَدْقِ مُكفهِرِّ السَّحابِ [3]

دارَ هندٍ وهل زماني بهنـدٍ　　عائدٌ بالهوى وصَفوِ الجنابِ [4]

---

(١) هو اسماعيل بن يسار النِّسائي مولى تيم بن مرّة ، تيم قريش ، أصله من سبي فارس ، اشتهر بشدة تعصبه للعجم ، وافتخاره بهم في شعره على العرب ، وكان منقطعاً الى آل الزبير ، ثم اتصل بعبد الملك بن مروان ومدحه ، ومـــدح الخلفاء من ولده بعـده ، وعاش عمراً طويلاً الى أن أدرك آخر أيام بني أمية . والأبيات مطلع قصيدة في « الأغاني » ٤/٤١٠ .

(٢) الجَناب بالفتح : الفناء وما قرب من محـلة القوم ، وقيل : هو موضع في أرض كلب من السّماوة بـين العراق والشـــام . والجِناب بالكسر : موضع بعراض خيبر وسَلاح ووادي القرى ، وقيل : هو من منازل بني مازن . وقال نصر : الجناب : من ديار بني فزارة بين المدينـة وفيد . انظر « معجم البلدان » لياقوت ٣/١٤٠ .

(٣) ألث المطر ولث : اذا أقام أيامـــاً ولم يقلع ، والودق : المطـر كله ، شديده وهينه .

(٤) ورد في « الأغاني » بعد هذا البيت الأبيات التالية :

كالذي كان والصفاء مصون　　لم تشبـه بهجـرة واجتناب

ذاك منها إذ أنت كالغصن غضٌّ　　وهي رؤدٌ كدُمية المحراب

غادة تستبي العقول بعـذبٍ　　طيّب الطَّعم باردِ الأنيـاب

صاحِ أبصَرتَ أو سمِعتَ براعٍ ردَّ في الضَّرْعِ ما مَرى في الحِلاب [١]

أَقصَرت شِـرَّتي وولَّى شبابي واستراحتْ عواذِلي من عتابي [٢]

وقال جميلُ بن معمرٍ العُذري :

إنَّ المنـازِلَ هيَّجَت أطـرابي واستَعجَمَتْ آياتُهـا بجوابي [٣]

وأثيثٍ من فوق لونٍ نقيٍ كبياض اللجين في الزّرياب

فأقل الملام فيهـــا وأقصر لجّ قلبي من لوعة واكتئاب

(١) مرى الناقة مرياً : مسح ضرعها للدِّرة . والحِلاب ، بكسر الحاء المهملة : الاناء الذي يحلب فيه . وفي «الأغاني» « رد في الضرع ماقرى في الحلاب». وقرى الماء في الحوض : جمعه . والعِلاب ، بكسر العين المهملة : جمع عُلبة بضمها : وهي محلب من جلد . وفي الجمهرة : « العلبة » إناء من جلدِ جنب بعير ، وربما كان من أديم ، والجمع علاب ، يتخذ كالعُس يحتلب فيه ، وأنشد البيت .

ورواية البيت في «شرح شواهد الشافية» للبغدادي ٣١٧/٤ « صاح هل ريت .... » قال البغدادي : أصله : هل رأيت ، واستشهد به صاحب « الكشاف » على قراءة الكسائي « أريت الذي يكذب بالدين » وروي « صاح أبصرت أو سمعت براع » وعلى هذا لا شاهد فيه .

(٢) في «الأغاني» « انقضت شرتي وأقصر جهلي ». وفي «اللسان» : الشرة : النشاط . وفي الحديث « ان لهذا القرآن شرّة ، ثم إن للنـــاس عنه فترة » ، الشرة : النشاط .

(٣) ديوانه : ٣١ ، و«الأغاني» : ٢٣١/٢ ، و ١٠٦/٨ ، وانظر خبر هذا الشعر فيه . والأطراب : جمع طرب ، وهو الشوق . واستعجمت : سكتت .

قفراً تلوحُ بذي اللُّجَينِ كأنَّها أنضاءُ وشْمٍ أوسُطورُ كتاب [١]

لما وقَفْتُ بها القَلُوصَ تبادَرَتْ مني الدُّموعُ لفُرقَةِ الأحباب [٢]

وذكرت عصراً يا بثينة شفَّني إذ فاتني وذكرتُ شَرْخَ شبابي [٣]

وقال الشريف الرضي رحمه الله [٤] :

أيا منازِلَ سلْمى أينَ سَلْماكِ من أجلهـا إذ أتيناها أتينـاكِ

زُرناكِ شوقاً ولو أنَّ النَّوى بسَطَتْ عرْضَ الفلاةِ لنا جَمْـراً لزُرْناكِ

وقال أبو الصَّفي رفاعة بن عاصم الثقفي :

أمـنزلـتي ثجَّاء من بَطْـنِ واسِـطٍ إلى ذي الأراطي كيفَ حالُكُما بعدي؟

تتابعَ أنواءُ الربيـعِ عليكما أما لكما بالمالكيّةِ من عَهْدِ ؟ [٥]

---

(١) في «الأغاني» ١٣١/٢ « قفرٌ » ، وذو اللجين : لعله اسم موضع ولم يذكر في كتب البلدان والمعاجم التي بين أيدينا . وأنضاء : جمع نضو ، وأصله البعـــير المهزول ، وأطلق هنا على ماتبقى من الوشم لقلته وامّحائه .

(٢) القلوص : الناقة الشابة .

(٣) في «الأغاني» « ... شاقني ، وذكرت أيامي ..... » وشرخ الشباب : أوله ونضارته وقوته .

(٤) لم يرد هذان البيتان في « ديوان الشريف » ، ولعلها لأحد الشعراء ممن عارض قصيدة الشريف الرضي ، السائرة :

يا ظبية البان ترعى في خمائله ليهنك اليوم أن القلب مرعاك

(٥) في « معجم ياقوت » : المالكية : نسبت إلى رجل اسمه مالك ، قرية على باب بغداد ، وأخرى على الفرات بالعراق .

وقال آخر :

سقى الله بابَ الكَرْخِ من مُتنزَّهٍ ... إلى قصْرِ وضَّاحٍ فبِرْكَةِ زُلْزُلِ [١]

منازِلَ لو أن امرأَ القيسِ حلَّها ... لأقصرَ عن ذكرى حبيبٍ ومنزلِ

وقال كُثيِّرُ بنُ عبدِ الرحمن الخزاعي [٢] :

كأنْ لم تكُنْ سُعدى بأحياء غَيْقَةٍ ... ولم تَرَ من ليلي بهنَّ منازل [٣]

---

(١) بركة زلزل : ببغداد بين الكرخ والصراة ، وباب محول وسويقة أبي الورد ، حفرها زلزل : أحد الذين يضرب بهم المثل في ضرب العود ، ووقفها على المسلمين ، ونسبت المحلة بأسرها إليه .

(٢) هو كثيّر عزّة شاعر متيم مشهور من أهل المدينة ، أكثر إقامته بمصر ، وفد على عبد الملك بن مروان ، فرفع منزلته واختص به ، وبني مروان . قال المرزباني : كان شاعر أهل الحجاز في الاسلام ، لا يقدمون عليه أحداً ، أخباره مع عزه بنت جميل الضّمرية كثيرة ، انظر ترجمته وأخباره في «الأغاني» ١/٩ ، و«طبقات ابن سلام» : ٤٥٧ ، و«الشعر والشعراء» ١/٤٨٠ ، و«معاهد التنصيص» ٢/١٣٦ ، و«الخزانة» ٢/٣٨١ ، و«سمط اللآلي» : ١/٦١ .

(٣) ديوانه ٢/٩١ من قصيدة يمدح بها عبد العزيز بن مروان مطلعها :

عفا ميث كلفى بعدنا فالأجاول ... فأثماد حسنى فالبراق القوابل

وفيه « بأعناء غيقة » قال الشارح : الأعناء : جمع عنو وعنا : وهي الجوانب والنواحي . وغيقة : قال ابن حبيب : هي لبني غفار بن مليل بن ضمرة بن بكر ابن عبد مناف بن كنانة ، وهو بين مكة والمدينة ، قال كثير :

عفت غيقة من أهلها فحريمها ... فبرقة حَسْنَى قاعها فصريمها

ولم تتربَّعْ بالسُّرَيرِ ولم يكنْ ... به الصَّيفَ خيماتُ العُذَيبِ الطَّلائل [١]

أبى الصبرَ عن سُعدى هوى ذو علاقةٍ ... ووجدٌ بسعدى شاركَ القلبَ قاتِلُ

وقال جريرُ بنُ عطيَّة [٢] :

خليليَّ هيجا عَبْرةً أو قِفا بنا ... على منْزِلٍ بين النَّقيعة والحبل [٣]

فإني لباقي الدَّمعِ إن كنت باكياً ... على كلِّ دارٍ حلَّها مرةً أهلي

لعمرُكَ لولا اليأسُ ما انقطع الهوى ... ولولا الهوى ما حنَّ مِن والهٍ قبلي

تُريدينَ أن أرضى وأنتِ بخيلةٌ ... ومَنْ ذا الذي يُرضي الأخلاءَ بالبُخلِ [٤]

وقال أيضاً :

حيِّ المنازِلَ بالبَرْدَينِ قد بلِيَتْ ... للحيِّ لم يبقَ منها غيرُ أبلادِ [٥]

---

(١) السرير ، بضم أوله : واد من أودية خيبر ، قال ابن اسحاق : وواديا خيبر : السرير وخلص . قال البكري : وهو من الجار على سبعة أميال ، قال كثير :

ديارٌ بأعناء السُّرير كأنما ... عليهن في أكناف غيقةَ شيد

(٢) ديوانه : ٤٦٠ ، « والنقائض » ١/١٤٤ ، من قصيدة يردّ فيها على البعيث ، ويهجو الفرزدق .

(٣) في الأصل : « البقيعة » وهو تصحيف ، صوابه كما أثبتناه من « الديوان » ، و « النقائض » و « معجم البلدان » و « التاج » . قال أبو عبيدة : النقيعة : خبراء بين بلاد بني سليط وضبة ، والخبراء : أرض تنبت الشجر . وقال البكري : النقيعة : خبراوات بلبب الدهناء الأعلى ينتقع فيها الماء .

(٤) في الديوان و«النقائض» « ... أن نرضى ... يرضي الأحباء ... » .

(٥) ديوانه : ١٥٣ من قصيدة يمدح بها معاوية بن هشام بن عبد الملك .

ما كِدْتَ تعرفُ هذا الربعَ غيَّرهُ   مرُّ السِّنينِ كما غيَّرنَ أجلادي [١]

لقد علمتُ وما أُخبرتُ عن أحدٍ   أنَّ الهوى بنقى البشرين معتادي [٢]

وقال عروة بن الورد [٣] :

ألَمْ تعرِفْ منازلَ أمِّ عمْرٍو   بِمُنعرَجِ النَّواصفِ من أبانِ [٤]

ـ والبردان : قال البكري : أراد بَرداً ، فثناه وخففه ، وهو موضع من حرَّة ليلى ، والأبلاد : جمع بلد ، وهو الأثر .

(١) في « اللسان » أجلاد الانسان وتجاليده : جماعة شخصه ، وقيل : جسمه وبدنه . ذلك لأن الجلد محيط بها .

(٢) في الديوان « من أحد . . . بنقى يبرين . . . » ويبرين : رمل معروف في ديار بني سعد من تميم .

(٣) هو عروة بن الورد بن زيد من بني عبس ، من شعراء الجاهلية وفرسانها ، وكان يلقب بعروة الصعاليك لجمعه إياهم ، وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم ، ولم يكن لهم معاش ولا مغزى ، ترجمته في « الأغاني » ٣/٧٠ ، و« الشعر والشعراء » ٢/٦٥٧ ، و« السمط » ٢/٨٢٣ ، و« الخزانة » ٤/١٩٤ ، و« رغبة الآمل » ٢/١٠٤ . والأبيات في « منتهى الطلب » : ٢٤٩ .

(٤) المنعرج : المنعطف ، والنواصف : قال الأصمعي : واحدتها ناصفة ، مواضع تتسع من الأودية كالرحاب . وأبان ، بفتح أوله : جبل ، قال البكري : وهما أبانان : أبان الأبيض ، وأبان الأسود ، بينهما نحو فرسخ ، ووادي الرُّمَّة يقطع بينهما ، كما يقطع بين عدنة وبين الشَّربَّة ، فأبان الأبيض لبني جُريد من بني فزارة خاصة ، والأسود لبني والبة من بني الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد .

وقفتُ بها ففاضَ الدَّمعُ منِّي   كمُنحدِرٍ من النَّظمِ الجُمانِ

ولكن لن يُلَبِّثَ وصلَ حيٍّ   وجِدَّةَ وجهِهِ مرُّ الزَّمانِ

وقال حفص الأموي [١] :

يا مَنْزِلَ الحيِّ بالأجراعِ من لَجَبِ   بادتْ معارفُه في سالفِ الحِقَبِ [٢]

دارٌ لأسماءَ إذ كانتْ تُجاوِرُنا   والحبلُ إذ كانَ منها غيرَ مُنقضِبِ

إذا تذكَّرتُ أهلَ الغمرِ ساعدَني   موَّارُ دمعٍ على الخدَّينِ مُنسكِبِ [٣]

كانوا لنا جيرةً حتى تخوَّنَهم   دهرٌ يفرِّقُ بينَ الجيرةِ الصُّقُبِ [٤]

---

(١) في « معجم الادباء » ١٠/٢٠٩ : شاعر من شعراء الدولة الأموية ، عاش حتى أدرك دولة بني العباس ، ولحق بعبد الله بن علي فاستأمنه ، فهو من مخضرمي الدولتين ، وكان يختلف إلى كثير بن عبد الرحمن المعروف بكثير عزة الشاعر ، يروي عنه شعره .

(٢) في « اللسان » الجَرعة والجرْعة والجرع والأجرع والجرعاء : الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل ، وقيل : هي الرملة السهلة المستوية ، وقيل : هي الدِّعص لا تنبت شيئاً . والجرعة عندهم : الرملة العذاة الطيبة المنبت التي لا وعوثة فيها ، وجمع الجَرَع : أجراع وجراع ، وجمع الجرعة جراع . معارفه : ماعرف منه . وسالف الحقب : الأزمان الغابرة .

(٣) الغمر : ماء باليمامة أو موضع لطيىء ، أو هو جبل أحمر طويل لحي من بني أسد ، يقال لهم : بنو مخاشن ، قاله البكري .

(٤) في « اللسان » تخونته الدهور وتخوفته ، أي : تنقَّصته ، والصَّقَب : القرب ، يقال : هو صَقَبُك ، معناه : القرب ، ومكان صَقَبٌ وصقِب : قريب .

وغرَّبتهم نوىً عنّا مطوِّحةٌ ... ومن تَغُلْه النَّوى يَشحطْ ويغترب [١]

جاءَ الفِراقُ ولم نلْبسْ لِبغتتِهِ ... ثوبَ العزاءِ ولم نذْهل عن الطَّرب [٢]

فنحن بينَ شجٍ لم يقضِ عبْرتَه ... وبينَ حرّانَ باكي العينِ مُنتحِب [٣]

وقال جميل بنُ معمر :

أهاجتكَ المنازلُ والطُّلولُ ... عَفونَ وخفَّ منهنَّ الحُمولُ [٤]

نعمْ وذكرتَ دنيا قد تقضَّتْ ... وأيُّ نعيمِ دُنيا لا يَزولُ

أسائلُ دارَ بثْنةَ أينَ حلّتْ ... كأنَّ الدارَ تفهمُ ما أقولُ

وقال الشريف الرضي رضي الله عنه :

يقرُّ بعيني أن أرى لكِ مَنْزلاً ... بنَعْمانَ يزكو تُرْبُهُ ويطيبُ [٥]

وأرضاً بِنُوّارِ الأقاحي صقيلةً ... تردَّدُ فيها شمألٌ وجنوبُ

وأيُّ حبيبٍ غيَّبَ النَّأيُ شخصَهُ ... وحالَ زمانٌ دونَهُ وخُطوبُ

---

(١) طوّحه تطويحاً : توّهه وذهب به هاهنا وهاهنا ، أو حمله على ركوب مفازة يخاف فيها هلاكه . وغاله الشيء غولاً واغتاله : أهلكه .

(٢) البغتة : الفجأة . الطرب هنا : الحزن ، والكلمة من الأضداد .

(٣) الشجو : الحزن ، قال في « اللسان » : وأما « شجٍ » بالتخفيف ، فهو اسم الفاعل من : شجي يشجى فهو شجٍ . والنحب والنحيب : رفع الصوت بالبكاء ، والانتحاب مثله .

(٤) لم ترد هذه الأبيات فيما جمع من شعره .

(٥) ديوانه ١/١٤١ . ونعمان ، بفتح أوله واسكان ثانيه : وادي عرفة دونها الى منى وهو كثير الاراك .

تطاولتِ الأعلامُ بيني وبينه ... وأصبحَ نائي الدّارِ وهو قريبُ [١]

يقولون مَشعوفُ الفؤادِ مُروَّعٌ ... ومشعوفةٌ تدعو به فيُجيبُ [٢]

عفافيَ من دونِ التقيَّةِ زاجرٌ ... وصونُكِ من دونِ الرقيبِ رقيبُ

وفي القلبِ داءٌ في يديكِ دواؤه ... ألا رُبَّ داءٍ لا يراهُ طبيبُ

وقال زهير بن أبي سُلمى :

كمْ للمنازلِ من عامٍ ومن زَمَنِ ... لِآلِ أسماءَ بالقُفَّيْنِ فالرُّكُنِ [٣]

لِآلِ أسماءَ إذ هامَ الفُؤادُ بها ... حيناً وإذ هي لم تظعَنْ ولم تبِنِ [٤]

وإذ كلانا إذا حانتْ مُفارَقةٌ ... من الدِّيارِ طوى كشحاً على حَزَنِ [٥]

---

(١) في الديوان بعد هذا البيت :

لكِ اللهُ من مَطْلولةِ القلبِ بالهوى ... قتيلةَ شوقٍ والحبيبُ غريبُ

أقِلُّ سلامي إن رأيتُكِ خيفةً ... وأعرِضُ كيما لا يقالَ مُريبُ

وأطرِقُ والعينانِ يُومِضُ لحظُها ... إليكِ وما بينَ الضُّلوعِ وجيبُ

(٢) في « الديوان » بعد هذا البيت :

وما علموا أنّا إلى غير ريبةٍ ... بقاءَ الليالي نغتدي ونؤوبُ

(٣) ديوانه : ص : ١١٦ من قصيدة يمدح بها هرم بن سنان ولم يروها الأعلم ، وهي من رواية الكوفيين . القفان : قال ياقوت : القف ، علم لواد من أودية المدينة ، وقد ورد في شعر زهير مفرداً ومثنى . ورُكُن : موضع باليمامة .

(٤) لم تظعن : لم ترتحل . وتبن : تفارق . يقول : كانت هذه المنازل لها اذا هام الفؤاد بها .

(٥) إذا حانت مفارقةٌ : إذا جاءت ساعة المفارقة . طوى كشحاً على حزن : أي ولى على حزن ، ومنه : طوى كشحه عني ، ومنه : عدوٌ كاشح ، أي : مُوَلٍّ .

فقلتُ والدّارُ أحياناً يشُطُّ بها ... صَرْفُ الأميرِ على ما كانَ من شَجنِ [١]

لصاحبي وقد زالَ النَّهارُ بنا ... هل تؤْنِسانِ ببطنِ الجوِّ من ظُعُنِ [٢]

يقطعْنَ أميالَ أجوازِ الفَلاةِ كما ... يغشى النَّواتي غِمارَ اللُّج بالسُّفُنِ [٣]

وقال النَّابغة الذبياني :

أهاجَكَ مِنْ أسماءَ رَبعُ المنازلِ ... بروضَةِ نُعْمِيٍّ فبرقِ الأجاولِ [٤]

---

(١) في الديوان : على من كان ذا شجن . يشط بها : يبعد بها . وصرف الأمير : تصرفه وتقلبه حيث يريد . والأمير : الذى يؤامر في الأمر، ويأمر القوم بالمسير : يصدرون عن رأيه . الشجن : الهوى والحاجة .

(٢) في الديوان بعد هذا البيت :

قد نكَّبَتْ ماءَ شرجٍ عن شمائلها ... وجوّ سلمى على أركانها اليُمنِ

وزال النهار بنا : أي تقارب مجيء الليل . تؤنسان : تبصران . والظعن : النساء في الهوادج ، والظعينة : مركب المرأة ، والظعينة : المرأة . والجو هنا : موضع ، قال في « الصحاح » : هو باليمامة ، وفي « تاج العروس » أنه علم على ثلاثة عشر موضعاً غير اليمامة .

(٣) في « الديوان » « يقطعن أجواز أميال الفلاة كما » الميل : القطعة من الأرض على مدّ البصر والجمع أميال ، وقال أبو عمرو : والأميال هاهنا : أميال الطرق ، علاماتها يهتدى بها . أجواز : أوساط ، والواحد : جوز . والنواتي : الملاحون ، والواحد : نوتي . والغمار : الماء الكثير ، والواحدة : غمرة . واللج : معظم الماء لاترى جانبيه ، والواحدة لجة .

(٤) « مختار الشعر الجاهلي » ص ٢٠٨ ورواية البيت فيه : -

أرَبَّتْ بها الأرواحُ حتى كأنَّما ... تهادَيْنَ أعلى تُربها بالمناخلِ [١]

عَهِدْتُ بها حيًّاً كِراماً فبُدِّلتْ ... خناطِيلَ آرامِ الظِّباءِ المطَافلِ [٢]

أهاجَكَ من أسماءَ رسم المنازِلِ ... بروضة نُعميٍّ فذات الأجاوِلِ

وفي الديوان بشرح ابن السكيت ص : ٢٧ : « ببرقة نُعْميٍّ فروض الأجاول »

والروضة : الموضع الذي فيه ماء ونبت ، فان كان فيه نبت وشجر فهو حديقة . ونعمي : قال الزمخشري : وادٍ بتهامة . والأجاول ـ في الأصل : الأحاول ، بالحاء ، وهو تصحيف ـ موضع نواحي كلفى ، وهي بين الجار وودان ، أسفل من الثنية ، قاله محمد بن حبيب .

(١) أربت : لزمت وألحت فلم تبرح . وقوله : تهادين : قال ابن السكيت : يقول : كأن الشمال تهدي إلى الجنوب ، والجنوب إليها ، يريد أن الرياح تعاقبت على هذه المنازل . وفي الديوان بعد هذا البيت :

وكلُّ مُلِثٍّ مكفَهِرٍّ سحابُه ... كميش التوالي مرثَعِنِّ الأسافل

إذا رجفت فيه رحاً مرجَحِنَّةٌ ... تبعَّق ثجّاجٌ غزيرُ الحوافِلِ

والملث : السحاب الدائم . والمكفهر : المتراكب الغليظ . والكميش : السريع . المرثعن : المسترخي ، ويقال للسحابة المستديرة : هذه رحى مرجحنة . وتبعق : انفرج من الودق وانشق . والثجاج : الصباب . والحوافل : السحاب الكثير الماء .

(٢) في « مختار الشعر الجاهلي » « خناطيل آجال النّعامِ الجوافِلِ » وخناطيل : جماعات ، الواحدة : خنطلة ، وخنطل . والمطافل : أولاد الظباء ، قال ابن السكيت : ويروى « النعاج » مكان الظباء .

وقال زهير :

لِسَلْمى بشَرْقِيِّ القَنانِ منازلُ وَرَسمٌ بصَحراءِ اللُّبَيَّيْنِ ماثلُ [١]

أتى عامَ حلَّتْ صيفُه وربيعُه وعامٌ وعامٌ يتبَعُ العامَ قابلُ [٢]

تحَمَّل عنها أَهلُها وخلتْ لها سِنونَ فمنها مُستَبينٌ وحائل [٣]

---

(١) ديوانه ص : ٢٩٢ ، وفيه « حائل » بدل « ماثل » وهما بمعنى . بشرقيّ : مما يلي الشرق منه . والقنان : جبل لبني أسد . ورسم: أثر بلا شخص ، واللبيين : موضع .

(٢) في « الديوان » « عفا » قال الشارح : عفا : درس ، ويروى : « عفت . عاماً وعاماً » وفي الشرح : « أي ذهب ذلك العام الذي حلت فيه ومضى ، أي عفا صيف ذلك العام وربيعه ، ومضى عام يتبع ذلك العام . قابل : أي : مقبل ، وكان الوجه « عامٌ » ولكنها إضافة غير محضة ، كما تقول : هذا يومَ أقوم ، وهذا يومَ أكرمتك ، فان قلت : هذا يوم أكلي ، لم يكن إلا الرفع ، لأنها إضافة صحيحة ، والاولى غير محضة » . ورفع الصيف والربيع على معنى العام .

(٣) في « الديوان » « تحمل منها ... فمنها مستبين وماثل » وماثل : دارس لاطئ . ومنها : يريد من هذه المنازل . وحائل : متغيّر ، يريد منها مايستبين ، ومنها مالا يستبين . وبعد هذا البيت :

كأنَّ عليها نُقبَةً حِمْيَريَّةً يقطّعُها بين الجفون الصياقلُ

تبصّر خليلي هل ترى من ظعائنٍ كما زالَ في الصُّبحِ الأشاءُ الحواملُ

نَشَزْنَ من الدَّهناءِ يقطعن وسطَها شقائقَ رَمْلٍ بينهنّ خمائلُ

فلما بَدَت ساقُ الجواءِ وصارَةٌ وفَرْشٌ وحمّاواتُهنّ القوابلُ

طربت . . . . .

طربتَ وقال القلبُ هل دونَ أهلِها لِمَنْ جاورتْ إلا لَيالٍ قلائل

وقال عديٌّ بن الرقاع :

أَتعرِفُ بالصحراءِ شرقيَّ شابكٍ منازِلَ أعراها الأنيسُ ومَلْعبا [١]

ظَلِلت أُرائيها صِحابي وقد أرى بها أَهلَها من بين غرٍّ وأشيبا

ومُحْتَجِباتٍ بالسُّتورِ كأنَّما تُجِنُّ سُتورُ الخَزِّ منهُنَّ رَبْرَبا

أَخطْرَةُ شوقٍ في الفؤادِ تعرَّضتْ لِتَنْكَأَ قَلْباً مُستَهاماً معذَّبا

وقال ذو الرمة غيلان : [٢]

خليليَّ عُوجا مِنْ صُدُورِ الرَّواحِلِ بجُمهورِ حُزْوى فابكيا في المنازِلِ [٣]

لعلَّ انحدارَ الدَّمعِ يُعقِبُ راحةً مِنَ الوَجْدِ أَو يشفي نجيَّ البلابلِ [٤]

---

(١) في « معجم البلدان » شابك : موضع من منازل قضاعة بالشام في قول عدي بن الرقاع الشاعر، ثم أنشد البيتين .

(٢) هو غيلان بن عقبة العدوي ، شاعر أموي ، أحب مية ، وعرف بها ، توفي ١١٧ هـ . انظر ترجمته وأخباره في «الأغاني» ٣٠٦/١٧، و«الشعر والشعراء» ٥٠٦/١ و«الموشح» : ١٧٠ ، و«طبقات ابن سلام» : ٤٦٧ ، و «وفيات الاعيان» ١٨٤/٣ ، و«خزانة البغدادي» ٥١/١ .

(٣) ديوانه : ص ٤٦١ ، والجمهور : الرملة العظيمة المشرفة على ماحولها . وحزوى : موضع في ديار بني تميم ، قاله البكري . وفي «الاغاني» ٣٦٥/٥ : بجرعاء حزوى . والجرعاء : الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل ، وقيل : هي الرملة السهلة المستوية .

(٤) النجي : ماتحدث به نفسك . والبلابل : الهموم في الصدور . وفي الخزانة —

دَعاني وما داعي الهوى مِنْ بلادِها ... إذا ما نأتْ خرقاءُ عنّي بغافلِ (١)

وقال أيضاً :

ألا حيِّ المنازلَ بالسَّلامِ ... على بُخْلِ المنازلِ بالكلامِ (٢)

لِميٍّ باللِّوى دَرَجتْ عليه ... رياحُ الصَّيفِ عاماً بعدَ عامِ (٣)

ألا يا ليْتَنا يا مَيُّ نَدْري ... متى نَلْقاكِ في عَرَجِ اللِّمامِ (٤)

– ٥١٩/٤ ؛ والديوان : أن أبا بكر بن عياش قال : كانت تصوبني مصيبة ، فأصبر وأكظم ، فأسرع ذلك في بدني ، فمررت بكناسة الكوفة ، فرأيت أعرابياً ينشد :

لعل انحـدار الدمع يعقب راحة ... من الوجد أو يشفي نجي البلابل

فأصابتني مصيبة ، فبكيت ، فوجـدته أهونَ عليَّ ، فسألت عن الأعـرابي ، فقيل : هو ذو الرُّمة . وفي الديوان بعد هذا البيت :

وإن لم تكُنْ إلا رُسُوماً محيلةً ... ورَمْسُكاً على وُرْقٍ مطايا مراجل

كأنّ قرا جرعائها رجّعَتْ بـه ... يهوديَّة الاقلامِ وحي الرسائلِ

(١) نأت : بعدت . يقول : هواها مايغفل عني وإن بعدت عنها .

(٢) ديوانه ص : ٥٩٤ .

(٣) في الديوان « لميٍّ بالمعا » والمعا : موضع ، وفي الديوان بعد هذا البيت :

سَحبْنَ ذيولَهُنَّ بها فأمْسَتْ ... مصرّعةً بهـا دِعَمُ الخيامِ

رَجَحْنَ على بوارِحِ كلّ نجم ... وطيَّرتِ العواصِفُ بالثُّمام

تجاوِرُهُنَّ بالعَرَصاتِ شُعْثٌ ... عواطِلُ قد خُلِعْنَ من الرِّمامِ

كأنّ مغانيَ الأصرامِ فيها ... ملمَّعَـةٌ معالِمُها بشامِ

(٤) في عوج اللّمام : في عطف اللمام ، يريـد : حتى تلم الدار بالدار ، أي حين يجتمع القوم ، يقال : ألمّ به : إذا أتاه .

وقال أيضاً :

أَمَنْزِلتَيْ ميٍّ سلامٌ عليكما ... على النَّأي والنَّائي يودُّ ويَنْصَحُ (١)

ولا زالَ من نوءِ السِّماكِ عليكما ... ونوءِ الثُّريَّا وابلٌ متبطِّحُ (٢)

وإنْ كُنْتُما قد هِجْتُما راجعَ الهوى ... لِذي الشَّوقِ حتى ظلَّتِ العينُ تَسْفَحُ

أَجلْ عَبْرةً كادَتْ لِعرْفانِ مَنْزِلٍ ... لِميَّةَ لو لم تُسْهِلِ الماءَ تَذْبَحُ (٣)

إذا غيَّرَ النَّأيُ المحبِّينَ لم أجِدْ ... رَسيسَ الهوى من حبِّ ميَّةَ يَبْرَحُ (٤)

---

(١) ديوانه : ٧٧ . ويروى : أيا طاليي ميٍّ ... والنائي : البعيد ، يعني نفسه ، يقول : هو يود وينصح .

(٢) النوء : سقوط نجم مع ظهور نجم آخر . والسماكان : نجمان نيران ، يقال لأحدهما : السماك الرامح ، لأن أمامه نجماً صغيراً ، يقال له : راية السماك ورمحه ، والآخر : السماك الأعزل ، لأنه ليس أمامه شيء . والثريا : من الكواكب ، سميت بذلك لغزارة نوئها ، وقيل : سميت بذلك لكثرة كواكبها مع صغر مرآتها ، فكأنها كثيرة العدد بالاضافة إلى ضيق المحل .

(٣) في الديوان بعد هذا البيت :

على حين راهقتُ الثلاثين وارعوتْ ... لداتي وكاد الحِلمُ بالجهل يرجحُ

(٤) في الديوان : لم يكد . والنأي : البعد . ورسيس الهوى : مسه . ويبرح : يزول . قال في « الخزانة » ٧٥/٤ يقول : إن العشاق إذا بعدوا عمن يحبون ، دب السلو إليهم ، وزال عنهم ما كانوا يقاسون . وأما أنا فلم يقرب زوال حبها عني ، فكيف يمكن أن يزول ؟! .

فلا القُرْبُ يُدْني مِنْ هواها مَلالَةً   ولا حبُّها إن تَنْزَحِ الدَّارُ يَنْزَحُ (١)
تَصَرَّمُ أهـواءُ القُلُوبِ ولا أرى   نصيبكِ مِنْ قلبي لغيركِ يُمْنَحُ (٢)
وبعضُ الهوى بالهَجْرِ يُمحى فينمحي   وحبُّكِ عندي يستجِدُّ ويَرْبَحُ (٣)

وقال ذو الرمة أيضاً :

ألا أيُّهذا المنْزِلُ الدَّارِسُ اسلَمِ   وأُسقِيتَ صَوْبَ الباكِرِ المُتَغَيِّمِ (٤)
وإن كُنْتَ قدهيَّجتَ لي دونَ صُحْبَتي   رسيسَ هوىً من حبِّ ميَّة مُسْقِمِ (٥)
هوىً كادَتِ العينانِ يَفرُطُ منهُما   له سَنَنٌ مثـلُ الجُمانِ المنظَّمِ (٦)

---

(١) ينزح : يبعد ، يقول : لايتغير عما عمد لها من الحب لا في قربها ، ولا في بعدها . وفي الديوان بعد هذا البيت :

إذا خطرتْ منْ ذكر ميّة خَطرةٌ   على النّفس كادتْ في فؤادك تجرحُ

(٢) في الديوان « تصرّف » . ويمنح : يعطى . يقول : من الناس من يهجر فيمحى حبه ، وحبك يتجدد ويزداد .

(٣) في « الديوان » فيمتحي ، قال في « اللسان » : وامَّحى الشيء يمّحي امّحاء ، انفعل ، وكذلك امتحى : إذا ذهب أثره ، وكره بعضهم امتحى ، والأجود امّحى ، والأصل فيه : انمحى ، وأما امتحى فلغة رديئة .

(٤) ديوانه ص ٦٢٦ ، وفيه : « سُقِيّتَ » وفي الديوان بعده :

ولا زال مسنُوّاً ترابُكَ تستقي   عزاليَ بَرّاقِ العوارضِ مُرْزِمِ

(٥) في الديوان « رجيع هوى » .

(٦) يفرط : يسبق . وفي الحديث « وأنا فرطكم على الحوض » . السنن : ماجرى منه . والجمان : حب من فضّةٍ كهيئة اللؤلؤ ، شبه قطرات الدمع به ، وفي الديوان بعد هذا البيت الأبيات التالية : —

أحبُّ المكانَ القَفْرَ من أجلِ أنني   بـه أتغنّى باسْمِها غيرَ مُعْجمِ

وقال الحارثُ بن خالد : (١)

إنّي وما نحرُوا غـداةَ مِنىً   عِندَ الجِمارِ تَؤُودُها العُقُـلُ (٢)
لو بُـدِّلتْ أعـلى منازِلِهـا   سُفْـلاً وأصبحَ سُفْلُهـا يعلُو (٣)

وماذا يَهيجُ الشَّوْقَ مِنْ رَسْمِ دِمْنَةٍ   عَفَتْ غيرَ مِثْلِ الحِمْيَرِيِّ المسهَّمِ
أرَبّت بهـا الأمطارُ حـتى كأنَّهـا   كتاب زبورٍ في مهاريقِ مُعْجَمِ
وكلُّ نؤوجٍ ينبري من جنُوبهـا   بِتَسْهاكِ ذَيْلٍ من فرادى ومُتْئِمِ
أضَرّتْ بهـا الأرواحُ أو كلُّ ذبْلةٍ   دَرُوجٍ متى تعْصِفْ بها الريحُ تَرْسُمِ
لِميَّة عنـد الزُّرق لأيـاً عرفتُهـا   بِجُرْثومـةِ الآري والمتخيّـمِ
ومستَقْوِسٍ قد ثلَّمَ السَّيْلُ جدْرَهُ   شبيـهٍ بأعضـادِ الخبيطِ المهـدّمِ
فلمـا رأيتُ الدّارَ غشّيْتُ عمَّتي   شآبيبَ دَمْـعٍ لِبْسَةَ المتلثّـمِ
مخافـةَ عيـني أن تَنُمَّ دموعُها   عليّ بأسرارِ الضّمـيرِ المكتّمِ

(١) هو الحارث بن خالد بن العـاص بن هشام المخزومي : شاعر غـزل من أهل مكة ، نشأ في أواخر أيام عمر بن أبي ربيعة ، وكان يذهب مذهبه ، لايتجاوز الغزل إلى المديح ولا الهجاء ، ترجمته في « الأغاني » ٩/٢٢٧ ، و «تهذيب ابن عساكر» ٣/٤٣٧ و«خزانة البغدادي» ١/٢١٧ ، و«السمط» ٢/٦٤٥ .

(٢) « الأغاني » ٣/٣١٣ ، و«المختارمن شعر بشار» : ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، و«الأمالي» ٢/١٤ ، و«زهر الآداب» ١/٢٣٨ ، والأول والثاني والرابع في «الحماسة» بشرح المرزوقي ٣/١٢٨٢ . وتؤودها : تثقلها . والعُقُل : جمع عقال ، ويجوز في عين هذا الجمع التسكين كما هنا .

(٣) في « الاغاني » « لو بدلت أعلى مساكنها » .

فيكادُ يعرِفُها الخبيرُ بهـا ... فيرُدُّهُ الإقواءُ والمَحْلُ [1]

لعَرفتُ مَنْزِلَها بما ضَمِنَتْ ... منّي الضُّلوعُ لأهلِها قبلُ [2]

وقال البحتري :

جئنا نحيّي من أثيلَةَ مَنْزِلاً ... جُدُداً معالِمُه بذي الأنصابِ [3]

أدّى إلي العَهْدَ مِنْ عِرْفانِها ... حتّى لكادَ يَرُدُّ رجعَ جوابي [4]

وقال أيضاً :

مُسْتَهْتَرٌ بالظاعِنينَ وفيهم ... صدٌّ يسعِّرُ لوعةَ المُسْتَهْتَرِ [5]

---

(١) أقوت الدار إقواء : أقفرت . والمحل : الجدب .

(٢) في الاغاني « لعرفت مغناها بما احتَمَلَتْ » .

(٣) ديوانه ٢٨٩/١ من قصيدة يمدح بها ابراهيم بن المدبّر ، ويذكر وقعته مع الزنج ، مطلعها :

قد كان طيفُكَ مرّةً يُغرى بي ... يعتادُ رَكْبي طارقاً وركابي

فالآن مايزدار غير مغبّةٍ ... ومن الصُّدودِ زيارة الاغبابِ

(٤) في الديوان « من عرفانه » .

(٥) ديوانه ٨٦٠/٢ وفيه « يضرِّم » والابيات من قصيدة يمدح بها أبا صالح عبد الله بن محمد بن يزداد ، ويذكر خروج عبيد الله بن يحيى بن خاقان إلى مكة ، مطلعها :

هَجَرَتْ وطَيْفُ خيالِها لم يَهْجُرِ ... ونأت بحاجةِ مُغْرمٍ لم يُقْصِرِ

ودَعَتْ هواكَ بموعِدٍ متيسّرٍ ... يوم اللقاء ونائِلٍ متعذّرِ

قال في « اللسان » : الاستهتار : الولوع بالشيء ، والافراط فيه حتى كأنه أُهْتِر ، أي خرف . والمستهتر : المولع .

يَسَلُ المنازِلَ عنهم وعلى اللِّوى ... دِمَنٌ دَوارِسُ إن تُسَلْ لم تُخْبِرِ [1]

ومِنَ السَّفاهةِ أن تظلَّ مُكَفْكِفاً ... دَمعاً على طَلَلٍ تأبَّدَ مُقْفِرِ [2]

وقال أيضاً :

لا زالَ يحتَفِلُ الغمامِ الماطِرِ ... يَهْمي على حَجَراتِ أهلِ الحاجر [3]

فَلَرُبَّ مَنْزِلَةٍ هناكَ مُحيلَةٍ ... ومَحَلَّةٍ قفرٍ ورَسْمٍ داثِرِ [4]

أبهتْ لساكِنِها النَّوى وتكشَّفتْ ... عن أهلِها سِنَةُ الزَّمانِ الناضر [5]

ولقد تكونُ بها الأوانسُ من مها ... ميلِ القلوبِ إلى الصِّبى وجآذِرِ [6]

---

(١) يسل : مخففة من « يسأل » .

(٢) في « اللسان » : الاوابد ، جمع آبدة : وهي التي قد توحشت ونفرت من الأنس ، ومنه قيل للدار إذا خلا منها أهلها ، وخلفتهم الوحش بها : قد تأبّدت ، قال لبيد : بمنى تأبَّدَ غَوْلُها فَرِجامُها . وتأبّدَ المنزل : أي أقفر وألفته الوحوش .

(٣) ديوانه ١٠١٦/٢ وفيه : « محتفل الغمام الباكر » ، ومحتفل الغمام : يريد السحاب الذي اجتمع ماؤه وامتلأ ، قال في « اللسان » : الحفل : اجتماع الماء في محفله ، ومَحْفِلُ الماء : مجتمعه . يهمي : يصب . وفي « اللسان » : وحُجْرة القوم : ناحية دارهم ، والجمع حُجْر وحَجَرات . والحاجر في اللغة : من مسايل المياه ومنابت العشب ما استدار به سند أو نهر مرتفع ، والحاجر : منزل من منازل الحاج بالبادية ، وقال البكري : موضع في ديار بني تميم .

(٤) في الديوان « فلرب أطلال » . والداثر : المحو .

(٥) في « اللسان » : أبَهَ له يأبَهُ أبها ، وأَبِهَ له وبه : فطن .

(٦) في الديوان « صور » والمعنى واحد ، والمها : البقر الوحشي ، والجآذر : أولادها .

وقال أبو حيَّة النُّميري :

طَرِبتَ وهاجَتْكَ المنازِلُ من جَفنِ ... ألا رُبَّما يعتادُكَ الشَّوقُ بالُحزنِ [1]

نظرتُ إلى أظعانِ زينبَ بالضُّحى ... فأعولتُها لو أنَّ إعوالَها يُغني [2]

فواللهِ لا أنساكِ زَينَبُ ما دَعَتْ ... مطوَّقةٌ ورْقاءُ شَجْواً على غُصنِ

وقال الأحوصُ :

زُبَيْرِيَّةٌ بالعَرْجِ منها منازِلٌ ... وبالخَيْفِ من أَدنى منازِلِها رَسْمُ [3]

---

(١) في « معجم البلدان » : جفن ، بالفتح ثم السكون ، ونون : ناحية بالطائف ثم أنشد البيت .

(٢) في «اللسان »: أعول إعوالاً وعوّل تعويلاً : إذا صاح وبكى . قلت : ويعني بقوله : « فأعولتها » أي : بكيت عليها .

(٣) في « معجم ما استعجم » : « زبيرية بالجزع .... وبالعرج ... » والعرج : قال البكري : بفتح أوله وإسكان ثانيه بعده جيم : قرية جامعة على طريق مكة من المدينة . وفي « معجم ما استعجم » ١٣٧٤/٤ : وحدّث يعقوب بن حميد قال : أقبلت من مكّة فلما صرت بوَدّان ، لقيت صفراء من مولّداتها ، فقلت : يا جاريه ما فعلت نعم ؟ ، فقالت : سل النصيب ، تريد قوله :

ألا تسأل الخيمات من بطنِ أرثَدٍ ... إلى النَّخل من ودّان ما فعلت نُعْمُ

أسائل عنها كلّ ركبٍ لقيتُه ... وما لي بها من بعد أن فارقت علم

وذكر اسحاق الموصلي أن هذا إنما هو لعبد الله أبي شجرة السُّلمي يشبب برملة بنت الزبير بن العوام وزاد فيه : ـ

أسائلُ عنها كلَّ رَكْبٍ لَقيتُهُ ... ومالي بها من بعد مكَّتِنا عِلْمُ [1]

أياصاحبَ النَّخلاتِ من بطْنِ أَرْثَدٍ ... إلى النخل من ودَّانَ ما فعَلَتْ نُعمُ [2]

فإن تكُ حَرْبٌ بينَ قومي وقومِها ... فإني لها في كلِّ حادِثةٍ سِلْمُ

وقال البحتري :

أكثَرْتَ في لَوْمِ المُحبِّ فأقلِلِ ... وأَمرْتَ بالصَّبرِ الجميلِ فأجْمِلِ [3]

لم يَكْفِهِ نأيُ الأحِبَّةِ باللِّوى ... حتَّى ثَنَيْتَ عليهِ لوْمَ العُذَّلِ

أبالغور أم بالجَلْسِ أمست وأينما ... تكن دارُها مني فذكري لها سُقم

زُبيريَّة بالجِزْعِ منها منازِلٌ ... وبالعَرْج من أدنى منازِلها رَسْم

فان تكُ حربٌ بين قومي وبينها ... فقد ترتجي من كلّ نائرةٍ سلْمُ

أتترك إتيانَ الحبيب تأثُماً ... ألا إن هجران الحبيب هو الاثمُ

(١) في « معجم ما استعجم » : « ومالي بها من بعد أن فارقت علم » .

(٢) في « معجم ما استعجم » « ألا تسأل الخيمات من بطن أرثدٍ » قال ياقوت : ودان : بين مكة والمدينة ، قرية جامعة من نواحي الفُرع ، بينها وبين هرشى ستة أميال ، وبينها وبين الأبواء نحو من ثمانية أميال قريبة من الجحفة ، وهي لضمرة وغفار وكنانة ، وقرأت بخط كراع الهنائي على ظهر كتاب « المنضد » من تصنيفه قال بعضهم : خرجت حاجاً فلما جزت بودان أنشدت :

أيا صاحب الخيمات من بعد أرثدٍ ... إلى النخل من ودّان مافعلت نُعم

فقال لي رجل من أهلها : أنظر هل ترى نخلاً ؟ فقلت : لا ، فقال : هذا خطأ ، إنما هو النخل ، ونخل الوادي : جانبه .

(٣) ديوانه ٢٤٩/٢ من قصيدة يمدح بها محمد بن صالح الهاشمي .

قَسَمَ الصَّبابَةَ فِرْقَتَيْنِ فشوقُهُ ... للظَّاعنينَ ودَمعُهُ للمنزِلِ

متقسِّمِ الأحشاء يَندُبُ أَرْبُعاً ... مُتقسِّماتٍ بالصَّبا والشَّمْألِ [1]

حطَّتْ على تلكَ المنازلِ والرُّبا ... منهنَّ أعباءُ الغَمامِ المُثقَّلِ [2]

وقال أيضاً :

منازِلُ لم نُندَمِمْ عَهْدَ مُعرَسِنا ... فيها ولا ذُمَّ يوماً عَهْدُها فينا [3]

تَجَرَّمَتْ عندَها أَيَّامُنا حِجَجاً ... مَعدودَةً وخلتْ فيها ليالينا [4]

وقال أيضاً :

خُذا من بُكائي في المنازِلِ أَوْدَعا ... وَرُوحا على لَوْمي بِهِنَّ أو ارْبَعا [5]

فما أنا بالمشتاقِ إِنْ قُلْتُ أسعِدا ... لِنَنْدُبَ ربعاً من سُعادَ ومَرْبَعا [6]

ولي لوْعَةٌ تَسْتَغْرِقُ الهَجْرَ والنَّوى ... جميعاً ودَمعٌ يُنْفِدُ الحُبَّ أجمعا

(١) في الديوان : « ينشد أربعاً » .

(٢) في الديوان : « حطت على تلك الأجارع » والأجارع : جمع أجرع : الرملة الطيبة المنبت لا وعوثة فيها .

(٣) مجلة المجمع ، الجزء الاول ، المجلد الرابع والثلاثون : ١٠٣ ، تحت عنوان : مما لم ينشر من شعر البحتري ، للدكتور صالح الاشتر ، وفيه « عهد مغرمنا » وفي « اللسان »: التعريس : نزول القوم في السفر من آخر الليل يقعون فيه وقعة للاستراحة ثم ينيخون وينامون نومة خفيفة ثم يثورون مع انفجار الصبح سائرين . . . واعرسوا : لغة فيه قليلة . والموضع : معرَّس ومعرَس .

(٤) فى « اللسان »: تجرمت السنة ، أي: انقضت ، وتجرم الليل : ذهب .

(٥) ديوانه ٢/١٦٦٣ وفيه « خذا من بكاءٍ » واربعا : قفا وانتظرا .

(٦) في الديوان : « لنندب مغنىً ». والاسعاد : المساعدة والموافقة والمعونة .

وقال مهيار بن مَرْزَوَيه الدَّيلمي :

وبالغورِ للناسِينَ عهدِيَ مَنْزِلٌ ... حَنانَيْكَ من شاتٍ أقامَ وصائِفِ [1]

أُغالِطُ فيه رِقْبَةً لا جهالةً ... وأسألُ عنه وهو بادي المعارفِ [2]

ويعذُلني في الدَّارِ صحبي كأنَّني ... على عَرَصاتِ الدَّارِ أوَّلُ واقفِ

أنشد المبرد قال : أنشدتني القريطية من بني قريط [3] :

سقى اللهُ نجداً من ربيعٍ وصيِّفٍ ... وماذا نُرجِّي من ربيعٍ سقى نجْدا [4]

على أنَّه قد كانَ لِلْعَيْشِ مَرَّةً ... ولِلْبيضِ والفِتيانِ منزلةً حمدا

وقال آخر :

وإِنَّ بصَحْراء الغُوَيرِ منازِلاً ... لِأحبابنا أكرِمْ بها من منازِلِ

وفيها الذي هامَ الفُؤادُ بحِبِّها ... على أَنَّه لم يحظَ منها بطائِلِ

وقال أبو الفتح الحسن بن عبد الله بن عبد الجبار بن أبي حصينة السُّلَمي [5] :

(١) ديوانه ٢/٢٥٩ وفيه : « من شات لديه وصائف » .

(٢) في « الديوان » أغالط فيه سائلا .

(٣) هم بنو قريط بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب على ما في « جمهرة ابن حزم » : ٢٨٢ ، و « التاج » مادة : قرط ، والبيتان في « معجم البلدان » مادة : نجد ، غير منسوبين .

(٤) في « اللسان » : الصَّيِّف : المطر الذي يجيء في الصيف .

(٥) هو الحسن بن عبد الله بن أحمد بن عبد الجبار أبو الفتح بن أبي حصينة السلمي ، ولد ونشأ في معرة النعمان . كان شاعراً فحلاً مكثراً ، انقطع الى أسرة بني مرداس ملوك شمالي الشام ، فمدحهم ، فأجازوه وأحسنوا إليه فأثرى . —

سَلِ المنزلَ الغَوْريَّ أينَ خرائدُه ... وأينَ تولَّى بـدْرُه وفَراقِـدُه [١]

وإن كانَ ذاكَ الرَّبعُ مُذ بانَ أهلُه ... لَيَعْتادُهُ الوَجدُ الذي أنا واجدُه

ومن لوعةٍ من أهلِهِ لو شكوْتُها ... إليه لَلانَتْ وهي صُمٌّ جلامدُه [٢]

وقفنا به فاستَمطَرتْ كلُّ مُقلَةٍ ... عِهادَ البُكا آياتُـه ومعاهِـدُه [٣]

وأنبتَ من سُحبِ الدُّموعِ تُرابُه ... حَياً بشَّرَ النُّجاعَ بالخصبِ رائدُه [٤]

– وله ديوان شعر طبع مع شرحه لأبي العلاء المعري . قال ابن الوردي في شعره: هو السهل الممتنع ، سلس القياد ، عذب الألفاظ ، حسن السبك ، لطيف المقاصد عري عن الحشو ، توفي سنة ٤٥٧ هـ . انظر ترجمة في تاريخ ابن الوردي ٣٦٥/١ و « ارشاد الأديب » ٩٠/١٠ و « فوات الوفيات » ٢٣٩/١ .

(١) ديوانه ٢٣٤/١ ، قال أبو العلاء : قوله الخرائد : هي الحسان من النساء واحدتها خريد وخريدة ، وقالوا في الجمع : خُرُدّ ، بتشديد الراء على غير قياس ، لأن « فعلاً » جمع فاعل وفاعلة ، ولم يقولوا امرأة خارد ، ولا خاردة ، فأما « الخرد » على مثال « فُعُل » ، فعلى القياس ، مثل صحيفة وصحف .

(٢) في الديوان : « ولي لوعة » .

(٣) قال المعري : الآيات : العلامات ، واحدتها آية ، ومنه آيات القرآن ، أي : أنها علامات النبوة ، وقيل : الآية : الجماعة ، يقال : خرج القوم بآيتهم ، أي : بجماعتهم . والعهاد : أمطار في اثر أمطار ، وربما قالوا العهاد : أول الأمطار ، وهي العهود أيضاً ، قال أبو زبيد الطائي :

أصلتيٌّ تسمو العيون اليه ... مستنير كالبدر عـام العهود

(٤) النجاع : جمع ناجع : وهو الذي يطلب الكلأ .

وقال كثير بن عبد الرحمن الخزاعي :

اللشَّوقِ لمَّا هيَّجَتْكَ المنازلُ ... بحيثُ التقَتْ من بَيْنَتَيْنِ العياطِلُ [١]

تذكَّرتَ فانهلَّتْ لعيـني عَبرةٌ ... يجودُ بها جارٍ من الدَّمعِ هامِلُ [٢]

ليالي من عيشٍ نَعِمْنا بوجهِـه ... زماناً وسُعدى لي خليلٌ مواصِلُ [٣]

---

(١) ديوانه ٢٤٤/١ في الأصل « بيشـتين » والتصويب من « الديوان » و « معجم ما استعجم » و « معجم البـلدان » . والبيت الاول في « معجم ما استعجم » . والاول والثاني في « معجم البلدان » ٣٤٥/٢ .

وقوله من بينتين ، أراد بينة موضع من الجي ، والجي : وادي الرويثة الذي ذهب بأهله وهم نيام . وقال شارح الديوان : والعياطل جمع عيطل ، قال في «الاساس» وامرأة وناقة عيطل : طويلة في حسن ، ويروى الغياطل . قلت : وكذلك جاءت في « معجم ما استعجم » .

(٢) في الديوان : « فانهلت لعينك عبرة . . . . . وابل » وبعده الأبيات التالية

غوادٍ من الأشراط وطف تعلها ... روائـح أنواء الثريا الهواطلُ

وغـير آيات ببرق رُواوةٍ ... تنـائي الليالي والمدى المتطاول

ظَليات بها تغفي على حرّ عبرةٍ ... كأنك من تجريبك الدّهر جاهل

وقوله : من الأشراط . يريد : الشرطين ، قال في اللسان : الشرطان : نجمان من الحمل ، يقال لهما ! قرنا الحمل . وهما أول نجم من الربيع ، ومن ذلك صار أوائل كل أمر يقع : أشراطه . ويقال لهما : الاشراط . وطف : جمع وطفاء . يقال : سحابة وطفاء ، أي : دانية من الارض ، مسترخية لكثرة مائها . ورواوة: موضع في جبال مزينة .

(٣) في الديوان « . . لهونا . . صديق . . . » .

وقال البحتري :

لَيتَ المنازِلَ سِرْنَ يومَ مُتالع ... إذ لم يَكنْ أُنسُ الخليط مُقيما [١]

فلَرُبَّما أَرْوَتْ دُمـوعـاً من دمٍ ... فيها وأظمتْ لائماً ومَلُوما

ولقد مَنَعْتُ الدّارَ إعلانَ الهوى ... وطَويْتُ عنها سِرَّكَ المكتوما [٢]

وسَلي مُحيلَ الرَّبعِ هَلْ أبثَثْتُهُ ... إلا الوقـوفَ عليـه والتَّسليما [٣]

سُقيتِ رُباكِ بكلِّ نوءٍ عاجلٍ ... منْ وَبْلِهِ حقاً لهـا مَعْلُوما

وقال البحتري أيضاً :

نشَدْتُكَ اللهَ من برْقٍ على إضَمٍ ... إلّا سَقَيتَ جنوبَ الخَبتِ فالعَلَمِ [٤]

---

(١) ديوانه ١/١٨٥ ومتالع : بضم أوله وباللام المكسورة ، وبالعين المهملة : جبل لغني بالحمى قاله الخليل ، وقال الاصمعي : جبل بنجد وفيه عين يقال لها : الحرارة .

(٢) في الديوان بعده :

فكأنما الواشون كانوا أربعاً ... ممحّوة لعراصها ورُسوما

(٣) في الديوان بعد هذا البيت :

لم أشك حُبَّكِ بالنُّحولِ ولم أرد ... بسقام جسمي أن أكونَ سقيما

وتغيض من حَذَرِ الوشاةِ مدامعي ... فاذا خلوتُ أفضتُهُنّ سجوما

(٤) ديوانه ٢/١٦٨ من قصيدة يمدح بها عبيد الله بن يحيى بن خاقان وفيه « الحزن » موضع « الخبت » وإضم بكسر أوله ، وفتح ثانيه : واد دون المدينة ، قاله الطوسي ، وقال أبو عمرو الشيباني وابن الأعرابي : إضم جبل لأشجع وجهينة ، وقيل : واد لهم . قاله البكري .

وصُبتَ بينَهما حتى تُسيلَهُما ... بمُستَهِلٍّ من الوَسْميِّ منسَجِمِ [١]

منازلٌ ما تُجيبُ الصَّبَّ من خرسٍ ... ولا تريعُ إلى شكواه من صَمَمِ [٢]

أقامَ ينشُدُ شملاً غيرَ مُتَّفِقٍ ... من آلِ ليلى وشعباً غيرَ ملتئمِ

وقال ذو الرمة غيلان :

أأن تَرَسَّمْتَ من خرقاءَ منزلةً ... ماءُ الصَّبابةِ من عَيْنَيْكَ مَسجومُ [٣]

مَنازِلُ الحيِّ إذ لا الدَّارُ نازحَةٌ ... بالأصفياء وإذ لا العيشُ مذموم [٤]

---

(١) الوسمي : أول المطر ، وهو بعد الخريف ، لأنه يسم الأرض بالنبات ، فيصيّر فيها أثراً في أول السنة ، وأسجمت السحابة : دام مطرها . وفي « اللسان » : هل السحاب بالمطر ، وهل المطر هلاً ؛ وانهل بالمطر انهلالا واستهل : وهو شدة انصبابه ، ويقال : استهلت السماء ، وذلك أول مطرها .

(٢) تريع : تعود وترجع .

(٣) ديوانه ص : ٥٦٧ ، وفيه : « أعن » وترسمت : نظرت رسومها . والصبابة : رقة الشوق ، ومسجوم : مصبوب صباً . وفي الديوان بعد هذا البيت :

كأنها بَعْدَ أحوالٍ مضينَ لها ... بالأشيمينِ يمانٍ فيه تسهيم

أودى بها كلُّ عرّاصٍ ألث بها ... وجافِلٌ من عجاج الصيف مهجوم

ودِمنةٌ هيجت شوقي معالمُها ... كـأنها بالهِدَمْلاتِ الرواسيمُ

(٤) في الديوان بعد هذا البيت :

كادَتْ بها العينُ تنبو ثمَّ ثبتها ... معارف الدار والجون اليحاميم

هل حبل خرقاء بعد الهجر مرموم ... أم هل لها آخر الايام تكليم

أم نازحُ الوصلِ مخلاف بشيمته ... لونان منقطع منه فمصروم

لا ، غير أنا كأنا من تذكرها ... وطولِ ما قد نأتنا نزَّع هيم

تعتادُني زفراتٌ حين أذكرها   تكادُ تنقدُّ منهنّ الحيازيم (١)

وقال البحتري :

أرى بينَ مُلتفِّ الأراكِ منازلاً   مَواثلَ لو كانتْ مهاها مواثلا (٢)

فقِفْ مُسعداً فيهنّ إن كنتَ عاذِراً   وسِرْ مُبعداً عنهنّ إن كُنتَ عاذِلا

لقِينا المغاني باللِّوى فكأنّنا   لقينا الغواني الآنساتِ عواطلا (٣)

وقال القاضي أبو الفتح محمود بن إسماعيل بن قادوس (٤) منشئ ديوان الرسائل بمصر من ابتداء قصيدة :

هذي منازلُ من هَويتَ فيمّمِ   واربَعْ وسُحّ بِرَبعها دِيمَ الدّمِ

عُجنا فمن صَبٍّ بصبِّ دُموعه   دَربٍ ومن مُتعمِّلٍ متعلّمِ

وقال آخر :

وقفتُ لليلى بعدَ عِشرينَ حِجّةً   بمنزلةٍ فانهلّتِ العينُ تدمَعُ

كأنّ زماماً في الفؤاد معلّقاً   تقودُ به حيثُ استمرّت وأتبعُ

(١) في الديوان « تكاد تنفض » والحيازيم : الصـدور وما اشتمل عليه ، والحيزوم : الصدر .

(٢) ديوانه ٢/٢٠٤ من قصيدة يمدح بها محمد بن يوسف .

(٣) في الديوان « اللابسات » .

(٤) هو محمود بن اسماعيل بن حميد الدمياطي أبو الفتح المعروف بابن قادوس ، كاتب الانشاء بالديار المصرية ، وشيخ القاضي الفاضل ، وكان يلقبه بذي البلاغتين مات سنة احدى وخمسين هجرية « الخريدة » ١/٢٢٦ ، و « حسن المحاضرة » ١/٣٢٤-

وقال آخر :

ما للمنازل لا يُجبنَ حَزينا   أصَممنَ أم قدُمَ البِلى فبلينا ؟ (١)

لا بلْ بَلِينَ فهِجنَ داءً ساكِناً   لمتيّمٍ وأثرْنَ منه دفينا

روحوا العشيّةَ روحةً مذكورةً   إن متنَ متنَ وإن حيين حيينا (٢)

قلت : مرت بي هذه الأبيات في خبر استطرفته فأوردته ، وليس مما قصدتُ له ؛ لكن الأبيات أوجبت إيراده . رُوي (٣) أنّ المأمون أمرَ أن يُحملَ إليه عشرةٌ من الزّنادقة سُمّوا له من أهلِ البصْرة ، فجمعوا ، وأبصرَهم طُفَيلي ، فقال : ما اجتمع هؤلاء (٤) إلا لصنيع ، فانسلّ ، فدخل في وسطهم ، ومضى بهم الموكّلون حتى انتهوا بهم إلى زورق ، قد أُعِدّ لهم ، فدخلوا في الزّورق ، فقال الطفيلي : هي نُزهة فدخل معهم الزورق ، فلم يكن بأسرع من أن قُيّدَ القومُ ، وقُيّد معهم الطفيلي ، ثم سِيرَ بهم إلى بغداد ، فلما دخلوا على

(١) في العقد « قدم المدى فبلينا » .

(٢) رواية البيت في « العقد » :

راحوا العشية روحة منكورة   إن متن متنا أو حيين حيينا

(٣) الخبر في « العقـد الفريد » ٦/ ٢٠٨ ، ٢١١ و « نهاية الأرب » ٣/ ٣٣٤ ، و « التطفيل » للخطيب البغدادي : ٤١ باختلاف يسير في اللفظ .

(٤) في « العقد » و « التطفيل » « ما اجتمع هؤلاء ، وفي « نهاية الأرب » ما اجتمعوا .

المأمون ، جعل يدعو بأسمائهم رجلا رجلا ، ويأمر بضرب أعناقهم حتى وصل إلى الطفيلي ، وقد استوفى العِدَّة ، فقال للمتوكلين : ما هـذا ؟ قالوا : والله ما ندري غير أنّا وجدناه مع القوم فجئنا به ، فقال له المأمون : مـا قصَّتُك ويلك ومن أنت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين امرأته طالِقٌ إن كان يعرف من أقاويلهم شيئاً ، ولا مما يدينون به ، وإنما أنا رجل طفيلي رأيتهم مجتمعين فظننت صنيعاً يُدعون اليه . فضحك المأمون ، وقال : يُؤدَّب . وكان إبراهيم بن المهدي قائماً على رأسه فقال : يا أمير المؤمنين هب لي أدَبَـه ، وأحدِّثك بحديث عجيب عن نفسي . قال : قل يا إبراهيم . قال : خرجت من عندك يوماً ، وطفت في سكك بغداد متطرّباً حـتى انتهيت إلى موضع ، فشمَمْتُ من أبازير [1] قدرٍ قد فاح طيبها ، فتاقت نفسي إليهـا وإلى طيب رائحتها ، فوقفت على خياط ، فقلت : لمن هذه الدار ؟ فقال لرجـل من من التجار البزازين ، قلت : ما اسمه ؟ قال : فلانُ بنُ فلان . ثم رميتُ بطرفي إلى شباك فيها مُطِلٍّ ، فنظرت إلى كفّ قد خرج علي معصم [2] فشغلني يا أمير المؤمنين حُسنُ الكف والمعصم عن رائحة القدر ، فبقيت باهتاً ساعـة ، ثم أدركني ذهني ، فقلت للخياط : هو ممن يشرب النبيـذ ؟ قال : نعم ،

(١) الأبازير : التوابل ، فارسي معرب.

(٢) في « العقد الفريد » : فنظرت الى الدار ، فاذا بشباك فيها مطل ، فنظرت إلى كف قد خرجت من الشباك قابضة على عضد ومعصم . وفي « نهاية الأرب » « فاذا شباك فيها مطل ، وإذا كف قد خرج من الشباك ومعصم ».

وأحسب أن عنده اليوم دعوة وليس يُنادِمُ إلا تجاراً مثله مستورين .

فأنا كذلك [1] إذ أقبل رَجُلان جليلان راكبان من رأس الدَّرْبِ ، فقال لي الخياط : هؤلاء منادموه [2] ، فقلت : ما اسماهما وما كناهما ؟ فقال : فلان وفلان ، فحركت دابتي وداخلتهما ، فقلت : جُعِلتُ فداكما قد استبطأكما أبو فلان ، حرسه الله ، وسايرتهما حتى أتيا الباب ، فأجلّاني وقدّماني ، فدخلت ودخلا ، فلما رآني معهما صاحب المنزل ، لم يَشُكَّ أني منهما بسبيل ، أو قادم قدم عليهما من موضع ، فرحب بي ، وأجلسني في أفضل المواضع ، فجيء يا أمير المؤمنين بالمائدة وعليها خبز نظيف ، وأتينا بذلك اللون ، فكان طعمُه أطيب من ريحـه [3] ، فقلت في نفسي : هذه الألوانُ قد أكلتها بقيت الكف كيف أصل إلى صاحبتها ؟ ثم رُفِع الطعام ، وجيء بالوَضوء ، ثم صرنا إلى مجلس الشراب والمنادمة ، فإذا أشكلُ منزل يا أمير المؤمنين ، وجعل صاحب المنزل يلطف بي ، ويُقبل [4] عليَّ بالحديث ، وجعلوا لا يشكّون أن ذلك منه عن معرفة متقدمة ، حتى إذا

(١) في العقد « فبينا أنا كذلك » وفي « النهاية » « فاني لكذلك » .

(٢) في « النهاية » هؤلاء منادماه .

(٣) في « العقد » و « النهاية » وأتينا بتلك الألوان ، فكان طعمها أطيب من ريحها .

(٤) في « العقد » : « ويميل » .

شربنا أقداحاً ، خرجت علينا جاريةٌ ، كأنها جان [1] تنثني كالخيزران ، فأقبلت ، فسلمت غير خَجِلةٍ ، وثنيت لها وسادة ، فجلست ، وأُتي بعود ، فوضع في حجرها فجسَّته فتوهَّمت [2] في جسها حِذْقها ، ثم اندفعت تغني :

توهَّمها طرفي فأصبح خدُّها ... وفيه مكانَ الوَهْمِ من نظري أثْرُ [3]
يُصافحُها كفّي فتألَمُ كفُّها ... فمِنْ مسِّ كفّي في أناملِها عقْرُ [4]

فهيَّجت يا أمير المؤمنين بلابلي ، وطربتُ لحسن الشّعر وحذقها ، ثم اندفعَتْ تغنّي :

أشرْتُ إليها هَلْ عرفتِ مودَّتي ... فردَّتْ بطرفِ العين إنّي على العهْدِ
فحِدْتُ عن الإظهارِ عَمْداً لِسرِّها ... وحادَتْ عن الإظهارِ أيضاً على عَمْد

فصحت : السلاح [5] يا أمير المؤمنين ، وجاءني من الطَّربِ ما لم أملك نفسي [معه] [6] ثم اندفعَتْ تغني الصَّوتَ الثالث :

أليسَ عجيباً أنَّ بيتاً يَضُمُّني ... وإيَّاكِ لا نخلو ولا نتكلَّمُ

(١) في « نهاية الأرب » « كأنها بدر » .
(٢) في « العقد » و « النهاية » « فاستبنت » .
(٣) الأثر : أثر الجرح يبقى بعد البرء .
(٤) في « العقد » « وصافحها كفي فآلم كفَّها » والعقر : الجرح .
(٥) وفي « النهاية » « فصحت يا أمير المؤمنين وجاءني ... »
(٦) الزيادة من « نهاية الأرب » .

سِوى أعيُنٍ تشكو الهوى بجفونها ... وتَقطِيعِ أنفاسٍ على النار تُضْرَمُ [1]
إشارةِ أفواهٍ وغمْزِ حواجبٍ ... وتكسيرِ أجفانٍ وكفٍّ تُسلِّم

فحسدتُها والله يا أمير المؤمنين على حذقها ومعرفتها بالمعنى الذي قصدته من الشعر ، ولم تخرجْ عن الفنِّ الذي بدأت به ، فقلت : بقي عليكِ ياجارية ، فضربت بعودها الأرض ، وقالت : متى كنتم تحضِرون مجالِسكم البغضاء ؟ فندمتُ على ما كانَ مني ، ورأيتُ القوم كأنَّهم قد تغيروا لي ، فقلتُ : أما عندكم عودٌ غيرُ هذا ؟ قالوا : بلى . وأُتيتُ بعودٍ ، فأصلحتُ من شأنه ثم غنيت :

ما للمنازلِ لا يُجِبْنَ حزيننا - الأبيات - التي تقدمت فما استتممته [2] يا أمير المؤمنين حتى قامت الجارية ، فانكبت [3] على رِجْليَّ تُقبِّلهما وقالت : معذرة إليك ياسيدي ، فوالله ماسمعتُ أحداً يُغني هذا الصوتَ غناءَك ، وقام مولاها ، وأهل المجلس ففعلوا كفعلها ، وطربَ القوم ، واستحثوا الشرب [4] فشربوا بالطاسات والكاسات ، ثم اندفعتُ أغني :

أبى اللهُ أن أُمسي ولا تَذْكُرِينَني ... وقد سَجَمَتْ عيناي من ذِكْرِكِ الدّما [5]

(١) في « النهاية » « وتقطيع أكبادٍ » .
(٢) في « العقد » « فما أتممته » .
(٣) في « العقد » و « النهاية » « فأكبت » .
(٤) في « العقد » « الشراب » .
(٥) في « العقد » : « أفي الحقّ أن تمسي ولا تذكريني ... وقد سفحت » « وفي النهاية » « أن تمشي ولا تذكرني وقد همت » .

إلى الله أشكو بُخْلَها وسماحتي　　لها عسل مني وتبذُلُ علقما

فرُدِّي مُصابَ القلب أنتِ قَتَلْتِهِ　　ولا تَتْرُكيهِ ذاهِلَ القلب مغرما [1]

فطرِبَ القوم ياأميرَ المؤمنين حتى خرجوا من عقولهم ، فأمسكتُ عنهم ساعة حتى تراجعوا ، ثم غنيت الصوت الثالث [2] :

هذا محبُّكِ مَطْويٌّ على كَمَدِهْ　　عَبْرى مدامِعُه تَجري على جَسَدِهِ [3]

لَهُ يَدٌ تسألُ الرَّحمنَ رَحمَته　　مما به ويدٌ أُخرى على كَبِدِهِ [4]

فجعلت الجاريةُ تصيح : هذا الغناء والله ياسيدي لا ما كنا فيه منذ اليوم ، فسَكِرَ القوم . وكان صاحبُ المنزل حسنَ الشرب ، صحيح العقل فأمر غلمانه أن يخرجوهم ، ويحفظوهم إلى منازلهم ، وخلوت معه ، فلما شربنا أقداحاً ، قال : ياسيدي ذهب ما مضى من أيامي ضياعاً إذ كنت لا أعرفك ، فمن أنت يامولاي ؟ فلم يزل يُلِحُّ عليَّ حتى أخبرتُه [الخبر] ، فقام وقبَّل رأسي وقال : وأنا أعجب ياسيدي أن يكون هذا الأدب إلا لمثلك ، وإني لجالس مع الخلافة ولا أشعر ، ثم سألني عن قصتي ، فأخبرته حتى وصلت [5] إلى صاحبة الكفِّ والمِعْصَم فقلت : أما الطعام ، فقد نلت منهُ

(١) في « العقد » و « النهاية » « ذاهل العقل » .

(٢) في « العقد » « ثم اندفعت أُغني الثالث » .

(٣) في « العقد » « جرى مدامعه » وفي « النهاية » « مطوياً » .

(٤) في « العقد » « .. تسأل الرحمن راحته بما جنى » .

(٥) في « النهاية » « بلغت » .

حاجتي ، وبقي الكف ، والمعصم ، فقال للجارية : قومي فقولي لفلانة : تنزل إليَّ ، فلم يزَلْ يُنزل إلي جواريه واحدة واحدة ، فأنظر كفَّها ومعصمها ، فأقول : ليس هي حتى قال : والله ما بقي غير أختي وأمي ، وبالله لأنزلنهما إليك فعجبت من كرمه وسعة صدره ، فقلت : جعلت فداكَ إبدأ بالاخت قبل الأم ، فعسى أن تكون هي ، ففعل ، فلما رأيت كفَّها ومِعْصَمَها قلت : هي هذه ، فأمر غلمانه ، فساروا إلى عشرة مشايخ من جِلَّةِ جيرانه ، فأقبلوا بهم ، وأمر ببدرتين فيهما عشرون ألف درهم ، ثم قال للمشايخ : هذه أختي فلانة ، أُشهِدُكم أني قد زوجتها من سيدي ابراهيم بن المهدي ، وأمهرتها عنهُ عشرين ألف درهم ، فرضيتْ ، وقبلتِ النكاح ، فدفع إليها بدرةً ، وفرق الأخرى على المشايخ ، وقال لهم : انصرفوا . ثم قال : ياسيدي أُمهِّدُ لك بعض البيوت ، فتنام فيه مع أهلك ، فأحشمني ما رأيت من كرمه ، فقلت : بل أحضر عمارِيَّةً [1] فاحملها إلى منزلي قال : ماشئت . فأحضرت عماريَّة ، فحملتها إلى منزلي ، فوالله ياأمير المؤمنين لقد أتبعنا من الجهاز ماضاقت عنه [بعض] بيوتنا ، فأولدتها هـذا الغلام القائم على رأس أمير المؤمنين . فعجب المأمون من كرم الرجل ، وألحقه في خاصته ، وأطلق الطفيلي وأجازه .

(١) العمارية : هودج يجلس فيه .

وقال بشر بن أبي خازم :

تَغَيَّرَتِ المنازلُ مِنْ سُلَيْمى ... بِرامَةَ فالكَثيبِ إلى بُطاحِ [1]

دِيارٌ قد تَحُلُّ بها سُلَيْمى ... هضيمَ الكَشْحِ جائلةَ الوِشاحِ [2]

لَيالِيَ تَسْتَبيكَ بِذي غُرُوبٍ ... يُشَبَّهُ ظَلْمُهُ خَضِلَ الأقاحِ [3]

وقال مهيار :

هَلْ عند ظَبْيِ المنحنى ... إجابةٌ فَيُسْأَلا [4]

أَمْ أنا مَعْذورٌ إذا ... سأَلْتُ عَنْهُ الطَّلَلا

بلى عَدِمْتُ النّازِلِيـ ... ـنَ فَبَكَيْتُ المَنْزِلا [5]

عَثَرْتَ في عَذْرِكَ بي ... عَثْرَةَ مَن لا وَأَلا

كانَ دَلالاً فَغَفَرْ ... ناهُ فتمَّ مَلَلا

---

(١) ديوانه : ٤٣ . ورامة والكثيب وبطاح : أسماء مواضع .

(٢) هضيم الكشح : دقيقة الخصر . جائلة الوشاح : وشاحها يجول في وسطها لدقة خصرها .

(٣) تستبيك : تأسرك وتذهب بعقلك . بذي غروب : بفم ذي غروب ، والغروب ، جمع غرب ، وغرب الفم : كثرة ريقه وبلله . والظلم : الماء الذي يجري ويظهر على الأسنان من صفاء اللون لا من الريق كالفرند ، حتى يتخيل لك فيه سواد من شدة البريق والصفاء ، قاله في « اللسان » .

(٤) ديوانه ٣ / ١٤٣ من قصيدة كتب بها إلى عميد الكفاة أبي سعد بن عبد الرحيم في المهرجان ، وفيه « من جائِدٍ فَيُسْأَلا » . والبيت الخامس لم يرد في الديوان .

(٥) في الديوان بعد هذا البيت :

يا أمَّ ذاتِ الوَدْعِ تُرْ ... عيها الجَناب المبقلا

والودع : خرز بيض تخرج من البحر تتفاوت في الصغر ، والمراد به القلادة .

فصل

في ذكر الدّيار

قال الله تبارك وتعالى : (وإذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُم لا تَسْفِكُونَ دِماءَكُم ولا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُم مِنْ دِيارِكُم [ثم أَقْرَرْتُم وأَنتم تَشْهَدُون]) . [البقرة : ٨٤] .

قال الخليل : كلُّ مَوضِعٍ حلَّه قومٌ ، فهو دارٌ ، وإن لم تكُنْ فيه أَبْنِيَةٌ ، وسُمِّيَتْ داراً لِدَوْرِها على سُكّانِها ، كما سُمِّيَ الحائطُ حائطاً لإحاطته على ما يحويه [1] .

قال القاضي الماوردي رحمه الله :

إن قيل : هَلْ يَسْفِكُ أَحَدٌ دَمَه ، ويُخرِج نفسه من دياره ؟ ففيه قولان . أحدهما : معناه لا يَقْتُلْ بَعْضُكُم بعضاً ، ولا يُخرِجْهُ من دياره .

والثاني : أنه القِصاصُ الذي يُقْتَصُّ منهم بمن قتلوه ، فصاروا قاتلين لأنفسهم بالقِصاص [2] .

---

(١) انظر كلام الخليل هذا في « القرطبي ٢٢ / ١٨ . وفي « اللسان » وقال ابن جني : هي من دار يدور لكثرة حركات الناس فيها .

(٢) في الطبري ٢ / ٣٠٠ فإن قال قائل : وما معنى قوله : (لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) ؟ وقال : أو كان القوم يقتلون أنفسهم ، ويخرجونها من ديارها ، فنهوا عن ذلك ؟ قيل : ليس الأمر في ذلك على ما ظننت ، —

وقوله تعالى : (ولا تُخرِجونَ أنفُسَكُم من دِيارِكُم) فيه ثلاثة أقاويل.

أحدها : لا يُخرج بعضكم بعضاً . والثاني : لا تسيئوا جِوارَ مَنْ جاوَرَكُم فتلجؤوهم إلى الخروج من دِيارِكُم . والثالث ، لا تفعلون ما تخرجون به من الجنة التي هي داركم .

قوله عز وجل : (هو الذي أخرَجَ الذينَ كَفَروا مِنْ أَهلِ الكِتابِ مِنْ دِيارِهِم لِأَوَّلِ الحَشْرِ ما ظَنَنْتُم أَنْ يَخْرُجوا وَظَنّوا أَنَّهُم مانِعَتُهُم حُصُونُهُم من اللهِ فأتاهُمُ اللهُ مِنْ حَيثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وقذفَ في قُلُوبِهِمُ الرُّعبَ

ولكنهم نهوا عن أن يقتل بعضهم بعضاً ، فكان في قتل الرجل منهم الرجل قتلُ نفسه ، إذ كانت ملتها واحدة ، فهما بمنزلة رجل واحد ، كما قال عليه السلام: « انما المؤمنون في تراحمهم وتعاطفهم بينهم بمنزلة الجسد الواحد إذا اشتكى بعضه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » وقد يجوز أن يكون معنى قوله (لاتسفكون دماءكم) لا يقتل الرَّجُلُ منكم الرَّجُلَ منكم ، فيُقادَ به قصاصاً ، فيكون بذلك قاتلاً نفسه ، لأنه كان الذي سبب لنفسه ما استحقت به القتل ، فأضيف بذلك إليه قتلُ ولي المقتول إياه قصاصاً بوليه ، كما يقال للرجل يركب فعلاً من الأفعال يستحق به العقوبة ، فيعاقب العقوبة : « أنت جنيت هذا على نفسك » .

يُخَرِّبونَ [1] بُيُوتَهُم بأيديهم وأَيْدي المؤْمنين فاعْتَبِروا يا أُولي الأبصار) [2] [الحشر : ٢] .

(أخرجَ الذين كفروا من أهل الكتاب) يعني يهود بني النضير (من ديارهم) ، يعني من منازلهم بالحجاز (لأول الحشر) أجلاهم رسول الله

---

(١) هكذا ضبطت الراء في الأصل بالتشديد وهي قراءة أبي عمرو بن العلاء البصري ، وسائر القراء على التخفيف فقد جاء في « الطبري » ٢٨ / ٣٠ : واختلفت القرّاء في قراءة ذلك ، فقرأته عامّة قراء الحجاز والمدينة والعراق سوى أبي عمرو « يُخْرِبون » بتخفيف الراء ، بمعنى يخرجون ، ويتركونها معطّلة خراباً ، وكان أبو عمرو يقرأ ذلك « يخرّبون » بالتشديد ، بمعنى يهدمون بيوتهم ، وقد ذكر عن أبي عبد الرحمن السلمي ، والحسن البصري ، أنهما كانا يقرءان ذلك نحو قراءة أبي عمرو ، وكان ابو عمرو فيما ذكر عنه يزعم أنه إنما اختار التشديد في الراء ، لما ذكرت من أن الاخراب إنما هو ترك ذلك خراباً بغير ساكن ، وإن بني النضير لم يتركوا منازلهم ، فيرتحلوا عنها ، ولكنهم خربوها بالنقض والهدم ، وذلك لا يكون فيما قال إلا بالتشديد . وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندي قراءة من قرأه بالتخفيف ، لاجماع الحجة من القراء عليه ، وقد كان بعض أهل المعرفة بكلام العرب يقول : التخريب والاخراب بمعنى واحد ، وإنما ذلك في اختلاف اللفظ لا اختلاف في المعنى .

(٢) في البخاري ٨ / ٤٨٣ . ومسلم ٤ / ٢٣٢٢ عن سعيد بن جبير قال :قلت لابن عباس : فالحشر ؟ قال : نزلت في بني النضير .

صلى الله عليه وسلم بعد رجوعه من أُحد إلى أذْرِعاتِ الشام [1] ، وأعطى كلَّ ثلاثةِ نفرٍ بعيراً يحملون عليه ما استقلَّ إلا السلاحَ . وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد عاهدهم حين هاجر إلى المدينة أن لا يقاتلوا معه ولا عليه ، فكَفُّوا يومَ بدر ، لظهور المسلمين على المشركين ، وأعانوا المشركين يوم أُحد حين رأوا ظهورهم على المسلمين .

فقتل رئيسُهم كعبُ بن الأشرف ، قتلهُ محمد بن مسلمة رحمه الله غِيلةً ، وسأذكر قتله بعد الفراغ من تفسير هذه الآية . ثم سار النبي صلى الله عليه وسلم ، فحاصرهم ثلاثاً وعشرين ليلة محارباً حتى أجلاهم عن ديارهم .

وقوله تعالى : (لأول الحشر) انهم أول من أجلاه النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود ، وقيل : أول حشرهم : أنهم يحشرون بعدها إلى أرض المحشَر في القيامة . وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لما أجلاهم : « هذا أول الحشر وإنّا على الأثر » [2]

وقيل : أول حشرهم لما ذكره قتادة رحمهُ الله أنهم يأتي عليهم بعد ذلك نار من مَشرِق الشمس تحشُرُهم إلى مَغرِبها تبيتُ معهم إذا باتوا ، وتأكل من تخلّف .

(١) انظر تفسير الآية في ابن كثير : ٤ / ٣٣٠ ، فقد ذكر أن طائفة منهم ذهبوا إلى أذرعات ، وطائفة ذهبت الى خيبر .

(٢) رواه ابن جرير : ٢٨ / ٢٩ عن محمد بن بشار عن ابن أبي عدي عن عوف عن الحسن قال : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما أجلى بني النضير : « امضوا فهذا أول الحشر وإنّا على الأثر » . ورواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الأشج : حدثنا أبو أسامة عن عوف عن الحسن به واسناده صحيح ، لكنه مرسل .

قتل كعب بن الأشرف [1]

كان قتل كعب بن الأشرف في ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهراً من الهجرة .

قال ابن إسحاق رحمه الله : كان من حديث كعب بن الأشرف ، أنه لما أصيب أصحاب بدر ، قدم زيدُ بن حارثة رحمه الله ، إلى أهل السافلة ،

(١) في « الفتح » قال ابن اسحاق وغيره : كان عربياً من بني نبهان ، وهم بطن من طيىء ، وكان أبوه أصاب دماً في الجاهلية ، فأتى المدينة ، فحالف بني النضير ، فشرف فيهم ، وتزوج عقيلة بنت أبي الحُقيق ، فولدت له كعباً ، وكان طويلا جسيماً ذا بطن وهامة ، وهجا المسلمين بعد وقعة بدر ، وخرج الى مكة ، فنزل على ابن وداعة السهمي والد المطلب ، فهجاه حسان ، وهجا امرأته عاتكة بنت أسيد ابن أبي العيص بن أميّة فطردته ، فرجع كعب إلى المدينة ، وتشبب بنساء المسلمين حتى آذاهم . وروى ابو داود والترمذي من طريق الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه : أن كعب بن الاشرف كان شاعراً ، وكان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويحرض عليه كفار قريش ، وكان النبي قدم المدينة وأهلها أخلاط ، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم استصلاحهم ، وكان اليهود والمشركون يؤذون المسلمين أشد الاذى ، فأمر الله رسوله والمسلمين بالصبر . فلما أبى كعب أن ينزع عن أذاه ، أمر رسول الله ﷺ سعد بن معاذ أن يبعث رهطاً ليقتلوه . وذكر ابن سعد ان قتله كان في ربيع الاول من السنة الثالثة . قلت : وخبر مقتل كعب في صحيح البخاري ٧ / ٢٥٩ ، وصحيح مسلم ٣ /١٤٢٥ ، وتاريخ الطبري ٢ / ٤٨٧ ، وطبقات ابن سعد ٣ / ٣١ ، وسيرة ابن هشام ٢ / ٥١ ، والبداية والنهاية ٤ / ٥ .

وعبدالله بن رواحة رحمه الله ، إلى أهل العالية بشيرين ، بعثهما رسول الله ﷺ إلى مَنْ بالمدينة من المسلمين بفتح الله تعالى عليه ، وقتل من قتل من المشركين .

قال كعب بن الأشرف ـ وكان رجلاً من طيئٍ ، ثم أحد بني نبهان وكانت أمه من بني النضير ـ حين بلغه الخبر : أحق هذا ؟ أترون محمداً قتل هؤلاء الذين يسمّي هذان الرجلان ؟ ـ يعني زيد بن حارِثة ، وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهما ـ فهؤلاء أشراف العرب ، وملوك الناس ، والله لئن كان محمَّد أصاب هؤلاء القوم لبطنُ الأرض خيرٌ من ظهرها . فلمَّا تيقَّن عدو الله الخبر ، خرج حتى أتى مكة ، فنزل على المطلب بن أبي وداعة بن ضبيرة السهمي ، وعنده عاتكة ابنة أبي العيص بن أميَّة بن عبد شمس بن مناف ، فأنزله وأكرمه . فجعل يحرّضُ على رسول الله ﷺ ، ويُنْشِدُ الأشعار ويبكي أصحاب القَليب من قريش الذين أُصيبوا ببدر . فمن ذلك قوله :

طَحَنَتْ رَحى بَدْرٍ لِمَهْلِكِ أَهْلِها ولِمِثْلِ بدرٍ تَسْتَهِلُّ الأَدْمُعُ [١]

قُتِلَتْ سَراةُ النَّاس حَولَ حِياضِهِم لا تَبْعَدوا إِنَّ الملوكَ تُصرَّعُ [٢]

---

(١) في دلائل النبوة للبيهقي ورقة : ٢٧ وجه أول . وسيرة ابن هشام : « أهله . . . . . . وتدمع » ورحى الحرب : معظمها ومجتمع القتال ، ويقال : استهل المطر والدمع : إذا سالا .

(٢) سراة الناس : أشرافهم ، وبَعِدَ يَبْعَدُ : هلك .

كم قد أُصيب به من ابيضَ ماجِدٍ ذي بَهْجَةٍ يأوي إليه الضُّيَّعُ [١]

طَلْقُ اليَدَيْنِ إذا الكواكبُ أخْلَفَتْ حَمَّالُ أثقالٍ يَسودُ ويُرفَعُ [٢]

ويقولُ أقوامٌ أُسَرُّ بسُخْطِهِم إنَّ ابنَ الاشرفِ ظل كعبٌ يجزَعُ [٣]

صَدَقوا فلَيْتَ الأرض ساعةَ قُتّلوا ظَلَّتْ تسوخُ بأهْلِها وتُصَدَّعُ

صارَ الذي أَثَرَ الحديثَ بطَعْنَةٍ أو عاشَ أعْمى مُرْعَشاً لا يَسْمَعُ

نُبِّئتُ أنَّ بني المغيرةِ كلَّهم خَشَعوا لقَتْلِ أبي الحكيم وجُدِّعوا [٤]

---

(١) الماجد : الشريف ، والبهجة : حسن الظاهر ، والضُّيَّع : جمع ضائع، وهو الفقير .

(٢) في « السيرة » « ويربع » وهي أعلى وأجود أي : يأخذ الربع ، يريد أنه كان رئيساً ، لأن الرئيس في الجاهلية كان يأخذ ربع الغنيمة . وطلق اليدين : كثير المعروف كريم . وأخلفت : أي لم يكن معها مطر .

(٣) في الاصل « أثير » وهو خطأ . وفي السيرة « إن ابن الاشرف ظلّ كعباً يجزع » أراد : إن ابن الاشراف كعباً ظل يجزع ، وعلى هذا يكون « كعباً » بدلا من « ابن الاشرف » وعلى رواية الاصل يكون اسم ظل ، وكان حقه ان يكون مضمراً فأظهره كقوله :

سعاد التي اضناك حبُّ سعادا وإعراضها عنك استمر وزادا

(٤) في الأصل تحت كلمة « أبي الحكيم » يعني أبا جهل. والتجديع : قطع الأنف، وأراد به هنا ذلهم وذهاب عزهم . وفي السيرة بعد هذا البيت :

وابنا ربيعة عنده ومنبّه مانال مِثْل المهلكين وتُبَّعُ

نُبِّئتُ أنَّ الحارثَ بنَ هِشامِهِم ... في النّاس يبني الصالحاتِ ويجمعُ

لِيَزُورَ يَثْرِبَ بالجموعِ وإنَّما ... يحمي عن الحسَبِ الكريمِ الأرْوَعُ [1]

ثم رجَعَ كعبُ بنُ الأشرف إلى المدينة ، فشبَّب بأمِّ الفضل بنت الحارث [2] فقال :

أراحِلُ أنتَ لَمْ تُلْمِمْ بِمُنْتَبِهِ ... وتاركٌ أنتَ أمَّ الفضل بالحَرَمِ ؟ [3]

ترتَجُّ ما بين كعْبَيْها ومرفقِها ... إذا تأتَّتْ قيامـاً ثُمَّ لم تَقُمِ [4]

أشباهُ أمِّ حكيمٍ إذْ تُواصِلُنا ... والحَبْلُ منها متينٌ غيرُ مُنْجَذِمِ

إحدى بني عامرٍ هامَ الفؤادُ بها ... ولو تَشاءُ شَفَتْ كعباً من السَّقَمِ [5]

(١) في السيرة : « يحمى على » والأروع : الذي يروعك بحسنه وجماله

(٢) هي لبابة بنت الحارث الهلالية أخت ميمونة زوجة النبي ﷺ ، وزوجة العباس بن عبد المطلب ، وأم أكثر بنيه ، يقال: إنها أول امرأة أسلمت بعد خديجة، فكان النبي ﷺ يزورها ويقيل عندها ، وروت عنه أحاديث كثيرة أخرج حديثها الجماعة وكانت من المنجبات ، قال ابن حبان : ماتت في خلافة عثمان قبل زوجها العباس . انظر « الاستيعاب » ١٩٠٧/٤ ، «والاصابة» ٤٦١/٤ ، « وتهذيب التهذيب » ٤٤٩/١٢ .

(٣) في الطبري : « لم تحلل بمنقبة » وبعد البيت

صفراءُ رادِعة لو تُعْصَرُ انعَصَرتْ ... من ذي القوارير والحِنّاءِ والكَتَمِ

(٤) في الأصل «تأنت » وما أثبته هو ما جاء في تاريخ ابن جرير .

(٥) في الطبري : «جُنّ »

فَرْعُ النِّساءِ وفرعُ القومِ والدُها ... أهـلُ المحلَّةِ والإيفاءِ بالذِّمَمِ [1]

لم أرَ شَمْساً بليلٍ قَبْلَها طَلَعتْ ... حتى تجلَّت لنـا في ظُلْمَةِ الظُّلَمِ [2]

ثم شبَّب بنساء المسلمين حتى آذاهم . فقال رسول الله ﷺ : « من لي من ابن الأشرف » ؟ فقال محمد بن مسلمة [3] رحمه الله : أنا لك به يا رسول الله ، أنا أقتله . قال : « فافعل إن قدرت على ذلك » فرجع محمد فمكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلا ما يُعلِّقُ به نفسه ، فذُكِر ذلك لرسول الله ﷺ ، فدعاه فقال له : « لِمَ تركت الطعام والشراب » ؟ قال : يا رسول الله قلت لك قولاً لا أدري أوفي لك به أم لا ؟ قال : « إنما عليك الجَهْد » قال : يا رسول الله إنّه لابدَّ أن نقول . قال : « قولوا ما بدا لكم ، فأنتم في حِلٍّ من ذلك » فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة ، وأبو نائلة سِلكان بن سَلامـة بن وَقْش [4] وكان

(١) في الطبري « أهل التحلَّة »

(٢) في الطبري : «في ليلة »

(٣) هو أبو عبد الرحمن محمد بن مسلمة الأوسي الأنصاري الحارثي صحابي جليل ، شهد المشاهد بدراً وما بعدها إلا غزوة تبوك . قال ابن عبد البر : كان من فضلاء الصحابة ، واستخلفه النبي ﷺ على المدينة في بعض غزواته ، وكان ممن اعتزل الفتنة ، فلم يشهد الجمل ولا صفين . مات بالمدينة سنة ثلاث واربعين هـ . انظر «الاصابة» ٣٦٣/٣ ، و«الاستيعاب» ١٣٧٧/٣ .

(٤) هو أبو وائل سلكان بن سلامة بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل الأنصاري الأشهلي ، شهد أحداً وغيرها ، وكان شاعراً ، ومن الرماة المشهورين.

أخا كعب بن الأشرف من الرضاعة ، وعبَّاد بن بشر بن وقش[١] والحارث بن أوس بن معاذ[٢] ، وأبو عبس بن جَبْر[٣] رضي الله عنهم . ثم قدَّموا إلى (عدو الله) كعب بن الأشرف قبل أن يأتوه أبا نائلة ، فجاءه فتحدث معهُ ساعة ، وتناشدا الأشعار[٤] وكان أبو نائلة يقول الشعر ، ثم قال :

(١) هو أبو الربيع عباد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل الأنصاري الأشهلي ، أسلم بالمدينة على يد مصعب بن عمير ، وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها ، وكان من فضلاء الصحابة ، روى البخاري عن عائشة قالت : ثلاثة من الأنصار لم يكن أحدٌ يعتدُّ عليهم فضلاً ، كلهم من بني عبد الأشهل ، سعد بن معاذ ، وأسيد بن حضير ، وعباد بن بشر ، قتل يوم اليمامة شهيداً وهو ابن خمس وأربعين سنة ، وكان له يومئذ بلاء وغناء .

(٢) هو الحارث بن أوس بن معاذ بن النعمان بن امرىء القيس بن زيد ابن عبد الأشهل بن أخي سعد بن معاذ سيد الأوس ، شهد بدراً ، وقتل يوم أحد شهيداً ، وكان يوم قتل ابن ثمان وعشرين سنة .

(٣) هو عبد الرحمن بن جبر - ويقال ابن جابر - ابن عمرو بن زيد بن جشم ابن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس الانصاري الحارثي . شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول ﷺ ، وهو معدود في كبار الصحابة من الأنصار ، مات سنة أربع وثلاثين ، وهو ابن سبعين سنة ، صلى عليه عثمان ، ودفن بالبقيع .

(٤) في البخاري ومسلم أن الذي خاطب كعباً هو محمد بن مسلمة ، قال ابن حجر : والذي عند ابن إسحاق وغيره من أهل المغازي أنه ابو نائلة ، وأومأ الدمياطي إلى ترجيحه ، ويحتمل أن يكون كل منهما كلمه في ذلك ، لان أبا نائلة أخوه من الرضاعة ، ومحمد بن مسلمة ابن أخته .

ويحك يا ابن الأشرف إني قد جئتك بحاجة أريد ذكرها لك فاكتُم عني . قال : أفعل . قال : كان قدومُ هذا الرجل علينا بلاءً من البلاء ، عادَتْنا العربُ ورَمَوْنا عن قَوْسٍ واحدة ، وقطعت عنا السُّبُل حتى ضاع العيال ، وجَهِدَتِ الأنفسُ ، وأصبحنا قد جَهِدنا وجَهِدَ عيالُنا . فقال كعب : أنا ابن الأشرف أما والله لقد كنت أخبرك يا ابن سلامة أن الأمر سيصير إلى ما أقول . فقال له أبو نائلة : ومعي رجال من أَصحابي على مثل رأيي ، وقد أردت أنْ آتيك بهم ، فنبتاع منك طعاماً ، فتُحْسِنَ من ذلك إلينا ، ونرهنك ما يكون لك فيه وفاء . فقال كعب : ما كنت أُحِبُّ يا أبا نائلة أَن أرى هذه الخصاصة بك ، وإن كنتَ لَمِنْ أكرَمِ الناس عليَّ ، أنت أخي نازعتني الثدي ، فاصدقني ذاتَ نفسك ، ما الذي تريدون في أمره ؟ قال : خذلانه والتنحي عنه . قال : سررتني يا أبا نائلة فما ترهنوني ؟ أَترهنوني أبناءكم ؟ قال : لقد أردت أن تفضحنا . قال : أترهنوني نساءكم ؟ قال : كيف نرهنُك نساءنا وأنت أشبُّ أَهْل يثرِبَ وأعطرُهم ، ولكنَّا نرهنُك من الحَلْقَةِ[١] ما فيه وفاء . وأراد أَبو نائلة أن لا ينكر السلاح إذا جاؤوا به . قال : إن في الحلقة لوفاءً ، فخرج أبو نائلة من عنده على ميعاد ، فأجمعوا أَمرهم على أن يأتوه إذا أمسى لميعاده ، ثم أتوا النبي ﷺ عشاء فأخبروه . قال ابن اسحاق : فمشى معهم رسول الله ﷺ إلى البقيع ، ثم وجههم فقال :

(١) الحلقة هنا : السلاح كله .

«انطلقوا على اسم الله ، اللهم أعنهم » ثم رجع رسول الله ﷺ إلى بيته
[وهو في ليلة مُقمِرة] فأقبلوا حتى انتهوا إلى حِصْنه، فهتف به أبو نائلة ،
وكان كعب حديثَ عَهْدٍ بعُرْسٍ ، فوثب في ملحفته ، فأخَذَتْ امرأتُه
بناحيتها ، وقالت : إنك امرؤ محارب ، وإن أصحاب الحرب لا ينزلون في
هذه الساعة . فقال : إنه أبو نائلة لو وجدني نائماً ما أيقظني . قالت : والله
إني لأعرف في صوته الشرَّ ، فقال : لو يُدعى الفتى لطعنةٍ أجابا . فنزل
فتحدَّثَ معهم ساعة ، وتحدَّثوا معه ، ثم قالوا له : هل لك يا ابن الأشرف
أن نتماشى إلى شِعْبِ العجوز [1] فنتحدث به بقية ليلتنا هذه . قال : إنْ
شئتم ، فخرجوا يتماشَوْنَ ، فمَشَوْا ساعة ، ثم إن أبا نائلة أدخل [2] يده في
فَوْدَيْ رأسِ كعْبٍ ، ثم شمَّ يدَه فقال : ما رأيتُ كالليلةِ طيباً أعطرَ قطُّ .
ثم مشى ساعة، ثم عاد لمثلها حتى اطمأن، ثم مشى ساعة ، ثم عاد لمثلها ، فأخذ
بفودِه ساعة ، ثم قال : اضربوا عدو الله فضربَوه فاختلفت عليه أسيافهم فلم
تغن شيئاً . قال محمد بن مسلمة : فذكرت مِغْوَلاً [3] في سيفي حين رأيت
أسيافنا لا تغني شيئاً ، فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يَبْقَ حولنا

(١) شعب العجوز : موضع بظاهر المدينة ، ذكره ياقوت ، وقال : قتل عنده كعب بن الأشرف .

(٢) في «سيرة ابن هشام » شام ، وهما بمعنى .

(٣) المغول : السكين التي تكون في السوط .

حِصنٌ إلا [وقد] أُوقِدَت عليه نارٌ ، فوضعته في ثُنَّته [1] وتحاملت عليه
حتى بلَغَتْ عانَته ، فوقع عدوُّ الله ، فاحتُز رأسه . وقد أُصيبَ الحارثُ بنُ
أوس بن معاذ ، فجرح في رجلِه ، أصابه بعض أسيافنا . قال : فخرجنا
حتى [سلَكنا على بني أميَّةَ بن زيد ، ثم على بني قريظة ، ثم على بُعاث] [2]
حتى أسندنا في حرَّةِ العُرَيْض [3] وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارثُ بنُ أوس ،
ونزفه الدَّمُ ، فوقفنا له ساعة حتى أتانا يتبع آثارنا ، فحملْناه فجئنا به
رسول الله ﷺ . قال الواقدي : فلما بلغوا ببقيع الغرقد ، وقد قام رسول
الله ﷺ تلك الليلة يصلي ، فلما سمع تكبيرهم بالبقيع ، كبر وعرف أن
قد قتلوه . ثم أتوا النبي ﷺ ، وهو واقف على باب المسجد فقال : « أفلحت
الوجوه ». قالوا : ووجْهُكَ يا رسولَ الله ، ورَمَوْا برأْسِ كعبٍ بين يديهِ ،
فحمِدَ الله على قتله . ثم أتوا بصاحبهم الحارث ، فتفلَ على جرحِهِ ، فلم
يؤذه . قال محمد بن مسلمة : فأصبحنا وقد خافت يهود لوقعتنا بعدو الله،

(١) الثنة : مابين السُّرة والعانة ، وفي الطبري : «ثندوته» ، والثندوة كما في «اللسان» : لحم الثدي ، وقال ابن السكيت : هي اللحم الذي حول الثدي .

(٢) ما بين معقفين من سيرة ابن هشام والطبري .

(٣) أسند في الحرة : صعد . والحرة : أرض فيها حجارة سود ، والعريض: وادي المدينة .

فليس فيها يهودي إلا وهو يخاف على نفسه . قال الواقدي : ففزعت يهود ومن معها من المشركين ، فجاؤوا إلى النبي ﷺ حين أصبحوا ، فقالوا لقد طُرِقَ صاحبنا الليلة ، وهو سيِّدٌ من ساداتِنا فقُتِلَ غِيلةً بلا جُرْمٍ ولا حَدَثٍ علمناه ، فقال النبي ﷺ : « إنه لو قرَّ كما قرَّ غيره ممَّن هو على مثل رأيه ما اغتيل ، ولكنَّه نال منا الأذى وهجانا ، ولن يَفْعَلَ أحد منكم مِثلَ فِعْلِهِ إلا كان له السيف » . ودعاهم رسول الله ﷺ إلى أن يكتبوا بينهم كتاباً ينتهون إلى ما فيه ، فكتبوا بينهم وبينه ﷺ كتاباً في دار رملة بنت الحارث ، وخافت يهود من يوم قتل كعب ابن الأشرف .

قلت : اقتضت الآية ذِكْرَ قتلِ كَعْبِ بن الأشرف فذكرته ، وإن لم يكن مما قصدته .

قوله عز وجل : (لِلْفُقَراءِ المُهاجِرينَ الَّذينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وأَموالِهِم [يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْواناً وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أولئك هُمُ الصَّادِقُونَ]) [الحشر : ٨] . يعني تعالى بالمهاجرين : من هاجر عن وطنه من المسلمين إلى رسول الله ﷺ إلى دار الهجرة ، وهي المدينة خوفاً من أذى المشركين ، ورغبة في نُصْرَةِ نبيه ﷺ ، فهم المقدَّمون في الإسلام . (يبتغون فضلاً من الله ورضواناً) يعني : فضلاً من عطاء الله تعالى في

الدنيا ، ورضواناً من ثوابه في الآخرة . وروى علي بن رباح اللخمي : أن عمر بن الخطاب رضوانُ اللهِ عليه خطب بالجابية ، فقال : من أراد أن يسأل عن القرآن ، فليأتِ أُبيَّ بن كعب ، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأتِ زيدَ بن ثابت ، ومن أراد أن يسألَ عن الفقه فليأتِ مُعاذَ بن جبل ، ومن أراد أن يسأل عن المال ، فليأتني فانَّ الله تعالى جعلني له خازناً وقاسماً ، فاني بادئ بأزواج رسول الله ﷺ فمعطيهن ، ثم بالمهاجرين الأولين أصحابي . (أخرجوا من ديارهم وأموالهم) [1] قال قتادة : لأنهم اختاروا الله ورسوله ﷺ على ما فيه من شدَّة ، حتى ذُكِرَ لنا أنَّ الرَّجل كان يَعْصِبُ على بطنهِ الحجر ، ليُقيمَ صُلْبَه من الجوع ، وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء دثاراً ، ما لهُ دِثارٌ غيرُها [2] رضوان الله عليهم أجمعين .

وقوله عز وجل : (وقالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ على الأَرْضِ مِنَ الكافِرينَ دَيَّارا . إنَّكَ إنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَكَ وَلا يَلِدُوا إلَّا فاجِراً كَفَّارا) [نوح : ٢٦ - ٢٧] .

في قولِهِ (ديارا) وجهان . أحدهما : يعني أحداً . والآخر : من يسكن الديار .

قيل : إنَّ رجلاً من قوم نوح عليه السلام مرَّ بِهِ وعلى كَتِفه

(١) في الاصل « أخرجنا من ديارنا وأموالنا »

(٢) ابن جرير : ٢٨/٤٠ ، وخرجه السيوطي في «الدرالمنثور» ١٩٤/٦ ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر .

وَلَدٌ له صغير ، فقال لابنه : احذر هذا ، فانه يُضلِّلُ . يعني نوحاً عليه السلام ، فقال الصبي لأبيه : أنزلني فأنزله عن كتفه ، فرمى نوحاً عليه السلام ، فشجَّهُ ، فحينئذٍ غَضِبَ نوحٌ عليهِ السلام ، ودعا عليهم .

وقيل : لما أنزل اللهُ عزَّ وجلَّ عليهِ (أنهُ لن يؤمن من قومك إلاَّ من قد آمن) [هود : ٣٦] دعا عليهم[1] . عن ابن بُرَيْدَةَ عن أبيهِ رحمه الله قال : كان رسول الله ﷺ يعلِّمُهم إذا دخلوا المقابر أن يقول قائلهم : « السلام عليكم يا أهل الدِّيارِ من المؤمنين المسلمين وإنّا بكم لاحقون نسأل اللهَ لنا ولكم العافية »[2] .

قال الخَنَّوْتُ ، وهو توبة بن مُضَرِّس[3]

رَحَلَتْ حَرامُ عَنِ البلادِ فلَنْ ترى ... أُخرى المَنُونِ بها وُجُوهَ حَرامِ[4]

(١) ذكره ابن جرير في التفسير ١٠١/٢٩ عن قتادة وعزاه السيوطي في « الدر » ٢٧٠/٦ إلى عبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٢) «المسند» : ٣٥٣/٥ ، ومسلم : ٦٧١/٢، وابن ماجه : ٥٩٤/١ عن علقمة ابن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه ...

(٣) الخنوت — بكسر الخاء وتشديد النون المفتوحة وتسكين الواو — : هو توبة ابن مضرس ، من بني سعد بن زيد مناة بن تميم ، وأمه رميلة بنت عوف بن علقمة ، وكان يعرف بها ؛ شاعر محسن،قتل أخواه طارق ومرداس، فجزع عليهما جزعاً شديداً وثأر لهما ، وقال فيهما مراثي جيدة روى الآمدي بعضها . وظل توبة يبكيهما ، حتى طلب اليه الاحنف بن قيس أن يكف ، فلما أبى سماه الخنوت ، وهو الذي يمنعه الغيظ أو البكاء عن الكلام « المؤتلف والمختلف » ٩١ وانظر مجاز القرآن ١٦٣/١ والسمط : ٦٦٠ .

(٤) حَرام : اسم لبطون كثيرة في تميم ، منها حرام بن جشم بن سعد—

ولقد ترى بالجِزْعِ منهُمْ مَجلِساً ... ضَخْماً ومَبْرَكَ جامِلٍ قَمْقامِ[1]

أضحَتْ ديارُ بني أبيكَ كأنَّها ... بالبُرْقَتينِ تَخُطُّ بالأقلامِ[2]

فاتْرُكْ بُكاءَكَ في الدِّيارِ فقد قضَتْ ... عيناكَ نَحْبَهُما مِنَ التَّسجامِ[3]

وفي بني حَرام يقول رؤبة بن العَجَّاج[4] :

— ابن زيد مناة بن تميم ، وحرام بن سعد بن مالك بن سعيد بن زيد مناة بن تميم ، وحرام بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم «جمهرة ابن حزم» : ٢١٥ ، ٢١٦ . والمنون : الدهر .

(١) الجزع : منعطف الوادي ، وقرية عن يمين الطائف واخرى عن شمالها . والجامل : جماعة من الابل تقع على الذكور والاناث . والقمقام : العدد الكثير .

(٢) البرقتين : مثنى بُرْقه ، وهي موضع ، قال البكري : وهو ما كان من الارض رملاً وحجارة مختلطة . وقال بعض اللغويين : هو من الارض إكام فيها حجارة وطين .

(٣) النحب في « اللسان » : الحاجة ، والنذر . والتسجام: الانصباب ، من سَجَّمت السحابه مطرها تسجيماً وتسجاماً : صبَّته .

(٤) هو رؤبة بن عبد العجّاج بن رؤبة التميمي السعدي من رجاز الاسلام وفصحائهم ، والمذكورين المقدمين منهم ، بدوي نزل البصرة ، وهو من مخضرمي الدولتين ، وقد أخذ عنه وجوه أهل اللغة ،وكانوا يقتدون به ويحتجون بشعره ، ويجعلونه إماماً . انظر ترجمته في الاغاني : ٢٠ / ٣١٢ ، ووفيات الاعيان ٢ / ٦٣، والشعر والشعراء ٢ / ٥٧٥ ، والمؤتلف :١ / ١٧٥ ، والسمط ١ / ٥٦ ، وتهذيب التهذيب ٣ / ٢٩٠، والبداية والنهاية ١٠ / ٩٦ ، والخزانة ٤٣/١.

أَقْفَرَتِ الوَعْساءُ مِنْ حَرَام   وقدْ يكونون ذوي أَحْلامِ [1]

بِها وأَحياناً ذَوي عُرام   فإِن تَكُن سوائِقُ الأَيَّام [2]

ساقَتْهُمُ للبَلَد الشآمي   فبالسَّلامِ ثمَّ بالسَّلامِ

وقال التهامي [3] :

مَاتَتْ لِفَقْدِ الظَّاعِنِينَ دِيارُهُم   فكأَنَّهم كانوا لها أَرْواحا

ولقد عَهِدْتُ بها فهل أُرَيَنَّهُ   مغدىً لمنتَجِع العُلى ومَراحا [4]

وقال آخر :

أينَ أهلُ الديارِ من قوم نُوحٍ   ثُمَّ عادٌ مِنْ بَعْدِهِمْ وثَمودُ

---

(١) الوعساء : السهل اللين من الرمل .

(٢) العرام : الشدّة والقوة والشراسة .

(٣) هو أبو الحسن علي بن محمد بن نهد التهامي شاعر معروف من أهل تهامة ـ بين الحجاز واليمن ـ زار الشام والعراق ، وولي خطابة الرملة ، ثم رحل الى مصر مستخفياً ، ومعه كتب حسان بن مفرج الطائي ، أيام استقلاله ببادية فلسطين إلى بني قرة ، فظفروا به وحبس في سجن القاهرة ، ثم قتل سراً في سجنه سنة ٤١٦ هـ والبيتان في ديوانه : ١٠ من قصيدة يمدح بها أبا الحسين بن عبد الواحد القاضي مطلعها :

لو جادهنَّ غداةَ رُمن رواحا   غيثٌ كدمعي ما أردْن براحا

(٤) في « الديوان »: لمنتجع الصبى .

بينما هُمْ على النَّمارِقِ والدِّيـ   ـباج أفضتْ إلى التُّراب الخدودُ [1]

وقال كثير بن عبد الرحمن الخزاعي :

لمن الدِّيارُ بأَبْرَقِ الحَنَّانِ   فالبُرَقِ فالهضَباتِ مِنْ أُدْمانِ [2]

أَقْوَت منازِلُهُم وغَيَّرَ رَسْمَهَا   بَعْدَ الأنيس تعاقُبُ الأزمانِ [3]

---

(١) النمارق : واحدتها نُمْرُقة ، وهي الوسادة ، ومنه قوله تعالى : (ونمارق مصفوفة) . والديباج : ضرب من الثياب ، مشتق من الدَّبج ، وهو النقش والتزيين . وأفضت : انتهت .

(٢) ديوانه ١ / ١٧٩ ، والاول والثاني في «معجم البلدان» ١ / ٧٦ وأبرَقُ الحَنّان : قال ياقوت : بفتح الحاء المهملة ، وتشديد النون ، وآخره نون أخرى : ماء لبني فزارة ، قالوا : سمي بذلك لأنه يسمع فيه الحنين ، فيقال : ان الجن فيه تحن الى من قفل عنها ، ثم أورد الأبيات . البرق : جمع بُرْقة ، وهي من نواحي اليمامة . وأدمان : في الأصل بكسر الهمزة ، وضبطه ياقوت بالضم ثم بالسكون وميم وألف ونون ، قال يعقوب : أدمان شعبة تدفع عن يمين بدر ثلاثة أميال ، ثم أورد البيت شاهداً .

(٣) في الديوان بعد هذا البيت :

فوقفت فيها صاحبيَّ وما بها   يا عزَّ من نَعَم ولا انسان

إلا الظباءَ بها كأن نزيبها   ضرب الشراع نواحي الشريان

قلت : والنزيب صوت ذكر الظباء خاصة ، والشراع كالشرعة : الوتر الرقيق . والشريان : شجر من عضاه الجبال يعمل منه القسي . قال في « اللسان » يعني ضرب الوتر سيتي القوس .

فإذا غَشيتُ لها ببُرقَةِ واسِطٍ   ولِواء بيْنه مَنزِلاً أبْكاني [١]

وقال أبو نُواس الحَسَنُ بن هانيء :

لَقَدْ طالَ في رَسْم الدِّيارِ بُكائي   وقدْ طالَ تَرْدادي بها وعَنائي [٢]

كأنّي مُريغٌ في الديار طَريدَةً   أراها أمامي تارَةً ووَرائي [٣]

فلما بَدا لي اليأس عدَّيتُ ناقتي   عن الدّارِ واستولى عليَّ عزائي [٤]

وقال آخر :

لَيتَ الدِّيارَ التي تَبقى فَتحْزُننا   كانت تَبيدُ إذا ما أهلُها بانوا

بانوا بافئدَةٍ فيهم مُعَذَّبةٍ   لو خَلّفوها لَدِنّاهُم كما دانوا

---

(١) في الديوان « فلوى لبينة » . وقال الشارح:قوله « فلوى لبينة » ويروى« فلوى كتينة » و « فلوى حبيب » . وبرقة واسط : عددها ياقوت بين البرق في « معجمه » ولم يحددها ، وقال : لم يحضرني شاهدها ، قلت : والبيت شاهد عليها . وواسط بين العذيبة والصفراء ، والعذيبة : قرية بين الجار وينبع .

(٢) ديوانه : ٤٠٢ ، والابيات مطلع قصيدة يمدح بها هارون الرشيد .

(٣) في « الديوان » مرّة . ومريغ : من أراغ بمعنى طلب وأراد ، تقول : أرغت الصيد ، وماذا تريغ ؟ أي : ما تريد وتطلب ، والطريدة : ما طردت من صيد وغيره . يصف تردده على مابقي من آثار الديار ، وحيرتـــه بالتعلق بآثار الأحبة ، ويشبه نفسه بالذي يطلب طريدة تتفلت منه ، فهي وراءه إن أقدمَ الى أمام ، وأمامه إن التفت إلى وراء .

(٤) عديت ناقتي : جاوزت بها . والعزاء : الصبر عن كل مافقدت .

يَتنأوْنَ عنّا وما تنأى مَوَدَّتُهم   فالقلبُ رَهْنٌ لَدَيهم أينما كانوا

وقال آخر : (للشريف الرضي رحمه الله) [١]

ولقد مَرَرْتُ على دِيارِهِم   وطُلولُها بيد البِلى نَهْبُ

فوقفتُ حتى عجَّ مِنْ لَغَبٍ   نِضْوي ولَجَّ بعذْليَ الرَّكْبُ [٢]

وتلفَّتَتْ عيني فمُذْ خَفِيَت   عنّي الطُّلولُ تلفَّتَ القلبُ

وقال سَيْدوك الواسطي ـ وتنسب إلى الرّستمي [٣] :

مَرَرْنا بأكْنافِ العَقيقِ فأعْشَبَتْ   أباطِحُ من أجْفانِنا ومَسايلُ

فَمِنْ واقفٍ في جفنهِ الدَّمعِ واقفٌ   ومن سائلٍ في خدّهِ الدَّمعِ سائل

وكادت تُناجينا الديار صبابةً   وتبكي كما نبكي عليها المنازل

---

(١) كتبت هذه الجملة في الأصل بعد قوله : « وقال آخر » بخط مغاير للاصل، مما يدل على أنها أُلحقت بالأصل بعد الكتابة من المؤلف أو ممن قرأه . والأبيات في ديوانه : ١ / ١٤٦ .

(٢) في الديوان « حتى ضـــج » وهما بمعنى ، قال في اللسان : عجَّ يَعَجُّ ويَعَجُّ عجّاً وعجيجاً ، وضَجَّ يضِجُّ : رفع صوته وصاح . واللغب :الاعياء . والنضو : البعير المهزول ، ولج في الأمر : تمادى عليه .

(٣) وردت الأبيات في « اليتيمة » ٣ / ٣٠٣ منسوبة إلى الرستمي أبي سعيد محمد بن محمد الحسن بن محمد بن الحسن بن علي بن رستم من أبناء أصبهان ، من قصيدة يمدح بها مؤيد الدولة ، وقد ترجم الثعالبي في « اليتيمة » ٢ / ٣٧١ لسيدوك ، ولم يورد الأبيات في ترجمته .

وقال أبو نواس :

لِمَن الدِّيارُ تَسَرْبَلَتْ ببلاها   أَنْسَتْكَ رُؤْيَتها وما تنساها (١)

لا تكذِبَنَّ فما أراكَ بِمُنْتَهٍ   عنها وإنْ خَبَّرْتَ أنْ ستَناهى (٢)

وقال أبو العلاء بن سليمان المعري :

عَلامَ هَجَرْتَ شرقَ الأرضِ حتى   أتيتَ الغَرْبَ تَختَبِرُ العِبادا (٣)

---

(١) ديوانه : ٤٩٦ ، وفيه « نسيتك ربّتُها وما تنساها » وتسربلت بالبلى : لبسته ، يريد : أنها درست وعفت .

(٢) في الديوان « ... وإن كلّفت أن تشناها » وتشناها : مخفف « تشنأها » أي : تبغضها .

(٣) « شروح سقط الزند » : ٢ / ٧٨٥ وبعد هذا البيت :

فكانَتْ مِصرُ ذاتُ النِّيلِ عصْراً   تنافِسُ فيكَ دِجْلَةَ والسَّوادا

وإنَّ من الصَّراة إلى مجر الـ   فرات إلى قُوَيْقٍ مُسْتَرادا

مياهٌ لو طرحْتَ بها لُجيناً   ومشبهها لَمُيِّزَتِ انتقادا

قال التبريزي : علام ، أي : على ما ، وعلى أيّ شيء هجرت شرق الأرض وأتيت الغرب ، كأنك تختبر بذلك أهل الأرض ، وكنت في الدهر القديم تسافر إلى مصر ، فتنافس فيك دجلة وبلادها . وقال البطليوسي : العصر : الدهر ، والمنافسة المحاسدة . ودجلة : نهر بغداد ، ويعني بالسواد : سواد العراق ، وسواد كل بلد : ما حوله من القرى ، وسمي سواداً لخضرة النبات ، والصراة : مجتمع دجلة والفرات ، ودجلة : نهر بغداد ، والفرات : نهر العراق ، وقويق : نهر حلب ، والمستراد : يكون مصدراً بمعنى الاستزادة ، وهي التصرف ، ويكون المكان الذي يستراد—

فإنْ تجدِ الدِّيارَ كما أرادَ الـ   غريبُ فما الصَّديقُ كما أرادا (١)

إذا الشِّعْرى اليمانيَةُ استقلّت   فجدِّدْ للشَّآميَةِ الوِدادا (٢)

—فيه ، أي : يتصرف فيه ، واللجين : الفضة ، والانتقاد : تخليص الجيد من الرديء من كل شيء . يقول : من شدة صفاء هذه المياه ، وخلوصها من الشوائب ، لو مزج بها ذوب اللجين ، وما يشبهها من الجواهر ، لأخرجها النقاد عنها وزيفوها ، كما تميز الدراهم الزيوف من الخالصة ، ولم يروها أهلاً لان تختلط بها .

(١) رواية البطليوسي : « فان يجد » وشرح البيت بقوله : في هذا البيت تقديم وتأخير ، وتقديره : فان يجد الغريب الديار كما أراد ، فالغريب مرتفع بـ « يجد » لا بـ « أراد » والصديق يقع الواحد والجمع والمذكر والمؤنث . وقال الخوارزمي : يقول : إن وجدت ديار المغرب كما أرادها القريب ، فليس الصديق هناك كما أراده الغريب ويشهد لصحة هذا الوجه قوله :

وقيل أفاد بالأسفار مالاً   فقلنا هل أفاد بها فؤادا ؟

(٢) في « السقط » استنارت . والشعرى اليمانية : هي العبور ، والشعرى الشآمية : هي الغميصاء . قال ابن الصوفي : لأن مغيب العبور في شق اليمن ، ومغيب الغميصاء في شق الشام ، قال البطليوسي : وإنما قال هذا لانه قد ذكر في هذا الشعر أن خاله قد نهض من الشرق الى الغرب ، وأنه جاب البر والبحر ، فقال له : إذا سرت نحو الشعرى الجنوبية فاستنارت لك من مطلعها ، فسر أيضاً نحو الشعرى الشمالية ، لتكون قد مشيت الجنوب والشمال والشرق والغرب ، والبر والبحر ، ولم تبق من الارض موضعاً .

فَلِلشَّام الوَفَاءُ وإنْ سِواهُ تَوافى مَنْطِقاً غَـدَرَ اعتِقادا [1]
ظَعَنْتَ لتستفيدَ أخـاً وَفِيّا وضَيَّعْتَ القـديمَ المُسْتَفَادا [2]

وقال ابنُ الزَّقاق من شعراء الأندلس [3] :

حَنَنْتُ إلى الدِّيار ولي حَنينٌ إلى الأحباب ليس إلى الرُّبوعِ
ولو أنّي أحِنُّ إلى مَغَـاني أحبَّائي حَنَنْتُ إلى ضُلُوعي

روي أن المجنون قيس بن الملوح : لما اختُلِطَ عقله ، كان يخرجُ فيأتي الشامَ ، فيقول : أين أرضُ بني عامر ؟ فيقال له : أين أنت من أرض بني

(١) توافى : أظهر الوفاء وليس من خلقه ، كما يقال : تحامق : إذا أظهر الحمق وليس كذلك ، قال التبريزي : أي إن طاب لك غير الشام ، فانما يطيب لك ظاهره ، فأما في الباطن فانك فيه غريب ، ولا تكون فيه كما تكون في بلادك وعشيرتك . وقال البطليوسي : نسب الوفاء الى الشام والمراد به أهله ، كذلك نسب الغدر الى غير الشام ، والمراد أيضاً أصحابه . يحضه على الرجوع الى الشام ويرغبه فيه .

(٢) قال الخوارزمي : إنما قال « أخاً وفياً » ولم يقل: « حديثاً » مع مطابقته للقديم ، لأن الاخ لا يطلب لانه حديث ، بل لأنه وفيّ حديثاً أو قديماً .

(٣) هو أبو الحسن علي بن ابراهيم بن عطية اللخمي البلنسي المعروف بابن الزقاق ، اخذ عن ابن السيد ، واشتهر ومدح الأكابر ، وجود النظم ، وتوفي وله دون الأربعين في سنة ثمان وعشرين وخمسمئة . انظر « المغرب » ٢/٣٢٣ و « فوات الوفيات » ٢/١٢٥ .

عامر ؟ عليك بنجم كذا ، فسر عليه ، فينصرف ويسير حتى يأتي أرض بني عامر ، فيقف عند جبل لهم ، يقال له : التوباذ وينشد :

وأجْهَشْتُ للتَّوْباذِ لمَّا عَرَفْتُهُ وكبَّر للرَّحمن حـينَ رآني [1]
فأذْرَيْتُ دَمْعَ العين لما رأيتُهُ ونادى بأعلى صَوْتِهِ فدَعاني
فقلتُ لَهُ أينَ الذين عَهِدْتُهم حَواليْكَ في أمْنٍ وَخَفض مكان [2]
فقال مَضَوْا واستودَعُوني دِيارَهُم وَمَنْ ذا الذي يبقى على الحدثان [3]

وقال آخر [4] :

أحبابنا ما الدِّيارُ اليومَ بَعْدَكُمُ تلْكَ الديارُ ولا الأوطانُ أوطان

(١) الخبر مـع الشعر في الديوان : ٢٧٥ ، و«الاغاني» : ٢ / ٥٢ و«الامالي» ١/٢٠٥ ، و«تزيين الأسواق» : ٦٠ ، و«الزهرة» : ٢١٣ قال ياقوت في « المعجم » والتوباذ : بالفتح ثم السكون والباء موحدة وآخره ذال معجمة : جبل بنجد. وفي الديوان و «الاغاني» ، و « معجم ما استعجم » : « وأجهشت للتوباذ حين رأيته » وفي الديوان « وهلل » وأجهشت : تهيأت للبكاء .

(٢) في الديوان « في خِصْب وطيب زمان » وفي « أمالي المرتضى» « بجنبك في خفض » .

(٣) في الديوان : « بلادهم . . . . يبقى مع . . » .

(٤) سبق ذكر هذا البيت في ص ٢١ ثم في ص ٤٩

وقال القاضي المهذب أبو محمد الحسن بن علي بن الزبير أحد شعراء مصر [1] :

لَكُمُ خيالٌ في الجفونِ مُمَثَّلُ   أبداً وذِكرٌ بالفؤادِ مُوَكَّلُ

وإلى ديارِكُمُ نَحِنُّ صَبابَةً   ونَفُضُّ أوعِيةَ الدموعِ ونُرسِلُ

تِلكَ المنازِلُ ما تَمُرُّ سحابةٌ   تَهمي بها إلّا وَعَينٌ تَهمِلُ [2]

ما ضَرَّها إذ ينزِلون رُبوعَها   أنْ لا يُرى فيها لِعَلْوَةَ مَنزِلُ

---

(١) شاعر من أهل أسوان – بصعيد مصر – وفاته بالقاهرة (٠٠٠ — ٥٦١هـ) وهو أخو الرشيد الغساني أحمد بن علي ، قال العماد الأصبهاني : لم يكن بمصر في زمن المهذب أشعر منه ، واشتغل بعلوم القرآن، فصنف تفسيراً في خمسين جزءاً، وله ديوان شعر . وقال ابن شاكر : اختص بالصالح بن رزّيك ، ويقال : إن أكثر الشعر الذي في ديوان الصالح ، إنما هو من شعر المهذب . انظر ترجمته في « فوات الوفيات » ١ / ١٢٤ . و « خريدة القصر » ١ / ٢٠٤ .

(٢) تهمي : في « اللسان » همى الشيء هَمْياً : سقط، وهمت عينه هَمْياً وهُمِيّاً وهَمَيَاناً : صبت دمعها ، وقيل : سال دمعها ، وكذلك كل سائل من مطر وغيره . وهمَلت عينه تهمُل ـ بالضم والكسر ـ هَمْلاً وهمولاً وهَمَلاناً : وانهملت : فاضت وسالت .

وقال السِّنْبِسي [1] :

وإنّي كلّما زادَ التياحي   إليكَ وأضرَمَ القلبُ الخفوقُ [2]

أمُرُّ على ديارِكُمُ وإنّي   لِمَنْ أمسى بها صَبٌّ مَشوقُ

وأومي بالتَّحيَّةِ من بَعيدٍ   كما يُومي بأُصبُعِهِ الغَريقُ [3]

وقال أبو تَغْلِبَ الحارثُ بن غَنْمٍ العدواني :

ألا لَيتَ شِعري هل أبيتَنَّ لَيلةً   بِحَوْزَةَ أو بالجِزْعِ أو بقِرانِ [4]

وهل أرَيَنْ تلك الديارَ التي بها   نَدامايَ قِدْماً حيثُ كنتُ أراني

---

(١) السِّنْبِسي : محمد بن خليفة بن حسين ، أبو عبد الله النميري السنبسي الأنباري (٠٠ — ٥١٥ هـ) شاعر قائد ، أصله من هيت ، أقام بالحلة عند سيف الدولة صدقة بن مزيد ، فكان شاعره وشاعر ابنه دبيس بن صدقة . قال ابن الدبيثي : قدم بغداد غير مرة ، وكتب الناس من شعره سنة ٤٩٨ هـ . نسبته الى سنبس بن معاوية من طيىء . ترجم له صاحب « فوات الوفيات » ٢ / ٤٠٢ .

(٢) التاح : عطش . أضرم ، يقال : ضرمت النار وتضرمت واضطرمت : اشتعلت .

(٣) الايماء : الاشارة بالأعضاء كالرأس واليد والعين .

(٤) حوزة : قال ياقوت : كأنه مصدر حاز يحوز حوزة واحدة ، وحوزة الملك : بيضته ، والحوزة : الناحية ، وهو واد بالحجاز كانت عنده وقعة لعمرو ابن معدي كرب مع بني سليم . قِران : بالتخفيف ناحية بالسراة من بلاد دوس كان بها وقعة ، وقيل : هي من الأصقاع النجدية .

وقال عديُّ بنُ الرّقاع العامليّ :

ليتَ شِعري هل تُخبِرَنّي الدّيارُ ... بيقينٍ عن أهلِها أينَ ساروا

أسفاً هيّجتْ فما لكَ منها الـ ... يومَ إلاّ تفجُّعٌ وادّكارُ

دارُ حيٍّ تقادمَ العهدُ منها ... بعدَ حُضّارِها فبارَتْ وباروا [1]

صادَفوا من غوائلِ الدّهرِ غُولاً ... بعدما أنجدوا سنينَ وغاروا [2]

فكأني منْ ذِكْرِهم خالطَتْني ... مِنْ فِلَسْطينَ بِنْتُ كَرْمٍ عُقارُ [3]

وقال عبد الله بن قيس الرُّقيّات :

هـلْ للدّيارِ بأهلِها عِلمُ ... أمْ هل يُبينُ فينطقُ الرّسمُ [4]

ياصاحِ هلْ أبكاكَ موقفُنا ... أمْ هل علينا في البُكا إثمُ

---

(١) العهد : الالتقاء، والعهد : ما عهدته فثافنته ، يقال : عهدي بفلان وهو شاب ، أي : أدركته فرأيته كذلك . باروا : هلكوا .

(٢) الغول : المنية . وكل ما أهلك الانسان فهو غول .

(٣) العُقار : الخمر ، سميت بذلك لأنها عاقرت العقل ، وعاقرت الدن ، أي : لزمته .

(٤) ديوانه : ٥٥ ، و«الأغاني» : ٩١/٥ ، وفيها « تبين » وبعد البيت :

قالت سكينةُ فيم تصرمنا ... أسُكَيْنُ ليس لوجهك الصّرم

تخطو بخلخالَيْنِ حشوهما ... ساقان مار عليهما اللحم

أمْ ما بُكاؤكَ منزِلاً خَلَقاً ... قفْراً يلوحُ كأنّهُ الوشْمُ [1]

وقال النابغة الجعْدي ، واسمه قيس بن عبد الله بن عمرو بن عدس بن ربيعة بن جعدة [2] :

ألا يا ديارَ الحيِّ بينَ مُحجَّرٍ ... إلى جانب القَمْرى كأنْ لم تغيَّرِ [3]

وقفتَ بها لا أنتَ قاضٍ لُبانةً ... ولا اليأسُ يَشفي حاجةَ المتذكِّرِ

---

(١) الوشم : أن يغرز بالابرة في الجلد ، ثم يُذر عليه الكحل والنؤور ، فيبقى سواده ظاهراً ، كانت النساء في الجاهلية تفعله تزيناً به ، ونهى النبي ﷺ عنه ، وأما تشبيه الآثار والاطلال بالوشم ، فقد جاء في أشعارهم ، قال طرفة :

لخولة أطلال ببرقـة ثهمد ... تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

(٢) ترجمته في « طبقات فحول الشعراء » : ١٠٣ ، و « الشعر والشعراء » ١ / ٢٤٧ ، و « الاستيعاب » ٣ / ٥٥٢ ، و«الاصابة» : ٢١٨/٦ ، و «الأغاني» ٥ / ١ و « المعمرين » : ٨١ ، و « سمط اللآلي » ٢٤٧ ، و « خزانة الأدب » ١ / ٥١٢ . وقد قام المكتب الاسلامي بطبع ما جمع من شعره طبعة متقنة غير أن الابيات الثلاثة الاولى لم ترد فيه فتستدرك . ورواية الشطر الاول من البيت الرابع فيه « فان كنت لا ترضى بما كان جائياً » .

(٣) محجر : بضم أوله وفتح ثانيه بعده جيم مشددة مفتوحة وراء مهملة : قرن في ديار أبي بكر بن كلاب بفرع الشُّرة ، والسرة : واد يصب بين دمخ والرملات ، رملات أبي بكر ، ومحجر : قرن في أسفله جرعة بيضاء حجيّر بها ، ومحجر أيضاً في بلاد عذرة : قرن مؤزر بجرعة بيضاء ضَبّطت أسفله كله ، وهو بأطراف السبال . والقمرى : بفتح اوله وكسره واسكان ثانيه وبالراء المهملة بعدها الف التأنيث على وزن فعلى : موضع لبني مخرّبة من بني نهشل ، قاله البكري .

أَلا أيُّها الباكي على ما يَعُولُه   تَجَمَّلْ على ما يُحدِثُ الدَّهرُ واصبرِ [١]

فإن أنتَ لم تَصْبِر لِما كان جائياً   فإن كان تَنكيرٌ لَدَيْكَ فأنكِرِ

وقال عِكْرِمةُ بن ربيعة العَبْدَري :

فإن يَكُ عبدُ الدار خَلَّتْ مكانَها   وبُقِيتُ فرداً في ديارهم وَحْدي

فيارُبَّ يومٍ لو هَتَفْتُ أجابني   مَصاليتُ أبطالٍ سِراعٌ إلى المَجْدِ [٢]

وقال لبيد بن ربيعة العامري [٣] :

بَلينا وما تَبلى النُّجومُ الطوالِعُ   وتَبقى الدِّيارُ بَعْدَنا والمصانِعُ [٤]

---

(١) في « اللسان » وعالني الشيء : غلبني وثقل علي .

(٢) مصاليت : جمع مِصْلَت ، بكسر الميم : وهو الماضي في الامور،المسرع.

(٣) هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري أبو عقيل ، كان من شعراء الجاهلية وفرسانهم وأجوادهم ، أدرك الاسلام ، وقدم على رسول الله ﷺ في وفد بني كلاب ، فأسلموا ورجعوا الى بلادهم ، ثم قدم لبيد الكوفة وأقام بها إلى ان مات ، ويقال : إن وفاته كانت في أول خلافة معاوية ، وانه مات وهو ابن مائة وسبع وخمسين سنة . انظر ترجمته في « الشعر والشعراء » ١/٢٣٢ ، و«الخزانة» ١/٣٣٧ ، و«التاريخ الكبير» للبخاري ٤/٢٤٩ ، و «الاستيعاب» ٣/١٣٣٥ و«أسد الغابة» : ٤/٢٦٠ ، و«الاصابة» ٣/٣٠٧ و «الاغاني» ١٥/٣٦٠ .

(٤) ديوانه : ١٦٨ ، و«الشعر والشعراء» ١/٢٣٦ ، و«الاغاني» : ١٥ /٣٧٣ وفيها « وتبقى الجبال » والمصانع : الأبنية أو الحصون أو القرى ، واحدها : مصنع ، وقال الطوسي : مصانع الماء : وهو بناء يبنى يكون فيه الماء ، ويقال: المصانع : القصور .

وقد كنتُ في أكنافِ جارِ مَضِنَّةٍ   ففارقني جارٌ بأَرْبَدَ نافِعُ [١]

فلا جَزِعٌ إن فرَّقَ الدَّهرُ بيننا   وكلُّ فتىً يوماً به الدَّهرُ فاجِعُ [٢]

ولا أنا يأتيني طَريفٌ بفَرْحَةٍ   ولا أنا مما أَحدَثَ الدَّهرُ جازِعُ [٣]

وما النَّاسُ إلّا كالدِّيارِ وأهلِها   بها يومَ حَلُّوها وغَدْواً بَلاقِعُ [٤]

وما المرءُ إلا كالشِّهابِ وضَوْئِهِ   يَحُورُ رَماداً بعد إذ هو ساطِعُ [٥]

---

(١) قال ابو عمرو: يقال : علق مَضَنَّة ومَضِنَّة . وأكناف : جوانب . جار مضنة : يضن به ويتنافس عليه . ففارقني بأربدجار نافع ، وأربد: هو الجار، وكذلك تقول : أقبل بك الاسد ، كأنك لما أقبلت أقبل الاسد .

(٢) فلا جزع : يقول : لا يروى عني ذاك ، أي: لاأنكر أني قد مرت بي مثل هذه المصائب بفراق أخ وابن عم ، فلا جزع لميت إن مات بعد من أهلي ، لكون قلبي قد وقرته المصائب . قال أبو الحسن : وهذا تفسير أبي عمرو أيضاً .

(٣) في الديوان « فلا » يقول : لا أفرح بما استطرف من مال أو شيء يسر ، ولا أجزع إن نكبني الدهر .

(٤) غدواً : غداً ، الغد: أصله الغدو ، حذفت منه الواو بلا عوض ، ولم يستعمل تاماً إلا في الشعر . يقول : بيناهم أحياء إذ ماتوا ، وكذلك الديار ، بينا هي عامرة ، إذ أقفرت من أهلها فصارت بلاقع ، أي قفاراً .

(٥) قال الطوسي : الشهاب : النار . ويحور : يصير ، من اين حرت : من أين جئت . إلى أين حرت : إلى أين صرت ، ما حويرك ؟ أي: ما مردود جوابك ؟ وكذا فسر أبوعمرو؛ ساطع : مشتعل .

وما البرُّ إلا مُضْمَراتٌ من التُّقى … وما المالُ والأهلون إلا ودائعُ [1]

يقولُ الفتى إني سأفعل ذاكمُ … وما لِلفتى عِلمٌ بمـا اللهُ صانعُ [2]

وقال زهير بن أبي سلمى :

لِمَنْ الديارُ بقُنَّـةِ الحِجْرِ … أَقْفَرْنَ من حِجَجٍ ومن دَهرِ [3]

لَعِبَ الرياحُ بهـا وغَيَّرَها … بعدي سَوافي المُوْرِ والقَطْرِ [4]

(١) في الديوان : « إلا معمرات... » قال الطوسي : مضمرات : ماأضمرت. معمرات . العرب تقول : هذه الدار لك عمري ، اي : انها لك ما عمرت ، يقول: فهذا المال لك ما عمرت ، فـاذا متّ فلا شيء لك منه ، انما هو وديعة ، وكذا قال ابو عمرو . قال ابو الحسن ، وقال ابو عبد الله : معمرات : عارية .

(٢) لم يرد هذا البيت في الديوان، ولا في «الشعر والشعراء» و«الأغاني» .

(٣) ديوانه : ٨٦ و « مختارالشعر الجاهلي » ٢٦٣ من قصيدة يمدح بها هرماً. وفيه « أقوين » ، أي خلون . ورواه أبو عمرو « من حجـج ومن شهر » ورواه أبو عبيدة « مذ حجج ومذ شهر » قال ياقوت : الحجر ، بالكسـر اسم لثلاثـة مواضع : هي حجر ثمود ، وهي من وادي القرى على يوم بين جبال ، وبهـا كانت منازل ثمود ، وحجر الكعبة ، ثم حجر : قرية لبني سليم حذاءها جبل ليس بالشامخ يقال له : قنة الحجر . سأل عنها لتغيرها بعده عن الحال التي عهدها عليها .

(٤) رواية الاعـلم : « لعب الزمان » السوافي : الرياح الشديدة تسفي التراب وتطيره . والمور : التراب تثيره الريح . والقطر : المطر ، وجر عطفاًعلى مايجاوره. قال في «الاغاني» : والقطر لا سوافي له ، وهذا تفعله العرب في المجاورة ، وهو مثل قولهم «جُحْرُ ضبٍّ خَرِبٍ» وفي هامش الديوان : السوافي يقال للتراب —

وقال عديّ بن الرّقاع العاملي :

مَنَعَ النَّوم طارِقاتُ الهُموم … بأسىً وادِّكارِ خَطبٍ قـديم [1]

مِنْ لَدُنْ أن أجنَّني اللّيلُ حتى … فَضَحَ الصُّبحُ واضِحاتِ النُّجوم

من ديارٍ غَشيتُها ذُكْرَةً مـا … بينَ صارات ضاحِكٍ فالهريم [2]

نَسجتْ ظَهرَها الرّياحاتُ حتى … بَرِىءَ القاعُ من جميع الرُّسوم

واختلافُ الأيّامِ حتى محاها … سالفُ الدهرِ بعد سَكْنٍ مُقيم

جَمَعَتْنا بها نوى الحيّ حَوْلاً … نتلَهَّى بسِرِّنـا المكتوم

ولقـد حال دون ذلك هَمٌّ … مِثْلُهُ فليَرُعْ فؤادَ الحليم

إنّ قومي تتابعُوا بعد ما كا … نوا هُمُ القومَ فابْكِ غيرَ مَلُوم

— الذي تسفيه الريح ، والرياح التي تسفي الـتراب ، يقال : سفت الريح التراب ، أي : ذرته ، ويقال للتراب نفسه : ساف ، أي : مسفي ، كما يقال : ماء دافق ، أي : مدفوق ؛ فاذا أريد بالسوافي هنا التراب يكون كسر القطر للمتابعة ، لقرب جواره من المور ، وإذا أريد بها الرياح يكون كسر القطر في موقعه ، لأن الريح كما تسفي التراب وتذهب به ، تسوق المطر وتفرقه .

(١) الطارقات : التي تأتي ليلاً ، وأصل الطرق : الدق .

(٢) في الأصل تحت كلمة الهريم ما نصه : موضع . صارات : جمع صارة وهي رأس الجبل وأعلاه ، وضاحك : جبل في أعراض المدينة .

وَلَقَدْ كَانَ يَخْفِضُ الجَارُ فِيهِم   غَيْرَ مُسْتَشْرَفٍ وَلَا مَظْلُومِ [١]

وقال البحتري [٢] :

مَتَى تَسْتَزِدْ فَضْلًا مِنَ العُمْرِ تَغْتَرِفْ   بِسَجْلَيْكَ مِنْ أَرْيِ الخُطُوبِ وَصَابِهَا [٣]

يُسَرُّ بِعُمْرَانِ الدِّيَارِ مُضَلَّلٌ   وَعُمْرَانُهَا تَدْنُو بِهَا مِنْ خَرَابِهَا [٤]

وَلَمْ أَرْتَضِ الدُّنْيَا أَوَانَ مَجِيئِهَا   فَكَيْفَ ارْتِضَائِيهَا أَوَانَ ذَهَابِهَا ؟!

وقال أيضاً :

شَرْخُ الشَّبَابِ أَخُو الصِّبَى وَأَلِيفُهُ   وَالشَّيْبُ تَزْجِيَةُ الهَوَى وَخُفُوفُهُ [٥]

---

(١) يخفِض : من الخَفْض ، وهو الدَّعة ، وعيش خفض ، وخافض ومخفوض وخفيض : خصيب في دعة وخصب ولين . واستشرفه حقه : ظلمه .

(٢) ديوانه : ١/٢٣١ و « أمالي المرتضى » ٢/٢٣٠ من قصيدة يمدح بها صاعد بن مَخْلَد ، مطلعها

معادٌ من الأيام تعذيبنا بها   وإبعادها بالالف بعد اقترابها

(٣) في الديوان « من شهد الخطوب » والسجل : الدلو العظيم ، والأري : العسل ، والصاب : العلقم ، وبعد هذا البيت :

تُشَذِّبُنا الدنيا بأخفضِ سعيها   وغول الأفاعي بلّةٌ من لُعابها

(٤) لعل الصواب « يدنو » بالياء . وفي الديوان ، و«أمالي المرتضى» : « وعمرانها مستأنف من خرابها » . وفي « الصناعتين » ٢١٨ : يُسر المضلَّل بعمران الديار ، وانما تستأنف عمرانها من خرابها ، وما ارتضيت الدنيا أوان مجيئها ، فكيف ارتضائيها أوان ذهابها ؟!.

(٥) ديوانه : ١/٧٧ والأبيات مطلع قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان . وشرخ

وَأَرَاكَ تَعْجَبُ مِنْ صَبَابَةِ مُغْرَمٍ   أَسْيَانَ طَالَ عَلَى الدِّيَارِ وُقُوفُهُ [١]

صَرَفَ المَسَامِعَ عَنْ مَلَامَةِ لَائِمٍ   لَا لَوْمُهُ أَجْدَى وَلَا تَعْنِيفُهُ [٢]

فَسَقَى اللِّوَى لَا بَلْ سَقَى عَهْدَ اللِّوَى   أَيَّامَ تَرْتَبِعُ اللِّوَى وَنَصِيفُهُ

وقال أيضاً :

بَنِي تَغْلِبٍ أَعْزِزْ عَلَيَّ بِأَنْ أَرَى   دِيَارَكُمُ أَمْسَتْ وَلَيْسَ بِهَا أَهْلُ [٣]

خَلَتْ بَلَدٌ مِنْ سَاكِنِيهَا وَأَوْحَشَتْ   مَرَابِعُ مِنْ سِنْجَارَ يَهْمِي بِهَا الوَبْلُ [٤]

الشباب : أوله . وفي « اللسان » : التزجية : دفع الشيء كما تُزجي البقرة ولدها ، أي : تسوقه ، ويقال : زجَّيت الشيء تزجية : إذا دفعته برفق . والخفوف : سرعة السير من المنزل .

(١) في « اللسان » ورجل آس وأسيان : حزين .

(٢) في الديوان : « عن ملامة عاذل » وبعد البيت :

شمس تألَّقُ والفِراق غروبها   عنّا وبدرٌ والصُّدود كسوفُه

فاذا تحمَّل من تهامة بارِق   لَجِبٌ تسير مع الجنوب زحوفه

صَخِب الرَّواحِ إذا تصوَّب مُزنُه   ذعر الأجادِلَ في السماء حفيفه

(٣) ديوانه : ١/٣٨ من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان ، ويذكر حرب ربيعة ، وعفو المتوكل عنهم بواسطته .

(٤) في « معجم البلدان » : سنجار ، بكسر أوله وسكون ثانيه ، ثم جيم وآخره راء : مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة ، بينها وبين الموصل ثلاثة أيام ، وهي في لحف جبل عال .

وَأزْعَجَ أهلَ المَحْلَبِيَّاتِ ناجِزٌ ‏ ‏ مِن الحرْبِ ما فيه خِداعٌ ولا هَزْلُ [١]

وأَقْوَتْ من القَمْقامِ أَعْراصُ مارِدٍ ‏ ‏ فما ضَمِنَتْ تلك الأعِقَّةُ والرَّمْلُ [٢]

أَفي كلِّ يومٍ فِرْقَةٌ من جميعِكُم ‏ ‏ تَبيدُ ودارٌ من مَجامِعِكم تَخْلُو

وقال مهيار :

يا دِيارَ الحيِّ من خَبْتِ اللِّوى ‏ ‏ عُدْتِ ظنًّا بَعدَ ما كُنتِ حَقيقه [٣]

أخذ الدَّهْرُ قشيباً رائقاً ‏ ‏ من مَغانيكِ وأَعطاكِ سُحوقه [٤]

---

(١) المحلبيات : هي المحلبية ، وهي بليدة بين الموصل وسنجار ، قال الأخطل وذكر بني سليم :

فأصبحت منهم سنجارُ خالية ‏ ‏ فالمحلبيات فالخابور فالسَّرَرَ

كرّوا إلى حرّتيهم يعمرونهما ‏ ‏ كما تكرُّ إلى أوطانها البقر

قال البكري : وهذه المواضع كلها بالجزيرة . وفي « اللسان » الناجز : الحاضر .

(٢) في « اللسان » القمقام والقماقم من الرجال : السيد الكثير الخير ، الواسع الفضل . الأعراص : جمع عرصة : وهي كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء ، والأعقة : جمع عقيق ، وهو الوادي ، أو ما شقه ماء السيل في الارض فأنهره ووسعه .

(٣) ديوانه ٣١٧/٢ والابيات مطلع قصيدة كتبها إلى الرئيس أبي طالب يهنئه بالنيروز . وفي الديوان « من جنب الحمى » ، وفي « اللسان » الخبت : ما اطمأن من الارض واتسع ، واللوى : ما استرق من الرمل .

(٤) السحوق ، جمع سَحْق : وهو الثوب الخلق البالي . وفي الديوان بعد هذا البيت :

فلئن كنت عدوَّ العينِ من ‏ ‏ بعدهم إنكِ للقلب صديقَهْ

خِلْتُ لمَّا لم أُطِقْ حَمْلَ النَّوى ‏ ‏ أَنَّ تِلْكَ الدِّمَنَ الصُّمَّ مُطيقه

لم أكُنْ أَعلَمُ حتى نَحِلَتْ ‏ ‏ كنُحُولي إنَّها مِثلي مَشوقه

أَيْنَ جيراني بها لَهْفي لهم ‏ ‏ لَهَفَةً سَكْرَتُها غَيرُ مُفيقه [١]

وقال الشَّريف المرتضى أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب رضوان الله عليهم :

أيُّ دَمْعٍ جَرى ونحنُ بنجرا ‏ ‏ نَ لنا والدِّيارُ ثَمَّ رُسومُ [٢]

دِمَنٌ لو رنَتْ اليهنَّ عَيْنا ‏ ‏ كَ قُبَيْلَ الفِراقِ قُلْتَ نُجُومُ [٣]

ومَغانٍ من النُّحولِ كأَرْوا ‏ ‏ حٍ ولكنْ ليست لهنَّ جُسومُ [٤]

ما سُرِرْنا إلَّا بهِنَّ ، وفيهِ ‏ ‏ نَّ قِفاراً سِيقتْ إلينا الهُمومُ [٥]

---

(١) في الديوان « لهفي بهم » .

(٢) ديوانه : ١٨١/٣ من قصيدة يمدح بها فخر الملك مطلعها

ما أرادت إلا الجفاءَ ظلومُ ‏ ‏ يوم رامت عنا ولسنا نريم

(٣) في الديوان « قلت النجوم » .

(٤) المغاني : المنازل التي كان بها أهلوها ، واحدها مغنى ، وقيل : المغنى : المنزل الذي غني به أهله ، ثم ظعنوا عنه .

(٥) في الديوان « ما مررت إلا بهن ومنهن قفاراً » .

وقال أيضاً :

قد مَرَرْنا على الدِّيارِ تَبدَّلْـ ... ـنَ دُثوراً بِجِـدَّةٍ وخُمولا (١)

نَكِرَتْها العُيونُ منّا فما تَعْـ ... ـرِفُ إلاّ رُسومَها والطُّلولا

قال أبو عبد الله الطبري (٢) : قال رجلٌ لأبي محمد الجريري رحمهُ الله (٣) : كنتُ على بساطِ الأنس ، وفُتِحَ لي طريقٌ إلى الانبساط ، فزَلَلْتُ زَلَّةً ، فحُجِبْتُ عن مقامي ، فكيف السبيل إليه ؟ دُلَّني على الوصول إلى ما كنتُ عليه ، فبكى أبو محمد ، وقال : يا أخي الكلُّ في قهرِ

---

(١) ديوانه : ٥٦/٣ من قصيدة يهنىء بها فخر الملك بعيد النحر سنة اثنتين وأربعمئة مطلعها

نوِّلينا منك الغداة قليـلا ... وصلينا فقـد هجرت طويلا

(٢) الخبر في « طبقات الصوفية » : ٢٥٩ ، و « تاريخ بغداد » ١٥/٤ ، و « حلية الأولياء » ٣٧٤/١٠ وفيها : سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله الطبري . ولم نعثر له على ترجمة .

(٣) هو أحمد بن محمد بن الحسين أبو محمد الجريري بفتح الجيم كما ضبطه الذهبي في « المشتبه » ، كان من كبار اصحاب الجنيد ، وصحب سهـل بن عبد الله التستري . أقعد بعد الجنيد في مجلسه ، لتمام حاله ، وصحة علمه ، مات سنة إحدى عشرة وثلاثمئة . انظر ترجمته في المصادر التي تقدمت وفي « الرسالة القشيرية » ، و«طبقات الشعراني» ١١٠/١ .

هـذه الخُطَّة ، وفي أَسْرِ هـذه الرزيَّة ، ثم شهق وسكت ساعة ، ثم أنشد :

قِفْ بالديارِ فهـذه آثارُهم ... نَبكِ الأحبَّةَ حَسْرَةً وتشوُّقا

كم قد وقفتُ بها أسائلُ مُخبراً ... عن أهلها أو صادراً أو مُشفِقا

فأجابني داعي الهوى في رَسْمِها ... فارقتَ من تَهوى فعزَّ المُلتقى

قيل : لما تغيَّر المتوكل على محمد بن عبد الملك الزيات (١) كان يتمثل قبل الإيقاع به بقول أبي العتاهية (٢) :

سَلْ دِيارَ الحيِّ مَنْ غَيَّرَها ... وعفاها ومحا مَنْظَرَها (٣)

---

(١) هو ابو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة الزيات ، وزير المعتصم والواثق ، من بلغاء الكتاب والشعراء ، ولما مرض الواثق عمل ابن الزيات على تولية ابنه وحرمان المتوكل ، فلم يفلح ، وولي المتوكل ، فنكبه وعذبه الى ان مات . انظر ترجمته في «تاريخ بغداد» ٣٤٢/٢ ، «ووفيات الأعيان» ١٨٢/٤ ، «وخزانة الادب» ٢١٥/١ ، «وهبة الأيام» : ٧٦ ، « وأمراء البيان » ٢٨٨/١ .

(٢) هو أبو اسحاق اسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان العنزي بالولاء ، شاعر مكثر ، سريع الخاطر ، غزير البحر ، لطيف المعـاني ، سهل الألفاظ كثير الافتنان ، قليل التكلف ، إلا أن شعره ـ كما قال الأصمعي ـ كساحة الملوك يقع فيها الجوهر والذهب والتراب والخزف والنوى . انظر ترجمته في « الاغاني » ١/٤ ، «وتاريخ بغداد» ٢٥٠/٦ ، و«الشعر والشعراء» ٧٦٥/٢ ، و«ابن خلكان» ١٩٨/١ و«معاهد التنصيص» ٢٨٥/٢ ، و«لسان الميزان» ١١٣/١ .

(٣) هذه الأبيات ورد منهـا البيت الأخير فقط في ديوان أبي العتاهية ـ

وهي الدُّنيا إذا ما أدْبَرَتْ جعلتْ مَعروفَها مُنْكرَها

إنَّما الدُّنيا كظِلٍّ زائِلٍ أَحْمَـدُ اللهَ كذا قدَّرَها

وقال أبو كبير ، واسمه عُتبة بن قادِم أحدُ بني حرام :

ياصاحِ قِفْ بديارِ الحيِّ مُقفِرَةً من الأحبَّةِ واحبِسْ أينُقاً قُودا [1]

سَقى الإلهُ وإنْ بانوا وقلَّ لهم مَبْنى الخيام وتلك الأجْبُلَ السُّودا

مَنازِلاً كنتُ أهوى أن أكونَ بها كما مضى لَيتَ كانَ العيشُ مردودا

وقال محمد بن عبد الأزدي ثم السلاماني :

أرسَم ديار بالستارَيْنِ تعرف عَفَتْها شَمالٌ ذاتُ نيرَينِ حَرْجَفُ [2]

— ص ١٢٥ ، وأولها فيه :

عجبـاً أعجب من ذي بصر يأمن الدنيـا وقد أبصرها

ان للانسان يومـاً صرْعةً ينبغي للمرء أن يحذَرهـا

(١) في « اللسان » الناقـة : الأنثى من الابل ، والجمع أنوق وأنؤق وأونق وأينق ، وفي قولهم : « أينق » مذهبان ، أحدهما : أن تكون عين « أينق » قلبت الى ما قبل الفاء ، فصارت في التقـدير أونق ، ثم أبدلت الواو ياء ، لأنها كما أعلت بالقلب كذلك أعلت أيضاً بالابدال ، والآخر أن تكون العين حذفت ، ثم عوضت الياء منها قبل الفاء ، فمثالها على هـذا القول أيفل ، وعلى القول الاول أعفل . والقود : جمع قوداء ، وهي الناقة الطويلة .

(٢) في «معجم البلدان» : والستاران في ديار بني ربيعة : واديان ، يقال لهما : السَّودة ، يقال لاحدهما: الستار الاغبر، وللآخر: الستار الجابري ، وفيهما عيون فوارة تسقي نخيلاً كثيرة . وذات نيرين : شديدة ، وقالوا : حرب ذات نيرين ، أي: شديدة . والحرجف : الريح الباردة .

فلم تَدَعِ الأرواحُ والماءُ والبِلى من الدَّار إلا ما يَشُوقُ ويَشْعَفُ [1]

وقفتُ بها والدَّمعُ يُذْري حَبابَه على الصَّدرِ حتى كادتِ الشمسُ تُكسَفُ [2]

رُسُوماً كآياتِ الكتابِ مُبِينَةً بها للحزينِ الصبِّ مَبْكى ومَوْقِفُ

كأنَّك لم تَعهدْ بها الحيَّ جيرَةً جَميعَ الهوى من جيرةٍ ما تَصرَّفُ

إذِ النَّـاسُ ناسٌ والبلادُ بغِرَّةٍ وأنتَ بها صبٌّ القرينة مُولفُ

وقال آخر :

كفى حَزَناً أني مُقيمٌ ببلدَةٍ أخلايَ عنهـا نازحٌ وبعيدُ

أقلِّبُ طرْفي في الديارِ فلا أرى وُجوهَ أحبَّـائي الذين أُريدُ

وقال ثوب الغطفاني :

أَبَتْ أنْ لا تُكلِّمَكَ الدِّيارْ وَغَيَّرَ رَسْمَهـا بَعدي القِطارُ [3]

فلو نَطَقَتْ شَفَتْ مني سَقامـاً ولكنَّ السُّكاتَ لهـا شِعارُ [4]

---

(١) في «اللسان» الشعف : إحراق الحب القلب مع لذةٍ يجدها ، كما أن البعير إذا هنىء بالقطران يجد له لذة مع حُرقة

(٢) في الأصل تحت كلمة «تكسف» ما نصه : يريد تغرب .

(٣) القطار : جمع قطر ، وهو المطر .

(٤) في «المحيط» السَّكت : السُّكوت كالسكات .

فهل شِعبٌ يُداني بُعْدَ شعبٍ   وهل لِلَّيانِ عِيشَتِنا انكرارُ (١)

عسى هذا العِسارُ من اللَّيالي   يكونُ وراءَهُنَّ لنا يَسارُ

فكلُّ نعيمِ عيشٍ يابنَ ثوبٍ   لَهُ لا بُدَّ جَمْعٌ وانتِشارُ

وقال البحتري :

يا رُبوعَ الدِّيارِ إنّي على ما   قدْ أراهُ منكُنَّ غيرُ جليدِ (٢)

أخلَقَ الدَّهرُ عُمْرَ كُنَّ ولِلدَّهـ   ـرِ صُرُوفٌ يَبْلِيْنَ كلَّ جديدِ (٣)

فرَّقتْ شَمْلَنا النَّوى بعدَما كُـ   ـنّا جميعاً في ظلِّ عيشٍ حميدِ

وقال الشريف المرتضى رضي الله عنه :

إلى كَمْ ذا التَّصامُمُ والتَّعاشي   وكم هذا التَّواكُلُ والتَّواني (٤)

ولو أنَّا فَهِمْنا عن خرابِ الدِّ   يارِ مَقالَها لم يَبْنِ بانِ

ويَجني العيشُ كلَّ أذىً ويُهوى   فيا للعيشِ يُعْشَقُ وهو جانِ

---

(١) في «اللسان» والَّليان بالفتح : المصدر من اللين ، وهو في لِيانٍ من العيش ، أي : رخاء ونعيم وخفض .

(٢) ديوانه : ٧٦٨/٢ والأول والثاني في «الطرائف» : ٢٤٣ من قصيدة يمدح بها محمد بن حميد الطوسي مطلعها

بعضَ هذا الملام والتفنيد   ليس هجر النَّوى كهجر الصدود

(٣) في «الطرائف» « .... يخلقن كل جديد » .

(٤) ليست في الديوان .

وقال أيضاً :

مَنْ على هذهِ الدِّيارِ أَقاما   أو صَفا مَلْبَسٌ عليهِ فَداما (١)

عُجْ بنا نَنْدُبُ الذين تَوَلَّوْا   باقْتِيادِ المَنونِ عاماً فعاما (٢)

سَكَنوا كلَّ ذِرْوَةٍ منْ أَشَمٍّ   يَحْسِرُ الطَّرْفَ ثمَّ حلُّوا الرَّغاما

يا لَحا اللهُ مُهْمِلاً حَسَبَ الدَّهـ   ـرَ نَؤُومَ الجُفُونِ عنهُ فَناما

علقاً في يدِ المُنى كلَّما نا   لَ هوىً يَبتغيهِ رامَ مَراما

أبيات من شعر والدي وأخي رضي الله عنهما وشعري مما يوافق المعنى المقصود . قال مولاي والدي مجد الدين أبو سلامة مرشد بن علي ابن مقلد بن نصر بن منقذ رضي الله عنه :

ما في وقوفِكَ في الدِّيارِ تَوَرُّعُ   فأَفِضْ شُؤونَ العينِ فهْيَ الأَرْبُعُ

دَرَسَتْ فليسَ لناظِرٍ لَوْلا الهوى   من طولِ ما بَلِيَتْ بهِ مُسْتَمْتَعُ

يا دارُ لَوْ أَنْصَفْتِ رَبْعَكِ لم أقِفْ   فيهِ كهاتِفَةٍ تَنوحُ وتَسْجَعُ

---

(١) ديوانه : ٢٠٤/٣ والأبيات مطلع قصيدة يرثي بها الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان العكبري .

(٢) في الديوان بعد هذا البيت

فارقونا كهلاً وشيخاً وهِمّاً   ووليداً ويافعاً وغلاما

وشحيحاً جَعْدَ اليدين بخيلاً   وجواداً مخوّلاً مِطعاما

وَلما طَلَبتُ لِيَ الأُساةَ لأشتفي   مِن لَوْعَةٍ طُويَتْ عَلَيْها الأضْلُعُ

ما قَدْرُ ما أسفي عليكِ وحسْرَتي   قلَّتْ وَلَوْ أَنَّ الحشا يَتَقَطَّعُ

أنا مُدَّعٍ فيما أقولُ لأنَّني   باقٍ وعُذْري عنه ما لا يُسْمَعُ

فَوَدِدْتُ لو أَنّي ظَفِرْتُ براحَةٍ   إمَّا بموتٍ أو بعيشٍ يَنْفعُ

وقال أخي عز الدولة أبو الحسن علي بن مرشد بن علي رضي الله عنه :

قِفا فاحْبِسا تلك الرِّكابَ وأَطْلِقا   دُمُوعي فهلْ بَعدَ الدِّيارِ أُكاتِمُ

فعهدي بهذا الرَّبع والشَّمْلُ جامِعٌ   وَسِيَّان عندي عاذِرٌ لي وَلائِمُ

أَبيْتُ كما شاءَ السُّرورُ ولا أرى   مِن الغمِّ ما تُثنى عليه الحيازِمُ

وإخوانِ صِدْقٍ كالثُّرَيَّا نُفُوسُهم   سَمَتْ وَوَهَتْ شَحْناؤُهم والسَّخائمُ

بَقيتُ وقد أوْدَوا عَناءً وشِقوةً   وإني على عِدٍّ سُقُوا منه حائِمُ (1)

إذا ما تذكَّرْتُ الدِّيارَ وأهلَها   وَوَحْشَتَها منهم أَقُلْ : أنا حالِمُ

وقال أيضاً :

يا ديارَ الأحبابِ ما فيكِ للمحـ   ـزونِ إلا البُكاءُ والتَّسليمُ

أينَ سُكَّانُكِ الذين بهم كا   نَ على العيشِ نَضْرةٌ ونَعيمُ

(1) في «اللسان» الماء العد : الدائم الذي له مادة لا انقطاع لها مثل ماء العين وماء البئر .

أقْفَرَتْ منهمُ الدِّيارُ وأَضْحَتْ   دارِساتٍ كأنَّهُنَّ رُقُومُ

لَيْتَ أني نَاهَلْتُهم جُرَعَ المَوْ   تِ فَعَيْشي بعد الأحِبَّة لَوْمُ

وقال أيضاً رحمه الله :

يا إخوَتي وَذويْ ودِّي وخالِصَتي   حُزْني عليكم مَدَى الأيَّام مُتَّصِلُ

أَحْبِبْ إليَّ بلَيْلِ التِّمِّ أَسْهَرُهُ   تَفكُّراً فيكمُ والدَّمعُ يَنهمِلُ

دِيارُكم إن خَلَتْ مِنْكم وفارَقَها   نُورُ المهابةِ وانحطَّتْ بها الكَلَلُ

فما الزَّمانُ بمأمونٍ على أحَدٍ   ولا تَدُومُ بهِ الأيَّام والدُّوَلُ

كُنْتُم كأنَّكُمُ شمسُ النَّهارِ بها   قد أَشرَقَتْ وهي من أبراجِها الحَمَلُ

وقال أيضاً رحمه الله :

إخوَتي شُلَّتْ يدُ البَيْـ   ـنِ لقد جارَتْ علينا

واعتَدَى الدَّهرُ بلا   جُرْمٍ وما كُنا اعتَدَيْنا

فَتفرَّقنا كأنَّا   لم نكُن قطُّ التقينا

وَيْحَ قلْبي من دِيارٍ   كنتُمُ فيها عَفَيْنا

أصبحت قَفْراً كأنَّا   لَمْ نَكُنْ فيها ثَوَيْنا

لا أقَرَّ الله مَنْ قرَّ   تَ لَهُ بالبَيْنِ عينا

وهذه أبيات من شعري في هذا المعنى قلت :

هٰذي دِيارُ بني أبي ومعاشِري   قَفْرٌ عليها وَحْشَةٌ وَظَلامُ

دَرَسَتْ محافظة لهم وتوحشت ... مِنْ بعدِهِم وَتعفَّتِ الأَعْلامُ
فإذا مَرَرْتَ بها فقُلْ مُتَمَثِّلاً ... (يا دارُ ماصنعتْ بكِ الأَيامُ) [1]

وقلت :

إذا أنا شارَفْتُ الدِّيارَ تحدَّثَتْ ... بمكنون أسراري الدُّموعُ الذَّوارِفُ
وماذا انتفاعي بالدِّيار وقُربِها ... إذا أقفرتْ من كل مَنْ أنا آلفُ

وقلت :

تقولُ ليَ الأشواقُ هذي ديارُهم ... فقلتُ نَعَمْ لكنَّها منهمُ قَفْر
وما كُنتُ أهوى الدَّار إلَّا لأهلِها ... وبعدَهُمُ لاجادَ ساكِنَها القَطْرُ
فما الدَّارُ تِلْكَ الدَّارُ بعد قطينها ... ولا الدَّهرُ فيها بعدَهُم ذلكَ الدَّهرُ

وقلت :

ديارٌ خَلَتْ من أهلِها وتوحَّشتْ ... فليس بها مَرْعَىً لعينٍ ولا خِصْبُ
عَلاها البِلىٰ حتى تَعَفَّتْ رُسُومُها ... وأنكرَها طَرْفي فأثبتها القَلْبُ

وقلت :

بنو مُنْقِذٍ ما أنقذُوا من زَمانِهم ... وكم أنقذوا مِنْ مُرْهَقٍ وأسيرِ

(١) في الأصل تحت هذا البيت ما نصه : نصف المصراع مضمن لأبي نواس. قلت : وهو في ديوانه : ٤٠٧ و«طبقات الشعراء» لابن المعتز : ٢١١ ، وروايته فيها: « مافعلت » بدل « ما صنعت » ، وتتمة البيت : لم تبق فيك بشاشة تستام . وهو من قصيدة جيدة يمدح بها الأمين .

أجاروا على الأيام فاضطغنتهمُ ... وَما استَمْسَكوا مِنْ جَوْرِها بمُجيرِ
فلم يَبقَ منهم غيرَ حَيٍّ كَمَيِّتٍ ... أخي حَسْرَةٍ ما تنقضي وزفيرِ
فقد أقفرتْ منهم ديارٌ عَهِدتُها ... غِياثاً للمَلْهُوفِ وذُخْرَ فقيرِ
وما أقفرتْ من ساكنٍ بل منَ العُلىٰ ... ومنْ نائلٍ هامي السَّحابِ غزيرِ

وقلت :

ديارَ الهوى حَيَّا معالِمَكِ القَطْرُ ... وإن لَمْ يَدَعْ إلا تذكُّرَكِ الدَّهرُ
عَهِدتُكِ أُفقاً للسُّعودِ وساكنو ... ربوعِكِ في أرجائكِ الأنجُمُ الزُّهر
وعصرُهُمُ فصلُ الرَّبيعِ نضارةً ... فهل يَرْجِعَنْ لي ذلكَ الزَّمنُ النَّضرُ
إذا مرَّ في فكري الدِّيارُ وأهلُها ... فيا ليَ من وَجْدٍ يُجَدِّدُه الذِّكرُ
إذا أَوْحَشَتْني وَحدَتي بعدَ فقدِهِم ... وَلِهتُ كأني قد أصابنيَ السِّحْرُ
فكيفَ التَّسلِّي والتأسِّي فيهمُ ... ولا عِوَضٌ منهم ولا عنهُمُ صَبْرُ
لقد ساءَني الدَّهرُ الذي سرَّني بهم ... وما ظلموا ساؤوا قِصاصاً بما سرُّوا

وقلت :

قل للَّذي فَقَدَ الأحبَّةَ وانثنى ... يَسقي ديارَهُمُ دُموعاً تَسْجُمُ [1]
ماذا وُقوفُكَ في الدِّيارِ مُسائلاً ... عن أهلِها ومتى يُجيبُ الأبكَمُ ؟

(١) هذه القطعة مكررة وقد ذكرها في الفصل الأول من الكتاب. انظر ص : ٥٤ .

سَلْ عنهمُ صَرْفَ الزَّمانِ فإنَّه   بهمُ من الدَّار المُحيلةِ أعلَمُ
أفناهمُ رَيْبُ المنون وهذه   آثارُهم عِظـةٌ لِمَنْ يَتوسَّمُ
هي شِيمةُ الأيام كَفٌّ تَبْتَني   مُذْ كانتِ الدُّنيا وكَفٌّ تَهدِمُ
وإذا رأيتَ مُحسَّدِينَ فقلَّمـا   تُرجيهمُ الأحداثُ حتى يُرْحَموا
ونرى تَقَلُّبَ هـذه الدُّنيا بنا   وكأنَّنا فيهـا سُكارى نُوَّمُ

وقلت :

لاجادَ رَبْعَكِ من ديارٍ أقفرت   من أهلِها صَوْبُ الغَمام الماطِرِ
لم يُبْقِ منكِ الدَّهرُ إلا حَسْرَةً   للذَّاكِرينَ وعِبرَةً للنَّـاظرِ
يا حُسْنَ أوَّلِ ذلك الدَّهرِ الذي   قد كان فيكِ وقُبْحَ هذا الآخرِ

وقلت :

إذا بكى لِدِيارٍ بادَ ساكِنُها   ذو وَحْدَةٍ سَاءَهُ في دارِهِ الزَّمنُ
بَكَيْتُ أهلي وأوطاني وآسفني   أنْ ليس لي بَعْدَهم دارٌ ولا سَكَنُ
أخنى الزَّمانُ على قومي ومَلَّكَ أوْ   طَاني سِوايَ فلا أَهْلٌ ولا وَطَنُ
ولمْ تَدَعْ لي المنايا مُشتَكى حَزَنٍ   أبثُّه كَمَدي إنْ عادَني حَزَنُ

آخر ما أثبته من شعر قومي وشعري .

وقال الشريف المرتضى أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي رضي الله عنه :[1]

دِيارٌ كَرَعْنَ الضَّيْم فهو مصرَّفٌ   ونادى بهنَّ الموْتُ أهلاً فأَسْمَعا

(١) ليست هذه الأبيات في ديوانه .

كأنَّ قَطينَ الحيِّ بَعْدَ تَفَرُّقٍ   جَنَتْهُ اللَّيالي سَاعَـةً مـا تجمَّعا
ولو كان يدري بالَّذين تفرَّقوا   تَوَجَّعَ مِنْ فُقْدانِهِم وتَفَجَّعـا

وقال أيضاً :

ولمـا مَرَرْنا بالدِّيارِ التي خَلَتْ   فهُنَّ لِفِقْدانِ الأنيس نَواحِلُ[1]
فإشْراقُها بعـدَ الذين تحمَّلوا   ظَلامٌ وضحْواتُ النَّهارِ أصائِلُ
أثارَ الجوى عِرفانُها وتبادرتْ   على أَهلِها مِنَّا الدُّموعُ الهوامِلُ

وقال المرتضى أيضاً :

يا ديارَ الأحبابِ لاأَبْصَرَتكِ الـ   ـعينُ من بعدِ أنْ حُلِلْتِ رُسُوما[2]
إنَّ عيشاً لنا خَلَسْناهُ مِنْ أيـ   ـدي الرَّزايا لَدَيْكِ كان نعيما[3]

(١) لم ترد في الديوان أيضاً .

(٢) ديوانه : ٢٠٧/٣ من قصيدة يفتخر بها مطلعها :

خلِّيها إنَّها تريد الغميما   طالما أنجد الصَّحيح السقيما

(٣) في الديوان بعد هذا البيت :

أين ظبيٌ عهدتُه في نواحيـ   ـك دَخولاً حبَّ القلوب هَجوما ؟
أقصدتني عيناه يوم تلاقيـ   ـنا بفسحِ الحمى وراحَ سليما
والتقطنا من لفظه الدر نثراً   ورأيناه بابتسامٍ نظيما
واعتنقنا فكنتُ سقماً هضيماً   ذا نُحولٍ وكان حُسناً هضيما
كيف أبغي نَصْفاً وقلبيَ ولىٌّ   طائعاً للهوى عليَّ غشوما
وإذا قلت قد سَلوْتُ وخلى الـ   ـحبُّ عني لقيتُ منه عظيما —

مَنْ عَذيري مِنَ الزَّمانِ أخي عَوْ   جاءَ أَعْيا عَليَّ أَنْ يَسْتَقِيما [1]

ليس يُعْطي البقاءَ إلّا لِمَنْ يسـ   ـلُبُـهُ ذلك البقـاءَ حَميما

كتب إليَّ المَلِكُ الصَّالح ، ناصر الأَبَهَةِ ، كاشِفُ الغُمَّةِ ، أمـيرُ الجيوش ، سيف الإسـلام ، غياث الأنام ، كافل قضاة المسلمين ، وهـادي دُعاةِ المؤمنين ، أبو الغارات طلائع بن رُزّيك [2] فتى أمـيرِ المؤمنين عزيز مصر رَحِمَهُ الله قصيدةً من نَظمِهِ يُعزّيني عَنْ أهلي الذين هَلَكوا في الزلازل رحمهم الله ، منها :

— وشكوت الهوى وما صنع الحـ   ـبُّ بقلبي فما وجدت رحـيما

ليس يجدي ودمع عيني نموم   بالهوى أن ترى اللسان كتوما

ولقد قلت والجوى يخرس النطـ   ـق ذهولاً وحيرة ووجومـا

كيف أمسيت راحـلاً بفؤادي   عن بلادي ولم أرِمها مقيـما

لست يا أيها العـذول عن الحـ   ـب كليماً منه وتبّ كليـما

لا تلمني فكل من حمل الأشـ   ـجان يرضى بأن يكون ملومـا

أي شيء مني على راقد الطر   ف خليٍّ إن بت أرعى النجوما

وإذا كنت بالهوى ذا اعوجاج   فاهنَ دوني بأن تكون قويمـا

لا تزدني بذا الزمان اختباراً   فلقد كنت بالزمان عليـما

أين أهل الصفاء كنا جميعاً   ثم ولوا إلـف الرياح هشيـما

رمتهم بعد أن توفاهم المـو   ت فما ان أصبت إلا رميـما

(١) في «اللسان» ، يقال : عذيري من فلان ، أي : من يعذرني .

(٢) هو طلائع بن رزّيك الملقب بالملك الصالح ، أبي الغارات ، أصله من —

لَهْفَ نفسي على دِيارٍ مِنَ السُّـ   ـكان أَقْوَتْ فليس فيها عَريبُ [1]

ولكم حلَّهـا فأنْسَتْهُ أوطا   نَ صِباهُ والأهل يوماً غَريبُ

فاحتسِبْ ما أصابَ قومَكَ مجـ   ـد الدّين واصبر فالحادِثاتُ ضُرُوبُ

هكذا الدَّهْرُ حُكْمُهُ الجوْرُ والـ   ـعَدْلُ وفيهِ المكروهُ والمحبوبُ

إنْ تَخَصَّصْكُمُ نوائب ما زا   لت لكم دُونَ مَنْ سِواكُمْ تَنوبُ

فكذاكَ القَناةُ يُكسَرُ يوم الرَّ   وع منهـا صَدْرٌ وتبقى كُعوبُ

— الشيعة الامامية في العراق ، ثم قدم مصراً ، فترقى في الخدم حتى ولي منية بن خصيب في الصعيد ، فلمـا قتل عباس الصنهاجي الخليفة الظافر ، لجأ اليه أهـل القصر واستصرخوه ، فأقبل ، وملك مصر ، واستقل بالأمور في عهـد الخليفة الفائز ٥٤٩ — ٥٥٥ هـ ، ولما مات الفائز ، وبويع العاضد ، استمر ابن رزيك وزيره ، وزوجه ابنته ، وكان صغيراً ، فاستبد بالأمر دونه ، وقطع أرزاق الخاصـة ، فدبرت له مؤامرة لقتله ، فقتل سنة ٥٥٦ هـ ، كان شجاعاً فارساً حازماً جواداً صادق العزيمة ، لا يترك غزو الفرنج في البر والبحر ، وقد أجلى الصليبيين عن بلاد كثيرة في فلسطين . انظر ترجمته في «وفيات الأعيان» ٢/٢٠٨ ، و«مرآة الزمان» ٨/٢٣٧ ، و «الخريدة» قسم شعراء مصر : ١/١٧٣ .

(١) الأبيات في «الديوان» : ٦٠ ، و«ديوان أسامة» : ٢٩٦ ، و «الروضتين» ١/٢٦٧ من قصيدة طويلة نثرها أسامة رحمه الله في ديوانه : ٧ و ١٥٣ و ١٦٤ و ٢٩٦ . وأقوت : خلت . وفي «اللسـان» : وما بالدار عريب ومُعرِب ، أي : أحد ، الذكر والأنثى فيه سواء ، ولا يقال في غير النفي .

فصل آخر
في ذكر الديار

قال كُثيِّرُ بن عبد الرَّحمن الخزاعي :

أشاقك بالعبوقرة الدِّيارُ ... نَعَمْ منّا منازلُها قِفارُ [١]

أحبُّ الأرضِ أرضٌ دمَّنُوها ... وكان لهم بها يوماً قرارُ [٢]

فما عندي لِواشٍ في هواكم ... رِضىً حتى يموت ولا اعتذارُ

وقال محمَّدُ بن عبد الملك بن حبيب بن تمام بن معبد بن فقعس ابن طريف [٣] :

وإنَّ مُروري بالدِّيارِ التي بها ... سُلَيمى ولم أُلمِمْ بها لَجَفاءُ

(١) في « اللسان » العبوقرة : اسم موضع ، قال الهجري : هو جبل في طريق المدينة من السيَّالة قبل ملل بميلين ، ثم أنشد البيت .

(٢) في « اللسان » ودمنّ القوم الموضع : سوَّدوه وأثروا فيه بالدِّمَن ، ويقال: دمَّنَ فلان فناء فلان تدميناً : إذا غشيه ولزمه .

(٣) في « الفهرست » لابن النديم ص : ٧٩ : الفقعسي واسمه محمد بن عبدالملك الأسدي راوية بني أسد وصاحب مآثرها وأخبارها ، وكان شاعراً أدرك المنصور ومن بعده ، وعنه أخذ العلماء مآثر بني أسد . وانظر « الورقة » لابن الجراح : ١٢ ، و « السمط » ١/٤٠ ، و « معجم البلدان » مادة صارة ٥/٣٣٠ ، و« حماسة البحتري » .

وما بالهوى يا أُمَّ عمروٍ ولا الذي ... تحمَّلْتُ من وَجْدٍ عليك خَفاء

على أنني يا أُمَّ عمروٍ تَهيجُني ... ديارٌ لكم بالأبرقَيْن خلاء [١]

وقال صالح بن عبد الله بن الحجاج :

كفى حَزَناً يا سُعْدُ إنْ بِنْتِ أن أرى ... ديارَكِ يغليها الحَمامُ المُطوَّقُ

وأنْ يَسْجعَ القُمريُّ فيها إذا بدا ... لركبانها قَرْنٌ من الشَّمس أَوْرَقُ

وأن لا أرى يا سُعدُ أهلَكِ جيرةً ... وأهلي إلا رَيْثَما نتفرَّقُ

وقال أبو نواس :

حيِّ الدِّيارَ إذِ الزَّمانُ زَمانُ ... وإذِ السِّماكُ حرىً لنا ومَعانُ [٢]

(١) في « معجم البلدان » واذا جاؤوا بالأبرقين في شعرهم هكذا مثنى ، فأكثر ما يريدون به ابرقي حجر اليمامة ، وهو منزل على طريق مكة من البصرة بعد رميلة اللوى للقاصد مكة ، ومنها الى فلجة .

(٢) ديوانه : ٤٠٤ من قصيدة يمدح بها هارون الرشيد وفيه « وإذا الشباك» . وفي «معجم ما استعجم» ٣/٧٧٧ : الشباك على لفظ جمع شبكة : موضع بالبصرة ، قال المفجَّع : إذا جاوزت النحيت من أرض البصرة ، وصرت بين الأحواض ، وأنقاء الطوي ، فهناك الشباك ، وقال ياقوت : والشباك أيضاً : طريق حاج البصرة على أميال منها عن نصر . وهي قريبة من سفوان ، ولذلك قال أبو نواس: وهو بصري، ثم أنشد البيت الأول والثاني ، وفيه «خوى» مكان «حرى» وهو تحريف. وفي «اللسان» الحراة : الساحة والعقوة والناحية ، وكذلك الحرى مقصور . والمعاد : المباءة والمنزل ، ومعان القوم : منزلهم . وقد خلط محقق الديوان في معنى هذا البيت تخليطاً عجيباً فانظره .

يا حبَّذا سَفَوانُ من مَتَرَبَّعٍ ... ولرُبَّما جَمع الهوى سَفَوانُ [١]

فإِذا مَرَرتَ على الدِّيار مُسَلِّماً ... فلغيرِ دارِ أُمَيْمَةَ الهِجرانُ

وقال أيضاً :

قُلْ لديارٍ حَيَّيْتَهـا خُرُسِ ... مِنْ صَمَمٍ ماعييتِ أمْ خَرَسِ ؟ [٢]

هـاجَرَ عنهنَّ سَكْنُهُنَّ فما ... فيهنَّ مِنْ جِنَّـةٍ ولا أَنَس [٣]

إلا شبيـهٌ بهـا لبَعْضِهِم ... في حَورِ المُقلَتَـيْنِ واللَّعَس [٤]

---

(١) سفوان ، بفتح أوله وثانيه : ماء على قدر مرحلة من باب المربد بالبصرة، وبه ماء كثير . الساقي : هو التراب ، والتربع : اسم المكان الذى ينزله القوم أيام الربيع .

(٢) ديوانه : ٥٠٤ وفي «اللسان» البناء الأحرس : هو القديم العادي ، الذي أتى عليه الحرس ، وهو الدهر ، وبناء أحرس : أصم. ورواية البيت في الديوان :

هل لديارٍ حيَّيتها دُرُسِ ... من صَمَمٍ ما هتفت أو خرس

وهي رواية ساقطة لا وجه لها .

(٣) في الديوان « غُيِّب عنهن » والسكن : أهل الدار ، اسم لجمع ساكن ، كشارب وشرب . الأنس ، بالتحريك : الحي المقيمون .

(٤) رواية البيت في الديوان :

إلا شبيهاً بهنَّ في وضح الـ ... جيد وحُسن العيون واللَّعس

والحور : أن يشتد بياض العين وسواد سوادها ، وتستدير حدقتها ، وترق جفونها ، ويبيض ما حواليها . واللعس : سمرة الشفاه .

وقال قيسُ بنُ الخطيم [١] :

أَتَعرِفُ رسماً كاطِّرادِ المذاهِبِ ... لِعَمْرَةَ وحْشاً غيرَ مَوْقِفِ راكبِ [٢]

---

(١) هو قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي الشاعر المشهور من أهـل يثرب من شعراء الطبقة الثانية ، وسمي أبوه «الخطيم» لضربة كانت خطمت أنفه ، وقتل أبوه وهو صغير ، قتله رجل من الخزرج ، فشبت بسبب ذلك حروب بين قومه وبين الخزرج ، حتى ظفر قيس بقاتل أبيه فقتله ، أدرك الاسلام ، وتريث في قبوله فقتل قبل أن يدخل فيه ، انظر ترجمته في «الأغاني» ٢/١٥٤ ، و «معجم الشعراء» : ١٩٦ ، و «الاصابة» ٣/٢٦٦ ، و «طبقات فحول الشعراء» : ١٩٠ و «معاهد التنصيص» ١/١٩١ ، و «شرح الحماسة» للتبريزي : ١/٩٤ ، و «الخزانة» ٣/١٦٨ ، و «رغبة الآمل» ٦/٧١ .

(٢) ديوانه : ٣٣ . وفي «الجمهرة» و «الخزانة» : «كالطراز المذهب» وفي «الطبقات» «لعمرة قفراً» . قال ابن السكيت: اطراد : افتعال ، من قولك «اطَّرد» إذا تتابع ، يقال: اطرد القول والماء : إذا تتابع . والمذاهب : جلود كانت تذهَّب ، واحدها : مذهب ، تجعل فيها خطوط مذهبة ، بعضها في إثر بعض ، فكأنها متتابعة، فيقول: يلوح رسمها كما يلوح هـذا المذهب . وحشاً : قفراً ، وقال بعضهم : اطرادها : استقامتها. وفي «الأضداد» ٢٨٦ لابن الانباري، قال ابن السكيت : أراد بقوله «غير موقف راكب» إلا أن راكباً وقف ، يعني نفسه ، وقال غيره : لم يرد الشاعر هذا ، ولكنه ذهب إلى أن «غير» نعت الرسم ، تأويله : أتعرف رسماً غير موقف راكب ، أي : ليس بموقف الراكب ، لاندراس الآثار منه ، وامِّحاء معالمه ، فمتى ـ

دِيارَ التي كادَتْ ونحنُ على منىً   تَحُلُّ بنا لولا نَجاءُ الرَّكائبِ [1]

تَبدَّتْ لنا كالشَّمسِ تحتَ غَمامةٍ   بدا حاجِبٌ منها وضَنَّتْ بحاجبِ [2]

=بصر به الراكب من بعد ذعر منه فلم يقف به ، وتفسير ابن السكيت يدل على أن الراكب أراد به الشاعر نفسه ، أي : إلا أني أنا وقفت به متذكراً لأهله ومتعجباً من خرابه وخلائه من سكانه الذين كنت أشاهد وأعاشر . والمذاهب : جلود فيها نقوش مذهبة. والاطراد : التتابع ، من قولهم : قد اطرد القول : إذا تتابع ، وشرحه الاستاذ محمود شاكر بقوله : يستنكر ما أصاب الدار حتى أنكرها ، وبقيت رسومها بعد المطر والرياح ، ترى من بعيد كأنما يطرد بعضها في إثر بعض ، وأقفرت لولا موقف هذا الراكب الذي عاج عليها ، يعني نفسه .

(١) في «الأشباه والنظائر» : «فتلكَ التي كادت» قال ابن الانباري : معناه : غلبت على قلوبنا ، واتصل ذكرها بيننا حتى كادت تحل بنا ، لقربها من قلوبنا ، لولا أن ركائبنا أسرعت ومضت بنا من هذا الموضع . وقال الخالديان : يريد : أنا نظرنا إليها ونحن سائرون ، فلولا أن الابل — لما شغلنا بالنظر اليها — سارت ونحن لا نعلم لكنا قد زلنا . وفيه قول آخر ، وهو أنا كنا محرمين ، فكدنا بنظرنا إليها أن نحل فيفسد إحرامنا . وقال الاستاذ محمود شاكر : تحل بنا : تجعلنا نحل وننزل ، عاقبت الباء الهمزة . حل به المكان ، وأحله المكان : أنزله ، والنجاء : سرعة السير . يقول : كادت عمرة أن تحملني على الاقامة أبداً في منى من شدة فتنتي بها وحبي لها ، لولا نفرة الناس عن منى بعد قضاء حجهم وتفرقهم إلى بلادهم، لكنت خليقاً أن أقيم .

(٢) في «الطبقات» و«اللسان» و«التاج» : «تراءت لنا» قال ابن السكيت : أراد انها إنما اظهرت له بعض وجهها . وحاجب : جانب . وفي «ديوان المعاني» ١/٢٢٩: قالوا: —

ولم أرَها إلا ثلاثاً على مِنىً   وعهدي بها عَذْراءَ ذاتَ ذوائبِ [1]

وقال ذو الرمة [2] :

أراجعةٌ يا ليلُ أيَّامُنا الأُلى   بذي الرِّمْثِ أم لا ما لَهُنَّ رُجوعُ [3]

وخَيْماتُكِ اللاتي بمُنْعَرَجِ اللِّوى   بَلِينَ بلىً لم تَبلَهُنَّ رُبوعُ [4]

— احسن ما قيل في الوجه من الشعر القديم قول قيس بن الخطيم « تبدت لنا كالشمس ... » البيت مأخوذ من قول النمر بن تولب

فصدت كأن الشمس تحت قناعها   بدا حاجب منها وضنّت بحاجب

(١) في «الحماسة البصرية» ورقة : ١٧١ «وأحسن بها عذراء» قال ابن السكيت : عذراء :حديثه ، وانما أراد : عهدي بها ولم تبلغ أن ينالها الرجال ويروى

وعهدي بها أيام نحن على منى   وأحسن بها عذراءَ ذاتَ ذوائب

(٢) ديوانه : ٤٤١ عدا البيت الثاني ، والأبيات من قصيدة كثر الخلاف بين الرواة في نسبتها،فبعضها ينسب لمجنون ليلى ، وبعضها لقيس بن ذريح وبعضها لجميل، وبعضها للضحاك ، وانظر «سمط اللآلي» ١/٣٧٩ ، و«ديوان المجنون» : ١٩٠ ، و«ديوان جميل» ١٢٠ ، و «قيس ولبنى» : ١١٢ .

(٣) في الديوان : «أراجعة يامي .... التي » وفي ديوان جميل : «أعائدة يابثن أيامنا الألى .. بذي الطلح ... » وفي «قيس ولبنى» : «أراجعة يالبن .... بذي الطلح ... » وفي «الأغاني» : «بذي الأثل» .

(٤) في ديوان جميل : «لقمريها بالمشرقين سجيع» والمنعرج : حيث ينعرج الوادي وينعطف ، واللوى : واد لبني سليم . وفي «السمط» قال ابن دريد : قوله: —

ولو لم يُهجني الظّاعنونَ لهاجني | حمائمُ وُرْقٌ في الدّيارِ وُقوعُ [١]

تداعين فاستبكين من كان ذا هوى | نوائحُ لم تُذْرفْ لهُنّ دموعُ [٢]

وقال أبو نباته الكلابي [٣] :

بَدا لي وللتّيْميّ قُلّةُ صامعٍ | على بُعدها مثلَ الحصانِ المُجلّلِ [٤]

«لم تبلهن ربوع» غلط ، والصواب «لم تبله» وله تأويـل بعيد يخرج عليه ، ذكر أبو علي الفارسي في كتاب «التذكرة» انه أراد لم تبل بلاهن ربوع، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ، وقال غيره :إنما قال: «لم تبلهن» لتشبث البلى بالخيمات كما قال الفرزدق (والصواب جرير)

لما أتى خبر الزبير تواضعت | سورُ المدينة والجبال الخشّع

(١) في الديوان «ولو لم يشقني الظاعنون لشاقني حمام تغني ...» والظاعنون : الراحلون ، والورق : جمع ورقاء ، وهي التي يميل لونها الى الخضرة ، والوقوع: التي هبطت على الأرض أو الشجر .

(٢) في «الديوان» ، و «قيس ولبنى» « تجاوبن .... نوائم ماتجري....» والبيت في «الأغاني» وابن الشجري «... لم تقطر ..» .

(٣) قال الاستاذ أحمد شاكر في هامش «لباب الآداب» : لم أعثر على ترجمة لهذا الشاعر في الكتب التي بين يدي ، ونباتة يحتمل فيه ضم النون وهو الغالب في الأسماء ، ويحتمل الفتح ، فان الزبيدي نقل في « التاج » اسم « نباتة بن حنظلة »بالفتح وأنه من بني بكر بن كلاب ، وهذا الشاعر كلابي ، فلعله يكون بالفتح أقرب ،

(٤) «لباب الآداب» : ٤١٤ ، وفيه : «على بُعده» وصامع : لعله اسم جبل ، ولم يوجد في شيء من كتب البلدان والمعاجم .

فقلتُ أرى تلك الديارَ التي بها | أُمَيمةُ يا شَوقَ الأسيرِ المكبَّلِ

وقال أيضاً :

أريْتكَ إنْ نجْداً ألظَّ بأهلِهِ | وَحرّتِهِ العُليا الغيوثُ الرّواجِسُ [١]

وعاد نباتُ الأرضِ رطْباً كأنّهُ | إذا اطّردَتْ فيهِ الرّياحُ الطّيالِسُ

أمُطّلِعٌ تلك الدّيارَ فناظرٌ | إلى أهلِها أمْ أنتَ من ذاكَ آيسُ؟

وقال مهيار :

إنّ الذين نَسُوا برامَةَ عَهدَنا | سَعِدوا وأشقانا بـه أوفانا [٢]

ظَعَنوا وشِبْتُ وما كَبِرْتُ وإنما | سارَ الشّبابُ يُودِّعُ الأظعانا

أجِدُ الدّيارَ كما عَهِدْتُ وإنّما | شكوايَ أنّي أفقِدُ الجيرانا [٣]

---

(١) «لباب الآداب» : ٤١٤ ، وفيه: «بأرضه» وألظ المطر : دام وألح ، وفي عالية نجد ثلاث حرار مشهورات : حرة سليم ، وحرة شوران ، وحرة ليلى ، وهي التي يريدها الشاعر ، فقد نقل ياقوت عن السكري أن «حرة ليلى» معروفة في بلاد بني كلاب . وقد كان البيت في الأصل الذي طبـع عن « لباب الآداب» مصحفاً تصحيفاً كبيراً لا يكاد معه يقرأ ، فصححه الاستاذ محمود شاكر اجتهاداً منه،فجاء اجتهاده مطابقاً لما ها هنا .

(٢) ديوانه : ٤/٥٥

(٣) في الأصل : «كما عهدتي» والتصويب من الديوان .

وقال آخر :

أمرُّ على الدِّيارِ ديارِ ليلى ... أُقبِّلُ ذا الجدارَ وذا الجدارا (١)

وما مِنْ حُبِّي الجُدرانَ لكنْ ... محبَّةُ كلِّ من سَكَنَ الدِّيارا (٢)

وقال عَبْدَةُ بن الطبيب (٣) :

كأنَّ ابنةَ البَكريِّ يومَ اجتلَيْتُها ... عُبَيْدَةَ مكحولُ المدامعِ مُرْشِقُ (٤)

---

(١) البيتان لمجنون بني عامر في «ديوانه» : ١٧٠ ، و«الخزانة» : ١٦٩/٢ ، قال البغدادي : روي أنه كان إذا اشتد شوقه الى ليلى يمر على آثار المنازل التي كانت تسكنها ، فتارة يقبلها ، وتارة يلصق بطنه بكثبان الرمل ، ويتقلب في حافاتها ، وتارة يبكي وينشد هذين البيتين .

(٢) في «الديوان» و«الخزانة» : «وما حب الديار شغفن قلبي» وقد أنشده شارح «الكافية» شاهداً على ان المضاف وهو «حب» اكتسب التأنيث والجمعية باضافتة إلى «الديار» ، وهو جمع دار ، وهو مؤنث سماعي .

(٣) هو عبدة بن يزيد بن عمرو بن وعلة بن أنس بن عبدالله بن عبد نهم : شاعر مجيد مخضرم أدرك الاسلام فأسلم ، وشهد مع المثنى بن حارثة قتال هرمز سنة ١٣ وكان في جيش النعمان بن مقرن الذي حارب الفرس بالمدائن انظر ترجمته في «الأغاني» : ٢٨/٢١ ، و«المفضليات» : ١٣٤ ، و«الشعر والشعراء» : ٧٠٥/٢ و«معاهد التنصيص» ١٠٢/١ و «السمط» : ٦٩/١ ، و« رغبة الآمل» : ٩٠/٥ .

(٤) في «اللسان» : ورشقهم بنظرة : رماهم ، والارشاق : إحداد النظر ، وأرشقت المرأة والمهاة قال القطامي :

ولقد يروق قلوبهنّ تكلمي ... ويروعني مُقَلُ الصِّوار المرشِقِ

وذكَّرَنيها بعدَ ما قد نسيتُها ... ديارٌ عليها وابلٌ مُتَبَعِّقُ (١)

وقَفْتُ بها والشَّمسُ دونَ مَغيبِها ... قريباً فهاجَ الشَّوقَ من يتشوَّقُ

قليلاً فلمّا استعْجَمَتْ عن جوابنا ... تعزَّيْتُ عنها والدُّموعُ تَرَقْرَقُ

فلا الدَّارُ تُدنيها لنا غيرَ فَيْنَةٍ ... ولا حُبُّها عن شاحِطِ النَّأيِ يَخْلَقُ (٢)

وقال جرير بن عطيَّة :

لِمَنِ الديارُ ببُرْقَةِ الرَّوْحانِ ... إذْ لا نبيعُ زمانَنا بزمانِ (٣)

أَصْبَحْتِ بعد نعيم عيشٍ مُونِقٍ ... قَفْراً وبعد نواعمٍ أَخْدانِ (٤)

هل رامَ جوُّ سُوَيقَتَيْن مكانَهُ ... أم حلَّ بعدَ محلِّنا البَرْدانِ (٥)

---

(١) في «اللسان» الباعق : المطر يفاجىء بوابل ، ومطرٌ بُعاق وبعاق : مندفع بالماء ، وقد تبعَّق يتبعَّقُ وانبعق ينبعقُ .

(٢) الفينة : الحين والشحط : البعد ، وشحطت الدار تشحَطُ : بعدت . والنأي هنا : الفراق ، يخلق : يبلى .

(٣) ديوانه : ٥٦٩ ، والنقائض : ٨٨٨ . والبرقة : حجارة ورمل ، أو حجارة وطين ، والروحان : أقصى بلاد بني سعد ، ونقل ياقوت عن الحفصي أنه روضة تنبت الرِّمث باليمامة . قلت : والرمث : شجر من الحمض يشبه الغضى ترعاه الابل .

(٤) رواية الديوان : «أصبحن . . . مؤنق»

(٥) رام : زال وبرح . وقوله «جو سويقتين» يريد سويقة فثناه للضرورة ، وجو سويقة : من أجوبة الصمان ، وبه ركية واحدة قاله الحفصي . والجو في اللغة : ما اتسع من الأودية . والبردان : موضع من بلاد بني يربوع بالحزن .

هل تُؤْنِسان ودَيْرُ أَرْوى دونَنا ... بالأعزَلينِ بواكِرَ الأظعان [1]

راجَعْتُ بعـد سُلُوِّهِنَّ صَبابتي ... وعرَفتُ رَسْمَ منازِلٍ أَبكاني [2]

وقال النابغة الجعدي :

هـل بالدِّيارِ الغَداةَ مِنْ صَمَمِ ... أمْ هل بِعهْدِ الأنيسِ منْ قِدَمِ [3]

أم ما تُحَيِّي مِنْ ماثِلٍ دَرَجَ السَّيْلُ ... عليهِ كالحوْض مُنْهَدِمِ [4]

تسـأَلُهُ العَهْدَ وهو عَهْدُكَ واسْـ ... ـتَجْمَعَ من حَلَّـهُ ولَمْ يَرِمِ [5]

إنَّكَ أنتَ المحزونُ في أَثَرِ الـ ... ـقوم فإن تَنْو نِيَّهم تُقِـم [6]

---

(١) قال ياقوت : ١٢٢/٤ دير أروى لم أجده الا في شعر جرير ، وأنشد البيت والذي قبله، ثم قال : وأظنه بالبادية، وقال ايضاً : ٢٩٠/١ والأعزلان : اسم لواديين ، يقال لأحـدهما : الأعزل الريان ، لأن به ماء ، ولـلآخر : الأعزل الظمآن ، لانه لاماء به ، قال ابو عبيدة : الأعزلان : واديان يقطعان أرض المروت في بلاد بني حنظلة بن مالك ثم أنشد البيت .

(٢) في الديوان «صبابة»

(٣) البيت الاول والثاني والرابع في «الاغاني» ٢٦/٥ ، والتاسع في « الاضداد » ٢٦٩ وفي الاغاني «بربع» والأنيس : المؤانس وكل ما يؤنس به .

(٤) في الاغاني : «أم ما تنادي» والماثل : الدارس ودرج عليه : انحدر ، والحوض : مجتمع الماء .

(٥) لم يرم : لم يبرح .

(٦) في «الاضداد» لابن الأنباري : ٢٦٩ : ومما يفسر من الشعر تفسيرين—

كان بها بعضُ مَنْ هَويتُ ومن ... يلْقَ سُروراً في العيش لم يَدُمِ

يَسأَلُني صَاحبي بدائي وقد ... نامَ عِشاءً وبِتُّ لمْ أَنَمِ

إنَّ شِفائي وأَصْـلَ دائي لشيْـ ... ـءٌ واحِدٌ وهو أَكْبَرُ السَّقَمِ

مِنْ عَهْدِ ما أوْرَثَتْ حَبيبه والشَّـ ... ـرُ يُوافي مَطالِعَ الأكمِ

أَكني بغـيرِ اسمِها وقد يَعْلمُ الـ ... ـله خَفِيَّـاتِ كلِّ مُكتَتَمِ [1]

مَخافـةَ الكاشِحِ المُكثِّرِ أنْ ... يَطرَحَ فيهـا عوائِرَ الكَلِمِ

وقال الأخطل :

لِأسماءَ مُحْتَلٌّ بظاهِرَةِ البِشْرِ ... قديمٌ ولمَّا يَعْفُهُ سالِفُ الدَّهرِ [2]

– متضادين قول الجعدي . . البيت . أخبرنا ابو العباس ، قال : حدثنا بعض أصحابنا ان رجلا جاء بكراسة الى كيسان ، فقال له كيسان : مافي كراستك هذه ؟قال: شعر النابغة الجعدي ، قرأته على الأصمعي ، فقال له : فما حفظت من تفسيره ؟قال: حفظت عنه انه قال : «فان تنو نيهم تقم» معناه : تقم صدور الابل وتلحق بأهلك ،فقال كيسان : كذب الأصمعي ،لم يرد النابغة هذا ، وقد سمع الجواب من أبي عمرو، ولكنه نسيه ، وانما اراد : فان تنو ما نووا من البعد والقطيعة تُقم ولا تتبعهم حتى يوافق فعلهم فعلك ، وما تنوي ماينوون . قلت: والخبر في ترجمة كيسان في «انباه الرواة» : ٣٨/٣ ، و«معجم الأدباء » : ٢٣/١٧ و «اللسان» مادة :نوى .

(١) في «الكامل» ٦٧٤ : والكناية تقع على ثلاثة أضرب ؛ أحدها : التعمية والتغطية كقول النابغة وأورد البيت . وقال السيوطي في «شرح شواهد المغني» ٢١٠: قال علي بن سليمان الأخفش : أول من سبق إلى الكناية عن اسم من يعني بغيره الجعدي فانه قال : ثم أنشد البيت .

(٢) البيتان في «زهر الآداب» ٧٤٣/٢ ، والأول في « معجم ما استعجم » وفيها« بناظرة—

يَكادُ مِنَ العِرْفانِ يضحَكُ رَسْمُها ... وكم مِنْ ليالٍ للدِّيارِ ومن شَهْرِ [(١)]

وقال زهير بن أبي سُلمى :

قِفْ بالدِّيارِ التي لم يَعْفُها القِدَمُ ... بَلى وغَيَّرَها الأرواحُ والدِّيَمُ [(٢)]

= البشر» وهما عنها في الديوان : ٣٨٤ . قال البكري : ناظرة على وزن فاعلة من النظر : ماء لبني عبس ، وقال عمارة بن عقيل : ناظرة : جبل من أعلى الشقيق على مدرج شرج . . . وقال الأخطل : وأنشد البيت ، ثم قال : فأضافه إلى البشر ، كمارى، والبشر : في ديار بني تغلب ، فهو موضع آخر لا محالة ، وقال ابو عمرو الشيباني: ناظرة : لبني أسد .

(١) في زهر الآداب «رسمه»

(٢) ديوانه : ١٤٥ ، و«مختار الشعر الجاهلي» ١/٢٥٨ ، والأبيات مطلع قصيدة يمدح بها هرم بن سنان المري . قال الأصمعي : العرب تخبر عن الشيء ، ثم ترجع عنه . لم يعفها القدم: لم يدرسها ، ثم رجع فقال : بلى قد عفاها ومثله قول الطهوي :

فلا تبعدن ياخير عمرو بن جندب ... بلى إنَّ من زار القبور ليبعدا

وقوله : « لم يعفها القـــدم » قال أبو عبيدة : فالدار كلها عافية ، وذلك أنه وقف عليهـــا ، وتوهم ورمى ببصره في جوانبها ، وهي عافية ، فرأى موِقـــداً خفياً ، ونؤياً قـــد اندفن إلا أقله ، فلمـا ظهر له ذلك استجدت عنده ، فلذلك قال : « يَعْفُها القِدم » ثم رجـــع إلى نفسه فقال : بلى وغيرهـــا الأرواح والدِّيم . يريد : وان كنت عرفتها بهـــذا الاثر الخفي الذي ظهر لي ، فانها تخفى على غيري ممن لايعرفها . انظر التعليق على البيت في الديوان . وفي شرح « ديوان المتنبي » للعكبري ١/٢٤٤ : قال اصحاب المعاني : قد يفعل الشاعر مثل —

لا الدَّارُ غيَّرَها بُعْدُ الأنيس ولا ... بالدّارِ لو كلَّمَتْ ذا حاجةٍ صَمَمُ [(١)]

دارٌ لِأسماء بالغَمْرَيْنِ ماثِلَةٌ ... كالوَحْيِ ليس بها من أهلِها أَرِمُ [(٢)]

= هذا في التشبيب خاصة ليدل به على ولهه وشغله عن تقويم خطابه ، كقول جران العود :

يومَ ارتحلت برحلي قبل برذعتي ... والعقل مدّله والقلب مشغول

ثم انصرفت الى نضوي لأبعثه ... إثر الُحدوج الغوادي وهو معقول

يريد انه لشغل قلبه لم يدر كيف يرحل ، ولم يدر ان بعيره معقول ، وفي كلامه ما يدل على ولهه بما ذكر من حاله ، وعلى هذا يحمل قول زهير، وأنشد البيت . والأرواح : الرياح . والديم : جمع ديمة ، وهو المطر الضعيف الذي يدوم يوماً او يومين مع سكون .

(١) روى الأصمعي «غيرها بعدي الانيس» يقول : لم ينزلهـا بعدي أنيس فيغيروا ما فيها ، وقد تكلمت بقدر ما يُسْمَعُ فلم تجب ولم تكلمني . ومن روى «بُعْدُ الانيس» يقول : لم يغيرها بعد الانيس قط ، ولكن الأرواح والدِّيم .

(٢) في الأصل تحت كلمة « إرم » : أحـد . وضبط المصنف هـذه الكلمة بكسر الهمزة ، وفتح الراء ، وما أثبتناه عن الديوان ومختار الشعر الجـاهلي . وليس في المعاجم « إرم » بكسر الهمزة وفتح الراء وانما فيها « أرم » بفتحتين ، وبفتح وكسر . وفي الديوان بعد هذا البيت :

سالت بهم قرْقرَى برْكٌ بأيمُنهم ... فالعالياتُ وعن أيسارهم ِخيَمُ

َعومَ السفينِ فلما َحالَ ُدونهمُ ... فَيْدُ القُريَّات فالعتكان فالكَرَمُ

الغمر : موضع ضم اليه موضعاً آخر ، فسماه الغمرين مثل المربدين . والماثل: اللاطىء وهو الذاهب الذي لا يرى له شخص ، والماثل أيضاً : المنتصب ، والوحي : الكتاب ، يعني انه لم يبق من آيات الدار الا رسوم ، كالكتاب المسطور .

كأنَّ عَيني وقد سال التّليلُ بهم ... وعَبرةٌ ما هُمُ لو أنّهم أَمَمُ [١]

غَرْبٌ على بَكْرَةٍ أو لُؤلؤٌ قَلِقٌ ... في السِّلْكِ جاربه رَبَّاتِهِ النُّظُمُ [٢]

وقال امرؤُ القيس بن حجر [٣] :

عُوجا على الطَّلَلِ المُحيلِ لعلّنا ... نبكي الدِيارَ كما بكى ابنُ خِذامِ [٤]

---

(١) في الأصل تحت كلمة «التليل»: واد . وفي «الديوان» و«معجم ما استعجم»٣/٧٥٢، و«معجم البلدان» : ٥/١١٦، و«مختار الشعر الجاهلي» : ٢٥٩ :السايل قال السكري: سال السليل بهم،أي ساروا فيه سيراً سريعاً، والسليل : واد. يقول : اذا انحدروا فيه ، فقد سال بهم. و «عبرة ماهم» ما : صلة ، اي هم لي عبرة ، أي : هم سبب بكائي وعبرتي. لو أنهم أمم : أي قصدٌ كنت أزورهم ولكنهم بعدوا . والامم : بين القريب والبعيد. قال الاعلم : ويحتمل ان يكون جواب «لو» في قوله : وعبرة ما هم . والمعنى :أنهم له عبرة وان قربوا ، أي : قد كان يهجر ويشتاق الى من يحب فيبكي.ويروى: «وجيرة ماهم» المعنى : وجيرة هم لو كانوا قصداً في القرب . وقال محقق الديوان: وانما يقصد بهذا الى التعجب على كلتا الروايتين ، يتحسر على فراقهم ، يريد : وأي جيرة هم كانوا ، ولكنهم رحلوا ، او أي عَبرَةٍ أسكبها لفراقهم اذا فارقوني .

(٢) في «الديوان» : «خان به» بدل «جاربه» الغرب : دلو عظيمة يستقى بها على بكرة . قلق : لم يستقر لما انقطع الخيط ، والنظم ، واحدها نظام : وهو الخيط، شبه دموعه بما يسيل من الغرب ، أو بلؤلؤ قد انقطع من سلكه . والربات : النساء اللواتي ينظمن ، فأراد : خان النظم الربّاتِ لخونها اللؤلؤ .

(٣) البيت الأول والثاني في ديوانه : ١١٤ ، و«مختار الشعر الجاهلي» :٩١/١، والثاني ومعه بيت آخر ذكرهما الطوسي والسكري وابن النحاس .

(٤) في الديوان « لانّنا» قال الاعلم : وهي بمعنى لعلنا . وعوجا ،أي . —

دارٌ لهم إذْ هُمْ لِأهلِكَ جيرةٌ ... إذ تَسْتَبيكَ بواضِحٍ بَسّامِ [١]

فَظَلِلْتُ في دِمَنِ الدّيار كأنني ... نَشوانُ باكَرَهُ صَبُوحُ مُدامِ [٢]

وقال النابغة الذبياني [٣] :

طالَ الوُقوفُ على رُسومِ دِيارِ ... قفرٍ أُسائِلُها وما استخباري؟ [٤]

دارٌ تَعَفَّتْ لا أنيسَ بِجَوِّها ... إلا بقايا دِمْنَةٍ وأواري [٥]

- اعطفا رواحلكما ، وعوجا على الطلل . والمحيل : الذي أتى عليه حول فتغير . وابن خذام : رجل ذكر الديار قبل امرىء القيس، وبكى عليها ، ويروى : «ابن خدام» و «ابن حمام»

(١) تستبيك : تذهب بعقلك وتفتنك . ويريد بالواضح : الثغر النقي الصافي .

(٢) ظللت : بقيت نهاري ، ودمن الديار : آثارها . ونشوان : سكران . باكره: عجل اليه . والصبوح : الخمر تشرب عند الصباح ، يصف أنه أقام في تلك الديار حيران أسِفاً لما رأى من تغيرها ، فشبه نفسه بالنشوان لذلك .

(٣) ديوانه : ٤٠ قال ابن السكيت : قال النابغه في زرعة بن عمرو بن خويلد أخي يزيد بن عمرو بن الصعق الكلابي ، ولقيه بعكاظ ، فأشار عليه أن يشير على قومه بقتل بني أسد وترك حلفهم ، فأبى النابغة الغدر . وبلغ النابغة أن زرعة يتوعده بالهجاء ، فقال : وأولها عند أبي عبيدة : طال الثواء على رسوم الدار . وأولها عند أبي عمرو الشيباني والاصمعي : نبئت زرعة والسفاهة كاسمها .

(٤) في الديوان : «الثواء» وهو الاقامة ، وروى أبو عبيدة «قفراً»

(٥) في الديوان «داراً» قال ابن السكيت : نصب «الدار» على قوله «وما استخباري داراً تعفت ؟ » والجو : البطن من الارض ، والجوف مثله، وتعفت : درست، ومنه:

جادَت عليها فاضْمَحَلَّ رُسومُها ... هَزَجُ الرِّياح بدِيْمَةٍ مِدْرارِ [1]

دارٌ لِمَيَّةَ إذ هُمُ لكَ جِيرةٌ ... هَيهاتَ منْكَ مَنازِلُ الزُّوّارِ [2]

وقال ذو الرّمة غيلان بن عقبة بن مسعود :

كأنَّ ديارَ الحيِّ بالزُّرْقِ خَلْفَةٌ ... من الأرض أو مكتوبةٌ بمدادِ [3]

إذا قُلتُ تعفو لاحَ منها مُهَيِّجٌ ... عليَّ الهوى من طارِفٍ وتِلادِ [4]

وما أنا في دارٍ لميٍّ عَرَفْتُها ... بجَلْدٍ ولا دمعي بها بِجمادِ [5]

إذا قُلْتُ بعدَ النَّأيِ يامَيُّ نَلْتَقي ... عَدَتْني بكُرْهٍ أن أراكِ عوادِ [6]

عفت الديار . والاواري : جمع آري على وزن فاعول : وهي الآخية التي تشد بها الدابة .

(١) في «الديوان» : « قفَّت عليها . . . طلولها . . هزج الرياح بديمة مدرار» قال ابن السكيت : قفَّت وعفَّت : واحد ، واضمحل : درس ، والهوج : التي تجيء مختلفة من كل جانب ، والديمة : المطر الذي يدوم يومين أو ثلاثة .

(٢) في «الديوان» : «الأحوار»

(٣) ديوانه : ١٩١ وفيه «خلقه ... أم مكتوبة » والزرق : كثيب بالدهناء ، يقول : كأنها خلقة من الارض سوداء .

(٤) تعفو : تدرس ، والطارف : المستحدث ، والتلاد : القديم .

(٥) في الديوان « ولا عيني » والجلد : الشدة والقوة ، وفي اللسان : رجل جامد العين : قليل الدمع .

(٦) الشحط : البعد . عدتني عواد : أي صرفتني صوارف .

وقال أيضاً :

أَما والذي حَجَّ المُلَبُّونَ بيتَهُ ... شِلالاً ومَوْلَى كلِّ باقٍ وهالِكِ [1]

وربِّ القِلاصِ البُدْنِ تدْمى نُحورُها ... بمكَّةَ والسَّاعينَ حولَ المناسِكِ [2]

لقد كُنتُ آتي الأرضَ ما يَستَفِزُّني ... لها الشَّوْقُ إلّا أنَّها مِنْ دِيارِكِ [3]

وقال أيضاً :

ألا تَسْألُ اليومَ الرُّسومُ الدَّوارِسُ ... بحُزْوى وهل تدري القِفارُ البَسابِسُ [4]

متى العَهْدُ مِمَّنْ حَلَّها أم كَمِ انقضى ... من الدَّهرِ مُذْجرَّتْ عليها الرَّوامِسُ [5]

ديارٌ لميٍّ ظَلَّ من دونِ صُحْبَتي ... لنفسيَ مِمَّا هيَّجَتْ لي وَساوِسُ [6]

---

(١) ديوانه : ٥٠٧ ، وفي الشرح : شلالاً : طرداً ، أي يشلون بالابل شلاً ، أي يطردونها . ويروى : حج المهلون بيته . الاهلال : رفع الصوت بالتلبية والدعاء ، وقوله : مولى كل باق وهالك : أي : ولي كل هالك وباق .

(٢) في « الديوان » : الخوص . وقال الفراء : أصل المنسك في كلام العرب : الموضع المعتاد الذي تعتاده ، ثم سميت أمور الحج مناسك .

(٣) في «الديوان» : «لقد كنت أهوى الارض»

(٤) ديوانه : ٤٠٢ ، وفيه « ألم تسأل » والبسابس : أرض مستوية لا نبت فيها ، ويقال : سباسب وبسابس ، والقفار : الارض الخالية .

(٥) الروامس : الرياح ترمس كل شيء تأتي عليه ، أي تدفنه ، وفي الشرح : أي متى العهد ممن حلّها ثم ارتحل عنها ؟

(٦) في «الديوان» : « . . بما هاجت علي وساوس» يقول : ظل لنفسي وساوس لما هاجت عليها ، وذلك من دون صحبتي لا أعلمهم .

ولم تُنْسِني مَيّاً نوىً ذاتُ غَرْبَةٍ　　شَطونٌ ولا الْمُسْتَطْرَفاتُ الأوانِسُ [١]

إذا قُلْتُ أَسْلُو عنكِ يامَيُّ لم يَزَلْ　　مَحَلٌّ لداني من ديارِكِ ناكِسُ [٢]

وقال المرقِّشُ الأكبر [٣] واسمه عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة [٤] :

هل بالدِّيارِ أنْ تُجيبَ صَمَمْ　　لو كانَ رَسمٌ ناطِقاً كَلَّمْ [٥]

---

(١) النوى : النية ، والغربة : البعدة ، وشطون : بعيدة فيها اعوجاج عن قصده ، والمستطرفات : نساء يستطرفن .

(٢) يقول : اذا قلت أسلو عنك ، لم يزل محل ينكس دائي الذي بي .

(٣) في الأصل : الاصغر وهو خطأ فان الشعر ليس له .

(٤) المرقش : اسمه عمرو وقيل : عوف بن سعد بن مالك ، وقيل : ربيعة بن سعد بن مالك ، ينتهي نسبه لبكر بن وائل ، وهو أحد من قال شعراً فلقب به ، وهو أحد المتيمين كان يهوى ابنة عم له ، وهي أسماء بنت عوف بن مالك ـ وهو عم المرقش الاصغر ، واسمه ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك وقيل : عمرو بن حرملة بن سعد بن مالك ، والمرقشان كلاهما من متيمي العرب وعشاقهم وفرسانهم ، وكان لهما جميعاً موقع في بكر بن وائل وحروبها مع بني تغلب ، وبأس وشجاعة ونجدة . انظر ترجمته في «الشعر والشعراء» ١/١٦٢ ، و«الاغاني» ٦/١٢٧ ، و«المفضليات» : ٢٢١ ، و «السمط» ٢/٨٣٣ ، و «معاهد التنصيص» ٢/٨٤ ، و «الخزانه» ٣/٥١٤ و «شواهد المغني» ٣٠٠ .

(٥) الأبيات في «المفضليات» : ٢٣٧ من قصيدة يرثي بها ابن عمه ثعلبة بن عوف بن مالك بن ضبيعة ، قتله مهلهل في ناحية «التغلبين» ، وكان معه مرقش فأفلت ، ثم إنه طلب بدم ثعلبة ، فقتل رجلا من تغلب ، يقال له: عمرو بن عوف.

الدّارُ قَفْرٌ والرُّسومُ كما　　رَقَّش في ظَهْرِ الأديمِ قَلَمْ [١]

دارٌ لأسماءَ التي تَبَلَتْ　　قَلْبي فعيْني ماؤها يَسْجُمْ [٢]

بلْ هلْ شَجاكَ الظَّعْنُ باكِرَةً　　كأَنَّهُنَّ النَّخْلُ من مَلْهَمْ [٣]

النَّشْرُ مِسْكٌ والوُجوهُ دنا　　نيرٌ وأَطرافُ البنانِ عَنَمْ [٤]

وقال أبو عبادة الوليدُ بن عبيد البحتري :

ما أنت للكْلِفِ المشُوقِ بصاحِبِ　　فاذهبْ على مَهَلٍ فلسْتُ بذاهِبِ [٥]

---

(١) في الاصل تحت هذا البيت مانصه : بهذا البيت سمي مرقّشاً . ورقش: زيّن وحسّن ، أو كتب . يعني : آثار الرياح في الديار ، والاديم : الجلد .

(٢) في «المفضليات» : «ديار أسماء» وفيها بعد هذا البيت :

أضحت خلاء نبتُها ثئدٌ　　نوّر فيها زَهْوُهُ فاعتمّ

وأصل «التبل» التِّرة والذّحل والعداوة ، وتبلت قلبه : أصابته بتبل ، والتبل : غلبة الحب على القلب . يسجم : يقطر .

(٣) في «المفضليات» : «... شجتك الظُّعن» الشجى : الحزن ، وشجاه : حزنه . والظُّعْن : النساء بهوادجهن . ملهم : أرض باليمامة كثيرة النخل ، شبه الظعائن بالنخل، ومثله قول أبي دواد :

وتراهُنّ في الهوادِجِ كالغز　　لان ما إن ينا لهُنّ السّهامُ

نخلاتٌ من نخْلِ بيسان أينع　　نَ جميعاً ونبتُهُنّ تُؤامُ

(٤) النشر : الريح الطيبة قال في «اللسان» أراد النشر مثل ريح المسك لايكون إلا على ذلك ، لأن النشر عَرَض ، والمسك جوهر . والعنم : شجر أحمر ، شبه حمرة أطراف الأصابع به .

(٥) ديوانه : ١/١٥٨ والأول والثاني والثالث في «الموازنة» : ٥٣٠ . وهي مطلع قصيدة يمدح بها

عرفَ الدّيارَ وقد سَئِمْنَ من البِلى ... ومَلِلْنَ من سُقْيا السَّحاب الصَّائبِ [١]

فأراه جَهْلَ الشَّوقِ بين مَعالِمٍ ... فيها وَجـدُ الوَجْدِ بين مَلاعبِ [٢]

ما كان أحْسَنَ هـذه من وَقْفَةٍ ... لو كان ذاك السِّرْبُ سِربَ كواعبِ

وقال أيضاً [٣] :

كيف أغْدو مِنَ الصَّبابةِ خِلْواً ... بعد ما أضحَتِ الدّيارُ خلاء ؟ [٤]

ـ الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين . وفي «الديوان» و«الموازنة» : «فليس بذاهب» قال الآمدي : وقوله « على مهل» لست أراه مفيداً شيئاً ، ومـا أظنها الا حشواً ، وهذا من مواضع قولهم: فامض لشأنك، وامض لسبيلك .

(١) في «الديوان» ، و«الموازنة» «ومللن من صوب» .

(٢) في «الديوان» و «الموازنة » : « فأراك . . . منها وجد الدمع بين ملاعب » وفي «الديوان» بعد هذا البيت :

ويزيده وَحشاً تقارضُ وحشها ... وصَلين بين أحبَّةٍ وحبائب

ترعى السُّهولة والحُزُونُ يقينها ... حدَّين بين أظافرٍ ومخـالِب

لم يمش واشٍ بينهنَّ ولا دعـا ... بيناً لهُنَّ صدى الغرابِ النا عِب

(٣) ديوانه : ١/١٣ من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بـن يوسف الثّغري الطائي مطلعهـا :

يا أخا الأزدِ ما حفِظتَ الاخاء ... لمحِبٍّ ولا رعيْت الوفـــاء

(٤) في «الديوان » بعد هذا البيت :

غِبَّ عَيْشٍ بها غريرٍ وكان الـ ... ـعيش في عَهْدِ تُبَّعٍ أفياء

والغرير من العيش : مالا يفزع أهله ، والأفياء : جمع الفيء وهو ما كان مشمساً ـ

قِفْ بهـا وَقْفَةً تَرُدُّ عَلَيْهـا ... أدْمُعاً ردَّهـا الجوى أنْضاء

وقال أيضاً :

قـد وقفْنا على الدّيار وفي الرَّكْـ ... ـبِ حَريبٌ من الغَرام ومُثْري [١]

ولو انّي أُطيعُ آمِرَ حِلْمي ... كان شَتَّى أمرُ الدّيارِ وأمري

وقال أيضاً :

أقامَ كلُّ مُلِثِّ الوَدْقِ رجَّاسِ ... على ديارٍ بعلْوِ الشّامِ أدْراسِ [٢]

فيها لِعَلْوَةَ مُصْطافٌ ومُرتَبَعٌ ... مِنْ بانقُوسا وبابيلا وبِطْياسِ [٣]

منازِلُ أنكرَتْنا بعـد مَعْرِفةٍ ... وأوْحَشَتْ من هوانا بعد إيناسِ

فنسخه الظل ، وتُبّع : ملك من ملوك اليمن والجمع تبابعة ، ولا يسمى به إلا إذا كانت له حمير وحضرموت ، والشاعر يذكر هـذا حنيناً إلى الموطن الأصلي لقبيلته وقبيلة الممدوح ، وهي طيء .

(١) ديوانه : ١/٢٣٨ من قصيدة يمدح بها محمد بن بدر مطلعها :

شد ما أغرِمَتْ ظلومُ بهجري ... بعد وَجْدِي بها وغُلّة صدْري

والحريب : مسلوب المال ، وأراد به هنا: الذي خلا قلبه من الحب .

(٢) ديوانه ٢/١١٤٧ ، ومعجم البلدان ٢/١٧ ، ٥٠ . والملث : المطر الذي يدوم أياماً ، والرجاس : السحاب القوي الرعد .

(٣) في «الديوان» « بابلّى » وفي «معجم البلدان» : بابِلاَّ بكسر الباء وتشديد اللام مقصور : قرية كبيرة بظاهر حلب ، وبانقوسا : جبل في ظاهر مدينة حلب من جهة الشمال ، وبطياس : قرية من باب حلب بين النيرب وبابلا .

وقال بَيْهس بنُ صُهَيْب بن عامر بن عبد الله بن نائل[1] :

هل بالدِّيارِ وهـل بالقاع من أحـدٍ   باقٍ فيسمعَ صَوتَ المُدْلجِ الساري ؟

تلك المنازلُ مِنْ صَفراءَ ليسَ بها   نارٌ تُضيءُ ولا أصواتُ سُمَّار[2]

عفَّت معالِمَها هُوجٌ مغبّرةٌ   تَسفي عليها تُرابَ الأَبطحِ الهاري[3]

حتَّى تنكَّرتُ منها كلَّ معرفةٍ   إلا الرَّمادَ وإلا دمعيَ الجاري[4]

---

(١) هو بيهس بن صهيب بن عامر بن عبد الله بن نائل بن مالك بن عبيد بن علقمة بن سعيد بن كثير بن غالب بن عدي ، شاعر فارس شجاع من شعراء الدولة الأموية ، كان يبدو بنواحي الشام مع قبائل جَرْم وكلب وعذرة ، يحضر إذا حضروا ، فيكون بأجناد الشام ، وكان مع المهلب بن أبي صفرة في حروبه للأزارقة ، وكانت له مواقف مشهورة ، وبلاء حسن . والأبيات في «الأغاني»: ١٣١/٢٢ من قصيدة يرثي بها صفراء . وفيه « هل بالديار التي بالقاع ... » .

(٢) في « الأغاني » : « حي يجيب » صفراء : قيل : إنها زوجته ، وولدت ابناً ، ثم طلقها فتزوجت رجلاً من بني أسد ، وماتت عنده فرثاها ، وقيل : كانت ابنة عمه دنية ، وكان يهواها فلم يُزوِّجْها ، وخطبها الأسدي ، وكان موسراً فزوجها ، وقيل غير ذلك . والسمار : القوم يجتمعون للحديث .

(٣) في « الأغاني » « عفت معارفها هوجاء مغبرة» . والهاري : المتداعي ، وأصله : هائر فقلب ، كما قلبوا شائك السلاح إلى شاكي السلاح .

(٤) في الأغاني «إلا الرماد نخيلاً بين أحجار» وقوله : نخيلاً ، أي : منخولاً كالدقيق .

إنْ أصبحَ اليومَ لا أهلٌ ذوُو لَطَفٍ   ألهو إليهم ولا صفراءُ في الدّارِ[1]

أرْعى بعيني نُجُومَ اللّيلِ مُرتَقِباً   يا طُولَ ذلك مِنْ ليلٍ وإسهارِ[2]

فقد يكونُ بها الأهلُ الجميعُ وقد   ألهو بصفراءَ ذاتِ المنظرِ الواري[3]

كذلك الدّهرُ إنَّ الدّهرَ ذو غِيَرٍ   على الأنامِ وذو نَقْضٍ وإمرارِ

وقال بشر بن أبي خازم أخو بني والبة بن الحارث :

دِيارٌ أقفَرتْ مِنْ آلِ سَلْمى   دَعى سلمى بحُسْنِ الوَصْلِ داعِ[4]

ذَكَرْتَ بهنَّ مِنْ سلمى وَداعاً   فشاقكَ منهُمُ قُرْبُ الوداعِ[5]

فإنْ تَكُ قد نأتكَ اليومَ سَلْمى   فكلُّ قُوى قَرينٍ لانقطاعِ

---

(١) في «الأغاني» « ألهو لديهم » وفي « اللسان » ، اللُّطْف واللَّطَف : البر والتكرمة والتحفّي .

(٢) في الأغاني « ... مرتقباً .... من همٍّ.... »

(٣) في الأغاني « فقد .... لي الأهل الكرام.... » وبعد هذا البيت :

من المواجد أعراقاً إذا نُسبت   لا تَحْرِمِ المال عن ضيف وعن جار

لم تلق بؤساً ولم يَضْرر بها عَوَزٌ   ولم تَرَجَّف مع الصالي إلى النار

(٤) ديوانه : ١١٠ من قصيدة مطلعها :

عفا رسمٌ برامـة فالتِّلاعِ   فكُثبانِ الحفيرِ إلى لَقاعِ

(٥) في الديوان «بين الوداع» وشاقك : حزنك وهاجك .

وقال جرير بن عطية :

أَلا حيِّ الدِّيارَ بِسُعْدَ إِني   أُحِبُّ لحبِّ فاطِمَةَ الدِّيارا [١]

أَرادَ الظَّاعِنُونَ لِيَحْزُنُوني   فَهاجُوا صَدْعَ قلبي فاستَطارا [٢]

وقال زهير بن أبي سُلْمى :

غَشيتُ الدِّيارَ بالبقيعِ فَثَهْمَدِ   دَوارِسَ قد أَقْوَيْنَ من أمِّ مَعْبَدِ [٣]

أَرَبَّتْ بها الأَرواحُ كلُّ عَشِيَّةٍ   فلم يَبقَ إلا آلُ خَيمٍ مُنَضَّدِ [٤]

وغَيرُ ثَلاثٍ كالحَمامِ خَوالِدٍ   وهابٍ مُحيلٍ هامِدٍ متلبِّدِ [٥]

---

(١) ديوانه : ٢٨٠ ، و«النقائض» : ٢٣٦/١ من قصيدة يهجو بها الفرزدق ، قال البكري : وسُعد ، بضم أوله وإسكان ثانيه : موضع بنجد ، وقال أبوعبيدة: موضع ببلاد بني تميم ، وقيل : ماء بين بني قشير وبني سعد .

(٢) قال أبو عبيدة : استطار ، أي : تصدع صدعاً مستبيناً في طول . وحزَنَه الأمر يَحزُنه ، وأحزَنه ، حزنه : لغة قريش ، وأحزنه : لغة تميم وقد قرىء بها في قوله تعالى (إني ليحزنني أن تذهبوا به) [يوسف :١٣] .

(٣) ديوانه : ٢١٩ ، و«مختار الشعر الجاهلي» : ٢٨٥ من قصيدة يمدح بها هَرِم بن سنان بن أبي حارثة المرّي . والبقيع : يعني به بقيع الغرقد ، وهو مقبرة أهل المدينة ، وثهمد : جبل في حمى ضريّة . وأقوين : أقفرن وذهب منهن أهلهن .

(٤) في الأصل تحت هذا البيت ما نصه : «والآل : جمع آلة، عود له شعبتان، يعرَّض عليه عود آخر ، ويلقى عليه ثُمام يستظل به» والمنضد :المجعول بعضه فوق بعض . وأربت : أقامت ولزمت ، والأرواح : الرياح .

(٥) ثلاث : يعني الأثافي ، وقوله «كالحمام» شبه الأثافي في لونها بالحمام، لانها —

وقال آخر ، ينسب إلى المجنون [١] :

أَهاجَكَ أمْ لا بالسِّتارَينِ مَرْبَعُ   ورَسْمٌ بأجراعِ الغَدِيرَيْنِ بَلْقَعُ [٢]

دِيارٌ لِلَيلى إذ نَحُلُّ بها مَعاً   وإذ نحنُ منها بالمودَّةِ نَطْمَعُ

فيارَبِّ حَبِّبْني إليها وأَعْطِني الـ   ـمَوَدَّةَ منها أنت تُعطي وتَمنَعُ

وإلا فصبِّرني وإن كُنْتُ كارِهاً   فإني بها ياذا المعارِجِ مُولَعُ

وفي الصَّبْرِ عن بعض المطامِعِ راحَةٌ   إذالم يكن في الشَّيءِ تَرْجوهُ مَطْمَعُ [٣]

— سود تضرب إلى الغبرة،وكذلك القماري . وخوالد : مقيمات بواق ، وهاب: رماد عليه غُبرة مع طول القدم ، ومحيل : قد أتى عليه الحول ، وهامد : خامد ، ومتلبد : لصق بعضه ببعض من تردد الامطار عليه .

(١) لم نجدهذه الأبيات فيما جمع من شعر المجنون ، والأربعة الأولى من قصيدة في «ديوان جميل بثينة» : ١١٧ و«الخزانة» للبغدادي ٦٢٥/٣ ، والأول والثالث في «شرح شواهد المغني» : ٢٨٦، وورد البيت الخامس والسادس في «الحماسة البصرية» : ١٨٩ ضمن قصيدة نسبها صاحب الحماسة لكثير عزة .

(٢) في الديوان « أم لا بالمداخل . . . ودار » وفي«الخزانة» « بالتناضب » والستاران : في ديار بني ربيعة واديان ، يقال لهما : السودة ، يقال لأحدهما : الستار الأغبر ، وللآخر الستار الجابري ، وفيها عيون فوارة تسقي نخيلاً كثيرة . والأجراع : جمع جرع ، وهي الرملة المستوية لاتنبت شيئاً ، والبلقع : الأرض القفر التي لا شيء فيها .

(٣) رواية البيت في الحماسة البصرية :

فما في حياة بعد موتك رغبة   ولا في وصالٍ بعد هجرك مطمع

وقد قَرَعَ الواشونَ فيها لكَ العَصَا … قديماً كما كانت لذي الحِلْم تُقْرَعُ [1]

وقال آخر :

بكَتْ لِلفراقِ وقد راعَها … بكاءُ الحبيبِ لِبُعْدِ الدِّيارِ

كأنَّ الدُّموعَ على خدِّها … بقيَّةُ طَلٍّ على جُلَّنارِ [2]

وقال آخر :

إن جرى بَيننا وبينَكَ عَتْبُ … أو تناءَتْ منّا ومِنْكَ الدِّيارُ

فالغَليلُ الذي عَهِدْتَ مُقيمٌ … والدُّموعُ التي شهِدْتَ غِزارُ

وقال آخر :

أمَّا الدِّيارُ فقَلَّما لَبِثوا بها … بعدَ اشتياقِ العِيسِ والرُّكبانِ

وَضعوا سِياطَ الشَّوقِ في أعناقِها … حتى طَلَعْنَ بهم على الأوطانِ

وقال قيسُ بنُ الخطيم : وقيل : هي للرَّبيع بن أبي الحُقَيق الأوسي :

وما بَعْضُ الإقامَةِ في دِيارٍ … يُهانُ بها الفتى إلّا عَناءُ [3]

---

(١) في الحماسة : « . . . وإن العصا كانت . . . » وقرع الشيء يقرعه قرعاً : ضربه . وقوله «كما كانت لذي الحلم تقرع» هو مثل ، قال الأصمعي : يقال العصا قرعت لذي الحلم ، أي : إذ نُبِّه انتبه .

(٢) الجلنار : فارسي معرب : زهر الرمان ، واسمه في العربية الجنبذة .

(٣) ديوانه : ٩٦ و«الحماسة» بشرح المرزوقي ٣/١١٨٧ ، و«معاهد التنصيص» ١/١٩٢ و ١-٣-٤ في «خزانة البغدادي» ٣/١٦٩ و ٢-٣ في «البيان والتبيين» ٣/١٨٦ و ٣-٤ في «الأشباه والنظائر» : ٧٢ و ١-٢-٣ في «الكامل» لابن الأثير ١/٢٤٦ منسوبة للربيع بن أبي الحُقيق ، وهي من كلمة طويلة يقولها في عراض قول عمرو بن —

وبعضُ خلائقِ الأقوامِ داءٌ … كداءِ البَطْنِ ليس له دواءُ [1]

وكلُّ شديدةٍ نَزَلتْ بقومٍ … سَيأتي بعدَ شِدَّتِها رَخاءُ [2]

يُريدُ المرءُ أن يُعطى مُناهُ … ويأبى اللهُ إلّا ما يَشاءُ [3]

وقال سعيد بن حميد [4] :

تَدنو الدِّيارُ وأنتَ تَبعُدُ جاهِداً … فالدَّهرُ يُنْصِفُني وأنتَ الظّالِمُ

فمتى يَنالُ العَدْلَ عِندَكَ طالِبٌ … أنتَ المسيءُ بهِ وأنتَ الحاكِمُ

— الاطنابة . وفي الديوان : «يكون بها الفتى» وفي «الحماسة» «إلا بلاء» قال المرزوقي: يقول : إذا أمكن الارتحال عن دار الهوان ، ولا دافع ولا مانع يوجبان الصبر ، فالاقامة بها بلاء ، ويجب على الحر طلب الانفكاك منه ، وروم الخلاص من أذاه .

(١) في الديوان «كداء الكشح» والكشح ، بالتحريك : داء يصيب الانسان في كشحه فيكوى منه ، وزاد صاحب القاموس : أنه ذات الجنب .

(٢) في الديوان «نزلت بحيّ» وفي «الاغاني» «سيتبعها إذا انتهت الرخاء» .

(٣) في الديوان «يحب . . . أن يلقى . . . » وفي «الأشباه والنظائر» « . . . أن يلقى نعيماً» .

(٤) هو سعيد بن حميد بن سعيد أبو عثمان ، كاتب ، شاعر مترسل ، حسن الكلام ، فصيح ، أصله من النهروان الاوسط ، من أبناء الدهاقين ، ومولده ببغداد ، وقلده المستعين العباسي ديوان رسائله . انظر أخباره في «الاغاني» ١٨/٩٠ .

وقال الشريف الرضي رضي الله عنه :

أروحُ بفتيانٍ خِماصٍ من السُّرى   لهم أنّةٌ في كلّ دارٍ وأدمُعُ [١]

فدمعٌ على نأيِ الدّيارِ مُفرّقٌ   وقلبٌ على أهلِ الدّيار مروّعُ [٢]

هل انتَ مُعينٌ للغليل بعَبْرَةٍ   فنبكي على تلكَ الدّيار ونجْزَعُ [٣]

ألا ليْتَ شعري كلُّ دارٍ مُشتّةٌ   ألا مَنْزِلٌ يدنو بشَمْلٍ فيجمَعُ [٤]

ألاَ سَلْوَةٌ تَنهى الدُّموعَ فتنْتَهي   ألا مَوْرِدٌ يصْفو لِشرْبٍ فينْقَعُ [٥]

فصَبْراً على قَرْعِ الزّمانِ وغمزِهِ   وهل يُنكِرُ الحِمْلَ الذّلولُ المُوقَّعُ [٦]

قرأت على حائط مسجد بفنك [٧] هذا البيت مفرداً :

تجَنّبْتُ غِشيانَ الدِّيارِ وليس في   تجَنُّبِها بعـدَ الفِراق مَلَامُ

(١) ديوانه : ١/٦٥٣ من قصيدة مطلعها :

أقولُ وما حنّت بذي الأثلِ ناقتي   قِرِي لا ينَلْ منكِ الحنينُ المُرَجَّعُ

وفيه «من الجوى» . والسُّرى : سير الليل عامته ،وقيل : السرى : سيرالليل كله ، تذكره العرب وتؤنثه .

(٢) في الديوان « فدمع على بالي الديار . . . . . . موزّع » .

(٣) لم يرد هذا البيت في الديوان .

(٤) المشت : المفرق ، وفي «الاساس» : وفرقهم البيت المشتّ ، فتفرقو شتى وأشتاتاً ، وشتته الله : فرقه ، فهو مشتت .

(٥) في الديوان «ألا مورد يروي الغليل فينقع» .

(٦) الموقع : الذي يظهره آثار الدّبَر لكثرة ما حمل عليه وركب ، فهو ذلول مجرّب .

(٧) في «معجم البلدان» ٦/٤٠٢ : فنك : قلعة حصينة منيعة للأكراد البشنوية قرب جزيرة ابن عمر ، بينها نحو من فرسخين .

فأحرمته بهذا البيت وكتبته تحته :

وما كُنتُ أهوى الدّارَ إلّا لِأهلِها   على الدّار بعـدَ الظّاعنين مَلَامُ

ذكر أبو عمرو الشيباني [١] أن عروة بن الورد أصاب امرأة من كِنانة بِكراً ، يقال لها : سلمى وتُكنى أمَّ وهب ، فأعتقها واتخذها لنفسه ، فمكثت عنده بضع عشرة سنة ، فولدت له أولاداً ، وهو لايشكُّ في أنها أرغبُ النّاس فيه ، وهي تقول له : لو حججتَ بي ، فأمرَّ على أهلي وأراهم فحج بها ، فأتى مكة ، ثم أتى المدينة ، وكان يخالِطُ من أهل يثرب بني النضير ، فيُقرِضُونه إن احتاج ، ويبايعهم إذا غَنِم ، وكان قومها يخالطون بني النضير ، فأتوهم وهو عندهم ، فقالت لهم سلمى : إنه خارج بي قبل أن يخرج الشهر الحرام ، فتعالَوْا إليـه وأخبروه أنكم تستحيون أن تكون امرأة منكم معروفةُ النسب صحيحتُه سبيَّةً ، وافتدوني منه ، فإنه لايرى أني أفارِقُه ، ولا أختار عليه أحدا . فأتوه ، فسقوه الخمر ، فلما ثَمِل ، قالوا له : فادنا بصاحبتنا ، فإنها وسيطة النسب فينا معروفة ، وإن علينا سُبَّةً أن تكون سبيَّةً فاذا صارت إلينا ، وأردت معاودتها فاخطُبْها إليها ، فإنها تُنْكِحُك ، فقال لهم : ذاك لكم ، ولكن لي شرط فيها أن تخيّروها ، فإن

(١) ذكر الخبر باكمله ابن السكيت في مقدمة «ديوان عروة» : ٨١ ، و«الأغاني» ٣/ ٧٢ ، وذكره مختصراً ابن قتيبة في « الشعر والشعراء » : ٦٥٩ .

اختارتني ، انطلقتْ معي إلى ولدها ، وإن اختارتكم ، انطلقتم بها .
قالوا : ذاك لك قال : دعوني أَلهُ بها الليلةَ وأُفاديها [١] فلما كان الغد
جاؤوه ، فامتنع من فدائها ، فقالوا له : قد فاديتها [٢] منذ البارحة ،
وشهد عليه جماعة ممن حضر ، فلم يقدر على الامتناع ، وفادَوْها ، فلما
فادوها ، خيَّروها ، فاختارت أهلها ثم أقبلت عليه فقالت : ياعروة أما إني
أقول فيك ـ وإن فارقتك ـ الحقَّ ، والله ما أعلم امرأة من العرب ألقت
سِترها على بَعْلٍ خيرٍ منك وأغض طرفاً ، وأقل فحشاً ، وأجود يداً ،
وأحمى لحقيقة ، وما مرعليَّ يوم منذ كنت عندك إلا والموتُ فيه أحبُّ
إليّ من الحياة بين قومك ، لأني لم أكن أشاء أن أسمعَ امرأة من قومك
تقول : قالت أمة عروة كذا وكذا إلا سمعته ، ووالله لا أنظر في وجه
غطفانية أبداً ، فارجع راشداً إلى دارك [٣] ، وأحسن إليهم ، فقال عروة
في ذلك :

أَرِقتُ وصُحْبتي بِمَضِيقِ عُمقٍ ... لِبَرْقٍ من تِهامَةَ مُستطيرِ [٤]

---

(١) في «الأغاني» : وأفادها .

(٢) في «الأغاني» : «قد فاديتنا بها » .

(٣) في «الأغاني» «إلى ولدك» .

(٤) عمق : موضع قرب المدينة من بلاد مزينة ، مستطير : منتشر في الأفق.

سقى سَلمى وأَينَ دِيارُ سَلمى ... إذا كانت مُجاوِرَةَ السَّريرِ [١]

إذا حَلَّتْ بأرضِ بني عَلِيٍّ ... وأهلي بين إِمَّرَةَ وكِيرِ [٢]

ذكرتُ مَنازِلاً من أُمِّ وَهْبٍ ... مَحلَّ الحيِّ أسفلَ مِنْ نَقيرِ [٣]

وأَحْدَثُ مَعْهَدٍ من أُمِّ وهبٍ ... مُعَرَّسُنا بدارِ بني النَّضيرِ [٤]

وقالوا ما تشاءُ فقلت أَلهو ... إلى الإِصْباحِ آثِرَ ذي أَثيرِ [٥]

بآنسةِ الحديث رُضابُ فيها ... بُعَيْدَ النَّوم كالعِنَبِ العَصيرِ [٦]

---

(١) قال البكري : السرير : موضع في بلاد بني كنانة وأنشد البيت .

(٢) في الديوان : و «معجم ما استعجم» «وأهلك بين إمَّرَةَ وكير» : وهما من بلاد بني عبس . وقوله : « بني علي » قال ابن السكيت : قوم من كنانة .

(٣) في الديوان و«الأغاني» و«معجم ما استعجم» «ذي نقير» قال ابن السكيت : وذو النقير « هو موضع ماء لبني القين والكلب ، وقيل : موضع يقر فيه الماء .

(٤) في الديوان «وآخر معهد . . . فويق » وقال ابن السكيت : قوله : فويق بني النضير ، يقول : فويق المدينة ، وبنو النضير : حي من اليهود ينزلون المدينة .

(٥) قال الفراء : ابدأ بهذا آثراً ما ، وآثر ذي أثير ، وأثير ذي أثير ، أي : ابدأ به أول كل شيء . وفي «اللسان» وقيل : الأثير : الصبح ، وذو أثير : وقته ، وأنشد البيت .

(٦) الآنسة : غير النفور ، والرضاب من كل شيء : القطع ، والرضاب : قطع الريق .

سَقوني الخَمرَ ثُمَّ تكنَّفوني عُـداةُ اللهِ من كَذِبٍ وزُورِ [1]

وقالوا لَستَ بعدَ فداءِ سَلمى بِمُغْنٍ مـا لدَيكَ ولا فقـيرِ

فلا واللهِ لو مُلِّكتُ أمري ومَن لي بالتدبُّرِ في الأُمورِ [2]

إذاً لعصيتُهم من حبِّ سَلْمى على ما كان من حَسَكِ الصُّدورِ [3]

فيا للنَّاسِ كيفَ غَلبَتْ أمري على شيءٍ ويكْرَهُهُ ضَمِـيري [4]

قلت : ذكرت هذا الخبر لما في الشعر من ذكر الديار .

---

(١) في الديوان «سقوني النسء» قال ابن السكيت : النسء : ما أنسأ العقل ، ويقال لكل مسكر : نسءٌ ، يقول : سقوني نسأ أنساني الحب الذي كنت أجده .

(٢) في الديوان : « ولا وأبيك لو كاليوم أمري .... ومن لك .... » قال ابن السكيت : أي : لو كنت يومئذ مثل اليوم أملك أمري لم أفارقها .

(٣) في الديوان : « إذا لملكت عصمة أم وهبٍ » يقال : عصمة فلانة بيد فلان ، أي : ملك أمرهـا . يقول : إذا لأمسكتها فكنت مالك أمرهـا على ما بيني وبين قومها من العـداوة . والحسك : الغل والعـداوة ، وهو في الأصـل الخشونة تكون في الصدر ، الواحدة : حسكة ، يقال : في صدره حسكة .

(٤) قال ابن السكيت : يقول : غلبت النفس على شيء ، فكنت أضمر أن لا أفعله ثم فعلته .

وقال يزيد بن عبد المدان [1] :

عَفا مِنْ سُلَيمى بَطْنُ غَوْلٍ فيَذْبُلُ فَغَمْرَةُ فَيْفِ الرِّيحِ فالُمتَنَخَّلُ [2]

دِيارُ التي صـادَ الفُؤادَ دلالُها وأَغْرَتْ بهِ يومَ النَّوى حين تَرْحلُ [3]

فإنْ هي صَدَّتْ عن هوايَ وداعَها نوازِلُ أحداثٍ وشَيْبٌ مُجَلِّلُ [4]

فيارُبَّ خَيْلٍ قد هَدَيْتُ بشَطْبَةٍ يُعارِضُها عَبْلُ الجُزارَةِ هَيْكَلُ [5]

تُواغِلُ جُرْداً كالقَنـا حارِثيَّةً عليها قَنانٌ والحُماسُ وزَعْبَلُ [6]

---

(١) هو يزيد بن عبد المدان بن الديان بن قطن من بني الحارث بن كعب من مذحج ، كان من أشراف اليمن وشجعانها في الجاهلية ، وشهد يوم الكلاب الثاني.
وكان بنو عبد المدان مضرب المثل في الشرف ، قال :

تلوث عمامة وتجر رمحـاً كأنك من بني عبد المدان

(٢) الأبيات في «الاغاني» ٢٠/١٢ . وغول : موضع : جبل أو واد أو ماء ، فيه أقوال ، ولعله اسم لعدة مواضع . ويذبل : جبل بنجد . وغمرة وفيف الريح والمتنخل : مواضع .

(٣) في «الاغاني» «وأغرت بها....» .

(٤) في «الاغاني» «فان تك صدّت» .

(٥) في الأصل «الجرازة». الشطبة ، بكسر الشين وفتحها من الخيل الطويلة السبطة اللحم . وعبل الجزارة : ضخم الأطراف ، وهي اليدان والرأس والرقبة ، فاذا قيل : فرس عبل الجزارة ، فانما يريدون اليدين والرجلين ، وكثرة عصبها ، لأن عظم الرأس في الخيل هجنة . والهيكل : المرتفع .

(٦) في « الاغاني » : « يواغل ... والحماس وزعبل » وقوله : يواغل

مَعاقِلُهم في كلِّ يَوْم كريهَةٍ   صُدُورُ العَوالي والصَّفيحُ المصَقَّلُ [١]

عن الأصمعي [٢] قال : دخلتُ خَضْراءَ رَوْحٍ فإذا أنا برجل مِنْ ولده على فاحشة يؤتى [٣] ، فقلت : قبحك الله ! هذا موضع كان أبوكَ يَضْرِبُ فيه الأعناق ، ويعطي فيه اللُّهى ، وأنت تفعلُ فيه ما أرى ! فالتفت إليَّ مِنْ غير أن يَزول عنها وقال :

وَرِثْنا المَجْدَ عن آباء صِدْقٍ   أَسَأْنا في دِيارِهم الصَّنيعا
إذا الحَسَبُ الرَّفيعُ تَوَاكَلَتْهُ   بُناةُ السوْء أَوْشَكَ أَنْ يَضيعا

والشِّعر لمَعْن بن أوس المُزني .

وقال عُمَرُ بن أبي ربيعة :

يا خَليْلَيَّ قد مَلِلْتُ ثَوَائي   بالمُصَلَّى وقد شَنِئْتُ البَقيعا [٤]
بلِّغاني دِيارَ هِنْدٍ وسُعدى   وارجعا بي فقد هَوِيْتُ الرُّجوعا

– جُرداً ، أي : يداخلها ، والجرد من الخيل : القصار الشعر ، وهو في الخيل مدح . والحماس وقنان وزعبل : قبائل من مذحج .

(١) المعاقل : الحصون ، والعوالي : الرماح ، الصفيح المصقل : السيوف .

(٢) الخبر في « الأغاني » ٥٩/١٢ ، وجاء في «هامش الأغاني» : لعل خضراء روح : بستان كان لروح بن حاتم المهلبي أحد الفرسان والأشراف في أيام المهدي .

(٣) في « الأغاني » : « يوماً » .

(٤) ديوانه : ٤٩٦ ، وهما من الشعر المنسوب إليه ، ولم يوجد في أصول ديوان شعره .

وقال ربيعة بن مقروم [١] :

لِمَنِ الدِّيارُ كأنَّها لَمْ تُحْلَلِ   بجَنُوبِ أَسْنُمَةٍ فقُفِّ العُنْصُلِ
دَرَسَتْ مَعالِمُها فباقي رَسْمِها   خَلَقٌ كَعُنْوانِ الكتابِ المُحْوِلِ
دارٌ لِسُعْدى إذ سُعادُ كأنَّها   رشأٌ غَضيضُ الطَّرْفِ رَخْوُ المَفْصِلِ

وقال عبد الله بن العجلان [٢] :

وَلَمْ أَرَ هِنْداً بعدَ مَوْقِفِ سَاعَةٍ   بأَنْعَمَ في وَسْطِ الدِّيار تُطَوِّفُ [٣]
أَتَتْ بين أَتْرابٍ تَمَايَسُ إذ مَشَتْ   دَبيبَ القَطا أَوْ هُنَّ مِنهُنَّ أَقْطَفُ [٤]

---

(١) هو ربيعة بن مقروم بن قيس الضبي ، أحد شعراء مضر المعدودين في الجاهلية والاسلام ، أسلم فحسن اسلامه ، وشهد القادسية وغيرها من الفتوح ، وعاش مائة سنة ، له ترجمة في « الاصابة » و«الشعر والشعراء» ١/٢٧٩ ، و « الأغاني » ٨٧/٢٢ ، و«خزانة البغدادي» ٣/٥٦٦ و«شواهد المغني» : ١٥٩ ، قلت ولعل الأبيات الثلاثة التي ذكرها المصنف مطلع قصيدة لربيعة ذكرها ابو الفرج في « الأغاني » ٩١/٢٢ ، وهي من فاخر الشعر وجيده وحسنه .

(٢) هو عبد الله بن العجلان بن عبد الأجب ابن عامر النهدي القضاعي ، شاعر جاهلي من العشاق المتيمين الذين قتلهم العشق ، وسيد من سادات قومه . أخباره في « الأغاني » ٢٤٥/٢٢ ، و«مصارع العشاق» ٢٧/٢ و«تزيين الاسواق» ١/٨٥ .

(٣) الأبيات في « الاغاني » ٢٥٣/٢٢ ، وفيه « في أهل الديار .. » .

(٤) في « الاغاني » بعد هذا البيت :

يباكرن مرآةً جليـاً وفأرةً   ذكيّا وبالأيدي مداك ومسوف

أشارَتْ إلينا في حَياء وداعَها ... سَراةَ الضُّحى منّي على الحيّ مَوْقِفُ

وقالتْ تباعَدْ يا ابْنَ عَمّ فإنّني ... مُنِيتُ بذي صَولٍ يَغارُ ويَعْنُفُ

وقال آخر :

عَرَفتُ دِيارَ الحيّ خالِيَةً قَفْرا ... كأنَّ بها لمّا تَوَهَّمتُها سَطْرا

وَقَفْتُ بها كيْما تَرُدَّ جوابَها ... فما بيّنَتْ لي الدّارُ عن أهلِها خُبْرا

وقال ابنُ مُفرّغ الحِمْيَري [1] :

دِيارٌ للجُمانَـةِ مُقفِراتٌ ... بَلِينَ وهِجْنَ للقَلْبِ ادّكارا

فلَم أملِكْ دُموعَ العَيْنِ منّي ... ولا النَّفسَ التي جاشَت مِرارا

فقُلْتُ لصاحبي عَرّجْ قليلاً ... نُذَكِّرْ شَوْقَنا الدُّرسَ القِفارا

كأنْ لم أغْنَ في العَرَصاتِ منها ... ولم أذْعَرْ بقاعَتِهـا صُوارا

وقال الحارث بن خالد المخزومي :

عَفَتِ الدّيارُ فما بها أهلُ ... حُزّانُها ودِمَاثُها السَّهْلُ [2]

---

(١) هو اسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري ، ويكنى أبا هاشم ، شاعر إمامي متقـــدم مطبوع . ترجمته في « الأغاني » ٧/٢٢٩ ، و « فوات الوفيات » ١/٣٢ .

(٢) تقدمت الابيات ص : ٨٥ عدا البيت الأول، وخرجناها هناك . وحزانها بضم الحاء وكسرها وتشديد الزاي ، جمع حزيز : وهو موضع من الارض كثرت حجارته، وغلظت كأنها السكاكين ، أو هو : ما غلظ وصلب من جلد الارض مع اشراف قليل . والدماث : السهول من الارض .

إنّي وما نَحَرُوا غَـداةَ مِنى ... عند الجِمار تَؤُودُها العُقُلُ

لو بُدِّلَتْ أعْلى منازِلِها ... سُفلاً وأصبحَ سُفْلُها يَعْلو

فيكادُ يَعْرِفُها الخَبيرُ بها ... فيرُدُّهُ الإقْواءُ والمَحْلُ

لعرفتُ مَغْناها بما احتَمَلَتْ ... مِني الضُّلوعُ لأهلِها قَبْلُ

وقال مهيار :

هَل بالدّيارِ على لَوْمي ومَعْذِرَتي ... عَدْوى تُقامُ على وَجْدي وتَذْكاري [1]

أَمْ أنتَ تَعْذُلُ فيما لا تُريدُ بِهِ ... إلا مُداواةَ حرّ النّارِ بالنّارِ [2]

★ ★ ★

---

(١) ديوانه : ٥١/٢ من قصيدة كتبها إلى الوزير شرف الدين أبي سعد يستوحش له ، ويصف اختلال حاله بفراقه . وفي « اللسان » العدوى : النصرة والمعونة .

(٢) في الديوان : « تزيد » .

فصل
في ذكر المغاني

قال كُثيِّر بن عبد الرحمن الخُزاعي :

وقفتُ عليه ناقتي فتنازعَتْ   شُعوبُ الهوى لمّا عَرفتُ المغانيا
فما أعرِفُ الآياتِ إلا توَهُّماً   وما أعرِفُ الأطلالَ إلا تماريا
وما خَلَفُ منكم بأطلالِ دِمْنَةٍ   تنكَّرْنَ واسْتَبْدلْنَ منك السَّوافيا

وقال أيضاً :

عَفا رابغٌ مِنْ أهلِهِ فالظَّواهرُ   فأكْنافُ هَرْشى قد عفَتْ فالأصافرُ [1]
مغانٍ يُهَيِّجْنَ الحَليمَ إلى الهوى   وهُنَّ قَديماتُ العُهُودِ دَواثرُ
بما قد أرى تِلْكَ الدِّيارَ وأهلَها   وهُنَّ جميعاتُ الأنيسِ عَوامِرُ

---

(١) الاول والثاني في الديوان : ٨٦/١ . ورابغ : واد على عشرة أميال من الجحفة . والاكناف : الجهات والنواحي . هرشى : ثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة يرى منها البحر . والاصافر : ثنايا سلكها النبي ﷺ في طريقه إلى بدر، وقيل : الاصافر : جبال قريبة من الجحفة عن يمين الطريق من المدينة إلى مكة، سميت بذلك ، لأنها هضبات صفر .

وقال البحتري :

أُناشِدُ الغَيْثَ أن تَهْمي غَواديه   على العَقيقِ وإنْ أقْوتْ مَغانيهِ [1]
على مَحَلٍّ أرى الأيّامَ تَضْحكُ عن   أيّامِهِ واللَّيالي عن لياليهِ
عَهْدٌ مِنَ اللَّهْوِ لم تُذْمَمْ مَعاهِدُهُ   يوماً فيُنْسى ولم تَقْدُمْ بَواديه [2]

وقال أبو تمام :

شَهِدْتُ لقد أقْوتْ مَغانيكُمْ بعدي   ومَحَّتْ كما مَحَّتْ وشائعُ مِنْ بُرْدِ [3]
فأنْجَدْتُمُ مِنْ بَعْدِ إتْهامِ دارِكم   فيادَمعُ أنْجِدْني على ساكني نَجْدِ [4]
لعَمْري لقد أبْلَيْتُمُ جِدَّةَ البُكا   بلايَ وجَدَّدْتُم عليَّ بِلى الوَجْدِ [5]

وقال أيضاً :

تَجَرَّعْ أسىً قد أقْفَرَ الجَرَعُ الفَرْدُ   ودَعْ جَفْنَ عينٍ يَجْتابُ ماءَها الوَجْدُ [6]

---

(١) ديوانه : ١٩٩/١ والابيات مطلع قصيدة يمدح بها أحمد بن ثوابة .

(٢) في الديوان : « ... عوائده ... فتنسى ولم تفقد ... » .

(٣) ديوانه ١٠٩/٢ من قصيدة يمدح أبا المغيث الرّافقي ويعتذر اليه . شهدت: حلفت ، كأنه قال : والله لقد أقوت . والوشائع :الطرائق في البرد .ومح :أخلق.

(٤) قال التبريزي : أي انتقلتم إلى نجد بعد إقامتكم بتهامة ، ولا أجد عليكم مساعدة إلا الدمع ، فبه يخف مابي .

(٥) في «الديوان» « ... لقد أخلقتم ..... بكاء وجددتم بـه خلق الوجد» . وقال الصولي : ويروى : «جدة البلى علي» .

(٦) ديوانه : ٨٠/٢ من قصيدة يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شُبانة، —

إذا انصَرَفَ المحزونُ قد فَلَّ صَبْرَهُ   سُؤالُ المغاني فالبُكاءُ لهُ رِدُّ[1]

هوىً كانْقِضاضِ النَّجْمِ كانت نَتيجةً   من الهَزْلِ يوماً إنَّ هَزْلَ الهوى جِدُّ

وقال القاضي أبو المجد محمد بنُ عَبد الله بن سُليمان المعرّي[2]:

يا مَغانيَ الصِّبا بباب حُناكِ   لا برَمْلِ الغضى ووادي الأراكِ[3]

وعَزيزٌ عليَّ أنْ حَكَمَ الدَّهْـ   ـرُ على رَغمِ ناظِري بِبِلاكِ

— وفيه «ودع حِسْي عين» وفي هامش الأصل: «حسي عين يغترف» والحسي: الماء تحت الرمل ينبط بالأيدي. والجرَع والجرعاء: ماسهل من الأرض. والأسى: الحزن، وأقفر: خلا.

(١) قال التبريزي: رِدٌّ: أي معين، من قولك: هو رد عليك. أي: إذا لم تجبه المغاني، فذهب صبره، فليس له معين إلا البكاء. وفي «الديوان» بعد هذا البيت:

بَدَت للنَّوى أشياءُ قد خِلْتُ أنَّها   سيبدؤني رَيْبُ الزَّمان إذا تبدو

(٢) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سليمان، ابو المجد التنوخي المعري: قاض من الشعراء، وهو حفيد أخ لأبي العلاء، وولي قضاء المعرة إلى أن دخلها الافرنج، فانتقل إلى شيزر، وتوفي بها.

(٣) البيتان من قصيدة في «معجم البلدان» ٣/٣٤٩. وحناك: شرحها في الأصل بقوله: قرية من أعمال المعرة. وقال ياقوت حناك، بالضم وآخره كاف: حصن كان بمعرة النعمان، وكان مكيناً خربه عبد الله بن طاهر في سنة ٢٠٩ هـ فيم خرب من حصون الشام وفي «المعجم» بعد هذا البيت:

لا تخطتك غاديات الثُّريا   إن تَعدتْكِ رائحات السماكِ

أسلفتك الأيام فيك سروراً   فاسترد الشُّرور ماقد عراك

وقال آخر:

لله دَرُّ أُناسٍ قد عَهِدْتُهمُ   بالشَّام دَهراً سقى مَغْناهُم الدِّيَمُ

لوْ قيلَ لي وهَجيرُ الصَّيْفِ مُتَّقِدٌ   وفي الحشا غُلَّةٌ كالنَّارِ تضطَرِمُ

هُمُ أحبُّ إليك اليومَ تُبْصِرُهم   أوْ شَرْبَةٌ من زُلالِ الماءِ؟ قلتُ: هُمُ

وقال أبو الشَّعر موسى بن سحيم الضبي[1]:

فياصاحِ أَلِمْ بالمغاني فحيِّها   مَغانٍ لهند عُطِّلت وملاعِبُ

مَغانٍ خَلَت من غِبْطَةٍ ونَضارَةٍ   مَغاني الغواني والغنى والرَّغائبُ

وكَمْ زايَلَتْها من فتاةٍ ومن فتى   ومن قُرَّحٍ مَنْسُوبةٍ ونَجائبِ[2]

وَقَفْتُ فأبكاني وهَيَّجَ عَبرتي   عليَّ وُقوفي في دِيارِ الحبائبِ

بكَى صاحبي لما بكَيْتُ من الهوى   فما كادَ يقضي عَبرَةَ الحُزْنِ صاحبي

جَرَتْ عَبْرَةٌ منه فهمَّ بِرَدِّها   فلم يَستَطِعْ رَدَّ الدُّموعِ السَّواكبِ

---

(١) ترجمه المرزباني في «معجم الشعراء»: ٢٨٦ بقوله: أبو الشَّعر الضبي، اسمه موسى بن سحيم لما ولّى مسلمة بن عبد الملك يعلى بن عامر أصبهان والجبال، وثب عليه بسطام بن الشحاج الأزدي وحصره، قال ابو الشعر:

أمسلم لم يبلغك أن ابن عامر   حمى الشِّق من جيٍّ على من تسطَّما

أمسلم قد آساك يعلى بنفسه   أمسلم واشكر واجزِ بالسعي مسلما

وكان يهاجي الطِّرمَّاح.

(٢) زايله مزايلة وزِيالاً: بارحه، والمزايلة: المفارقة. وقرح: جمع قارح: وهي الناقة أول ماتحمل.

فلوْ أنَّ فيها أهلَها يوم زُرْتُها لَقَضَّيْتُ حاجاتي بهـا ومآربي

وقال النَّابغةُ الذُّبياني :

أَهاجَكَ مِنْ سُعْداكَ مَغْنى المعاهِدِ بِرَوْضَةِ نُعْمِيٍّ فذاتِ الأساوِدِ [1]

تَعاوَرَها الأَرْواحُ يَنْسِفْنَ تُرْبَهـا وكلُّ مُلِثٍّ ذي أهاضيبَ راعِدِ [2]

عَهِدْتُ بها سُعْدى وسُعْدى غَريرَةٌ عَرُوبٌ تَهادَى في جَوارٍ خَرائدِ [3]

وقال البحتري :

اِبكيا هـذه المغاني التي أَخْ لَقَّها بُعدُ عَهْدِهـا بالغواني [4]

(١) ديوانه : ٣٣ ، و«مختار الشعر الجاهلي» : ٢٠٥ من قصيدة يمدح بها النعمان ابن وائل بن الجلاح الكلبي . والمغنى : الموضع الذي أقاموا به ، والمعاهد : حيث عهدوا وكانوا ، وروضة نعمي وذات الأساود : موضعان .

(٢) تعاورها : تعاقب عليها ، والأرواح : الرياح ، الملث : السحاب يكون مطره دائماً ، وأهاضيب : دفعات من مطر ، وراعد : فيه رعد . وفي الديوان بعد هذا البيت :

بها كلُّ ذيَّالٍ وخنساءَ ترعوي إلى كلِّ رجافٍ من الرَّمل فاردِ

(٣) غريرة : حدثة لم تجرب الأمور . عروب : مزاحة ضاحكة محبة لزوجها. تهادى : تمشي مشياً لينا ، والخرائد ، جمع خريدة : وهي النساء الحييات .

(٤) ديوانه ١/١٧٨ من قصيدة يمدح بها الحسين بن الحسن بن سهل مطلعها :

أدْمُعٌ قد غُرِينَ بالهَمَلانِ وفؤادٌ قـد لجَّ في الخفقانِ

أَسْعِدا الغَيْثَ إِذْ بكاها وإن كا ن خلياً من كلِّ ما تَجِدانِ [1]

جادَ فيهـا بنفسهِ فاستجَدَّتْ حُلَلاً منـه جَمَّـةَ الألوانِ

وقال أبو القاسم بن هانىء المغربي [2] :

قـد مررنا على مغانيكِ تلكِ ورأينا فيهـا مَشابهَ منكِ [3]

عارَضَتْنا المَها الخوازلُ أسرا باً بأجراعِها فلم نَسْلُ عنكِ

لا يُرَعْ للمهـا هُنالِكَ سِربٌ فلقَدْ أشْبَهَتْكِ إنْ لم تكُنْكِ

وقال أبو تمام :

أيُّ مَرْعَى عَـينٍ ووادٍ قَشيبِ لَحَبَتْهُ الأَيّامُ في مَلْحُوبِ [4]

(١) في «الديوان» «أسعِد الغيث» وهو خطأ ، والاسعاد : المعونة .

(٢) هو محمد بن هـانىء بن محمد بن سعدون الازدي الاندلسي ، يتصل نسبه بالمهلّب بن أبي صفرة ، يقال: إنه أشعر المغاربة على الاطلاق ، وهو عندهم كالمتنبي عند أهل المشرق ، وكانا متعاصرين . ترجمته في «وفيات الاعيان» ٤/٤٩ ، «ومعجم الادباء» ١٩/٩٢ ، و «شذرات الذهب» ٣/٤١ .

(٣) ديوانه : ٤٦١ ، من قصيدة يمدح بها ابراهيم بن جعفر بن علي .

(٤) ديوانه : ١/١٢٢ من قصيدة يمدح بها سليمان بن وهب، وفيه « ووادي نسيب ». قال التبريزي: ويروى «من محلوب» وقوله «وادي نسيب» أي : كان هذا الوادي فيه أهل يستحقون أن يقال فيهم النسيب ، وهو مثل الغزل في الشعر . وملحوب : اسم موضع . «ولحبته» من شدد الحاء ، فهو من قولهم : لحبت القتيل : إذا صرعته ، ومن روى «لحبته» بالتخفيف من القشر ، يقال : لحب اللحم : إذا قشرة . ومعنى لَحّب ولَحب —

نَدَّ عَنْكَ العَزاءُ فيهِ وقادَ الـ ... ـدَّمعَ من مُقْلَتَيْكَ قَوْدَ الجَنيبِ [(١)]

وبما قد أراهُ رَيَّانَ مَكسُوَّ الـ ... ـمَغاني من كل حُسْنٍ وَطيبِ [(٢)]

لسقيم الجُفونِ من غَيْرِ سُقْمٍ ... ومُريبِ الألحاظِ غيرِ مُريبِ [(٣)]

يرجع إلى شيء واحد ، ومن روى «من ملحوب» جعل ملحوباً نفسه مرعى عـين ، ووادي نسيب ، كما يقال : أيُّ رجل نزلنا بـه من فلان ، ومن روى «في ملحوب» جعل المرعى والوادي فيه . وبعد هذا البيت :

ملَّكته الصِّبا الوَلُوع فألـ ... ـفته قَعُوْدَ البلى وسؤرَ الخُطوب

(١) قال التبريزي : استعار «ند» للعزاء ، وإنما هو للابل ونحوها ، يقال : نـد البعير : إذا ذهب على وجهه في الأرض ، وجاء بـ «الجنيب» في القافية ، لأن الذي يقاد جنيباً ضد الناد . و «العزاء» الصبر ، والفعل في «قاد» للعزاء ، أي : ذهب معه بالدمع من العين .وبعد هذا البيت :

صَحِبَتْ وجدَكَ المدامِـعُ فيه ... بنجيـع بعبرةٍ مَصْحُوبِ

بمُلِثٍّ على الفراقِ مُرِبٍّ ... ولشأو الهوى البعيد طَلُوبِ

أخلبتْ بعده بروق من اللَّهـ ... ـوِ وجفَّت غُدْرٌ من التشبيب

(٢) قال التبريزي «وبما قد أراه» : هذا الكلام معروف من كلام العرب ، يقول : أقفرت الدار بما قد أراه وهي آنسة ،أي: هذا بذاك ، كأنهم يذهبون إلى أن الدهر يوم ويوم .

(٣) في الديوان «بسقيم الجفون غير سقيم» . وبعد هذا البيت :

في أوانٍ من الرَّبيعِ كريمٍ ... وزمان من الخريفِ خَصيبِ

فعليهِ السَّلامُ لا أُشْرِكُ الأطـ ... ـلالَ في لَوْعَتي ولا في نَحيبي [(١)]

فَسَوَاءٌ إجابتي غَيْرَ دَاعٍ ... ودُعائي بالقَفْرِ غيرَ مُجيبِ [(٢)]

وقال أبو محمد القاسم بنُ علي الحريري العالم [(٣)] :

عَرِّجْ لكَ الخيرُ صُدُورَ الرِّكاب ... على رُباً كُنَّ مغاني الرَّبابْ

وقِفْ بها وَقْفَةَ مُسْتَعْبِرٍ ... يَسُحُّ فيها الدَّمعَ سَحَّ الرَّبابْ

فَسُنَّةُ العُشَّاق أَنْ يُعْوِلوا ... في مَنْزِل الحبِّ إذا الحبُّ غابْ

يا حبَّذا تلك الرُّبى من رُبى ... ظِباؤها أَفْتَكُ من ليثِ غابْ

---

(١) قال التبريزي : «فعليه» أي : على السقيم الجفون ، يقول : على السقيم الجفون أبكي ، لا على طلل . وفي هامش الديوان وفي الحاشية : يقول : أخصه بسلامي دون الاطلال ، فلا أشركها في وجدي وبكائي ونحيبي . والصحيح إعادة الهاء في قوله «فعليه السلام» إلى الطلل الذي ذكره ، ويدل عليه قوله «لاأشرك الاطلال في لوعتي» أي : لا أبكيه ولا أبكي غيره .

(٢) قال التبريزي : يقول : لست ممن يقف على الاطـلال يخاطبها ويباثها ويشركها – في زعمه – في لوعته ، ويستحملها – على تقديره – بعض جزعه ، فسواء عندي في الاستحالة أن أجيب من غير أن أدعى وأن أدعو مالايجيب .

(٣) هو القاسم بن علي بن محمد بن عثمان البصري الحرامي ، الاديب الكبير، أحد أئمة عصره ، صاحب «المقامات الحريرية» المشهورة . توفي سنة ٥١٦ هـ ترجمته في «معجم الادباء» ١٦/٢٦١ ، و «وفيات الاعيان» ٣/٢٢٧ ، و «معاهد التنصيص» ٣/٢٧٢ ، «وخزانة البغدادي» ٣/١١٧ .

وقال الشيخ ابو العلاء بن سليمان المعري :

مَغاني اللّوى من شخصِكِ اليومَ أطلالُ ... وفي النومِ مَغنىً من خيالكِ مِحلالُ (١)

مَغانيكِ شتّى والعبارةُ واحدٌ ... فطرفُكِ مُغتالٌ وزندُكِ مُغتالُ (٢)

مَتى سألتْ بَغدادُ عني وأهلُها ... فإنيَ عن أهلِ العواصمِ سآلُ (٣)

---

(١) شروح «سقط الزند» ١٢١١/٣ قال البطليوسي : والمغاني : المنازل ، سميت بذلك ، لانها يغنى بها ، أي يقام بها ، واحدها : مغنى ، والاطـلال : الآثار الشاخصة ، واحدها طلل ، فان لم تكن شاخصة ، قيل لها : رسوم ، واحدها: رسم ، والمحلال : المحل الذي يحل به كثيراً . يقول : مغانيك التي نشاهدها في اليقظه خالية منك ، وأما في النوم فانها عامرة بك ، لأنا لانزال نرى خيالك فيها على ما كنا نعهده منك . وقال الخوارزمي : ضمن الأطلال معنى الخلو ، فعداها بـ «من». يقول : مذ رميتنا بزيالك ، يكثر بنا حلول خيالك .

(٢) في «الديوان» « فزندك مغتال وطرفك مغتال » شتى : مختلفة ، واحدها شتيت ، والزند : ما انحسر عنه اللحم من الذراع ، والمغتال : السمين الكثير اللحم؛ يقال : ساعد غَيل ومغتال . وقوله : «وطرفك مغتال» أي : يغتال النفوس ويهلكها، يقال : غالته المنية واغتالته : إذا ذهبت به . قال البطليوسي : وأراد : والعبارة لفظ واحد ، فلذلك ذكر ، وقال الخوارزمي : ووجه تعلق هذا البيت بما قبله: أما مغانيك فلم يبق منها سوى أطلال ، وأما معانيك فهي على أكمل حال .

(٣) هذا البيت يأتي في «الديوان» بعد ثمان وثلاثين بيتاً أسقطها المؤلف رحمه الله . قال البطليوسي : يقول : إذا عني أهل بغداد بالسؤال عني ، والاستعلام لحالي، فانما غايتي وسؤالي عن أهل العواصم انجذاباً إليهم ، وحرصاً للقدوم عليهم . والعواصم:ـ

إذا جَنّ ليلي جُنّ لُبّي وزائدٌ ... خُفوقُ فؤادي كلّما خفقَ الآلُ (١)

وماءُ بلادي كانَ أنجعَ مَشرباً ... ولو أنّ ماءَ الكرخِ صَهباءُ جِريالُ (٢)

وقال المتنبي :

مَغاني الشِّعبِ طِيبٌ في المغاني ... بمنزلةِ الرَّبيعِ من الزَّمانِ (٣)

ـ حصون بأرض الشام في شقّ حلب ، ولم يرد العواصم بعينها ، وإنما أراد أنه يحن إلى الشام .

(١) جن الليل وأجن : إذا دخل ، وخفوق الآل : اضطرابه في الهاجرة ، والآل : السراب . قال البطليوسي : وإنما قال هذا ، لأن المحزون يتسلى عن حزنه بعض التسلي إذا ورد النهار ، وإنما يشتد حزنه ، ويتضاعف همه إذا جـن الليل ، فنفى ذلك عن نفسه ، وذكر أن حاله في نهاره وليله سواء ، فجنون الليل يكسبه جنوناً في لبه ، وخفوق النهار يزيد في خفوق قلبه .

(٢) أنجع : أغذى للجسم وأصلح ، والكرخ : موضع ببغداد ، والصهباء من الخمر : التي فيها حمرة ، وكذلك الجريال ، وقيل : الجريال : حمـرة الخمرة ، وبذلك سميت .

(٣) ديوانه : ٢٥١/٤ وهي مطلع قصيدة يمدح بها عضد الدولة وولديه أبا الفوارس وأبا دلف ، ويصف شعب بوّان ، وفيه «طيباً» قال ابو الفتح : الشاميون ينصبون «طيباً» باضمار فعل ، أي : تزيد طيباً ، أو تطيب طيباً ، والبغداديون يرفعونه، ويمنعون من نصبه ، ومن نصبه ، فعلى التمييز ، لأنه ليس ثم فعل ، ولو كان ثم فعل لجاز تقديمه منصوباً ، ووجه الرفع أن «المغاني» مبتدأ و « طيب » خبره . الشعب : المنفرج بين جبلين ، والمراد هنا ، شعب بوان ، وهو موضع عندشيراز ، ـ

ولكنَّ الفتى العربيَّ فيها غَريبُ الوَجهِ واليدِ واللِّسانِ [1]

إذا غَنَّى الحمامُ الوُرْقُ فيها أجابتهُ أغانيُّ القِيانِ [2]

ومن بالشِّعبِ أَحْوَجُ من حَمامٍ إذا غَنّى وناحَ إلى البيانِ [3]

ــ كثير الشجر والمياه ، يعد من جنان الدنيا . يقول : منازل هذا المكان في المنازل كالربيع في الأزمنة .

(١) بعد هذا البيت :

ملاعِبُ جنَّةٍ لو سار فيها سليمانٌ لسار بتُرجُمانِ
طبت فرساننا والخيل حتَّى خشيتُ وإن كرمن من الحِران
غدونا تنفض الأغصان فيه على أعرافها مثل الجمان
فسرت وقد حجبنَ الحرَّ عني وجئن من الضياءِ بما كفاني
وألقى الشَّرق منها في ثيابي دنانيراً تَفرُّ من البنان
لها ثمر يُشير إليك منه بأشربة وقفن بلا أواني
وأمواه تصلُّ بها حصاها صليل الحَلْيِ في أيدي الغواني
ولو كانت دمشقَ ثنى عناني لبيقُ الثُّرد صينيُّ الجفان
يلنجوجي ما رُفِعَت لضيفٍ به النيران نَدّيُّ الدخان
يُحَلّ به على قلبٍ شُجاع ويُرحَلُ منه عن قلبٍ جبان
منازِلُ لم يزل منها خيالٌ يشيّعني إلى النُّوبندجان

(٢) يقول : لطيبها قد اجتمع أصوات الحمام والقيان بها يجاوب بعضها بعضا .

(٣) يقول : إن أهل الشعب وقطانه أحوج إلى البيان من حمامه في غنائه وقومه ، لأنهم أعاجم لا بيان لهم ولا فصاحة ، فلا تفهم العرب كلامهم .

وقال أخي عزُّ الدَّولة أبو الحَسَن علي رحمه الله :

مَغناهُمُ أَضحى صموتاً ناطِقاً يُهدي الهمومَ إلى القُلوب بيانُهُ
غَشيتْ ديارَهُم المحولُ ورِيُّها دُونَ السَّحاب على العُيون ضَمانُهُ
قد ألبسَتْهُ يدُ البِلى عَفْرَ الثَّرى فعفا ومَحَّ وأُخْمِدَتْ نيرانُهُ
وتنكَّبَ العافون لاحِبَ سُبْلِهِ لما عفا وتَهدَّمَتْ أركانُهُ
ولقد أراهُ وفيه مُجْتَمَعُ الهوى يُهدي السُّرور إلى القُلوبِ عيانُهُ
فرجاً لمكروبٍ ونصرةَ ثائِرٍ ومَلاذَ مَنْ تَنْبو به أوطانُهُ
والدَّهرُ مِثْلُ الطَّيفِ لا تبقى على حالٍ إساءَتُهُ ولا إحْسانُهُ

وقال مهيار :

المغاني أحْفى بقلبي من العذ لِ وإنْ هِجْنَ لَوْعَةً وزفيرا [1]
أَفهَمَتْني على نُحُولِ رُباها فكأنّي قرأْتُ منها سُطُورا
يا مُعيري أجفانَه أنا أَغْنى بجُفُوني الغزارِ أن أستَعيرا

وقال آخر :

شَجاني مَغاني الحيِّ وانشقَّتِ العصا وصاحَ غُرابُ البين أنْتَ مريضُ

---

(١) ديوانه : ١١١/٢ من قصيدة يمدح بها الوزير أبا الفضل محمد بن علي بن الطيب مطلعها :

سائل الدار إن سألت خبيراً واستجر بالدموع تدع مجيرا

ففاضَتْ دُموعي عند ذاكَ صَبابةً   وفيهنَّ خَوْدٌ كالمهاة غَضيضُ
ووَلَّيْتُ محزون الفُؤادِ مُروَّعاً   كئيباً ودَمْعي في الرِّداء يفيضُ

وقال آخر :

هل هَيَّجَتْكَ مغاني الحيّ والدُّورُ   فاشتَقْتَ إنَّ الغريبَ الدَّارِ معذورُ
وقد تحلُّ بها إذ عيشُنا أَنِقٌ   بيضٌ أوانسُ أمثالُ الدُّمى حُورُ

وقال أبو حية النميري :

ألا حيِّ من أجل الحبيب المغانيا   لَبِسْنَ البِلى مما لَبِسْنَ اللَّياليا [1]
إذا ما تقاضى المرءَ يومٌ وليلةٌ   تقاضاه شيءٌ لا يَمَلُّ التقاضيا [2]

وقال الشريف المرتضى رضي الله عنه :

ومن سَفَهٍ وُقوفُكَ في المغاني   تُسائِلُ عن فريقٍ فارَقونا [3]

---

(١) «الأمالي» ٢/١٨٥ ، و«الأغاني» : ١٦/٢٣٥ ، و«الكامل» : ١/١٨٧ ، و«الشعر والشعراء» : ٢/٧٥٠ ، و«المؤتلف والمختلف» : ١٤٥ ، و«زهر الآداب» : ١/٢٢٢ .

(٢) في «السمط» قبل هذا البيت :

فان أكُ ودَّعْتُ الشباب فلم أكن   على عهدي ـ اذْ ذاكَ ـ الأخِلاَّءَ زاريا
حناكَ الليالي بعد ما كنتَ مرةً   سويّاً العصا لو كُنَّ يبقين باقيا

قال البكري : أراد : لم أكن زارياً على عهدي الأخلاء .

(٣) ديوانه : ٣/٣٠٤ من قصيدة يفخر بها بآبائه ويذكر مناقبهم .

سُقِينَ غَداةَ بَيْنِهِمُ دُموعاً   وكُفْنَ فما وقَفْنَ ولا روينا [1]

وقال مهيار :

أنا يا دارُ أخو وَحْشِ الفَلا   فيكِ مَن خانَ فعزمي لم يَخُني [2]
ولئن غالَ مَغانيكِ البِلى   عادَهُ الدَّهرُ فشَخْصٌ منك يُغني
إنْ خَبَتْ نارٌ فها ذي كَبِدي   أوْ جفا الغَيْثُ فها ذلك جَفْني

وقال أيضاً :

يامغاني الحِمى سُقيتِ وما يَنْـ   ـفَعُني الغَيْثُ أنْ يَجُودَكِ قطرا [3]
أيُّ عينٍ أصابَتِ الدَّارَ أَقْذى اللـ   ـهُ بَعْدي أجفانَها وأَضَرَّا
لا ثراها يُطيل بَعْدَ النَّوى غصـ   ـناً ولا جوُّها يُتَمِّمُ بَدْرا [4]
غيرَ حُمٍّ مِثلِ القَطا جاثِماتٍ   كُنَّ جُوناً فعُدْنَ بالرَّهجِ كُدْرا [5]

---

(١) في «الديوان» : «سقينا بعد .... وما روينا» .

(٢) ديوانه : ٤/٧٣ من قصيدة كتب بها إلى الوزير أبي سعيد بن الصاحب أبي القاسم بن عبد الرحيم في النيروز ، وبعد البيت :

قائماً أو قائلاً مفترِشاً   بين خدّي وثرى أرضك ردني

(٣) ديوانه : ١/٤٠٧ من قصيدة كتب بها إلى صديق له من الكتّاب يشكره على موقف وقفه في حاجةٍ له رضي سعيه فيها ، وفيه «أن يجودك قفرا» .

(٤) في «الديوان» «لاتراها» وهو تصحيف .

(٥) في «الديوان» : «غير حم من القطا» وهو خطأ . وحم : جمع حماء ، وهي السوداء ، وجوناً : بيضاً . والرهج : الغبار ، وكدر : جمع كدراء وهي التي بها غبرة .

وبقايا مواقِـدٍ تصِفُ الجُوْ　　دَ أَبادِيدَ في يَدِ الرِّيح تُذْرى[1]

قلِّبوا ذلك الرَّمـادَ تُصِيبُوا　　فيه قلبي إنْ لم تُصيبوا الجمرا

وقال أيضاً :

عابوا وفائي لمن أهوى وقد عَلِموا　　أنَّ الخِيانَةَ ذَنبٌ لا أُواقِعُهُ[2]

كأنَّني أوَّلُ العُشَّاقِ طـال لَهُ　　مَغنى الأَحِبَّةِ فارفَضَّتْ مَدامِعُهُ

★ ★ ★

(١) في الديوان «وبقايا مواقف» وهو خطأ . وأباديد : متفرقاً ، تذرى : تبدد.

(٢) ديوانه : ٢/٢٥٠ من قصيدة يمدح بها ركن الدين جـلال الدولة أبا طاهر بن بويه .

فصل
في ذكر الاطلال

قال جرير بن عطية بن الخطفى :

حيِّ الغَـدَاةَ برامَةَ الأطلالا　　رَسْماً تَحَمَّـلَ أهلُهُ فأَحالا[1]

إنَّ السَّوارِيَ والغَوادي غادَرَتْ　　لِلرِّيحِ مُنْخَرَقاً بـه ومَجالا[2]

لم نَلْقَ مِثْلَكَ بعد عَهْدِكَ مَنزِلاً　　فَسُقيتَ من سَبَلِ السِّماكِ سِجالا[3]

أَصْبَحْتَ بعد جميع أَهلِكَ دِمْنَةً　　قَفْراً وكُنْتَ مَحَلَّةً مِحْلالا[4]

(١) ديوانه : ٤٤٨ ، و « معجم البلدان » : ٢١٢/٤ عدا البيت الخامس . والأبيات مطلع قصيدة يهجو بها الأخطل ، قال ياقوت : رامة : هي منزل بينه وبين الرَّمادة ليلة في طريق البصرة إلى مكة ، ومنه إلى إمرة ، وهي آخر بلاد بني تميم ، وبين رامة وبين البصرة اثنتا عشرة مرحلة . وقيل : رامة : هضبة ، وقيل : جبل لبني دارم . وأحال : أتت عليه أحوال ، أو تحول وتغير .

(٢) في الديوان و « معجم البلدان» : «مخترقاً» والسواري : جمع سارية ، وهي السحابة تسري بالليل ، والغوادي : جمع غادية ، وهي السحابة تنشأ غدوة أو تمطر غدوة . ومنخرق الرياح : مهبها .

(٣) السبل ، بالتحريك : المطر .

(٤) في الديوان : «مَرَبَّةً محلالا» وفي «اللسان» : المرب : الأرض التي لا يزال —

ولقدْ عَجِبْتُ مِنَ الدّيارِ وأهلِها ... والدّهرِ كيفَ يُبدِّلُ الأبدالا

وقال أبو حيّة النُّميري :

قِفا حَيِّيا الأطلالَ مِنْ مَسْقِطِ اللّوى ... وهلْ في تحيّاتِ الرُّسومِ جَداءُ [١]

وماذا نُحيِّي مِنْ عِراصٍ تبدَّلَتْ ... شُعوبَ النّوى عنها فهُنَّ قَواءُ [٢]

كأنْ لمْ يكُنْ فيها الجميعُ ولمْ تَصِحْ ... بهم نِيَّةٌ تُعري الدّيارَ خَلاءُ

تذكَّرْتُ عَصْراً قدْ مضى وصَحابةً ... ولمْ يَكُ عمّا قدْ ذكرْتُ عَزاءُ

وقال أبو تمام :

إنْ شِئْتَ أنْ لا تَرى صَبْراً لِمُصْطَبِرٍ ... فانْظُرْ على أيِّ حالٍ أصبَحَ الطَّلَلُ [٣]

ـ بها ثرى ، وهي المرَبّة والمرباب . وقيل : المرباب من الأرضين : التي كثر نبتها ونامتها ، وكل ذلك من الجمع . المحلة : منزل القوم ، والمحلال : المحل الذي يُحل به كثيراً .

(١) مسقط اللوى : منقطعه ، واللوى : حيث يسترق الرمل ، فتخرج منه إلى الجدد ، والجداء ، ممدوداً : الغناء ، وفلان قليل الجداء عنك ، أي : قليل الغناء والنفع .

(٢) في « اللسان » : تبدل الشيء وتبدل به واستبدله واستبدل به ، كله : اتخذ منه بدلا . وقواء : خلاء .

(٣) ديوانه : ٣/٦ من قصيدة يمدح بها المعتصم بالله ، مطلعها :

فحواكَ عَيْنٌ على نَجْواكَ يا مَذِلُ ... حتّامَ لا يتقضّى قولُكَ الخَطِلُ ؟

قال المرزوقي : يقول : إن أردت ألا توجب صبراً على من ابتلي بفراق ـ

كأنّما جادَ مَغناهُ فغيَّرَهُ ... دُموعُنا يومَ بانوا وهيَ تنهَمِلُ

وقال أيضاً :

أسْقى طُلولَهُمُ أجَشُّ هَزيمُ ... وغَدَتْ عليهِمْ نَضْرةٌ ونَعيمُ [١]

جادَتْ مَعاهِدَهُم عِهادُ سَحابةٍ ... ما عَهْدُها عندَ الدّيارِ ذَميمُ

سَفِهَ الفِراقُ عليكَ يومَ رَحيلِهِمْ ... وبِما أراهُ عنكَ وهوَ حَليمُ [٢]

وقال بشر بن الهذيل [٣] :

ـ أحبته ، فانظر إلى الطلل ، وتأمله كيف اشتمل عليه البلى بفراقهم ، وانتقالهم عنه . واعلم أنه إذا كان الطلل مع أنه لا يعقل ولا يعرف الجزع يصير لبعد العهد عنهم إلى هذه الحال ، فحق العاشق المميز ، المتذكر العهود ، العالم بالنزاع وأسباب النوى ألا يصبر .

(١) ديوانه : ٣/٢٨٩ من قصيدة يمدح بها محمد بن الهيثم بن شُبانة . قال التبريزي : يقال : سقى وأسقى ، قال قوم : هما بمعنى واحد ، وقال آخرون : سقاه يسقيه ، وأسقاه : إذا جعل له سقياً دائماً . والأجش : يوصف به الرعد كأن به جُشّة ، والهزيم : يحتمل أن يكون من الصوت ، من ذلك قولهم : تهزّم الأديم : إذا تكسر وتشقق .

(٢) في « الديوان » : « وبما أراه وهو عنك حليم » .

(٣) في « المؤتلف والمختلف » ٧٧ فيمن يقال له : بشر : وبشر بن الهذيل بن زفر الكلابي ، وليس له في بقيه المصادر ترجمة ، والأبيات في « ديوان ابن الدمينة » : ١٦٨ من قصيدة له ، أثبتها محقق الديوان الاستاذ راتب النفاخ نقلاً عن « الأشباه

يقولُ زميلي يومَ سابقةِ النَّقـا ... وعَيناي مِنْ فرْطِ الأسى تَكِفانِ [1]

أَمِنْ أجلِ دارٍ بَيْنَ لَوْذانَ فالنَّقا ... غداةَ النَّوى عيناكَ تَبْتَدِرانِ ؟ [2]

فقلتُ لهُ لا بلْ قَذيتُ وإنَّمـا ... قَذى العَيْنِ مِمّا هَيَّجَ الطَّلَلانِ

وقال آخر :

ثوى ماثِلاً بينَ الطُّلولِ المَواثِلِ ... فهل بَلَّ مِنْ داءِ الجوى والبَلابِلِ [3]

مُعَنًّى قضى دَيْنَ الغَرامِ مَدامِعاً ... يُقَسِّمُهـا في دارِساتِ المَنازِلِ

تُسائِلُ عَنْ أحبابِهِ كلُّ دِمْنَةٍ ... سَوائِلُ مِنْ عَيْنَيْهِ غيرُ سَوائِلِ [4]

وقال محمد بن بشير الخارجي [5] :

ـ والنظائر » للخالديين ، مخطوطة دار الكتب المصرية ص : ٢٠١ ـ ٢٠٢ . والثاني والثالث في « الأمالي » ٣١/٢ و « معجم ما استعجم » : ١١٦٦ غير معزوين .

(١) في « الأشباه والنظائر » وقال : « . . . يوم سالفة النوى . . . . من فرط الهوى . . . » ووكفت العين : سال دمعها .

(٢) في « الأشباه والنظائر » « . . . والنقا » ولوذان : موضع ذكره البكري ولم يحدده .

(٣) المواثل : الباقية المنتصبة ، والكلمة من الأضداد ، وبل من مرضه يَبِلُّ وأبلَّ : برأ وصح .

(٤) قوله : سوائل من عينيه : يريد الدموع ، من : سال يسيل . وقوله : غير سوائل ، أي : أنها لا تستطيع الكلام ، من : سأل يسأل .

(٥) هو أبو سليمان محمد بن بشير بن عبد الله بن عقيل الخارجي ، نسبة إلى ـ

سقى اللهُ أطلالاً بأَكْثِبَةِ الحِمى ... وإنْ كُنَّ قد أَبْدَيْنَ للنّاسِ ما بيا

منازِلُ لو مَرَّتْ بِهِنَّ جَنازَتي ... لقالَ الصَّدى ياحامِلَيَّ ارْبَعا بيا

وقال جميلُ بنُ مَعْمَر :

أشاقَتْكَ المَعـارِفُ والطُّلولُ ... عَفَوْنَ وخَفَّ منهنَّ الحُمولُ

نعم وذَكَرْتَ دُنيا قـد تَوَلَّتْ ... وأيُّ نعيمِ دُنيا لا يَزولُ ؟!

وقال حفص الأُموي :

ومِنْ جَزَعي والشَّيْبُ إحْكامُ ذي النُّهى ... بُكاءٌ على الأطلالِ يومَ الرَّواكِسِ

أُسائِلُ أطلالاً عَفَتْ بعدَ أهلِها ... وغَيَّرَها سَهْكُ الرِّياحِ الرَّوامِسِ [1]

فمـا أَبْقَتِ الأيّامُ مِنْ عَرَصاتِهـا ... لمن جاءَها غيرَ الرُّسومِ الدَّوارِسِ

وقال عدي بن الرقاع العاملي :

بني خارجة بن عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر ، شاعر فصيح من شعراء الدولة الأموية ، ترجمته في « الأغـاني » : ٦١/١٦ ، و « معجم الشعراء » للمرزباني : ٣٤٣ ، و « الخزانة » ٣٧/٤ .

(١) في « اللسـان » : سهكت الريح الـتراب : إذا قشرته عن الأرض . والروامس : الرياح الزافيات التي تنقل التراب من بلد إلى آخر ، وبينها الأيام ، وربما غشَّت وجه الأرض كله بتراب أرض أخرى ، والروامس : الرياح التي تثير التراب ، وتدفن الآثار .

هلْ تَعرفُ اليومَ أمْ لا تعرفُ الطَّلَلا ... بلى فهيَّجَ لي الأحزانَ والوَجَلا [1]

وقد أراني بهـا في عيشةٍ عَجَبٍ ... والدَّهرُ بينا له حالٌ إذ انفتلا [2]

وقال طُفيل بن عوف الغنوي [3] :

لمنْ طَلَلٌ بذي خيْمٍ قـديم ... يلوحُ كأنَّ باقيهِ وُشومُ

محـا معْروفه قِدَمُ الليالي ... ووكّافُ عَزاليْهِ سَجومُ [4]

وآونةً عَجـاجُ الصَّيف حتى ... تنـكّرتِ المعالِمُ والرُّسومُ

---

(١) « الطرائف الأدبية » ٨١ .

(٢) في « الطرائف » : ويروى : « إذا انتقلا » وانفتل : انصرف . قـال الأصمعي : ليس من كلام العرب أن يقولوا « بينا كذا إذا كان كذا » إنما هو بينا كذا كان كذا .

(٣) أكثر من ترجموا له ذكروا أنه طفيل بن عوف إلا صاحبي «الاشتقاق» و«الشعر والشعراء» ، فانهما ذكرا أنه طفيل بن كعب ، وفي « الاقتضاب » لابن السيِّد : طفيل بن عوف ، ثم قال : وقال ابن قتيبـة : هو طفيل بن كعب . وهو شاعر جاهلي من الفحول المعـدودين ، ويكنى أبا قران ، يقال : إنه من أقدم شعراء قيس ، وهو من أوصف الناس للخيل ، عاصر النابغة الجعدي وزهير ابن أبي سلمى ، ومات بعد مقتل هرم بن سنان . ترجمته في « الأغاني » ٣٤٩/١٥ و « الشعر والشعراء » ٤٢٢ ، و « سمط اللآلي » ٢١٠ ، و « خزانة » البغدادي ٣ / ٦٤٣ .

(٤) وكف الدمع والماء : سال ، ويقال للسحابة إذا انهمرت بالمطر الجَوْد : قد حلت عزاليها ، وأرسلت عزاليها .

وقفتُ بهِ أسائلُهُ ودَمعي ... يَفيضُ كأنَّـهُ شَنٌّ هَزيمُ [1]

وقال حاتم بن عبد الله الطائي :

أتعرِفُ أطلالاً ونُؤياً تَهدَّمـا ... كَخَطِّكَ في رَقٍّ كِتاباً مُنَمنَما [2]

أذاعتْ به الأرواحُ بعد أنيسِها ... شُهوراً وأيّاماً وحوْلاً مُجرَّما [3]

دَوارِجُ قد غيَّرْنَ ظـاهرَ تُرْبِهِ ... وغيَّرتِ الأيامُ ما كانَ مُعْلَما [4]

وغيَّرَها طُولُ التَّقادُمِ والبِلَى ... فما أَعْرِفُ الأطلالَ إلّا تَوَهُّما

---

(١) في الأصل تحت هـذا البيت ما نصه : الشن : القربة الخلق ، والاداوة الخلق . هزيم : منكسر . قلت : وفي « اللسان » وبئر هزيمة : إذا خسفت وكسر جَبَلُها فغاض الماء الرواء ، وجاء في الحديث في زمزم « انهـا هزمة جبريل عليه السلام » أي : ضرب برجله ، فانخفض المكان فنبع المـــاء ، وقيل : معناه أنه هزم الأرض ، أي : كسر وجهها عن عينها حتى فاضت بالماء الرواء .

(٢) ديوانه : ١٠٧ ، و « مختارات ابن الشجري » : ١٢ ، وفيها « مهدَّما » والنؤي : الحاجز حول الخيمة ، لئلا تدخلها مياه الأمطار ، والرَّق : الصحيفة البيضاء ، أو ما يكتب فيه وهو جلد رقيق ، والمنمنم : المحسن .

(٣) قال ابن الشجري : الأرواح : جمع ريح ، رجعت الياء إلى أصلها لما سكن ما قبلها . قال : أطلالاً ، ثم قال : أذاعت به ، فرجع إلى الطلل . أذاعت به : فرقته ، والمجرَّم : التام الذي انقطع .

(٤) في مختارات ابن الشجري : « فأصبحن قد . . . وبدَّلت الأنواء » قال ابن الشجري : ويروى : « وأنكرت الأنواء » أي : عرضته لأن ينكر ، كقولك: أقتلته : عرضته للقتل ، وأبعت الشيء : عرضته للبيع . المعلم : المعروف .

وقال رُقَيع بن عُبَيد بن صيفي :

يا صاحبيَّ أَلِمَّا بي على الطَّلَلِ   وحَيِّيا قبلَ طُولِ البَيْنِ والشُّغُلِ

وما تحيَّةُ دارٍ بعـد ما دَرَسَتْ   إلا معارفَ رسمٍ هاجَ مِنْ خَبَلي

وقال ذو الرمة غيلان بن عقبة بن مسعود :

خليليَّ عُوجا اليومَ حتى تُسلِّما   على طللٍ بين النَّقا والأَخارِمِ [(١)]

كأنْ لم يكنْ إلا حديثاً وقد أتى   له مـا أتى للمُزْمِنِ المُتقـادِمِ [(٢)]

وهل يَرجِعُ التَّسْليمَ رَبْعٌ كأنَّه   بسائفةٍ قفراً ظُهورُ الأراقِمِ [(٣)]

وقال البحتري :

يأبى الخليُّ بُكاءَ المنزِلِ الخالي   والنَّوْحَ في أرْسُمٍ أَقْوتْ وأطلالِ [(٤)]

---

(١) ديوانه : ٦٩٢ من قصيدة يمدح بها اللازم بن حريث الحنفي . والنقا : الرمل ، والأخارم : الطرق في الجبال .

(٢) في « الديوان » بعد هذا البيت :

سلام الذي شَقَّتْ عصا البين بينه   وبين الهوى من إلفه غيرَ صارم

(٣) في « الديوان » : « قفر » وفي الأصل تحت كلمة « بسائفة » ما نصه : منقطع الرمل . وفي الشرح : السائفة : رمل بها طول ، والأراقم : الحيات ، يقول : كأن الآثار به ترقيش الحيَّات .

(٤) البيتان في « الموازنة » : ٥١٤ طبعـة دار المعارف ، ولم يردا في المطبوع من ديوانه ، وفيها « والنوح في دمن . . . . » .

وذو الصَّبابَةِ ماينفَكُّ يُنْصِبُهُ   وجـداً تأبُّدُ آيِ المنْزِلِ الخالي [(١)]

وقال آخر :

أشاقَتْكَ مِنْ أرْضِ العِراقِ طُلولُ   تَحَمَّلَ منهـا جِـيرَةٌ وحُلولُ

فكيفَ أَلَذُّ العَيْشَ بعد معاشرٍ   بهم كُنتُ عند النَّائباتِ أَصُولُ

وقال أبو تمام :

طَلَلَ الجميعِ لقد عَفَوْتَ حَميدا   وكفى على رُزْئي بذاكَ شَهيدا [(٢)]

دِمَنٌ كأنَّ البينَ أَصْبحَ طالِباً   دِمَناً لدى آرامِهـا وحُقُودا [(٣)]

---

(١) في « الموازنة » : « وجـــد تأبّد آي الدّمنة الخالي » برفع « وجد » ونصب « تأبد » ولا معنى له . قال الآمدي : قوله « تأبد » أي : صار فيها أوابد الوحش ، ويقال : تأبد المنزل : إذا طال عليه الأبد .

(٢) ديوانه ١/٤١٠ من قصيدة يمدح بهـا خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني . قال المرزوقي : درست أيها الطلل وأنت محمود ، لأنك من أجل من فارقك حقيق بالدروس . ثم قال : « وكفى بذاك » أي : بما رؤي من تغير حال الطلل شهيداً على رزئي ، أي : إذا أثر هذا الأمر في الجماد الذي لا يعقل ولا يميز ، فكيف تأثيره فيّ مع علمي وتمييزي ؟! وموضع « بذاك » رفع بفعله ، والباء دخلت للتأكيد .

(٣) قال التبريزي : الدمن الأول : جمع دِمنة ، وهي آثار القوم في الديار ، ثم يسمى المنزل دمنة لكون الدمنة فيه . والدمن الثاني : جمع دمنة ، وهي الحقد وبقيته في القلب . وعنى بالآرام : النسـاء ، شبهها بالظباء البيض . يقول : كأن الفراق طلب عند ظباء هذه الدمن آثاراً .

أَمواقِفَ الفتيان تطوي لم تَذُبْ   شَوقاً ولم تندُبْ لهنَّ صَعيدا [1]

وقال أبو تمام أيضاً :

تُطِلُّ الطُّلولُ الدَّمعَ في كل موقِفٍ   وتَمْثُلُ بالدَّمع الدِّيارُ المواثِلُ [2]

دَوارِسَ لم يَجْفُ الرَّبيعُ رُبوعَها   ولا مَرَّ في أغفالِها وهو غافِلُ [3]

---

(١) في « الديوان » : « لم تَزُرْ شَرَفاً » وقال الآمدي في « الموازنة » ٤١٢: ويروى « لم نزر شعفاً » أي : كيف نطوي هذه الرسوم والدمن التي هي مواقف أهل الفتوة ، يريد الكرام ، ولم نزر حزناً لها ولا سهلاً ، لأنه أراد بالشعف : ما ارتفع من الأرض وعلا ، وأراد بالصعيد : ما اطمأن من الأرض وسفل ، والصعيد انما هو وجه الأرض الذي فيه التراب ، وأكثر ما يكون فيما اطمأن من الأرض لا فيما علا ، فكانوا يرون الوقوف على الديار من الفتوة والمروءة ، وأن طيَّها عند الاجتياز بها من النذالة ، وقبيح الرعاية ، وسوء العهد .

(٢) ديوانه : ٣/١١٣ من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الملك الزيات مطلعها:

متى أنتَ عن ذُهْليَّةِ الحيّ ذاهل   وقلبُكَ منها مدَّةَ الدَّهر آهِلُ !

قال المرزوقي : تمثل بالصبر ، أي : تعاقبه حتى تجعله مُثْلَةَ ، والمواثل : جمع ماثلة ، وهو من الأضداد ، يكون الدارس ، ويكون الباقي المنتصب ، فاذا فسرته على الدارس ، فالمعنى أن العاشق إذا وقف بها ، فوجدها دارسة ، اشتد جزعه ، وعيل صبره ، فكأن الديار مثلت به وبصبره ، فاذا حملته على أنه البواقي المنتصبة تصير الديار كأنها دَرَس بعضها ، وبقي البعض ، ويكون المعنى : أنها بآثارها الباقية ، وعلاماتها المنتصبة، تذكر العهود ، وتجدد الأحزان ، ولو كانت كلها دراسة لكانت خليقة بألاّ تعرف فيستريح العاشق .

(٣) قال التبريزي : أي : لم يمر الربيع بهذه الطلول وهو غافل عن سقياها. والأغفال من الأرض : ما لا علم بها .

فقد سحبتْ فيها السَّحائبُ ذَيْلَها   وقد أخْمَلَتْ بالنَّوْرِ فيها الخمائلُ [1]

وقال المتنبي :

إِثْلِثْ فإِنَّا أيُّها الطَّلَلُ   نبكي وتُرْزِمُ تحتَنا الإِبلُ [2]

لو كُنتَ تَنطِقُ قلتَ معتذِراً   بي غيرُ ما بكَ أيُّها الرَّجُلُ [3]

أبكاكَ أنَّكَ بعضُ مَنْ شَغَفوا   ولَمَ أبكِ أنّي بعضُ مَنْ قَتَلُوا [4]

إِنَّ الذين أقمْتَ وارْتَحلوا   أَيّامُهم لِديارِهِمْ دُوَلُ [5]

---

(١) قال التبريزي : أراد بالخمائل هاهنا : الأرضين السهلة ، ويمكن أن يحمل قوله « قد أخملت » على قولهم : خمل الرجل : إذا أخفي ذكره ، أي : ان النور قد سترها وأخفاها بكثرته .

(٢) ديوانه ٣/٢٩٩ من قصيدة يمدح بها عضد الدولة . وثلثت الرجلين : صرت ثالثهما ، والارزام : حنين الابل ، ومنه الرزمة : صوت السحاب .

(٣) قال العكبري : يقول : لاعتب عليك في ترك البكاء ، فان الطلول ليس من عادتها البكاء ، فهي فاعلة لمثل هذه الفعلة في ترك المساعدة على البكاء . يعذره في ترك البكاء .

(٤) يقول : لقلت الذي بي أكثر من الذي بك ، لأنهم شغفوك حباً ، فأذهبوا قلبك ، فبكيت لفراقهم ، أما أنا فانهم قتلوني بارتحالهم – كناية عن دروسه بعدهم – والقتيل لا يقدر على البكاء .

(٥) يقول للطلل : إن الأحبة الذين ارتحلوا عنك وغادروك ، وأقمت بعدهم، أيّامُهم دول لديارهم ، تعمر بنزولهم أيام مقامهم ، وتخرب بارتحالهم .

وقال أبو نواس :

لِمَنْ طَلَلٌ لم أشجِهِ وشجاني ... وهاجَ الصِّبى أوْ هاجَهُ لأوانِ [١]

بلى فازْدَهتني للصِّبى أرْيَحيَّةٌ ... يمانيَّةٌ إنَّ السَّماحَ يماني [٢]

وقال آخر : هو ذو الرُّمة غيلان

ماهاجَ عَيْنَيْكَ مِنَ الأطلالِ ... المُزْمِناتِ بعدَكَ الخوالي [٣]

كالوَحْيِ في سواعدِ الحَوالي ... غَيَّرَها تناسُخُ الأحوالِ [٤]

وغَيْرُ الأيَّامِ واللَّيالي ... فاستَبْدَلَتْ والدَّهرُ ذو استبدالِ [٥]

مِنْ ساكِنيها فِرَقَ الآجالِ ... فانظُرْ إلى صَدْرِكَ ذا بَلْبالِ

صَبابَةً للأزْمُنِ الخوالي

وقال الصنوبري [٦] :

---

(١) ديوانه : ٤٦٨ . لم أشجه : لم أحزنه . لأوان : لوقت .

(٢) ازدهتني : استخفتني . الأريحية : الميل إلى المعروف ، والارتياح له .

(٣) ديوانه : ٥٦١ ، وفيه : « البوالي » .

(٤) الوحي : الاشارة والكتابة والخط ، وحليت المرأة فهي حال وحالية : استفادت حلياً أو لبسته .

(٥) في « الديوان » : « غيرها تناسج الأحوال » .

(٦) هو أحمد بن محمد بن الحسن بن مراد أبو بكر الضبي الحلبي الأنطاكي المعروف بالصنوبري ، شاعر محسن ، أكثر شعره في وصف الرياض والأزهار . ترجمته في « إعلام النبلاء » ٢٣/٤ ، و « البداية والنهاية » ١١٩/١١ ، و « وفيات الأعيان » ١١١/١ .

مَا لَفٌ مُوحِشٌ مِنَ ألّافِ ... هاجَ عافيهِ لي جوىً غيرَ عافِ

أَحرامٌ صَفْوُ اللَّيالي لِصَبٍّ ... ذَكَّرَتْهُ الطُّلولُ عَهْدَ التَّصافي

عاجَ يمحو بعضَ الصَّبابةِ ما بَيْـ ... ـنَ مَغانٍ مَمْحُوَّةٍ وأثافِ

كم يرى شَمْلَ أهلِها في افتراقٍ ... وترى شَمْلَ دَمْعِهِ في ائتلافِ

وقال امرؤ القيس بن حجر :

عُوجا على الطَّلَلِ المُحيلِ لعلَّنا ... نبكي الدِّيارَ كما بكى ابنُ خِذامِ [١]

فظَلِلْتُ في دِمَنِ الدِّيارِ كأنَّني ... نَشْوانُ باكَرَهُ صَبوحُ مُدامِ [٢]

روى ابن حبيب : أنه ابن حمام . وقال ابن الكلبي : هو امرؤ القيس بن حمام ، بن مالك ، بن عُبَيْدة ، بن هُبَل الكلبي . وكذا روى ابن الأعرابي وأبو عمرو والمفضل وخالد .

---

(١) ديوانه : ١١٤ ، و « مختار الشعر الجاهلي » : ٩١ وفيهما « لأننا » وقوله : عوجا : أي : اعطفا رواحلكما ، وعوجا على الطلل المحيل ، يعني : الذي أتى عليه حول فتغير . وابن خذام : رجل ذكر الديار قبل امرىء القيس وبكى عليها ، وبعد هذا البيت :

أوما ترى أظعانَهُنَّ بواكراً ... كالنَّخلِ من شوكانَ حينَ صِرامِ

حُورٌ تُعلَّلُ بالعبيرِ جلودُها ... بيضُ الوجوهِ نواعِمُ الأجسامِ

(٢) الصبوح : الخمر تشرب عند الصباح . يقول : إنه أقام في تلك الديار حيران أسفا ، لما رأى من تغيرها ، فشبه نفسه بالنشوان لذلك .

وقلت من قصيدة :

نَعَمْ هـذه الأطْلالُ قَفْرٌ كما تَرَى   فما عُذْرُ أجفاني إذا لم تَفِضْ دَما

ولِلْيوم أعْدَدْتُ الدُّموعَ وصُنْتُها   وما يُسْتَجَمُّ الدَّمعُ إلّا لِيُسْجَما

وفي منزل الأحبابِ عُذْرٌ لذي الهوى   فلا لَوْمَ إلّا أنْ تَجورَ وتَظْلِما

وقال سعيدُ بنُ حُمَيْدٍ المنبجي المذحجي، المعروف بالدوقلة[1] :

هـل بالطُّلولِ لسائلٍ رَدٌّ   أمْ هل لها بتكلُّمٍ عَهْدُ ؟[2]

دَرَسَ الجديدُ جَديدَ مَعْهَدِها   وكأنَّمـا هي رَيْطَةٌ جُرْدُ[3]

---

(١) في فهرست ابن خـير ص ٤٠١ طبع سرقسطة : القصيدة اليتيمة : هل بالطلول لسائل رد . حدثني بها القاضي أبو بكر بن العربي ، قال : أخبرنا المبارك ابن عبد الجبار الصيرفي ، قال : أنشـدنا جميع قصيدة الحسين بن محمـد المنبجي ، ولقبه دوقلة القاضي أبو القاسم التنوخي ، قال: أنشدنا أبو الحسن محمـد بن عبيد الله ابن محمد النصيبي الأزدي مؤدبي ، وأخبرني أن أبا عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد صاحب ثعلب أنشده عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب لدوقلة المنبجي .

(٢) الأبيات في « الزهراء » ، المجلد الرابع : ٣٤٥ ، من قصيدة نشرها الاستاذ عبدالعزيزالميمني عن أصل مخطوط في مكاتب الهند . وهذه القصيدة قد تنازعها كثير من الشعراء ولم يعرف قائلها ، إلا أن أكثر الأدباء يميلون إلى أنها لواحد من هؤلاء الشعراء وهم العكوك الكندي ، وأبو الشيص ، ودوقلة المنبجي . انظر مجلة « الزهراء » المجلد الثالث : ٢٢٤ ، ٣٦٢ .

(٣) الريطة : الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ، ونسجاً واحـداً . والجرد : الخلق من الثياب الذي سقط زئبره .

من طول ما تبكي الغيومُ على   عَرَصاتِها ويُقَهْقِهُ الرَّعْـدُ

وتُلِثُّ سـارِيَةٌ وغادِيَةٌ   ويَكُرُّ نَحسٌ خَلْفَهُ سَعْدُ[1]

تلقى شـآمِيَةٌ يَمانِيَـةً   لهما بمَوْرِ تُرابِها سَرْدُ[2]

فوقفْتُ أسألُها وليس بها   إلّا المَهـا ونَقانِقٌ رُبْـدُ[3]

فتناثَرَتْ دُرَرُ الشُّؤونِ على   خَـدّي كما يتناثرُ العِقْدُ

وقال أيضاً :

خَـبِّرَنّي أيُّهـا الطَّلَلُ   الألى حَلُّوكَ ما فعـلوا

قال لي لا عِلْمَ لي بهمُ   أيُّها المشتاقُ مُذْ رَحَلوا

فأبْكِهِمْ ثم ابكني معهم   بجُفُونٍ ماؤُهـا خَضِلُ

تَنْسُجُ النكباءُ في دِمَني   للبِـلَى ثوْباً وتَغْـتَزِلُ

فإذا ما أَخْلَقَتْ حُلَلٌ   جُدِّدَتْ لي بعدها حُلَلُ

---

(١) في الأصل تحت كلمة « نحس » ما نصه : يعني الدبران والعقرب . ألثت السحابة : دامت أياماً فلم تقلع ، والسارية : السحابة تأتي ليلاً ، والغادية : السحابة تأتي بكرة .

(٢) في « الزهراء » « تلقاء شامية يمانيةٌ » ومار التراب : ثار ، ومارت الريح التراب: أثارته ، والسرد : التتابع .

(٣) المها : بقر الوحش ، والنقانق : جمع نَقْنَق ، وهو الظليم ، وظليم أربد، ونعامة ربداء : لونها كلون الرماد ، والجمع رُبْد .

قلتُ : إنَّ القلبَ بعدَهم — مِنْ عزاءٍ عَنْهُمُ عُطُلُ

عصفَتْ فيه رياحُ هوىً — فكِلانا بعدَهم طَلَلُ

وقال مهيار :

هل عندَ هذا الطَّلَلِ الماحِلِ — إجابةٌ تُجْدي على سائلِ ؟ [١]

أَصمُّ بل يَسْمعُ لكنَّهُ — مِنَ البِلى في شُغُلٍ شاغِلِ

وقفتُ فيها شَبَحاً ماثِلاً — مُرْتَفِداً من شَبَحٍ ماثِلِ [٢]

ولا ترى أعجبَ من ناحِلٍ — يشكو ضَنى الجِسْمِ إلى ناحِلِ

لهفَكِ يا دارُ ولهفي على — قَطينِكِ المحتَمِلِ الزائِلِ

قلبيَ للأحزانِ بعدَ النوى — وأنتِ للسّافي وللنّاخِلِ

مِثلانِ في السقْمِ ولي فَضْلَةٌ — بالعَقْلِ والبلْوى على العاقِلِ [٣]

* * *

(١) ديوانه ٢١٨/٣ ، وفيه : « من جلد يجدي » .

(٢) في الديوان : مرتعداً.

(٣) في الديوان : « مثلك » بين معقفين ، وكتب مصحح الديوان في الهامش هذه الكلمة في الأصل هكذا : « مثادن » .

فصل آخر
في ذكر الأطلال

قال امرؤ القيس بن حُجْر :

ألا انعمْ صباحاً أيُّها الطَّلَلُ البالي — وهل يَنْعَمَنْ مَنْ كانَ في العُصُرِ الخالي [١]

وهل يَنعمَنْ إلّا سعيدٌ مُخَلَّدٌ — قليلُ الهمومِ لا يَبيتُ بأوْجالِ [٢]

ديارٌ لسُعْدى عافياتٌ بذي الخالِ — ألحَّ عليها كلُّ أسْحَمَ هطّالِ [٣]

(١) ديوانه : ٢٧ ، و« مختار الشعر الجاهلي » : ٣٤ وفيها : « ألا عم ... وهل يعمن ... » وانعم وعم : بمعنى واحد . دعا للطلل بالنعيم والأهل ، وأن يسلم من الآفات على عادة العرب ، كأنهم يعنون بالدعاء أهل الطلل ، ثم قال : من طال عليه الزمان وأبلاه كيف يكون ناعماً ؟! أو المعنى : تفرق أهلك وذهبوا ، فكيف تنعم بعدهم !.

(٢) المخلد : الطويل العمر ، الرخي البال ، أي : لا ينعم في هذه الحياة إلا المخلد بسعادة الجد ، الذي يبيت وقلبه فارغ من الهموم .

(٣) في الديوان « ... لسلمى ... بذي خال » ألح : دام عليها . والأسحم : السحاب الأسود لكثرة مائه ، والهطال : المطر الدائم وليس بالشديد ، يصف أنَّ هذه الديار قد تعفَّت ودرست لالحاح المطر عليها ، ولزومه إياها .

وقال طرفة بن العبد [1] :

لِهِنْدٍ بِحُزَّانِ الشُّرَيْفِ طُلُولُ ‏ ‏ تلوحُ وأدنى عَهْدِهِنَّ مُحِيلُ [2]

وبالسَّفْحِ آياتٌ كأنَّ رُسُومَها ‏ ‏ يَمانٌ وَشَتْهُ رَيْدَةٌ وسَحِيلُ [3]

فغيَّرْنَ آياتِ الدِّيارِ مع البِلى ‏ ‏ وليس على رَيْبِ الزَّمان كفيلُ

بما قد أرى الحيَّ الجميع بغبطةٍ ‏ ‏ إذِ الحيُّ حيٌّ والحُلولُ حُلُولُ [4]

وقال ربيع بن قَعْنَب [5] :

ألمْ تَرَ للأطلال يومَ سُوَيقةٍ ‏ ‏ عَفَتْ بعدَ عهد الحيِّ فهيَ قُفورُ

---

(١) هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك البكري ، واسمه : عمرو ، شاعر جاهلي ، كان في حسب من قومه ، جريئاً على هجائهم وهجاء غيرهم ، وكان من أحدث الشعراء سناً ، وأقلهم عمراً . قتل وهو ابن عشرين سنة ، وقيل : ابن ست وعشرين.

(٢) ديوانه : ٧٩ ، و« مختار الشعر الجاهلي » ٣٣٧ ، والحزان ، بضم الحاء وكسرها : جمع حزيز ، والحزيز من الأرض : موضع كثرت حجارته ، وغلظت كأنها السكاكين . والشريف : واد بنجد ، يقال لما ولي المغرب منه : الشرف ، ولما ولي المشرق : الشريف ، ومحيل : أتى عليه الحول .

(٣) في «مختار الشعر الجاهلي»: وسحول. وفي الأصل تحت هذا البيت مانصه : ريدة : قرية باليمن ، وسحيل : ريح تسحل ، أي : تقشر . اه وفي الشرح : السفح : أسفل الجبل أو اسم موضع ، وآيات : علامات تعرف بها الديار، ويمان : أي ثوب يمان ، ووشته : زينته ، وريدة وسحول : قيل: قريتان باليمن ، وقيل: قبيلتان ، وفي الديوان بعد هذا البيت :

أربَّت بها نآجة تزدهي الحصى ‏ ‏ وأسحمُ وكاف العشيِّ هطولُ

(٤) بما قد أرى : بمدة ما أرى ، والغبطة : حسن الحال والمسرة، والحلول: القوم النازلون.

(٥) ذكره الآمدي في « المؤتلف والمختلف » ١٨٢ ، فيمن يقال له : ربيع ، –

تحمَّلَ منها بعد طُولِ إقامةٍ ‏ ‏ حِسانٌ نَقيّاتُ المدامعِ حُورُ

دعاهُنَّ سَيْرٌ بعدَ خَفْضٍ ورُفِّعَتْ ‏ ‏ لهنَّ على بُزْلِ الجمال خُدورُ

فأَصْبَحتُ لا أدري لدُنْ أنْ رأيتُهُم ‏ ‏ أتى حَدَبٌ دُون الجميع وَقورُ

وحتى رأيتُ الحيَّ تعفو عِراصُهم ‏ ‏ يمانيةٌ تُسدي البِلى وتُنيرُ [1]

ونَفْحُ جَنوبٍ أو شِمالٍ مُلِثَّةٍ ‏ ‏ تُعارِضُها بالمُعصِفاتِ دَبُورُ

وقال جرير بن عطيَّة :

بقيتْ طُلُولُكِ يا أُمامَ على البِلى ‏ ‏ لا مِثْلَ ما بقيتْ عليه طُلُولُ [2]

عفتِ الجنوبُ مع الشَّمال رسومَها ‏ ‏ وَصَباً مُزَمْزِمَةُ الحنين عَجولُ [3]

أَعذَرْتُ في طلبِ النَّوالِ إليكمُ ‏ ‏ لو كان مَنْ مَلَكَ النَّوالَ يُنيلُ

– واقتصر على قوله « ومنهم الرَّبيع بن قعنب الفزاري أيضاً » ، وقال البكري في « معجم ما استعجم » مادة : « عريجاء » . وكذلك قول ربيع بن قعنب الفزاري ، وكان أرطاة بن سهية قال له :

لقد رأيتُك عُرياناً ومؤتزِراً ‏ ‏ فلست أدري أأنثى أنت أم ذكر

فأجابه ربيع ، وأرطاة من بني مرة :

لكن سهية تدري أنني رجل ‏ ‏ على عريجاء لمـا حُلَّت الأزر

(١) تسدي : تحوك سداها ، وتنير : تحوك نيرها ، وهو في الأصل لحمة الثوب . قال في « الأساس » ومن المجاز : والريح تسدي المعالم وتنيرها .

(٢) ديوانه : ٤٧٢ من قصيدة يمدح بها عبد الملك ويهجو الأخطل .

(٣) في الديوان « نسج . . . . . الرَّباب . . . . »

إنْ كانَ دهرَكمُ الدّلالُ فانهُ ... حَسَنٌ دلالُكِ يا أُميمَ جَميلُ[1]

لا يَبْعُدَنْ أنسٌ تقادَمَ بعدَكم ... طَلَلٌ بِبُرْقَةِ رامَتينِ مُحيلُ

ولقد نكونُ إذا يُحَلُّ بِغَبطَةٍ ... أيّامَ أهلُكِ للدّيارِ حُلولُ[2]

ولقد تُساعِفُنا الدّيارُ وعَيْشُنا ... لو دامَ ذاكَ كما نُحِبُّ ظَليلُ

فسقى دِيارَكِ حيثُ كُنتِ مُجَلْجِلٌ ... هَزِجٌ ومِنْ غُرِّ السَّحابِ هَطولُ

وقال عمارة بن بلال بن جرير بن عطية[3] :

ألا فاسْلَما يا أيُّها الطَّلَلانِ ... وإنْ هِجْتُما عيني على الهَمَلانِ

وهلْ دَمْعُ عينيَّ اللَّجوجينِ راجعٌ ... ليالي حلَّ الحيُّ هَضْبَ عُرانِ[4]

كأنَّ زَماناً حَلَّه الحيُّ باللِّوى ... لِوى ثَرْمَداءَ لم يكنْ بزمانِ

---

(١) في الديوان « ... طبكم ... »

(٢) في الديوان « ولقد تكون إذا تحل بغبطة .... بالديار ... »

(٣) هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية الخطفى ، شاعر مقدم فصيح، كان يسكن البادية ويزور خلفاء الدولة العباسيه ، فيجزلون صلته ، وعنه أخذ أبو العباس المبرد ، وأبو العيناء ، ترجمته في «الأغاني» ٢٣/٤٢٤ ، و«طبقات ابن المعتز» : ٣١٦ ، و « معجم الشعراء » : ٧٨ ، و « تاريخ بغـــداد » ٢/٢٨٢ ، و « رغبة الآمل » ١/١٢٨ .

(٤) « عران » ضبطت في الأصل بضم العين وفي « معجم البلدان » : عِران، بكسر أوله : موضع قرب اليمامة عند ذي طلوح من ديار باهلة .

ولم نَغْنَ في أيّامِهِ أحسَنَ الغِنى ... وشَعْبا جميعِ الشَّملِ مُتَّفِقانِ

إذا قلتُ أُنسى ذِكرَ أسماءَ هَيَّبَتْ ... بقلبي دواعي حُبِّها فعصاني

رُوي عن مُوَيْلِكٍ عن أبيه[1] قال : قال لي سائب خاثر يوم الحَرَّة[2] :

ألا أُسمعك شيئاً قد صنعته ؟ قلت : نعم ، فغناني :

لِمَنْ طَلَلٌ بين الكُراعِ إلى القَصْرِ ... يَغيبُ عنّا آيَهُ سَبَلُ القَطْرِ[3]

إلى خالداتٍ ما تَريمُ وهامِدٍ ... وأشعثَ تُرْسيهِ الوَليدةُ بالفِهْرِ[4]

---

(١) الخبر في « الأغاني » ٨/٣٢٥ .

(٢) هو يوم ليزيد بن معاوية على أهــــل المدينة ، سنة ٦٣ هـ ، والحرة : أرض ذات حجارة سود نخرة ، كأنها أحرقت بالنار ، والحرار كثيرة في بلاد العرب ، أكثرها حوالي المدينة إلى الشام ، والحرة التي وقعت فيها هذه الوقعة تقع شرقي المدينة ، واسمها حرة واقم ، قال عبيد الله بن قيس الرقيات :

تُذَكِّرني قَتْلى بحرَّةِ واقمٍ ... أُصيبَتْ وأرْحاماً قُطِعْنَ شَوابِكا

وانظر خبر هذا اليوم « تاريخ الطبري » ١/٧ .

(٣) كراع الأرض : ناحيتها ، وهو أيضاً ما سال من أنف الجبل أو الحرة، وكراع الغميم : موضع بناحية الحجاز ، بين مكة والمدينة ، وهو واد أمام عسفان بثمانية أميال .

(٤) الأشعث : الوتد ، وترسيه : تثبته ، والفهر : حجر يملأ الكف ، وقد ورد هذا البيت في « اللسان » « رسا » منسوباً للأحوص بلفظ « سوى خالداتٍ ما يُرمن وهامدٍ ..... » .

فسمعت عجباً مُعْجِباً ، ثم ذكر أهلَه وولدَه فبكى ، فقلت له : فما يمنعك منهم ؟ قال : أمّا بعد شيءٍ سمعتُه من يزيد بن معاوية فلا . ثم تقدم فقاتل بسيفه حتى قتـل . وسائب خاثر مولى بني ليث ، اشترى عبدُ الله بن جعفر رضي الله عنهما ولاءه من مواليـه ، وقيل : اشتراه وأعتقه ، فانقطع إلى عبد الله ولزمه ، وهو أول من عمل العود بالمدينة ، وغنّى به [1] .

وقال ذو الرمة غيلان بن عقبة بن مسعود :

لميَّـةَ أطـلالٌ بحُزْوى دواثِرُ عَفَتْها السَّوافي بعدَنا والمواطِرُ [2]

كأنَّ فؤادي هاضَ عِرفانَ رَبْعِها بها وَهْيَ ساقٍ أَسلمَتْها الجبائِرُ [3]

---

(١) انظر ترجمته في « الأغاني » ٨/٣٢٤ ، و « تهذيب ابن عساكر » ٦/٦٣ ، و « نهاية الأرب » ٤/٢٤٣ .

(٢) ديوانه : ٣٢٧ من قصيدة يمـدح بها بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري . والدواثر : التي قد امّحت ، وعفتها : درستها ، والسوافي : الرياح تسفي التراب ، والمواطر : السحائب .

(٣) في الديوان : و « الخزانة » ٣/٦٤٥ « به وعي » قال البغدادي ، والهيض: الكسر بعد الجبر ، وضمير « به » للفؤاد ، والوعي : الجبر ، وأسلمتها : خذلتها، والاسلام: التخلية والخذلان ، والجبارة بالكسر : ما شددت به الكسر من الأعواد، وعرفان : فاعل هاض ، ووعي مفعوله .

عَشيَّةَ مسعودٌ يقول وقد جرى على لحيتي مِنْ دَمْعِ عينيَّ قاطِرُ : [1]

أفي الدَّارِ تبكي أنْ تفرَّقَ أهلُها وأنتَ امرؤٌ قد حَلَّمَتْكَ العشائِرُ ؟! [2]

فلا ضَيرَ أنْ تَستعبِرَ العينُ إنني على ذاكَ إلّا جَوْلةَ الدَّمعِ صابِرُ [3]

فيا ميُّ هل يُجزى بكائي بمثلهِ إليكِ وأنفاسي عليكِ الزَّوافِرُ [4]

وأني متى أُشرِفْ إلى الجانبِ الذي به أنتِ مِنْ بين الجوانب ناظِرُ [5]

وأن لا ينالَ الرَّكْبُ تَهْويمَ وقعةٍ مِنَ اللَّيلِ إلّا اعتادني منكِ زائِرُ [6]

---

(١) في الديوان « من عبرة العين قاطر » وقال البغدادي : مسعود : هو أخو ذي الرمة .

(٢) قال البغـدادي : قوله : أفي الدار ، هو مقول مسعود ، و«أن تفرق» : مجرور باللام المقدرة . وأنت امرؤ : جملة حالية ، وحلمتك : وصفتك بالحلم .

(٣) يقول : أنا صابر على كل حال ، ثم استثنى حال جولة الدمع في العين ، فانه يقصر ، لا يقدر أن يرده .

(٤) في الديوان « . . . مراراً وأنفاسي . . . » والزفرة : صوت يخرج من الصدر . يريد : هل تبكين مثل بكائي مراراً .

(٥) في الديوان « على الجانب . . . » يريد : وأني متى أشرف على الجـانب الذي لك فيه منزل ، فاني إليه ناظر من بين الجوانب من الأرض . وبعد البيت:

وأن لا يني يا ميُّ من دون صحبتي لكِ الدَّهرَ من أحدوثة النفس ذاكر

(٦) التهويم : النوم القليل ، وقعة : نومة عند الصبح ، والزائر : الخيال ، شبهها يؤمه عند نومه .

وقال عُمر بن أبي ربيعة المخزومي :

بوَجرةَ أطلالٌ تعفَّتْ رُسُومُهـا   وأقفرَ مِنْ بَعدِ الأنيس قديمُها (١)

تلوحُ على طُولِ الزَّمانِ عِراصُها   كما لاحَ في كفِّ الفتاةِ وُشومُها

وقفتُ بها والعينُ شامِلَةُ القَذى   كعينِ طريفٍ ما يجفُّ سُجُومُها (٢)

فذلك هاجَ الشَّوقَ مِنْ أمِّ نَوْفَلٍ   وذِكرى لنفسٍ جَمَّةً ما تَرِيمُها (٣)

فقد أدركتْ عندي مِنَ الوُدِّ فوقَ ما   تمنَّت بغيبٍ أو تمنَّى حَميمُها

وقال آخر :

عفـا مِنْ آلِ بَلْجاءَ الطُّلولُ   وجَدَّ البينُ وانقطعَ الوَسيلُ

وصاحَ بصَرْمِها من بَطْنِ قَوٍّ   غـداةَ البينِ شَحَّاجٌ حَجولُ (٤)

مِنَ الّلائي لَهُنَّ بكلِّ أرضٍ   فليس لهنَّ في بـلدٍ قَبولُ

يباصِرْنَ النَّوى فاذا اشمَعَلَّتْ   بأهلِ الدَّارِ وأقلَوْلَى الحُمولُ (٥)

تبـادَرْنَ الدِّيارَ يمِسْنَ فيهـا   وبئسَ مِنَ المليحاتِ البديلُ

(١) ديوانه : ٢٢٠ ، وجرة : موضع بينه وبين مكة مرحلتان .

(٢) القذى : كل ما يقع في العـين من عمص أو غيره ، وقوله « والعين شاملة القذى » يريد أن عينيه دائمـة البكاء ، والطريف : الذي طرفت عينه ، وسجومها : انصباب دمعها .

(٣) ما تريمها : ما تفارقها ولا تبرحها .

(٤) الشحاج : الحمار الوحشي صفة غالبة .

(٥) اشمعلت : أسرعت ، واقلولى القوم : رحلوا .

وقال طهمان بن عمرو (١) :

ألا يا اسْلَما بالنيرِ مِنْ أمِّ واصِلٍ   ومِنْ أمِّ جَبْرٍ أيُّها الطَّلَلانِ

وهلْ يَسلَمُ الرَّبعانِ يجري عليهما   صَباحَ مساءَ دائمُ الهطَلانِ

كفى حَزَناً أني تطالَلْتُ كي أرى   ذُرى عَلَمي دَمْخٍ فما تَرَيانِ (٢)

كأنَّهُما والآلُ يَجري عليهما   مِنَ البُعْدِ عينا بُرْقُعٍ خَلَقانِ

ألا حَبَّذا واللهِ لو تَعْلَمانِهِ   ظِلالُكُما يا أيُّها العَلَمانِ

وماؤُكُما العَذْبُ الذي لوْ شَرِبْتُهُ   وبي صالِبُ الحُمّى إذاً لشفاني

وقال أبو الصفي رفاعة بن قيس :

سَقى اللهُ أطلالاً لبَلْجاءَ بالغَضى   كساها البِلى والنَّأْيُ لِبداً على لِبَدِ

وأيامَنا الّلاتي مَضَيْنَ بعـاقِلٍ   فغُبْرٌ ذميماتٍ مَضَيْنَ ولا نُكْدِ

لقد كانَ لي ليلٌ ببَلْجاءَ مَرَّةً   قصيرٌ إذا ما اللَّيلُ طالَ على الرَّمْدِ

وقال زهير بن أبي سلمى :

لِمَن طَلَلٌ برامَـةَ لا يَريمُ   عَفـا وخَلا لَهُ حُقُبٌ قديمُ (٣)

(١) هو طهمان بن عمرو ، شاعر اسلامي ، كان في زمن عبد الملك بن مروان ، وهو أحد صعاليك العرب وفتاكهم «سمط اللآلي» ٤٧٣. والأبيات في «معجم البلدان» ٤/٧١.

(٢) تطاللت : مددت عنقي لأنظر . ودمخ : جبل بين أجبال ضخام في ناحية ضرية .

(٣) ديوانه : ٢٠٦ و « مختار الشعر الجاهلي » : ٢٧٤ من قصيدة يمدح بها هرم ابن سنان بن أبي حارثة المرّي وفيه « عهد قديم » . والطلل : ما كان له شخص –

تَحَمَّلَ أَهْلُهُ مِنْـهُ فبـانُوا ... وفي عَرَصـاتِهِ منهم رُسُومُ [١]

يَلوحُ كأنَّهُ كَفَّـا فتـاةٍ ... تُرَجِّعُ في مَعاصِمِها الوُشُومُ [٢]

وقال كثيِّر :

أَمِنْ طَلَلٍ أَقْوى من الحيِّ ماثِلُه ... تُهَيِّجُ أحْزانَ الطَّروبِ مَنازِلُه [٣]

ـ على وجه الأرض ، والرسم : أثر لا شخص له ، لا يريم : لا يبرح هو ثابت على قدم الدهر ، ورامة : منزل بينه وبين الرمادة ليلة في طريق البصرة إلى مكة، ومنه إلى إمَّرة وهي آخر بلاد بني تميم ، وبين رامة والبصرة اثنتا عشرة مرحلة. عفا : درس ، وخلا : مضى ، « حِقَب » الواحدة : حقبة ، وهي السنة ، وعلى هذا يكون « قديم » وصفاً لطلل . وفي الشرح : وقوله : « لمن طلل » ليس ذلك استفهاماً منه ، لأنه لا يجهل الطلل ، وكيف يجهله وهو يقول : برامة ، ثم قال : لا يريم ، ولكنه من شدة وجده على أهله ، فكأنه قال : كأنك لم تعهد به أهله قط .

(١) تحمل أهله : ارتحلوا ، والعرصة : ما ليس فيه بناء من الدار ، وهي وسط الدار، سميت بذلك لاعتراص الصبيان فيها ، أي : لعبهم ومرحهم . والرسوم : الآثار .

(٢) في « مختار الشعر الجاهلي » : « يلحن كأنهن يدا فتاة » فمن قال « يلوح » ذهب إلى الطلل ، ومن قال : يلحن ، ذهب إلى الرســوم ، والوشوم : جمع وشم ، وهو نقش في ظاهر الكف أو المعصم يحشى نؤوراً أو كحلاً . قال ثعلب : والمعـاصم : مواضع الأسورة ، وترجيعه : يعيد عليه مرة بعد مرة ، وهو أجدر ألا يتبـين .

(٣) ديوانه ٢٥٨/١ عدا البيت الأول والثاني ، مع اختلاف في الترتيب .

بكيتَ وما يُبكيكَ مِنْ رَسْم دِمْنَةٍ ... أضَرَّ بِهِ جَودُ الشَّمال ووابِلُه [١]

وحُبُّكِ يُنْسيني مِنَ الشَّيءِ في يدي ... ويُذهِلُني عن كلِّ شيءٍ أُزاوِلُه [٢]

سيهلِكُ في الدُّنيا شَفيقٌ عليكُمُ ... إذا غالَهُ مِنْ حادِثِ الدَّهرِ غائِلُه

كَريمٌ يُميتُ السِّرَ حتى كأنَّه ... إذا استَخْبَروه عَنْ حَديثِكِ جاهِلُه [٣]

ويَرْتاحُ لِلمَعْروفِ في طَلَبِ العُلى ... لِتُحْمَـدَ يوْماً عند عَزَّ شمائِلُه [٤]

وقال ذو الرمة :

خليليَّ عُوجا عَوْجَـةً ناقَتَيْـكُما ... على طَلَلٍ بينَ القَرينَةِ والحَبْلِ [٥]

بَجَرْعائِها مِنْ سامِرِ الحيِّ مَلْعَبٌ ... وآريُّ أَفْراسٍ كجُرْثُومَةِ النَّمل [٦]

---

(١) جاد المطر جوْداً : وبل فهو جائد ، والجمع جود ، مثل صاحب وصحب، ومطر جود : بين الجود غزير .

(٢) أزاوله : أحاوله .

(٣) في الديوان « إذا استبحثوه » .

(٤) قوله « ويرتاح » ويروى « ويهتز » وفي « الديوان » : « عند ليلى » .

(٥) ديوانه : ٥٧٠ ، وفي « معجم ما استعجم » : القرينة : على وزن فعيلة : موضع قبل حزوى . قال ذو الرمة :

عفا الزرق من أكناف ميَّة فالدَّحل ... فأكناف حُزوى فالقرينة فالحبل

قلت : ورواية الشطر الثاني من البيت في الديوان : ٥٤٢ : « فأجماد حوضى حيث زاحمها الحبل » .

(٦) في الأصل تحت هذا البيت ما نصه : شبه ما تهدم من مرابط الخيل بما ـ

كأنْ لم يكُنها الحيُّ إذْ أنت مرّةً ... بها ميّتُ الأهواء مُجتمِعُ الشَّمل[1]

بَكيْتُ على ميٍّ بها إذْ عرفْتُها ... وهجْتُ البُكا حتى بكى القومُ منْ أجلي[2]

وهلْ هَملانُ العيْنِ راجعُ ما مَضى ... منَ العيْشِ أوْ مُدْنيك يامَيُّ منْ أهلي

وقال ذو الرمة أيضاً :

قِفِ العيس في أطلالِ ميَّةَ فاسْألِ ... رُسوماً كأخلاقِ الرِّداء المُسَلْسَلِ[3]

أظُنُّ الذي يُجدي عليكَ سُؤالُها ... دُموعاً كتبذيرِ الجُمانِ المُفَصَّلِ[4]

وما يومُ حُزْوى إنْ بكيت صبابةً ... لِعرفانِ ربْعٍ أوْ لعرفانِ مَنْزِلِ

ـ يخرجه النمل من التراب عند بيوته . السامر : الذين يسهرون ويتحادثون بالليل » والآري : المرابط ، والجرثومة : قرية النمل .

(١) في « الأساس » وتقول : أقفرت الدار كأن لم يكنها أحـــد ، أي : لم يكن بها .

(٢) في الديوان بعد هذا البيت :

فظلّوا ومنهم دمعُه غالبٌ لــه ... وآخرُ يَثني عَبرَةَ العين بالهمْل

(٣) ديوانه : ٥٨٦ . ويروى « قف العنس » وثوب مسلسل : رق من البلى ولبسته حتى تسلسل . والأخلاق : جمع خلق ، وهو البالي .

(٤) في شرح المقامات للشريشي ١/٢٨٤ ، وشرح « الشواهد الكبرى » للعيني ٤/٤٤٥ « كتبديد الجمان » يقال : ما أجدى عليه ، أي : ما أعطاه ، وأضمرت الهاء في «يجدي» .

بأوّلِ ما هاجَتْ لكَ الشَّوْقَ دِمنةٌ ... بأجراعِ بِحلالٍ مَربٍّ مُحَلَّلِ[1]

عَفتْ غيرَ آريٍّ وأعضادِ مَسْجِدٍ ... وسُفعٍ مُناخاتٍ رواحلَ مِرْجَلِ[2]

تَجُرُّ بهـا الدَّقْعاء هيفٌ كأنَّها ... تَسُحُّ التراب منْ خصاصاتِ مُنْخُلِ[3]

دعتْ ميَّةَ الأعدادُ واستبدلَتْ بها ... خَناطيلَ آجالٍ منَ العِينِ خُذَّلِ[4]

وقال جميل بن مَعْمَر العُذْري :

ألَمْ تَرْبَعْ فتُخْبِرَكَ الطُّلولُ ... وقد ساءَلْتَ لو نَفَعَ السُّؤولُ

وكيفَ سُؤالُ خَيْماتٍ بَوالٍ ... ونُؤْيٍ عَهْدُ أحدَثِهِ مُحيلُ

---

(١) في الديوان « بأجراع مرباع » ويروى « بأجرع مقفار » أراد : وما يوم حزوى بأول ما هاج لك الشوق . ومرب : أي : موضع إقامة وحلول ، يقال : رب بالمكان وأربّ : إذا أقام به .

(٢) الآري : مربط الدواب ، وأعضاد : جوانب ، وسفع : سود ، يعني الأثافي. مناخات : مقيمات . رواحل : لأن المرجل يعلوها ، والمرجل : القدر الكبير .

(٣) الدقعاء : الـــتراب الرقيق ، والهيف : ريح حارة . تسح : تصب . خصاصات : فروج .

(٤) جاء تفسير البيت في الأصـــل ونصه : يقول : لما نضبت مياه منازلهم ارتحلوا إلى الأعداد ، وهي المياه التي لها مادة في الصيف والشتاء ، فكأنها دعتها . والخناطيل : أقاطيع الظباء والبقر ، الواحـــدة : خنطلة ، وإجل . والعين : البقر الوحشي ، وخذلت : أقامت وتخلفت عن قطعانها ، والواحدة : خاذل ا هـ . قلت : والآجال : جمع إجل ، وهو القطيع من الوحش .

لئنْ أمسى خَلاءً بعدَ جُمْلٍ　　لقد يَغْنى بـه الأَنسُ الحُلولُ [١]

وقال البحتري :

هَـلَّا سَأَلتَ بجوِّ ثَهْمَدْ　　طَلَلاً لميَّة قـد تأبَّدْ ؟ [٢]

دَرَسَتْ عِهادُ الغيثِ منْـ　　ـهُ فحالَ عمَّا كنتَ تعهَدْ [٣]

ولقدْ يُساعِفُ ذا الهوى　　بأوانِسٍ كالوحْشِ خُرَّدْ [٤]

وقال سويد بن كراع العكلي [٥] :

---

(١) في « اللسان » : والأنس ، بالتحريك : الحي المقيمون ، والأنس أيضاً لغة في الانس .

(٢) ديوانه ١/٦٠٤ من قصيدة يمدح بها الحسن بن مخلد . والجو : ما اتسع من الأودية ، وتأبد : أقفر وألفته الوحوش ، وثهمد : قال ياقوت ، قال نصر : ثهمد : جبل أحمر فارد من أخيلة الحمى حوله أبارق كثيرة في ديار غني ، وقال غيره : ثهمد : موضع في ديار بني عامر .

(٣) العهاد : مطر الربيع .

(٤) في « اللسان » : أسعفه على الأمر : أعانه ، وأسعف بالرجل : دنا منه ، والخرد : الأبكار أو الخفرات . وقوله : كالوحش ، أي : عسيرات المنال .

(٥) هو سويد بن كراع العكلي أحد بني الحارث بن عوف بن وائل بن قيس بن عُكل ، شاعر فارس مقدم من شعراء الدولة الأموية ، وكان في آخر أيام جرير والفرزدق . ترجمته في « الأغاني » : ١٢/٣٤٠ ، و « طبقات فحول الشعراء » : ١٤٧ ، و « الشعر والشعراء » : ٦١٦ .

خليليَّ قُوما في عُطالةَ فانظرا　　أناراً ترى مِنْ آلِ يَبْرِينَ أمْ بَرْقا ؟ [١]

فان تكُ ناراً فهي في مُشْمَخِرَّةٍ　　مِنَ الرِّيحِ تَذْرُوها وتَصْفِقُها صَفْقا [٢]

لِأمِّ عليٍّ أوقَدَتْها طَماعةً　　لِأَوْبَةِ سَفْرٍ أن تكونَ لهم وفْقا [٣]

وحُطًّا على الأطلالِ رَحْلِي فإنَّها　　لَأَوَّلُ أطلالٍ عرفْتُ بها العِشْقا

---

(١) الأبيات عدا الأخير في « الأغاني » ١٢/٣٣٩ ، و « طبقات فحول الشعراء » : ١٤٨ ، ورواية « الأغاني » : « أناراً أرى من نحو يبرين » ورواية « الطبقات » « ترى من ذي أبانين » وفيها بعد هذا البيت :

فان يك برق فهو برق سحابة　　تغادر ماء لا قليلاً ولا رنقا

وعطالة : جبل منيف في بلاد تميم . وأبانان : جبلان شامخان في ديار بني عبد مناف بن دارم ، أحدهما أسود والآخر أبيض .

(٢) رواية « الأغاني » :

وإن تك ناراً فهي نار بملتقى　　من الريح تسفيها وتصفقها صفقا

قال أبو الفرج : ويروى : « تزهاها وتعفقها عفقا » وفي « الطبقات » : « تحركها ريح وتعفقها عفقاً » وصفقته الريح : ضربته وحركته ، يريد أن الرياح تحركها في هبوبها وتلطمها ، فيكون ذلك أشد لتسعرها والتهابها .

(٣) في « الطبقات » : « بأوبة سفر » قال الاستاذ محمود شاكر : أي : فهي نار لأم علي ، وأم علي صاحبته ، أوقدتها طمعاً أن تجد سفراً يبين ، توافق أوبتهم إيقاد نارها . والسفر : يعني نفسه وأصحابه . يذكر أنها تشتاق إليه كما يشتاق إليها ، فهي توقد النار رجاء أن يهتدي بها إذا كانت أوبته في الليل .

وقال الشريف المرتضى رضي الله عنه :

ليسَ يُجْدي ياصاحِبيَّ وُقوفٌ   بطُلولٍ ولا يُرَدُّ سُؤالُ [١]

إنَّما الرَّبْعُ بالمقيمينَ فيه   وهو خِلْواً مِنْ ساكنيهِ مِثالُ

وقال ذو الرمة :

أتَعْرِفُ أطلالاً بِوَهبينَ فالحَضْرِ   لميٍّ كأنيارِ المفوَّفةِ الخُضْرِ [٢]

فلمّا عرفْتُ الدّارَ واعْتَزَّني الهوى   تذكرْتُ هل لي إنْ تصابَيتُ مِنْ عُذْرِ [٣]

فلم أرَ عُذْراً بعد عِشرينَ حجّةً   مَضَتْ لي وعشْرٍ قد مَضَيْنَ إلى عَشْرِ

فأخْفَيْتُ شَوْقي مِنْ رفيقي وإنَّهُ   لَذو نسَبٍ دانٍ إليَّ وذو حِجْرِ [٤]

محلَّ الحِواءينِ الذي لستُ رائياً   مَحَلَّهُما إلا غُلِبْتُ على الصَّبرِ [٥]

---

(١) ديوانه : ١٣ من قصيدة كتب بها إلى الوزير أبي الحسن بن أحمد مطلعها :

بنقا الرِّمْث من شراف غزالٌ   ضلَّ عني وليس منه الضلال

(٢) ديوانه : ٢٤٨ من قصيدة يمدح بها بلال بن أبي بردة . والمفوفة : ضرب من الثياب ، يقال لها : الفوف .

(٣) اعتزني الهوى : غلبني .

(٤) يروى : « ما بي عن رفيقي » والحجر هاهنا : العقل ، وقيل : القرابة.

(٥) المحل : المنزل ، والأحوية : الأبيات يقابل بعضها بعضاً ، ونصب المحل بالبدل من الدار ، وقيل : هو ظرف متعلق بفعل « أخفى » أراد : فأخفى شوقه محل الحوائين ، ومحلها : حيث نزلا .

فهاجَتْ عليكَ الدّارُ ما لسْتَ ناسِياً   مِنَ الحاجِ إلّا أنْ تُناسي على ذُكْرِ [١]

إذا قُلْتُ يَسْلو ذِكْرَ مَيّةَ قلبُهُ   أبى حُبُّها إلا بقاءً على الدَّهرِ [٢]

وقال ذو الرمة أيضاً :

عَلَيكُنَّ يا أطلالَ مَيٍّ بشارعٍ   على ما مضى مِنْ عَهْدِكُنَّ سَلامُ [٣]

عَلامَ سألناكُنَّ عن أمِّ سالمٍ   ومَيٍّ فلم يَرْجِعْ لكُنَّ كلامُ

هوىً لكَ لا ينْفَكُّ يدعو كما دعا   حماماً بأجزاعِ العَقيقِ حَمامُ [٤]

إذا هَمَلَتْ عَيني لهُ قال صاحبي   لمثلِكَ هذا فِتْنَةٌ وغَرامُ ؟ ! [٥]

وقال البحتري :

---

(١) من الحاج : يريد : من الحوائج ، أي : من ذكرها . إلا أن تخادع نفسك وأنت ذاكر لها .

(٢) في الديوان « إلا بقاء على الهجر » وقلبه : يعني قلب نفسه .

(٣) ديوانه : ٦٤٦ وفيه بعد هذا البيت :

ولا زال نوءُ الدَّلوِ ينْعَقُ ودقه   بكنّ ومن نوء السماك غمام

بكلّ جديٍّ غير ذات برايَةٍ   عليكن مجرى جانح ومنام

(٤) في الديوان « ما ينفك يدعوك ما دعا حماماً . . . » لك : يعني نفسه ، والأجزاع : منعطف الوادي ، واحده : جزع ، وكل واد : عقيق .

(٥) في الديوان « . . . عيني لها . . . » الغرام : الهلاك ، والبلاء ، والولوع .

وقفنا فلا الأَطلالُ رَدّتْ إجابَةً   ولا العَذْلُ أجدى في المشوقِ المخاطَبِ [١]

وما انفكَ رَسمُ الدّارِ حتى تهلّلتْ   دُموعي وحتى أكثَرَ اللَّوْمَ صاحبي [٢]

تَمادَتْ عَقابيلُ الهوى وتطاوَلتْ   لَجاجَةُ مَعْتوبٍ عليـهِ وعاتبِ [٣]

وقال زهير :

أَمِنْ آلِ سَلْمى عرَفتَ الطُّلُولا   بذي حُرُضٍ ماثلاتٍ مُثُولا [٤]

بَلِينَ وتَحْسِبُ آياتِهِنَّ   عن فَرْطِ حَوْلين رَقّاً مُحيلا [٥]

وقال أبو تمـام :

---

(١) ديوانه ١٠٨/١ و« الموازنة » : ٥٢٩ . من قصيدة يمدح بهـا المعتز بالله أبو عبد الله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد مطلعها :

أبعد الشباب المنتضى في الذّوائب   أحاول لطف الود عند الكواعب

(٢) جاء ترتيب هذا البيت في « الديوان » و « الموازنة » قبل البيت الأول .

(٣) العقابيل : بقايا العلة والعداوة والعشق والشدائد .

(٤) ديوانه : ١٩٣ من قصيدة يمـدح بها سنان بن أبي حارثة . وحرض : قال ياقوت : واد عند النقرة لبني عبد الله بن غطفان ، بينه وبـين معدن النقرة خمسة أميال . وماثلات : منتصبات ، ومثولاً : انتصابا .

(٥) بلين : درسن ، وآياتهن : علاماتهن . عن فرط حولين : عن مضي حولين ، ومحيل : أتى عليه حول . شبه رسوم الدار برق مكتوب قـد أتى عليه حول بحيث يتغير ويدرس .

أَأَطلالَ هِندٍ ساءَ ما اعْتَضْتِ مِنْ هندِ   أَقايَضْتِ حُوْرَ العين بالعِينِ والرُّبْدِ [١]

فلا دَمعَ ما لم يَجْرِ في إثْرِهِ دَمٌ   ولا وَجْدَ ما لم تَعيَ عن صفةِ الوَجْدِ [٢]

وقال أيضاً :

قِفْ بالطُّلُولِ الدّارِساتِ عُلاثَا   أضحى حِبـالُ قَطينِهِنَّ رِثاثا [٣]

قَسَمَ الزّمانُ رُبُوعَها بينَ الصَّبا   وقبولِهـا ودَبُورِهـا أثْلاثا [٤]

---

(١) ديوانه ٥٩/٢ من قصيدة يمدح بهـا أبا العباس نصر بن منصور بن بسام . والعين : جمع عيناء ، وهي الحسنة العينين الواسعتها . وقوله « بالعين » أي : ببقر الوحش ، ورواية الديوان « بالعون » قال التبريزي : يجوز أن يكون جمـع عوان من الوحش ، وهي الأتان التي قـد حملت بطنين أو ثلاثة ، ويحتمل أن يكون جمع عانة ، وهي جماعة من حمير الوحش . والربد : جمع أربد وربداء ، والرُّبدة غبرة إلى السواد ، يريد النعام . وفي الديوان بعد هذا البيت :

إذا شئن بالألوان كن عصابة   من الهند والآذان كنّ من الصُّغد

لعجنا عليك العيسَ بعد معاجها   على البيض أترابا على النؤي والود

(٢) أي : لم تقض ما عليك لهذه ، إن لم تبك دماً ، ولا وجد بك ما كنت مطيقاً لأن تصف وجدك .

(٣) ديوانه ٣١٤/١ والأول والثاني في « الموازنة » ٤٦٤ من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق وفيـه وفي « الموازنـة » : « أمست » ، وقوله : « عـلاثا » أراد ترخيم « علاثة » قال التبريزي : ويقال : إنه كان مع أبي تمام غلام ، يقال له : علاثة . فيجوز مثل ذلك ، وقد يحتمل أن يفتعل الشاعر أسماء لغير موجودين ، فيستعين بها في القافية وحشو البيت . والقطين : أهل الدار ، والرثاث : جمع رث.

(٤) قال التبريزي : قيل في « القبول» إنها هي الصبا ، وقال النضر بن شميل: ـ

فتأبدتْ مِنْ كلِّ مُخطَفَةِ الحشى غيـداء تُكسى يارقاً ورعاثا [1]

وقال أبو نواس :

لِمَنْ طَلَلٌ عـافي المحلِّ دفينُ عفـا آيُهُ إلا خَوالِدُ جُونُ [2]

كما اقترَنَتْ عند المساء حَمائم غريباتُ مُمسَىً ما لَهُنَّ وُكونُ

دِيارُ التي أمَّا جَنى رَشفاتِهـا فيحلو وأمَّا مَسُّهـا فيلـينُ

وقال كثيّر بن عبد الرحمن الخزاعي :

متى أسلُ عن سُعدى يَهجْني لذكرها حَمائمُ أو أطلالُ دارٍ مَواثِلُ

أضرَّ بهـا الأنواءُ والرِّيحُ والنَّدى وغيَّرَ مَغناها الضُّحى والأصائلُ

وقال أيضاً :

ـ القبول : ريح بين الصبا والجنوب ، وقال ابن الاعرابي: القبول : كل ريح لينة طيبة المس تقبلها النفس .

(١) تأبدت : خلت وأوحشت ، وهو مأخوذ من الأبـد ، يريد أن الدهر طال عليها ، واليـارق : قال الجواليقي : فارسي معرب ، وأصله : ياره ، وهو السوار ، وقد تكلمت به العرب . والرعاث : جمع رَعْثٍ ورَعثةٍ وهو القرط ، والغيداء : الطويلة العنق .

(٢) ديوانه : ٥٩٨ وفيه « عاري المحل » وقوله « دفين » يريد أنه بعيد عن العيون مستور عن الناس . والخوالد : الأثافي ، وهي الحجارة التي تنصب لتوضع عليها القدر ، وجون : سود .

لعزَّةَ أطلالٌ أبَتْ أنْ تَكلَّما يَهيجُ مغانيها الطَّروبَ المُتَيَّما [1]

كأنَّ الرِّياحَ الذَّارياتِ عَشيَّةً بأطلالِها ينسُجْنَ رَيْطاً مُسهَّما [2]

أبَتْ وأبى وجْدي بعزَّةَ إذْ نأَتْ على عُـدَواء الدَّارِ أنْ يتصرَّما [3]

وقال أيضاً :

أهاجَكَ من سُعدى الغداةَ طلولُ بذي الطَّلحِ عافٍ بهـا ومُحيلُ [4]

وما هاجـه من منزلٍ لعبتْ به لِهوْجاءِ مِرْقالِ العشيِّ ذُيولُ [5]

بما قد ترى سُعدى بهِ وكأنَّهـا طَلاً راشِحٌ للسَّارحاتِ خَذولُ [6]

---

(١) ديوانه : ١٦٧/١ ، و « منتهى الطلب » ٣٢٩/١ من قصيدة يمدح بهـا يزيد بن عبد الملك . مغانيها : منازلها . الطروب : الكثير الطرب .

(٢) الذاريات : التي تذري التراب ، أي : تفرقه . ريطاً مسهما : مخططاً ، والريط : واحده ريطة : وهي الملاءة إذا كانت قطعة واحـدة ، وقيل : هي الثوب اللين الدقيق .

(٣) في « اللسان » : العُدَواء : بعـد الدار ، والعداء : البعـد ، وكذلك العـــدواء .

(٤) الطلح : موضع بين المدينة وبدر .

(٥) الارقال : الاسراع ، يقال : ناقة مرقال ، ونوق مراقيل ، وأرقلت في سيرها : أسرعت . استعار الارقال للريح .

(٦) في « اللسان » الطلا : ولد الظبية ساعـة تضعه ، وجمعـه طلوان ، وهو طلا ، ثم خشف ، وقيل : الطلا من أولاد الناس والبهائم والوحش من حـــين يولد إلى أن يتشدد ، وإذا قوي الولد ومشي ، فهو راشح .

وقال أيضاً :

ألمْ تُربعْ فتُخبِرْكَ الطُّلولُ ببينةَ رسمُها عافٍ مُحيلُ [١]

تحمّلَ أهلُها وجرى عليها رِياحُ الصَّيفِ والسَّرَبُ الهطولُ [٢]

تحِنُّ بها الدَّبورُ إذا أربَّتْ كما حنَّتْ مُوَلَّهةٌ ثكولُ [٣]

وقال الحادِرَةُ واسمه قُطْبَةُ بن أوس [٤] :

لِعَمْرَةَ بينَ الأخشبينِ طُلولُ تقادمَ فيها مُشهِرٌ ومُحيلُ [٥]

وقفتُ بها حتى تعالى ليَ الضُّحى لأُخبَرَ عنها إنّني لسَؤولُ

---

(١) « منتهى الطلب » : ٣٢٥/١ من قصيدة يمدح بها بشر بن مروان . وفيه « رسمها رسم محيل » .

(٢) السَّرَب ، بالتحريك : الماء السائل ، يريد به هنا المطر.

(٣) الدَّبور : الريح التي تقابل الصبا ، والقبول : وهي ريح تهب من نحو المغرب ، والصبا تقابلها من ناحية المشرق . وأرب بالمكان وألبّ : إذا أقام به ولزمه ، وأربت الدبور : دامت .

(٤) هو قطبة بن أوس بن محصن بن جرول المازني الفزاري الغطفاني : شاعر جاهلي مقل، والبيتان في « الأغاني » ٢٦٧/٣ .

(٥) الأخشبان : جبلان يضافان تارة إلى مكة ، وتارة إلى منى ، وهما واحد، أحدهما : أبو قبيس ، والآخر : قعيقعان . وفي « الأغاني » : « . . . بين الأخرمين » والأخرمان : جبلان في ديار بني باهلة . وقوله : مشهر ومحيل ، أي : مرت عليه شهور وأحوال فغيرته .

وقال أبو نصر الخيشي :

أُطيلُ وقوفي في الطُّلول كأنّما تخلّفَ خلفي صاحبٌ أتأنّاهُ

ومِنْ شِيَمِ العُشّاقِ في مذهب الهوى وقوفُهم في الرَّبعِ أقفرَ مغناهُ

وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي :

هل تعرفُ الدّارَ والأطلالَ والدِّمنا زِدْنَ الفؤادَ على عِلّاتِهِ حزَنا [١]

داراً لأسماءَ إذْ كنّا نحُلُّ بها وأنتَ إذ ذاكَ قد كانتْ لكمْ وطنا [٢]

وقال أبو الوليد عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي [٣] :

بأطلالِ دارٍ من عُميرةَ عَرِّجِ كوَشْيِ اليماني بُرْدُهُ غيرُ مُنهَجِ [٤]

أقامت على الأنواءِ يسحقْنَ تُربَها وتنسُجُها الأرواحُ مِنْ كلِّ مَنسَجِ

أراني على شيبِ القَذالِ متى أقِفْ بأطلالِ دارٍ مِنْ عُميرةَ أنشِجِ

---

(١) ديوانه : ٣٠٦ .

(٢) رواية البيت في الديوان :

دار لأسماء قد كانت تحلّ بها وانت إذ ذاك إذ كانت لنا وطنا

(٣) قال التبريزي في « شرح الحماسة » ١٧٧/٢ : يكنى أبا الوليد ، وهو شامي كلاعي شاعر . وقوله : « كلاعي » وردت في التبريزي « كلامي » بالميم وهو خطأ ، وهي بفتح الكاف نسبة إلى قبيلة ، يقال لها : كلاع نزلت الشام ، وأكثرهم نزل حمص .

(٤) في « اللسان » : قال أبو عبيد : المنهج : الثوب الذي أسرع فيه البلى .

وقال كُثيِّر بن عبد الرحمن :

أأطلالَ سُعدى باللّوى تتعهَّدُ   أقامتْ على الإقواء أمْ تَتجدَّدُ

وبين التَّراقي واللَّهاةِ حَرارَةٌ   مكانَ الشَّجى ما تستقرُّ فتبرُدُ

وقلتُ لماء العين أمْعِنْ لعلَّهُ   بما لا يُرى مِنْ غائبِ الوَجْدِ تَشهدُ

ولم أرَ مثلَ العين ضَنَّت بمائِها   عَليَّ ولا مثلي على الدَّمع يحسُدُ

وقال ذو الرمة غيلان :

خليليّ عوجا عوجةً ناقتيكما   على طَلَلٍ بين القِلاتِ وشارعِ [١]

وقفنا فقلنا : إيهِ عن أم سالمٍ   وما بالُ تكليمِ الدِّيارِ البلاقعِ [٢]

---

(١) ديوانه : ٤٤٥ ، وفي « الخزانة » ١٩/٣ . قوله : عوجا عوجة ، يقال: عجت البعير : إذا عطفت رأسه ، والتاء في « عوجة » للمرة . والطلل : ما بقي في الدار من أثر الراحلين كالأثفية ونحوها . والقلات وشارع : موضعان . وفي « الديوان » بعد هذا البيت :

به ملعب من معصفات نسجنه   كنسج اليماني برده بالوشائع

(٢) في « الأساس » مادة : ايه « وكيف بتكليم . . . . » إيه ، أي : حدثنا عن أم سالم . وفي « الخزانة » : وقفنا عليه ، أي الطلل ، والبال : الشأن والحال والديار البلاقع : التي ارتحل سكانها فهي خالية . طلب الحديث من الطلل أولا ليخبره عن محبوبته أم سالم ، وهذا من فرط تحيره وتدلهه في استخباره بما لا يعقل، ثم أفاق وأنكر من نفسه بأنه ليس من شأن الأماكن الاخبار عن السواكن .

فما كلَّمتنا دارُها غيرَ أنَّها   ثَنَتْ هاجساتٍ من خَبالٍ مُراجِعِ [١]

خلتْ غيرَ آجالِ الصَّريمِ وقد تُرى   بها وُضَّحَ اللَّبَّاتِ حورَ المدامعِ [٢]

قيل : دخل بشَّارُ بن بُرْدٍ على عُقْبَةَ بن سَلْم [٣] فأنشده بعض مدائحه فيه، وعنده عقبة بن رؤبة بن العجَّاج ، فأنشده عقبة بن رؤبة رجزاً يمدحه به ، فشيعه بشار ، وجعل يستحسن ما قال إلى أن فرغ ، ثم أقبل على بشار ، فقال : هذا طِرازٌ لا تُحسِنُه أنت يا أبا مُعاذ. فقال بشار : إليَّ يقال مثل هذا ؟ والله لأنا أرجزُ منك ، ومن أبيك ، ومن جدك . فقال له عقبة : وأنا والله وأبي وجدي فتحنا للناس باب الغريب وباب الرجز ، وإني لخليق أن أسدَّه عليهم ، فقال له بشار : ارحمهم رحمك الله ! فقال عقبة : أتستخفُّ بي يا أبا معاذ وأنا شاعر ابن شاعر ابن شاعر؟! قال له بشار : فأنت إذاً من الذين أذهب الله عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيرا . ثم خرج عقبة مغضباً ، فلما كان من غد ، غدا بشار على عقبة بن سلم ،

---

(١) الخبال : ما خبل الفؤاد فأفسده ، مراجع : معاود . وبعد هذا البيت :

ظَلِلْتُ كأني واقفاً عند رسمها   بحاجة مقصور له القيد نازع

تذكّرَ دَهْرٍ كان يطوي نهاره   رقاق الثنايا غافلات الطلائع

(٢) الآجال : أقاطيع الوحش ، واحدها : إجل ، والصريم : الرمل ، الواحدة : صريمة .

(٣) الخبر في « الأغاني » ١٦٨/٣ ، و « البيان والتبيين » ٤٩/١ ، و « زهر الآداب » ٤٢٥/١ ، و « العمدة » ١٣٦/١ . وعقبة هذا : هو أبو الملَدّ عقبة بن سَلْم الهنائي نسبة إلى الهنو بن الأزد من قحطان . كان والياً على البصرة من قبل أبي جعفر المنصور ، ولبشار مدائح كثيرة فيه .

وعنده عقبة بن رؤبة ، فأنشده أرجوزته التي مدحه فيها :

يا طَلَلَ الحيّ بذاتِ الصَّمْدِ ... بالله خبِّرْ كيفَ كُنتَ بعدي [1]

أَوحَشْتَ من دَعْد وتِرْبِ دعدِ ... سقياً لأسماء ابنَةِ الأشدِّ [2]

قامت تراءى إذْ رأتني وحدي ... كالشمس بين الزِّبْرِج المُنْقَدِّ [3]

صدت بخدٍّ وجَلَتْ عن خَدِّ ... ثم انثنتْ كالنَّفَس المُرْتَدِّ [4]

عهداً لها سَقْياً له من عهْدِ ... تخلف وعداً أو تفي بوعدِ [5]

فنحنُ منْ جَهدِ الهوى في جهدِ

يقول فيها :

---

(١) ديوانه : ٢١٩/٢ ، وفيه « ... خبر كيف ... » قال البكري : والصمد : موضع في ديار بني يربوع ، وقال ياقوت : ماء للضباب ، وفي « التاج » الصماد ، بالكسر : روضات بني عقيل والرّباب .

(٢) في « الديوان » : « ... ونؤي ... بعد زمان ناعم ومرد » وترب دعد : المرأة التي ولدت معها .

(٣) الزبرج ، بكسر الزي ، وسكون الباء ، وكسر الراء : وهو هنا : الغمام الرقيق فيه سواد وحمرة ، والمنقد : المتقطع .

(٤) في الديوان : « ضنت » قال شارحه : أراد أنها أعرضت فاختفى خد ، فكان الخد الخفي كأنه قد بخلت باظهاره ، إذ لو شاءت لالتفتت إليه بوجهها كله .

(٥) في « الأغاني » : « عهدي بها » .

وافقَ حظّاً مَنْ سعى بجِدِّ ... ماضرَّ أهلَ النُّوكِ ضَعْفُ الكدِّ [1]

الحُرُّ يُلحى والعصا للعبد ... وليسَ للمُلْحِفِ مثلُ الرَّد [2]

والنَّصْفُ يكفيكَ من التَّعَدِّي ... وصاحبٍ كالدُّمَّل المُمِدِّ [3]

حَملتُهُ في رُقعَةٍ مِنْ جِلْدي ... أرْقُبُ منه مثلَ حُمَّى الوِرْدِ [4]

حتى مضى غيرَ فقيدِ الفَقْدِ ... وما درى ما رغبتي مِنْ زُهدي [5]

---

(١) في « الأغاني » : « ما ضر أهل النوك ضعف الجد » والنوك ، بضم النون وتفتح : الحماقة . والجد ، بكسر الجيم : الاجتهاد والكد .

(٢) في الديوان « الحر يوصى » أي : أن الحر تكفيه الوصية لما تحب أن يفعله . ويلحى : يلام ، وألحف السائل : ألح .

(٣) النصف : الانصاف . والممد : الذي تخرج منه المِدّة .

(٤) في الديوان و « الأغاني » : « يوم الورد » والورد : من أسماء الحمى . قال شارح الديوان : قوله « حملته في رقعة من جلدي » هذه الجملة صفة للدمل ، أي : كالدمل الذي أحمله في جلدي ، لأن المقصود تمثيل حال الصاحب السيء المعاشرة في تحمل أذاه ، ولزوم مخالطته ، بحال الدمل في الجسد لايجد صاحبه بداً من تحمل أذاه لأنه ملتصق به .

(٥) قال الشارح : ومعنى « غير فقيد الفقد » أن فقده ليس بفقد ، أي : ليس له آثار الفقد من الوحشة والأسف ، فهو من وصف الشيء بما يشتق من اسمه للمبالغة في حصول حقيقته ، كقولهم : شعر شاعر ، وليل أليل ، فكما يدل ذلك في الاثبات على الشدة يدل في النفي على أنه لا شدة له ولا تأثير . وفي ـ

ومدح فقال :

وأَسْلَم وحُيِّيتَ أبا المَلَدِ   مفتاحَ باب الحدَثِ المُنسَدِّ
مُشتركُ النَيل وَرِيُّ الزَّندِ   أعزَّ لبأساً ثيابَ المجدِ

والأرجوزة طويلة . فطرب عقبة بن سلم ، وأجزل صلته ، وقام عقبة بن رؤبة ، فخرج عن المجلس بخزي ، وهرب من تحت ليلته .

* * *

ـ « البيان والتبيين » بعد أن أورد قول بشار « وما درى ماورغبتي من زهدي » قال: أي : لم أره زهداً فيه ولا رغبة » .

فصل
في ذكر الربع

قال الأحوص :

قد لعَمْري بِتُّ ليلي   كأخي الدَّاء الوَجيعِ
ونَجِيُّ الهمِّ مني   باتَ أدنى مِن ضجيعي
كلَّما أبصرتُ رَبعاً   خالياً فاضت دُموعي

وقال أبو تمام :

أقشيبُ ربعهم أراكَ دَرِيسا   وقِرَى ضيوفِكَ لوْعَةً ورَسيسا [1]
ولئن حُبِسْتَ على البلى لقد اغتدى   دمعي عليكَ إلى المماتِ حبيسا [2]
وأرى رُبوعَكَ موحِشاتٍ بعدما   قد كُنتَ مألوفَ المحلِّ أنيسا

(١) ديوانه : ٢/٢٦٢ من قصيدة يمدح بها أبا المغيث موسى بن ابراهيم . قال التبريزي : والقشيب : الجديد ، واللوعة : حرقة القلب ، والرسيس : مايجده الانسان في قلبه من حزن أو هوى ، وقيل : رسَّ الحبُّ قلبه : إذا ثبت .

(٢) في الديوان « لما اغتدى » قال التبريزي : أي : صرت وقفاً على الأمطار والرياح ، وصار دمعي وقفاً عليك . وبعد هذا البيت :

فكأنَّ طَسْماً قبل كانوا جيرةً   بك والعماليقَ الأُلى وجَديسا

وقال أيضاً :

أجلْ أيُّها الرَّبعُ الذي خفَّ آهِلُهُ   لقد أدركَتْ فيكَ النَّوى ما تُحاوِلُهْ [1]

أسـائِلُكم ما بالُهُ حَكَمَ البلى   عليه وإلّا فاترُكوني أُسائِلُهْ [2]

وقفنا على جَمْرِ الوداع عَشيَّةً   ولا قلبَ إلا وهو تغلي مراجِلُهْ

وقال أيضاً :

---

(١) ديوانه ٣/٢١ من قصيدة يمدح بها المعتصم بالله . قال التبريزي : هـذا لا يمكن أن يكون إلا على كلام متقدم ، لأن « أجل » في معنى «نعم»، ولا معنى لقولك هذه الكلمة إلا وقد سبقها كلام من غيرك ، فكأنه ادعى أن الربع كلمه وشكا اليه ، فقال له : أجل أيها الربع ! ، وخف آهله : أي : ارتحل من كان فيه ، يقال : خف القوم : إذ ارتحلوا . والآهـل : يعني به القطين والخليط ، فلذلك أخرجه على لفظ الواحد ، يقال : أهل الرجل ، فهو آهل : إذا كان ذا أهل : وبعد هذا البيت :

وقفت وأحشائي منازل للأسى   به وهو قفر قد تعفَّت منازلُه

(٢) قال التبريزي : المعنى : أسائلكم عن خبره ، فان كنتم جاهلين بذلك ، فاتركوني أسائله : أي : لاتلوموني على الوقوف والاطـالة . وقوله : « أسائله » موضوع موضع الحال ، ولو أنه في غير النظم لجاز جزمه . وبعد هذا البيت :

لقد أحسن الدمع المحاماة بعد ما   أساء الأسى إذ جاورَ القلب داخله

دعا شوقَه ياناصر الشوق دعوة   فلبَّاه طلُّ الدمع يجري ووابله

بيوم تُريك الموت في صورة النوى   أواخره من حـسـرة وأوائله

سلِّمْ على الرَّبع مِنْ سَلمى بذي سَلَم   عليه وسْمٌ مِنَ الأيام والقِـدَمِ [1]

مـا دامَ عيشٌ لبسْناهُ بساكِنِهِ   كدْناً ولوْ أنَّ عيشاً دامَ لم يَدُمِ

يا منزلاً أعنَقَتْ فيه الجنوبُ على   رسمٍ مُحيلٍ وشعبٍ غيرِ مُلْتَئِمِ

هَزِمتَ بعدي والرَّبعُ الذي أفَلَتْ   منه بُدورُكَ مَعذورٌ على الهرَمِ [2]

وقال أيضاً :

ياموسِمَ اللَّذاتِ غالتْكَ النَّوى   بعدي فربعُكَ للصَّبابةِ مَوْسِمُ [3]

ولقد أراكَ مِنَ الكواعبِ كاسياً   فاليومَ أنتَ مِنَ الكواعبِ مُعْدِمُ [4]

---

(١) ديوانه : ٣/١٨٤ من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق التغلبي . قال التبريزي : ذو سلم : موضع بعينه معرفة . . ، ويمكن أن يجعل « ذا سلم » في بيت الطائي نكرة ، أي : بموضع ذي سـلم ، أي : فيـه الشجر الذي يقال له : السـلم . و « وسم » أي : علامة من الأيام والقدم ، وذلك أنه إذا نظر إليه علم أنه قد أتت عليه السنون والأحقاب .

(٢) قال التبريزي : يقول : تغيرت في قرب مُدَّة حتى كأنك فورقت مـذ دهر طويل ، فهرمت في الخراب ، والربع معذور إذا فارقه من لا يعتاض منه .

(٣) ديوانه : ٣/٢١٢ من قصيدة يمدح بها محمد بن حسان مطلعها :

أزعمتَ أن الرَّبع ليس يُتيَّمُ   والدمع في دِمَنٍ عفت لا يَسْجُمُ

(٤) قال التبريزي : كاسياً : أي ذا كسوة ، كما يقـال : تامر ، أي : ذو تمر . وجعل « الكواعب » مثل الكسوة للربع ، لأنه كان يتجمل بهن ، فلما سرن عنه ألقى الكسوة ، فكأنه محرم لا لباس عليه .

لحظَتْ بشاشتَكَ الحوادثُ لحظةً   ما زلتُ أعلمُ أنَّها لا تَسْلَمُ (١)

قيل: خرج يحيى بن خالد بن برمك يوماً من داره يريد دار الرشيد، فمر ببعض أفنية قصره، فرأى على بعض حيطانه مكتوباً:

أنعِموا آلَ بَرْمَكٍ   وارقبوها متى هِيَه

وارقبوا الدَّهرَ أن يَدو   رَ عليكم بداهيةْ

فوجم وجزع لذلك، ثم دخل في ذلك اليوم عليه أبو نواس فأنشده:

أرَبعَ البلى إنَّ الخشوعَ لبادِ   عليكَ وإني لم أَخُنْكَ ودادي (٢)

فمعذرةً مني إليك بأن تُرى   رهينةَ أرواحٍ وصَوبِ غوادي

ولا أدرأُ الضرّاء عنك بحيلةٍ   فما أنا فيها قائلٌ لسُعادِ

وإن كنتَ قد بُدِّلتَ بؤسى بنعمةٍ   لقد بدّلت عيني قذىً برُقادِ

إلى أن بلغ إلى قوله:

سلامٌ على الدنيا إذا ما فُقِدتُمُ   بني برمكٍ من رائحين وغادِ

فتطير، فنكب في تلك الليلة.

---

(١) قال التبريزي: يقول: أخلقت الحوادث من الرياح والأمطار مغانيك، فذهبت بشاشتك.

(٢) ديوانه: ٤٧١، وفيه أنها قيلت في الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي، وهو الصواب، فانه قد ورد ذكر الفضل صراحة في بعض أبياتها.

كان محمد بن واسع (١) رحمه الله يمرُّ برباع إخوانه بعد موتهم، فيناديهم: أيْ فلان، أيْ فلان، ثم يرجع إلى نفسه، فيقول: ماتوا والله، وإنَّ نَعْلاً فقدت أختها لسريعةُ اللَّحاقِ بصاحبتها.

وقال الفِنْدُ الزِّمّاني، واسمه شَهْلُ بن شيبان بن ربيعة بن زِمّان (٢):

أشجاكَ الرَّبعُ أقوى والدِّيارُ   وبكاءُ المرءِ للرَّبعِ خَسارُ

أيُّ لُبٍّ لامرىءٍ في قَدْرِهِ   عائذٌ بالحُزنِ إذْ تشجيهِ دارُ

إنَّما يبكي الأُلى كانوا بها   فانْتَأَوْهُ بعدما شطَّ المزارُ

يُخرِبُ الدَّهرُ ويَبني جاهداً   وخَرابُ الدَّهرِ للدّارِ عَمارُ (٣)

أيُّها الباكي على ما فاتَهُ   أقصِرَنْ عنك فبعضُ القولِ عارُ

ليس يُغني جَزَعُ القومِ إذا   وقعَ الأمرُ بهم إلا الغِيارُ (٤)

فاجْزَعوا للأمرِ أو لا تجزعوا   قد تداعى السَّقفُ وانهارَ الجِدارُ

---

(١) هو أبو بكر محمد بن واسع بن جابر الأزدي، ثقة عابد، كثير المناقب، مات سنة ثلاث وعشرين ومائة.

(٢) هو شاعر جاهلي قديم، كان أحد فرسان ربيعة المشهورين، شهد حرب بكر وتغلب، وقارب المائة.

(٣) في الأصل تحت هذا البيت ما نصه: هذا قلب، أراد: عمارتها خرابها.

(٤) في الأصل تحت هذا البيت ما نصه: يقول: ليس يغني عنهم أن يجزعوا، ولكن أن يغيروا.

وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي :

سائلا الرَّبع بالبُلَيِّ وقولا   هِجتَ شوقاً لنا الغداةَ طويلا [1]

أَيْنَ حيٌّ حَلُّوكَ إذْ أنتَ محفو   فٌ بهم آهِلاً أراكَ جميلا [2]

قال : ساروا بأَجْمَعٍ فاستقلُّوا   وبِكُرْهي لو استطعتُ سبيلا

وقال حفص الأموي :

يا رَبعُ أين انتجَعَ الحاضرُ   جادَكَ نَوْءُ الجبهَةِ الماطِرُ [3]

ما لي أرى مَغْناكَ قفراً كأنْ   لم يَلْهُ في ساحَتِهِ سامِرُ

أصبح قد رُدِّيَ ثوبَ البلى   فالآيُ منه مُخْلِقٌ داثِرُ

وقد أراهُ قبلَ صرفِ النَّوى   يَعجَبُ من بهجته النَّاظِرُ

وقال أبو حيَّةَ النُّميري :

---

(١) ديوانه : ٣٧٤ ، والبلي : تل قصير أسفل « حاذة » بينها وبين ذات عرق. وهجت : أثرت .

(٢) في الديوان « . . . بهم آهل . . . . » .

(٣) في « اللسان » النوء : سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر ، وطلوع رقيبه ، وهو نجم آخر يقابله من ساعته في المشرق ، في كل ليلة إلى ثلاثة عشر يوماً ، وهكذا كل نجم منها إلى انقضاء السنة ما خلا الجبهة ، فإن لها أربعة عشر يوماً ، فتنقضي جميعها مع انقضاء السنة . والجبهة : اسم منزلة من منازل القمر .

قِفا عند مما تعرفانِ رُبوعي   وإنْ سبقتْ فرطَ العزاء دموعي

نحيّي على طول البلى رسمَ دِمنَةٍ   كأنْ لم تكنْ من آلِفين جميع

وماذا نُحيّي مِنْ رُسومٍ كأنَّها   بأسفل سَلمانين سَحْقُ صديع [1]

كأن حَمامَاتٍ ثلاثاً بَرَبعها   وقعنَ فما يَسأمنَ طولَ وقوع

وإنّي لصَبٌّ ما عَلِمتَ وإنَّني   لِبعض هوى نفسي لَغيرُ مُطيع

وقال البحتري :

يا رُبوعَ الديارِ إنّي على ما   قد أراهُ مِنكنَّ غيرُ جليدِ [2]

أخلقَ الدهرُ عَهدَكنَّ وللدَّهـ   ـرِ صُروفٌ يُبلين كلَّ جديدِ [3]

فرَّقتْ شملنا النَّوى بعد ما كُنْـ   ـنا جميعاً في ظلِّ عيشٍ حميدِ

---

(١) سلمانين ، بكسر النون الأولى وفتح الثانية ، بلفظ جمع السلامة لسلمان، بضم السين ، كما ضبطه ياقوت ، وقال : وهو الأكثر . فأما من روى بلفظ التثنية، فقال : هما واديان في جبل لغني ، يقال له : سواج، ومن روى بلفظ جمع السلامة لسلمان فقال : سلمانين : واد يصب على الدهناء شمالي الحفر ، حفر الرباب بناحية اليمامة بموضع يقال له : الهزار . وجاء ضبط سين سلمانين في الأصل بالفتح .

(٢) ديوانه ٧٦٨/٢ من قصيدة يمدح بها أبا نهشل محمد بن حميد الطوسي، مطلعها:

ليس هجر النوى كهجر الصدود   بعض هـذا الملام والتفنيد

والبيت والذي بعده في « الطرائف » أيضاً ص ٢٤٣ .

(٣) في الديوان ، و « الطرائف » : « يخلقن » بدل « يبلين » . أخلقـه : صيره بالياً .

وقال قبيصة بن عمرو المهلبي :

لَأحسَنُ مِنْ بطنِ الرُّصافةِ مَنْظَراً ... ومَيدانِها فالكَرْخ فالدُّورِ فالجسْرِ

ربائعُ لا يَلْبَسْنَ والريحُ رَبْدَةٌ ... قَتاماً ولا يلثَقْنَ للوابلِ الهمْرِ [1]

إذا ما كساهُنَّ الرَّبيعُ رِياطَهُ ... تأرَّجْنَ مِسْكاً أوتضاحَكنَ عن دُرِّ [2]

وقال الشريف الرضي رضي الله عنه :

قِفا صاحِبيَّ اليومَ أسألُ حاجةً ... ولا تَزجُرا سمعي بغيرِ بَيانِ [3]

هل الرَّبعُ بعدَ الظاعنينَ كعهدِهِ ... وهل راجعٌ فيه عليَّ زَماني ؟

وقال أبو عبد الله أحمد بن محمد بن علي بن صدقة الخياط الدمشقي [4] :

---

(١) اللَّثَق : البلل ، والماء والطين يختلطان . الربدة : الريح اللينة .

(٢) الرياط : جمع، مفرد ريطة ـ بكسر الراء ـ وهي ملاءة غير ذات لفقتين

(٣) ديوانه ٥٢٢/٢ من قصيدة مطلعها :

أيا جَبَلي نجدٍ أبينا سقيتما ... متى زالت الأظعان يا جبلان

ورواية الديوان : « أسأل ساعة » بدل : « حاجة » .

(٤) شاعر من الكتاب ، من أهل دمشق ، مولده ووفاته فيها (٤٥٠-٥١٧هـ) طاف البلاد يمتدح الناس ، ودخل بلاد العجم ، وأقام في حلب مدة . وقد اشتهر ديوانه في عصره حتى قال ابن خلكان في ترجمته : « ولا حاجة إلى ذكر شيء من شعره لشهرة ديوانه » . والأبيات هذه في ص ٧٢ منه .

أُحِبُّ ثرى الوادي الذي بانَ أهلُهُ ... وأصبو إلى الرَّبعِ الذي مَحَّ مَغْناهُ [1]

وبالجزع حَيٌّ كلّما عَنَّ ذكرُهم ... أماتَ الهوى مِنّي فؤاداً وأحياهُ [2]

تَمَنَّيْتُهمْ بالرَّقمتين ودارُهمْ ... بوادي الغَضا يا بُعدَ ما أتَمنّاهُ [3]

وما شَغفي بالرِّيحِ إلّا لِأنَّها ... تَمُرُّ بحيٍّ دونَ رامةَ مَثْواهُ [4]

وقال ذو الرمة غَيلان :

ألِلرَّبعِ ظَلَّتْ عينُكَ الماءَ تَهمُلُ ... رَشاشاً كما استَنَّ الجُمانُ المفصَّلُ [5]

لعِرفانِ أطلالٍ كأنَّ رُسومَها ... بوَهبينَ وشيٌ أو رداءٌ مُسلسَلُ [6]

نَبَتْ نَبوةً عيني بها ثم بَيَّنَتْ ... يحاميمُ جُونٌ أنّها الدّارُ مُثَّلُ [7]

---

(١) في « اللسان » محّ يمح ـ مثلثة الميم ـ محوحاً ومَحَحاً ، وأمحّ يُمِحّ : إذا أخلق ، وكذلك الدار إذا عفت .

(٢) الجزع : منعطف الوادي .

(٣) الرقمتان : قريتان بين البصرة والنباج . الغضا : واد بنجد .

(٤) رامة : منزل في طريق البصرة إلى مكة ، ورامة أيضاً : من قرى بيت المقدس . وقد جاء هذا البيت في الديوان قبل البيت الاول .

(٥) الأبيات مطلع قصيدة في ديوانه ص ٥٤٧ . وجاء في شرحه : الجمان : يعمل من الفضة والذهب كهيئة اللؤلؤ ، الواحدة : جمانة . واستن : تتابع . رشت العين والسماء ترُش ـ بالضم ـ رشّاً ورَشاشاً ، وأرشت ، أي : جاءت بالرش .

(٦) وهبين ، بالفتح ثم السكون وكسر الباء الموحدة : جبل من جبال الدهناء .

(٧) نبت عيني بها ، أي : أنكرتها . يحاميم وجون بمعنى واحد ، وهو من ـ

عَهِدَتْ بها الحيَّ الحلولَ بسلْوَةٍ   جميعاً وآياتُ الهوى ما تُزيّلُ [١]

وقال الشريف المرتضى رضي الله عنه :

حُيِّيتَ يا ربعَ الهوى مِنْ مَربَعِ   وسُقيتَ أنديَةَ الغُيوثِ الهُمَّعِ [٢]

فلقد عهدتُكَ والزَّمانُ مسالمٌ   فيكَ المُنى وشفاءُ داءِ المُوجَعِ

أيامَ إنْ يدعُ الهوى بي أتَّبِعْ   وإذا دُعيتُ إلى النُّهى لم أتبعِ [٣]

سَقياً له زمناً نَعِمتُ بظلِّهِ   لكنَّه لما مضى لم يَرْجِعِ

وقال أيضاً :

عوجا نحيي الرَّبعَ فيه لنا الهوى   فلربَّما نفع المحِبَّ سلامُهُ [٤]

واستعبرا عني به إنْ خانَني   جَفني ولم يُمْطِرْ عَليَّ غَمامُهُ [٥]

ـ السواد ، يعني الأثافي . مُثَّل : منتصبة .

(١) السلوة : الرخاء . آيات الهوى : علاماته . ما تزيل : ما تفرق .

(٢) ديوانه ٢/٢٢١ .

(٣) في الديوان بعد هذا البيت :

إذ قامتي ممتدَّة وذوائبي   مسودَّة ومسائحي لم تَصْلَعِ

وإذا النَّضارة في أديمي جمَّة   والشيب في فوديَّ لمَّا يطلعُ

(٤) ديوانه ٣/١٥٩ وفيه « يدللنا الهوى . . . » والأبيات من قصيدة يفتخر بها ، ويعرض ببعض أعدائه مطلعها :

أما الشباب فقد مضت أيامه   واستل من كفيّ الغداة زمامه

(٥) في الديوان « . . . فلم يمطر عليه غمامه » .

دِمَنٌ رَضعتُ بهنَّ أخلافَ الصِّبا   لو لم يَكنْ بعدَ الرَّضاعِ فِطامُهُ

وقال أيضاً :

وقفنا على رَبْع الأحبَّةِ وقفةً   فلم نَرَ إلا رِمْدِداً وأثافيا [١]

وأشعثَ مُنْقَدَّ السَّراةِ مُهشَّماً   أضرَّ به ضربُ الوليدَةِ باليا [٢]

فما زالَ رسمُ الدار حتى أعادني   وكنتُ جليدَ القوم في القوم باكيا

وقفتُ به صحبي صحيحاً فلم تكُنْ   سوى نظرةٍ حتى رجعتُ بدائيا

وقال القاضي المهذَّب أبو محمد حسن بن علي بن الزبير رحمه الله :

ربعَ الفؤادُ خلالَ تلك الأرْبُعِ   فكأنَّها أولى به من أضلُعي [٣]

وأقامَ فيهِ فالجوانِحُ بَلْقَعٌ   منهُ وما البيدُ القِفارُ بِبَلْقَعِ

وأرى الصَّبا تَمري السحابَ وإنما   تَمري صبابتُهُ سحابَ الأَدْمُعِ [٤]

وقال أبو العلاء ابن سليمان المعري :

---

(١) في « اللسان » رماد أرمد ورِمْدِد ورِمدَد ، ورِمديد : كثير دقيق جداً . وقال الجوهري : رماد رِمْدِد ، أي : هالك ، جعلوه صفة .

(٢) سراة الطريق : متنه ومعظمه .

(٣) البيت مطلع قصيدة مدح فيها ابن رزّيك الصالح ، وقد أنشد الأصفهاني ص ٢١٤ بعض أبياتها عدا الثاني والثالث اللذين أوردهما ابن منقذ .

(٤) مرت الريح السحاب تمريه وتمتريه : تستخرجه وتستدره ، وتنزل منه المطر .

أمرُّ بربعٍ كنتَ فيه كأنَّما ... أمُرُّ منَ الإجلالِ بالحِجْرِ والرُّكنِ[١]

وإجلالُ مَغْناكَ اجتهادُ مُقصِّرٍ ... إذا النَّصلُ أوْدى فالعَفاءُ على الجَفْنِ[٢]

وقال أبو تمام :

على مِثلِها من أربُعٍ وملاعِبٍ ... أُذيلتْ مَصوناتُ الدُّموعِ السَّواكِبِ[٣]

أقولُ لقُرحانٍ مِنَ البينِ لم يُضِفْ ... رَسيسَ الهوى بين الحَشى والتَّرائبِ[٤]

---

(١) « شروح سقط الزند » ٩٢٩/٢ من قصيدة يرثي بها أباه عبد الله بن سليمان التنوخي ، مطلعها :

نقمتُ الرِّضا حتى على ضاحكِ المُزْنْ ... فلا جادني إلا عبوس من الدَّجْنْ

والبيت هو الثاني والثلاثون ، وروايته : « أمر من الاكرام » . قال الخوارزمي في شرحه : صليت في حجر الكعبة – بالكسر – . والحجر : ما حواه الحطيم . وكل ما حجرته من حائط فهو حِجرٌ ، وهو فعل بمعنى : مفعول ، من الحَجر وهو المنع . الربع : المنزل حيث كان ، فاذا قلت : مربع ، فانما هو المنزل في الربيع خاصة .

(٢) قال التبريزي : مغناك : منزلك . والمعنى : أنا أجِلُّ منزلك الذي كنت تحُلُّه ، وذلك اجتهاد مقصر ، لأن السيف إذا فُقد فلا فائدة من إجلال غمده . والعفاء : الهلاك ، والتراب . وقد فسر بيت زهير على الوجهين ، وهو قوله :

تحمّل أهلها منها فبانوا ... على آثار من ذهب العفاء

(٣) ديوانه : ٢٠٥/١ وهو مطلع قصيدة يمدح بها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي ، ومعنى أذيلت : أهينت .

(٤) قال التبريزي : ويروى : لم يصف ، يقال : رجل قرحان : إذا لم يصبه مرض مثل الجدري والحصبة ، ومذهب بعضهم أنه –

أعنّي على تفريقِ دمعي فإنني ... أرى الشملَ منهم ليس بالمتقاربِ[١]

أميدانَ لهوي مَنْ أتاحَ لكَ البِلى ... فأصبحتَ ميدانَ الصَّبا والجنائبِ[٢]

أصابتكَ أبكارُ الخُطوبِ فشتَّتتْ ... نواكَ بأبكارِ الظِّباءِ الكواعِبِ[٣]

وقال آخر :

أَمسحُ الرَّبعَ بخَدّي ... أنْ مَشى فيهِ الخليلُ[٤]

وعلى مِثلِكَ يُبكى ... أيُّها الرَّبعُ المحيلُ

وقال آخر :

– لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث ، ويجري مجرى قولهم : رجل زروٌ وفِطْر . وقال قوم : بل يثنى قرحان ويجمع . ومن روى : « لم يُضِف » بالضاد معجمةً ؛ فالمعنى: لم يكن له مثل الضيف ، ومن روى : « لم يَصِفْ » بالصاد ، فمعناه أنه لم يدر كيف هو فيصفه . وقوله : « لقرحان من البين » أي : لقوم لم يقاسوا من البين ، أي : الفراق ، ما قاسيت منه .

(١) في الديوان : أعني أفرق شمل دمعي .

(٢) جاء قبل هذا البيت في الديوان بعد البيت السابق قوله :

وما صار في ذا اليوم عَذْلك كلُّهُ ... عدوِّي حتى صار جهلك صاحبي

ومابكَ إركابي من الرشد مركباً ... ألا إنما حاولتَ رشدَ الركائب

فكِلْني إلى شوقي وسِرْ يَسِرِ الهوى ... إلى حُرُقاتي بالدموع السوارِب

(٣) أبكار الخطوب : التي لم يُصب بها أحد قبله ، وقال الصولي : أصابتك خطوب لم يصبك مثلها فهي أبكار .

(٤) ورد هذان البيتان مع آخرين بعدهما في حاشية « الأغاني » ٣٠٥/٧ ط الدار .

يا رَبعُ ما لَكَ لا تُجيبُ مُتيَّما ... قد عاجَ نحوكَ زائراً ومُسلِّما [1]

جادَتْكَ كلُّ سحابةٍ هطّالةٍ ... حتى تُرى عن زهرةٍ مُتَبَسِّما

لو كنتَ تدري مَنْ دعاكَ أجبتَهُ ... وبكيتَ مِنْ حُرَقٍ عليه إذاً دَما

وقال آخر [2] :

إنْ يُمسِ حَبْلُكِ بعدَ طُولِ تواصلٍ ... خَلَقاً ويصبحُ رَبعُنا مهجورا [3]

فلقدْ أراني والجديدُ إلى بِلى ... دَهراً بوَصْلِكِ ناعماً مَسرورا [4]

كُنتِ الهوى وأعزَّ مَنْ وَطِئَ الحصا ... عندي وكنتُ بذاكِ منكِ جديرا

وقال جُبَيْهاء الأشجعي واسمه يزيد بن عبيد [5] :

أمِنَ الجميعِ بذي النعاجِ ربوعُ ... هاجتْ فُؤادَكَ والرُّبوعُ ربوعُ [6]

مِنْ بعدِ ما نكِرَتْ وغيَّرَ آيَها ... قطْرٌ ومُسبلةُ الذُّيولِ خريعُ [7]

---

(١) الأبيات في « الأغاني » ٥٤/١ .

(٢) هو الحارث بن خالد المخزومي ، والأبيات في « الأغاني » ١٣/١٧ .

(٣) في « الأغاني » : « بيتكم مهجورا » .

(٤) في « الأغاني » « زمناً ... راضياً مسرورا » . وبعد البيت :

جَذِلاً بمالي عندكم لا أبتغي ... للنفس بعدك خُلَّةً وعشيرا

(٥) ويقال : يزيد بن حميمة ، شاعر بدوي من مخاليف الحجاز ، نشأ وتوفي في أيام بني أمية ، والبيتان في « الأغاني » ٣٩/١٨ .

(٦) في الأغاني « بذي النعاع ... والربوع تروع » .

(٧) في الأغاني « ومسبلة الدموع ... » .

وقال آخر :

وقفتُ على رَبعٍ لسُعدى وعبرَتي ... ترقرقُ في العينين ثُمَّ تسيلُ

أُسائلُ رَبعاً قد تعفَّتْ رُسومُه ... عليه لأصنافِ الرّياحِ ذُيولُ

* * *

خَفَّتْ دُمُوعُكَ في إثْرِ الخليطِ لَدُنْ ... خَفَّتْ مِنَ الكُثُبِ القُضبانُ والكُثُبُ [١]

وقال أرطاة بن سهيَّة :

ألا حيِّ رَبعاً باللديدِ المقابلِ ... يَهيجُ الهوى مِنْ بين تلكَ المنازلِ

يَهيجُ الذي قد كان مِنْ سالفِ الصِّبي ... على مُستهامٍ قلبُه غير ذاهِلِ

يَهيمُ بذكرِ الغانياتِ وَهَمُّهُ ... طِلابُ الصِّبى في غيِّه المتمايِلِ

فما ظَبيةُ الغُرِّ التي هاجتِ الهوى ... ولكنَّما شَبهْتُها أُمَّ واصِلِ

من البيض مِكْسالاً كأنَّ حديثها ... جَنى النَّحل هَيفاء صَموتَ الخلاخِل

وقال البحتري :

وقفنا على ربع النَّخيلةِ فانبَرَتْ ... سَوابق قد كانت بها العَينُ تبخَلُ [٢]

---

(١) قال التبريزي : أصل « الخفوف » من قولهم : خف القوم : إذا ارتحلوا ، وهو راجع إلى الخفة التي هي ضد الثقل ، إلا أنهم يفرقون بالمصادر بين الأفعال التي أصلها واحد في الاشتقاق ، فيقولون : خف الشيء خفة : إذا كان خفيف الزنة ، وخف القوم خفوفاً : إذا ارتحلوا ، وخف في حاجته : إذا أسرع. وقوله: « خفت دموعك » إن شئت كان من الاسراع ، وإن شئت كان من الخفوف الذي هو الارتحال ، كأنها تبعتهم ، أي : سالت في إثرهم . وقوله « لدن » أي : عند ، وأضافها إلى الجملة ، لأنه جعلها واقعة على الحين ، وأسماء الزمان تضاف إلى الجمل ، والكثب الأولى : جمع كثيب من الرمل ، والكثب الثانية : أراد بها أرداف النساء ، لأنها تشبه بالكثب ، فحذف التشبيه . والقضبان : أراد بها القدود .

(٢) ديوانه ٢/٢١٣ ، و«الموازنة» : ٤٧٢ من قصيدة يمدح بها محمد بن عبدالله –

فصل آخر
في ذكر الربع

قال أبو تمام :

قد نابتِ الجزْعَ مِنْ أُرْوِيَّةَ النُّوَبُ ... واستَحْقَبتْ جِدَّةً مِنْ رَبْعِها الحِقَبُ [١]

ألوى بصبْرِكَ إخلاقُ اللِّوى وهَفا ... بلُبِّكَ الشَّوْقُ لما أقفرَ اللَّبَبُ [٢]

---

(١) ديوانه : ١/٢٤٤ من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الملك الزيات : قال التبريزي : « أرْوِيَّة » اسم امرأة ، سميت بالواحدة من الأراوي ، وهي أنثى الوعول. وقوله « أروية » فيه حذف ، كأنه قال : من منازل أروية ، أو من أجزاعها ، أو نحو ذلك ، ليصح دخول «من» إذ كانت للتبعيض . وقوله « استحقبت جدَّة » هو مأخوذ من الحقيبة ، وهو ما يكون وراء رحل الركب ، فاذا جعل خلفه شيئاً قيل : استحقبه واحتقبه ، وهذا هاهنا مستعار ، يريد أن الحقب قد أذهبت بجدَّة هذا الربع ، فكأنها جعلته في حقائبها ، لأن الانسان إذا جعل الشيء في حقيبته فقد استبدَّ به .

(٢) يقال : ألوى بالشيء : إذا ذهب به ، وألوى الدهر بالقوم : إذا أهلكهم . واللوى : مسترق الرمل ، واللبب نحو ذلك ، وربما قالوا : اللبب مقدم الكثيب ، وقد يعبرون عن اللوى واللبب بمنقطع الرمل ، وذلك كله متقارب في الحقيقة . وهفا : طار .

فلم يَدْرِ ربع الدَّارِ كيفَ يُجيبُنا ... ولا نحنُ منْ فَرْطِ الأسى كيف نسأل[١]

وقال طرفة بن العبد :

أشجاكَ الرَّبعُ أم قِدَمُهْ ... أم رَمادٌ دارِسٌ حُمَمُهْ[٢]

حابسي رَسمٌ وقفتُ بِهِ ... لو أُطيعُ النَّفسَ لم أرِمُهْ[٣]

وقال جميل بن معمر العذري :

أَتصرِمُ هذا الرَّبع أم أنتَ زائرُهْ ... وكيف يُزارُ الرَّبعُ قد بانَ عامِرُهْ ؟[٤]

ـ ابن طاهر مطلعها :

فؤاد بذكر الظاعنين موكّل ... ومنزِل حي فيه للشوق مَنْزِلُ

وفي الديوان « على دار البخيلة » وفي«الموازنة» « على ذات النخيلة » وبعد البيت :

على دارس الآيات عاف تعاقبت ... عليه صَباً ما تستفيق وشمأل

(١) في الديوان و«الموازنة» : « ... رسم الدار ... من فرط البكا ... »

(٢) ديوانه : ١٤٨ ، و «مختار الشعر الجاهلي» : ٣٣٤ . وجاء في شرح الديوان أن الأصمعي لم يروها ، لكن اثبتها ابو عبيدة والمفضل . وشجاك : أحزنك ، الدارس : الذي امحى وذهب أثره . والحمم : جمع حمة ، وهو الفحم ، وبعد البيت :

كسطور الرَّقّ رقّشَه ... بالضّحى مُرَقّش يَشِمُه

لعبتْ بعدي السيول بـه ... وجرى في رَوْنَقٍ رِهَمِه

جعلته حمّ كلكلها ... لربيع ديمة تثمه

فالكثيب معشب أنف ... فتناهيه فمرتكمه

(٣) لم أرمه : لم أبرحه . نقل حركة الهاء إلى الميم وسكن الهاء للوقف .

(٤) الأول والرابع في الديوان : ١٠٠ وقد نقلها جامعه عن الزهرة : ١١٩ وفيه « أتهجر ... » .

وقد كان ممن يَسكنُ الرَّبعَ مرةً ... جَميلُ المُحيَّا قاصرُ الطرفِ فاترُهْ

سقى اللهُ بيتاً لستُ أَقربُ أهلَهُ ... ولا أنتَ إلا أن يُعنِّفَ زائرُهْ

رأيتُك تأتي البيتَ تُبغِضُ أهلَه ... وقلبُكَ في البيتِ الذي أنتَ هاجِرُهْ

وقال كثير بن عبد الرحمن الخزاعي :

خليليَّ هذا رَبْعُ عزّةَ فاعْقِلا ... قلوصَيكما ثم ابكيا حيثُ حلّتِ[١]

وما كنتُ أدري قبلَ عزّةَ ما البُكا ... ولا مُوجِعاتِ القلبِ حتى تَوَلَّتِ[٢]

فيا عَجباً للقلبِ كيفَ اعترافُه ... وللنَّفسِ لما وُطِّنَت كيفَ ذَلَّتِ[٣]

وإني وتَهْيامي بِعَزَّةَ بعدما ... تَخَلَّيْتُ عمّا بيننا وتخلَّتِ[٤]

---

(١) « ديوانه » ١/٣٦ و« الأمالي » ٢/١٠٤ ، ١٠٥ ، و«الخزانة» ٢/٣٧٩ و«رغبة الآمل» ٣/٢٠٦ . وقوله: ربع عزة، أي: موضع دارها حيث آبت في الربيع، وقيل: الربع: الدار مطلقاً، وهو المراد هنا. وفي « الأمالي » « رسم عزة ... » القلوص : الناقة الشابة بمنزلة الجارية من النساء .

(٢) في الديوان : « ما الهوى .. » . وقد استشهد بالبيت ابن هشام في «شرح الألفية» على نصب «موجعات» عطفاً على محل مفعول أدري المعلق بـ «ما» الاستفهامية ، لأن المعلق أبطل عمله لفظاً لا محلاً . تولت : بمعنى أدبرت .

(٣) اعترافه : اصطباره ، يقال : نزلت به مصيبة فوجد عروفاً : أي صبوراً ، والعروف : الصابر .

(٤) في الديوان « والأمالي » « مما بيننا .. » وفي « الخزانة » « فيما بيننا .. » التهيام : بفتح أوله مصدر للمبالغة من الهيام ، كالجنون من العشق . تخلى من الشيء : تركه .

لكالمُرتجي ظِلَّ الغمامة كلّما ... تبوّأ منها للمقيل اضمحلّتِ (١)

كأني وإياها سحابةُ مُمْحِلٍ ... رجاها فلما جاوزتْه استهلّتِ (٢)

وقال ذو الرمة :

خليليَّ عُوجا عَوْجةً ثمّ سلّما ... عسى الرَّبعُ بالجرعاء أن يتكلّما (٣)

تعرَّفتُه لما وقفتُ بربعِهِ ... كأنّ بقاياه تماثيلُ أعجما

ديارُ لميٍّ قد تعفّت رسومُها ... تخالُ نواحيها كتاباً مُعجّما (٤)

وقال أيضاً :

(١) الغمامة : السحابة ، أو البيضاء خاصة . تبوأ المكان : نزل فيه . المقيل : النوم نصف النهار . اضمحلت : انقشعت . يشبه تعلّقه بعزّة بعد القطيعة ،باللاجىء إلى ظل السحابة ، ووجه الشبه الطمع في غير مطمع .

(٢) ممحل : صفة لمحذوف ، كأنه قال : سحابة بلد ممحل . والمحل : الجدب، وهو انقطاع المطر ويبس الأرض في الكلأ — استهلت : أمطرت — وفي «العمدة» لابن رشيق : جعل رجاء الأول ظل الغمامة،ليقيل تحتها من حرارة الشمس،فاضمحلت وتركته ضاحياً ، وجعل الممحل في البيت الآخر يرجو سحابة ماء ، فأمطرت بعدما جاوزته .

(٣) ديوانه : ٦٤٤ .

(٤) في الديوان « أخال .... » ، وفي الأصل تحت كلمة « معجما » :أي منقطا ، وتعفت : درست وامّحت آياتها .

وَقَفْتُ على رَبْعٍ لِميّةَ ناقتي ... فما زِلْتُ أبكي عنده وأخاطبُهْ (١)

وأسقيه حتى كادَ ممّا سَقَيْتُهْ ... تُكلِّمُني أحجارُهُ ومَلاعِبُهْ (٢)

ألا لا أرى مثلَ الهوى داءَ مُسْلِمٍ ... كريمٍ ولا مِثْلَ الهوى لِيمَ صاحبُهْ

متى يَعصِهِ تُبرحْ مُعاصاتُه به ... وإن يتّبِعْ أسبابَهُ فهو عائبُهْ (٣)

وقال البحتري :

عهدي بربعك مأنوساً ملاعبُهُ ... مِثالُ آرامه حُسْناً كواعبُهُ (٤)

يشبْنَ للصبِّ في صَفْوِ الهوى كدراً ... إن وَخْطُ شيبٍ أعيرتْه ذوائبُهْ (٥)

(١) ديوانه : ٥٢ ، والأول والثاني في « الاقتضاب » : ٤٠٩ ، قال ابن السيد : الربع : الدار حيث كانت ، وأما المربع ، فالمنزل بالربيع خاصة .

(٢) في الديوان : « مما أبثه .. » وفي « أضداد » ابن الأنباري ٦٣ « تجاوبني أحجاره .. » وفي الأصل : تحت كلمه «أسقيه» : أدعو له بالسقيا . وأبثه : أشكو إليه ، يقال : بثثته : إذا أخبرته بما تنطوي عليه وتسره . والملاعب : التي يلعب فيها الولدان .

(٣) في الديوان : « فان يعصه .. » يقول : حتى يعصي الهوى تبرح معاصاته به ؛ أي : تشق عليه ، كما تقول: برح بي فلان .

(٤) ديوانه ١/٢٢٥ من قصيدة يمدح بها أبا العباس محمد بن بدر . وآرام وأرآم : جمع رئم ، وهو الظبي الأبيض . الكواعب : جمع كاعب ، وهي الناهدة الثدي .

(٥) الوخط : مخالطة بياض الشعر لسواده .

وقال أيضاً :

إذا شئتُ أجرتْ أدمُعي من شؤونها ... رُبوعٌ لها بالأبرقين وأرْسُمُ [١]

وقفْتُ بها والرّكبُ شتى سبيلُهم ... يفيضُونَ منهمْ عاذِرونَ ولُوَّمُ

هي الدّارُ إلاّ أنها لا تُكلِّمُ ... عَفا مَعْلمٌ منها وأقفرَ مَعلَمُ

تُقيِّضُ لي من حيثُ لا أعلمُ النّوى ... ويَسري إليّ الشّوقُ من حيثُ أعلَمُ

وقال أبو الفتيان بن حيّوس :

هو ذاكَ رَبعُ العامرِيّة فارْبَعِ ... واسألْ مَصيفاً عافياً عن مَربعِ [٢]

واسْتَسْقِ للدِّمَنِ الخوالي بالحمى ... غُرَّ السحائبِ واعتذِرْ عنْ أدْمُعي

فلقدْ فنِينَ أمامَ دانٍ هاجرٍ ... في قُرْبِهِ ووراءَ ناءٍ مُزمِعِ

وقال كثيّر :

خليليَّ عُوجا وَيْكُما ساعَةً معي ... على الرَّبعِ نقضي حاجَةً ونُوَدِّعِ [٣]

ولا تُعجِلاني أنْ أُلِمَّ بدِمْنَةٍ ... لِعزَّةَ لاحَتْ لي ببيداءَ بَلْقَعِ [٤]

---

(١) ديوانه ١/١١١ من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان مطلعها :

خيالٌ مُلِمٌ أو حبيبٌ مُسلِّمُ ... وبرقٌ تجلى أو حريق مُضرَّمُ

(٢) ديوانه ١/٣١٢ من قصيدة يمدح بها الشريف فخر الدولة أبا يعلى حمزة ابن الحسن بن العباس وصفها ابن خلكان بقوله: « هي من غرر قصائده السائرة » .

(٣) ديوانه ١/١٢٣ وفيه « عوجا منكما . . . » .

(٤) أن ألم : أن أنزل ، قال ابن سيده : لمّ به وألمّ والتمّ : نزل . بيداء بلقع : فلاة قفر لا شيء فيها .

وقولا لقلبٍ قدسَلا راجِعِ الهوى ... وللعين أذري مِنْ دُموعِكِ أوْ دَعي [١]

فلا عَيشَ إلّا مِثلُ عيشٍ مضى لنا ... مَصيفاً أقمنا فيهِ مِنْ بَعْدِ مَرْبعِ

وقال الشريف المرتضى رحمه الله :

كيف أرضى عن الزّمان وما أر ... ضى كريماً مثلي الزّمانُ فأرضى [٢]

عَرَصاتٌ أصبحْنَ وهيَ سماءٌ ... ثمّ أمسَيْنَ بالحوادثِ أرضا

ورباعٌ كانت عَرينَ أُسودٍ ... أصبَحتْ للضّباعِ مأوى ومَفضى [٣]

وثرىً يُنبِتُ النّعيمَ إذا أنـ ... ـبتَ تُربُ البلادِ عُشباً وحَمضا [٤]

ولقد مَضَّني هجومي على الدّا ... رِ بلا آذنٍ على الباب مضّا [٥]

وقال أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي :

أيدري الرَّبعُ أيَّ دَمٍ أراقا ... وأيَّ قلوبِ هذا الرَّكب شاقا [٦]

---

(١) راجع الهوى : أي : ارجع إلى الهوى ، أذري : من أذرت العين دمعها : إذ صبته وأسقطته .

(٢) ديوانه ٢/٢٦٠ من قصيدة يصف فيها إيوان كسرى . وترتيب الأبيات مختلف في الديوان عما هنا . وفي الديوان « قبلي الزمان . . » .

(٣) في الديوان « غيوض أسود . . » .

(٤) الحمض من النبات : كل نبت مالح أو حامض يقوم على سوق ولا أصل له .

(٥) في الديوان : على الدار ، ومضني : أحزنني .

(٦) ديوانه ٢/٢٩٤ من قصيدة يمدح بها سيف الدولة . شاقه يشوقه شوقاً واشتياقاً . وأراق وهراق : بمعنى واحد ، وهو سكب الدمع والماء وغيرهما . =

لنا ولأهلِهِ أبداً قلوبٌ تلاقَى في جُسومٍ ما تلاقَى (١)

فليتَ هوى الأحِبَّة كان عَدْلاً فحمَّلَ كلَّ قَلْبٍ ما أطاقا

وقال أيضاً :

فديناكَ مِنْ رَبعٍ وإنْ زِدْتنا كَرْبا فإنَّكَ كُنتَ الشَّرقَ للشَّمسِ والغَرْبا (٢)

وكيفَ عَرَفْنا رَسْمَ مَنْ لم يَدَعْ لنا فؤاداً لعِرفانِ الرُّسُومِ ولا لُبّا (٣)

نَزلنا عن الأكوارِ نَمْشي كرامةً لمَنْ بانَ عنهُ أنْ نُلِمَّ بهِ رَكْبا (٤)

- قال العكبري : والعرب تقول : الخوف إذا أفرط، والبكاء إذا اتصل، امتزج الدمع بالدم، فتلاه في جريه، وانحـــدر في أثره .

(١) تلاقي : تتلاقى ، يقول : لنا وللراحلين قلوب تتلاقى أبداً بما هي عليه من الشوق والتذكار، وسالف العهد وأيام الوصال ، في أجسام متنافية وأجساد غير متلاقية .

(٢) ديوانه ١/٥٦ من قصيدة يمدح بها سيف الدولة . يقول : فديناك أيها الربع من أحداث الدهر ونوائبه وإن زدتنا وجداً بما هجت من ذكرى الحبيب الذي كان فيك، كالشمس يخرج منك ويعود إليك ، وكنت له كالمشرق حين يظهر وكالمغرب حين يحتجب .

(٣) قال العكبري : يقول كيف عرفنا رسم دارِ من لم تدع لنا قلباً ولا عقلاً، وهذا تعجب منه لعرفانه الرسوم . و « يدع » بالتاء والياء ، فمن روى بالتاء حمله على المعنى لأن المقصود بـ «من» امرأة .

(٤) الأكوار : جمع كور وهو رحل البعير .

نَذمُّ السَّحابَ الغُرَّ في فعلِها بهِ ونُعرِضُ عنهـا كلَّما طلعتْ عَتبا (١)

ذكرتُ به وصلاً كأنْ لم أفُزْ به وعيشاً كأني كنتُ أقطعه وثبا

وقال أبو العلاء بن سليمان المعري :

تحيَّةُ كسرى في السَّناء وتُبَّعٍ لرَبعِك لا أرْضى تحيَّةَ أرْبُعِ (٢)

أميرُ المغاني لم تَزالي أميرةً به للغواني في مصيفٍ ومَرْبَعِ (٣)

(١) الغر : البيض ، السحاب : جمع سحابة ، وقد قال في نعته : «الغر» ، وقد جاء في القرآن « السحاب الثقال » وقيل : كل جمع لم يكن بينه وبين واحـده إلا الهاء، يجوز أن يحمل على التوحيد . يقال : هذا تمر طيب. وإن قيل : تمرة طيبة فحسن. وفي الديوان بعد هذا البيت :

ومن صَحِبَ الدنيا طويلاً تقلَّبت على عينه حتى يرى صدقها كذبا

وكيف التذاذي بالأصائل والضحى إذا لم يعُدْ ذاك النسيمُ الذي هبا

(٢) شروح « سقط الزند » ٤/١٥٢٧ . من قصيدة يخاطب بها أبا أحمد عبد السلام بن الحســين البصري وكان يكثر الجلوس عنده أيام إقامته ببغداد . قال البطليوسي : كل ملك للفرس يدعى « كسرى » بكسر الكاف وفتحها، وكل ملك لليمن يدعى « تُبَّعاً » . السناء : الرفعة ممدود ، والسنى بالقصر : ضوء النهار وغيرها . يقول : لست أرضى لربعك بأن أحييه تحية الأربع ، ولكني أحييه بما كان يحيى به كسرى وتبَّع .

(٣) المغاني : الأماكن التي يغنى فيهـا الناس ، أي : يقيمون ، والغواني : جمع غانية وهي التي غنيت بجمالها عن الزينة ، أي : هذا الربع أمير الغواني . قال التبريزي: والمعنى أن مغناك لم يزل أمير المغاني كما أنك لم تزالي أميرة للغواني فيه .

لقد نَصحَتْني في المقامِ بأرْضِكم — رجالٌ ولكنْ رُبَّ نُصحٍ مُضيَّعِ [1]

فلا كانَ سَيري عنكُمُ رأْيَ مُلْحِدٍ — يقولُ بيأسٍ مِن مَعادٍ ومَرجِعِ [2]

وقال المتنبي :

مُلِثَّ الغيثِ أعطِشها رُبوعا — وإلّا فاسْقِها السَّمَّ النَّقيعا [3]

أسـائِلُها عن المُتَدَيِّريهـا — فما تَدري ولا تُذري دُموعا [4]

لحاهـا اللهُ إلّا ماضِيَيْهـا — زمانَ اللَّهوِ والخَوْدَ الشَّموعا [5]

وقال أيضاً :

دَمعٌ جرى فقضى في الرَّبعِ ما وَجَبا — لأهلِهِ وشفى أنّى ولا كَرَبا [6]

---

(١) قال الخوارزمي : حذف الفعل المسلط على اسم «رب» ونظيره بيت الأعشى:

رُبَّ رِفْدٍ هرَقْتَهُ ذلك اليـ — وم وأسرى من معشر أقيال

أي : ورب أسرى من معشر أقيال أطلقتهم .

(٢) قال التبريزي : كل مائل عن الحق لاحد وملحد ، ولا يقال: لاحد وملحد حتى يميل عن حق إلى باطل .

(٣) ديوانه ٢٤٩/٢ من قصيدة يمدح بها علي بن ابراهيم التنوخي . والمُلِث: الدائم المقيم ، والنقيع : المنقع .

(٤) أضاف إلى الضمير، والأصل: المتديرين فيها ، أي : متخذيها داراً . وتذري: تلقي دموعاً .

(٥) أصل اللحاء : القشر ، ومنه لحوت العود : إذا قشرته ، ثم صار يستعمل في الدعاء ، والخود : المرأة الناعمة ، والشموع : اللعوب المزّاحة .

(٦) ديوانه ١٠٩/١ من قصيدة يمدح بها المغيث بن علي بن بشر العجلي . =

عُجْنا فأذهَبَ ما أبقى الفِراقُ لنا — مِنَ العُقولِ وما رَدَّ الذي ذهبا

سقيتُهُ عَبراتٍ ظَنَّها مَطَراً — سوائلاً مِن جُفونٍ ظَنَّها سُحُبا

وقال أيضاً :

بكيتُ يارَبْعُ حتى كِدْتُ أبكيكا — وجُدْتُ بي وبدَمعي في مغانيكا [1]

فعِمْ صباحاً لقد هَيَّجتَ لي شجَناً — وارْدُدْ تحيَّتنا إنّا مُحيّوكا [2]

بأيِّ حُكمِ زمانٍ صِرْتَ مُتَّخِذاً — رِيمَ الفَلا بدلاً مِن رِيمِ أهليكا

أيّامَ فيكَ شموسٌ ما انبعَثْنَ لنا — إلّا انبعَثْنَ دماً باللَّحظِ مَسفوكا [3]

وقال أبو فراس بن حمدان :

= كرب أن يفعل كذا ، أي : كاد وقارب . وقوله : أنّى : يريد كيف ، وأنّى بمعنى كيف ، كثير . قال الله تعالى: (أنى يحيي هذه الله بعد موتها) .

(١) ديوانه ٣٧٧/٢ من قصيدة يمدح بها عبيد الله بن يحيى البحتري . قال العكبري : « يقول: يا ربع بكيت في مغانيك حتى فنيت وفني دمعي . وقوله بي : أي بنفسي بكيت حتى أذهبتها .

(٢) عم صباحاً : بمعنى أنعم ، من نعم ينعم بالكسر . كما تقول : كُلْ من أكلَ يأكل ، فحذف منه الألف والنون تخفيفاً .

(٣) الشموس هنا : الجواري . وانبعثن : ذهبن ، وجئن ، وتحركن . وابتعثن : أسلن ، والمبعوث : المسفوك . يقول : إني لأذكر أيام فيـــك شموس ماذهبن وجئن إلا أجرين بألحاظهن دماء عشاقهن .

عليَّ لرَبعِ العامريَّةِ وَقفةٌ ... تُمِلُّ عليَّ الشَّوقَ والدَّمعُ كاتبُ [١]

فلا وأبي العُشَّاقِ ما أنا عاشقٌ ... إذا أنا لم تَلعَبْ بصَبْري الملاعِبُ

ومِنْ مَذْهبي حُبُّ الدِّيارِ لأهلِها ... وللنَّاسِ فيما يعشقون مذاهِبُ

وقال جميل بن سالم ، وتروى لشهبر :

أتَهجُرُ هذا الرَّبعِ أمْ أنتَ زائرُه ... وكيفَ يزارُ الرَّبعُ قد بانَ عامِرُه

فذا العَرْشُ قد أجْرمتُ في أنْ هَجرْتُها ... وما يَكُ مِنْ ذنبٍ فإنَّكَ غافِرُه

وقد تقدمت هذه الأبيات بزيادة فيها منسوبة إلى جميل بن معمر العذري .

وقال أبو تمام :

يا رَبعُ لو رَبعوا على ابنِ هُمومِ ... مُستَسلِمٍ لِجوَى الفِراقِ سَليمِ [٢]

---

(١) ديوانه ٢/٣٠ من قصيدة كتب بها إلى أخيه أبي الهيجاء حرب بن سعيد مطلعها :

أبيت كأني للصبابة صاحب ... وللنوم مذ بان الخليط مجانب

وفي « اللسان » أمل الشيء : قاله فكُتب ، وأملاه كأملَّه على تحويل التضعيف. وفي التنزيل (فليملل وليه بالعدل) وهذا من أملَّ ، وفي التنزيل أيضاً (فهي تملى عليه بكرة وأصيلا) وهذا من أملى . وقال الفراء : أمللت ، لغة الحجاز وبني أسد . وأمليت ، لغة بني تميم وقيس .

(٢) ديوانه ٣/٢٦١ والثاني والثالث في « الموازنة » : ٥٠٥ ، من قصيدة يمدح بها اسحاق بن ابراهيم . وفي الديوان « سقيم » بدل « سليم » . ربعوا : وقفوا. الجوى : الحزن .

قد كُنتُ مَعْهوداً بأحْسَنِ ساكنٍ ... مِنَّا وأحسنِ دِمنَةٍ ورُسومِ [١]

أيامَ للأيَّامِ فيكَ غَضارَةٌ ... والدَّهرُ فيَّ وفيكَ غيرُ مُليمِ [٢]

وقال نُصَيْب :

ولوْ أنَّ رَبعاً راجعَ القَولَ قبْلَه ... لَرَدَّ السَّلامَ رَبعُ سُعْدى وسَلَّما

ولكنَّه هاجَ الهوى لِمكلَّفٍ ... بسُعْدى وأمسى دارِسَ العِلمِ أعْجما

وقال الرماح بن ميادة - وميادة : أمه، وهي سندية ، وأبوه الأبرد بن ثوبان بن سراقة بن سلمى بن ظالم - من قصيدة يمدح بها يزيد بن عبد الملك ابن مروان :

هل يَنطقُ الرَّبعُ بالعَلْياءِ غيَّرَه ... سافي الرِّياحِ ومُستَنٌّ له طُنُبُ [٣]

جرَّتْ به ذاتُ أذيالٍ مُزَعْزِعَةٌ ... لها نَفِيٌّ وذَيلٌ عارِمٌ حَصِبُ [٤]

---

(١) في « الموازنة » : « ثاوٍ فأحسن دمنة ... » الدِّمنة : ما اسود من آثار الديار .

(٢) الغضارة : طيب العيش . ويروى « غير ملوم » .

(٣) البيت الأول والرابع في « الأغاني » ٢/٣٠٤ من قصيدة يمدح بها الوليد ابن يزيد . وفيه « هل تعرف الدار بالعلياء غيرها ... » سافي الرياح ، في « اللسان » : السوافي من الرياح : اللواتي يسفين التراب . مستن : منصب ، يقال: استن المطر ، أي: انصب .

(٤) المزعزعة : الريح الشديدة المحركة . ونفت الريح التراب نفياً ونفياناً : أطارته ، والنفي : ما نفته ، وذيل الريح : ما تتركه في الرمال على هيئة الرسن -

تكسو مَعارِفَهُ حِبْراً تُجدِّدُه   من التُّرابِ وأُخرى بعدُ تَستَلِبُ

دارٌ لبيضاءَ مُسْوَدٍّ مسائحُها   كأنَّها ظبيةٌ ترعى وتَنتصِبُ [1]

جاورتُها رَجباً أيامَ ذي سَلَمٍ   ثم استمرَّت ولاقى دونَها رَجَبُ

وقال الشريف الرضي رضي الله عنه :

مَثَّلْتُ ربعَكِ والمراحِلُ دُونَهُ   نُصْبَ الضَّمير فكنتُ في مغناكِ [2]

ورأيتُ ظبياً واقفاً بفنائكم   يرنو إليَّ كما رنَتْ عيناكِ

فبكَيْتُ مِنْ أسفٍ عليكِ وإنَّما   أجرى مدامعَ مُقلتي ذكراكِ

قالتْ أكنتَ نسيتَنا فذكرتنا   للظَّبي نشكرُ لا لِدَمْعِ الباكي

وقال آخر :

سُقياً لربعِكَ مِنْ رَبعٍ بذي سَلَمٍ   وللزَّمان بــه إذ ذاكَ مِنْ زَمَنِ [3]

ـ ونحوه ، كأنما ذلك هو أثر ذيل جرتـــه . حصب : فيه حصى وتراب من شدة هبوبهـا .

(١) المسائح : الذوائب ، أو ما نزل من الشعر ، فلم يعالج بدهن ولا شيء ، وقيل : ما بين الأذن إلى الحاجب من الشعر . وتنتصب : تقف إذا ارتاعت منتصبة تتوجس ، أي: تسمع وهي خائفة .

(٢) الأبيات ليست في ديوان الشريف . وفي « اللسان »: مثل له الشيء : صوره حتى كأنه ينظر إليه ، ويقال : مثلت بالتثقيل والتخفيف : إذا صورت مثالاً .

(٣) البيتان للاحوص في « الأغاني » ٤/٢٦٢ .

إِذْ أنتِ فينا لمنْ يَنْهاكِ عاصِيَةٌ   وإذْ أُجرُّ اليكم سادِراً رَسَني

وقال مهيار :

استنجَدَ الرِّيحَ مِنْ سُلَيْمى   مَرّاً على رَبعها المُحيلِ [1]

ولم أَخلْ قبلَها شِفائي   عِنْدَ نَسيمِ الصَّبا العليلِ

وأقتضي أذرُعَ المطايا   ما استَصْحَبَتْ من ثرى الطُّلولِ

وقال آخر :

أَرَبعَ سَلاَّمَةَ بالمُنحنى   بخَيْفِ سَلْعٍ جادَكَ الهاطِلُ [2]

إنْ تُمسِ وحشاً فبِما قد تُرى   وأنتَ مَعْمُورٌ بهم آهِلُ [3]

وقال أخي عز الدولة أبو الحسن علي بن مرشد رحمه الله :

إِرْبَعْ بتلك الأَرْبُعِ   بينَ اللِّوى فالأَجْرَعِ

وقِفْ ولوْ رَجْعَ الصَّدى   وقْفَةَ صَبٍّ مُوجَعِ

(١) ديوانه : ٣/٩٨ من قصيدة كتب بها إلى أبي المعالي عبد الرحيم مطلعها :

نوازع الشوق والغليل   عليَّ أحنى من العذول

وفي الديوان « واستروح . . . » وقـــد ذكر محقق الديوان في الهامش أن هذه الكلمة كانت مطموسة في الأصل الفتوغرافي ، ولم يتبينها إلا بمقدار مارجحه.

(٢) البيتان مع بيتـــين آخرين في « الأغاني » ٣/٣٠٢ بدون نسبة ، وفيه : « يا ربع . . . فخيف . . الوابل » .

(٣) في « الأغاني » : « . . . وحشاً طالما قد ترى » .

وسَلْ صَباها إنْ سَرتْ — عن الغزالِ الأتلعِ
إنْ كان قد أتهم لـ — مَّا أنجدَ الوَجْدُ معي
كم لي إليه أنّة — تُقيمُ عُوجَ أضلعي
أوْدَعْتُهُ قلبي فلمْ — يَرْعَ حُقوقَ المُودِعِ
وإنْ يكنْ خانَ ولمْ — يَرْعَ حُقوقي فَرُعي
فيا زماني والصِّبى — هل فيكما مِنْ مَطْمَعِ ؟
وهلْ لأيّامِ التَّصا — بي والحمى من مَرْجعِ
ويا غُرابَ البينِ طِرْ — بعدَ الفِراقِ أوْ قَعِ
فما أبالي بعدَهُم — كيفَ أتاني مَصْرَعي

★ ★ ★

فصل
في ذكر الدمن

قال رقيع بن عُبيد بن صيفي :

ألَمْ تُلْمِمْ على الدِّمَنِ البوالي — دِيارِ الحيِّ في الحِجَجِ الخوالي
عفتْها كلُّ مُعْصِرةٍ ومَرٌّ — مِنَ الأيّامِ بعدَكَ واللّيالي
فأبقى من معارفها قليلاً — عَيِيّاً حين يُسألُ بالسُّؤالِ
بها عَمِروا وكلُّ نعيمِ عَيْشٍ — مِنَ الدُّنيا يصيرُ إلى زوالِ
هُمُ كانوا الحُماةَ وكانَ فيهم — ذوو الإفضالِ والأيدي الطِّوالِ

وقال البحتري :

ألِفوا الفِراقَ كأنَّهُ وطَنٌ لهم — لا يقْرُبُونَ إليهِ حتى يَبْعُدُوا [1]
في كلِّ يومٍ دِمنةٌ من حيِّهِمْ — تَقوي وربعٌ مِنهمُ يتأبَّدُ [2]

---

(١) ديوانه : ٦٢٧/١ من قصيدة يمدح بها أبا أيوب أحمد بن محمد بن شجاع المعروف بابن أخت أبي الوزير مطلعها :

يا يومُ عرِّجْ بل وراءك يا غَدُ — قد أجمعوا بيناً وأنت الموعد

(٢) تقوي : تقفر ، ويتأبد : يتوحش . وبعد البيت :

أوَ ما كفانا أن بكينا غرَّبا — حتى شجانا بالمنازل تهمد

أَسْنِدْ صُدُورَ اليَعْمَلاتِ بِوَقْفَةٍ ... في الماثِلاتِ كأنَّهُنَّ المُسْنَدُ [١]

دِمَنٌ تقاضاهُنَّ إعلانَ البِلى ... هُوجُ الرِّياحِ البادياتِ العُوَّدُ [٢]

حتى فَنِيْنَ وما البقاءُ لِواقِفٍ ... والدَّهرُ في أطرافِهِ يتردَّدُ

وقال أيضاً :

بين الشَّقيقةِ فاللِّوى فالأجرعِ ... دِمَنٌ حُبِسْنَ على الرِّياحِ الأربعِ [٣]

فكأنَّما ضَمِنَتْ معالِمُها الذي ... ضَمِنَتْهُ أحشاءُ المحبِّ المُوجَعِ

---

(١) اليعملات : جمع يعملة ، وهي الناقة النجيبة المتملة المطبوعة ، وفي «الموازنة» ٤٦٩ : والمسند : الدهر ، أراد أن طلول الدار والماثلات ثابتة فيه كثبات الدهر ودوامه . وفي «عبث الوليد» : أشبه ما يحمل المسند هنا أن يكون في معنى خط حمير ، لأن مذهب الشعراء في ذلك معروف ، وإياه قصد أبو عبادة ، كما قال أبو ذؤيب :

عرفت الديار كرقم الدواة ... يزبِّرها الكاتب الحميري

وكانوا يسمون خطهم المسند . ثم قال : وقد يحتمل أن يعني بالمسند : الحديث المسند ، أي : هذه المنازل قد صارت حديثاً يذكر .

(٢) الهوج : جمع الهوجاء وهي التي لا تستوي في هبوبها .

(٣) ديوانه : ١٢٨٦/٢ من قصيدة يمدح بها يوسف بن أبي سعيد محمد بن يوسف الثغري . والشقيقة : اسم بئر في ناحية أُبلى من نواحي المدينة ، والشقيقة: كل غلظ بين رملين ، واللوى : واد من أودية بني سليم ، واللوى : منقطع الرمل وما التوى منه . والأجرع : موضع باليمامة ، والأجرع : الرملة المستوية لا تنبت شيئاً .

ولو أنَّ أنواءَ الربيعِ تُطيعُني ... لشفى الرَّبيعُ غليلَ تلكَ الأربعِ [١]

ما أحسنَ الأيامَ إلَّا أنَّها ... تمضي بنا وإذا مضَتْ لم ترجِعِ [٢]

وقال أيضاً :

ما جوُّ خَبْتٍ وإنْ نأَتْ ظُعُنُهُ ... تاركُنا أو تَشُوقَنا دِمَنُهْ [٣]

إذا استجدَّتْ داراً تعلَّقَها ... بالإلفِ حتّى كأنَّها وطَنُهْ

تاللهِ ما إنْ يني يُدَلِّهُنا ... سُرورُ هذا الزَّمانِ أو حَزَنُهْ [٤]

وقال أبو تمام :

دِمَنٌ ألَمَّ بها فقال سَلامُ ... كم حلَّ عُقْدَةَ صبرِهِ الإلمامُ [٥]

نُحِرَتْ رِكابُ الرَّكْبِ حتى يَغْبُرُوا ... رَجْلَى لقدْ عَنُفُوا عليَّ ولامُوا [٦]

---

(١) في الديوان : «لو أن أنواء السحاب ...»

(٢) في الديوان : «... يا صاحبيَّ إذا مضت ...»

(٣) الأول والثالث في ديوانه : ٣٧٧/١ من قصيدة يمدح بها أبا عيسى بن صاعد ويهجو ابن البريدي .

(٤) في الديوان «سرور هذا الغرام ...» يني : يفتر ، ويدلهنا : يحيرنا .

(٥) ديوانه : ١٥٠/٣ من قصيدة يمدح بها المأمون .

(٦) قال التبريزي : «يغبروا رَجْلَى» يبقوا رجلى ، جمع راجل ، مثل : هالك وهَلْكى . دعا عليهم بأن تنحر ركابهم حتى يغبروا ، وإن شئت جعلت «رجلى» جمع رجلان فلم تنوّن ، وكذلك ينشده الناس ، يقال : رجلان ورجلى ـ

وقفوا عليَّ اللَّوْمَ حتى خَيَّلُوا ... أنَّ الوُقوفَ على الدِّيارِ حرامُ

لا مَرَّ يَوْمٌ واحِدٌ إلَّا وفي ... أَحْشائِهِ لِمَحلَّتَيْكِ غَمامُ [1]

ولقد أراكِ فهل أراكِ بعزَّةٍ ... والعيشُ غَضٌّ والزَّمانُ غلامُ [2]

أعوامَ وَصلٍ كانَ يُنْسِي طُولَها ... ذِكْرُ النَّوى فكأنَّها أيَّامُ [3]

— كما يقال : سكران وسَكْرى . قال الشاعر :

عليَّ إذا لاقيت ليلى وأهلها ... أن ازدار بيت الله رَجْلان حافيا

ولو نوِّنت فجُعِلَت جمع راجل ورَجْل ، مثل صاحب وصحب ، كان ذلك حسناً ، وإنما دعا عليهم بنحر ركابهم ليتلبثوا في الديار ، فيقضي وطره من التسليم ، ويكون نحرها جزاءاً لهم على لومهم إياه . وبعد البيت .

عشقوا ولا رُزِقوا أيُعذَلُ عاشقٌ ... رُزِقتْ هواه معالمٌ وخيام !?

(١) في الديوان « ما مر » قال التبريزي : يريد المشتى والمصيف ، والمبدى والمحضر . دعا الديار ، فقال : لا مر يوم واحد إلا وفي أحشائه . الهاء راجعة إلى اليوم ، ثم قال البيت التالي :

حتى تُعَمَّمَ صُلْعُ هامات الرُّبا ... من نوْره وتأزَّر الأهضام

أي : لا زالت الغمام تسقيك حتى يصير النبات كالعمائم على الرُّبى الصُّلع التي لا نبات بها ، وتُأزَّر ، أي : يكون لها كالازار ، والأهضام : جمع هِضم ، وهو المطمئن من الأرض .

(٢) في الديوان « بغبطة » قال التبريزي : معناه : أنه يتصرف على إرادتنا تصرف الغلام ، ويجوز أن يكون أراد أن الزمان مقتبل طري .

(٣) قال التبريزي : أعوام : منصوب بغض وما في « غلام » من معنى =

ثُمَّ انبرَتْ أيامُ هَجْرٍ أردَفَتْ ... بِجوى أسىً فكأنَّها أعوامُ

ثُمَّ انْقَضَتْ تلكَ السِّنُونُ وأهلُها ... فكأنَّهم وكأنَّها أحلامُ [1]

وقال مهيار :

دِمَنٌ كَسَحْبةِ الأزْ ... مَّةِ مُسْحَلاً إمرارُها [2]

ماتتْ حقائقُها وخُلِّـ ... ـدَ زَوْرُها ومُعارُها

وامتدَّ لَيْلُ السَّافيا ... تِ بجوِّها ونهارُها

عندي لها إنْ أجْدَبَتْ ... وكَّافةٌ تَمتارُها

أَنِسَتْ بإسْبالِ الدُّمو ... عِ كأنَّها أشْفارُها

= الفعل ، والأجود أن يكون منصوباً بـ« هل أراك أيتها الديار بغبطة وغفلة من الزمان عنا أعوامَ . . . »

(١) في الديوان « فكأنها وكأنهم أحلام » .

(٢) ديوانه : ٣٩٨/١ من قصيدة كتب بها إلى أبي المعالي مطلعها :

لمن الطُّلول تراقصت ... نجوى حشاك قِفارُها

* * *

فصل آخر
في ذكر الدمن

قال زهير بن أبي سُلمى واسمه ربيعة بن رياح[1] المزني :

أَمِنْ أُمِّ أوْفَى دِمْنَةٌ لم تَكَلَّمِ ... بِحَوْمَانَةِ الدَّرَّاجِ فالمُتَثَلَّمِ[2]

دِيارٌ لها بالرَّقْمَتَيْنِ كأنَّها ... مَراجِعُ وشْيٍ في نَواشِرِ مِعْصَمِ[3]

(١) في الأصل : رزاح ، وما أثبتناه هو الذي جاء في كتب الأدب والتراجم .

(٢) ديوانه : ٤ ، و « مختار الشعر الجاهلي » ٢٢٧ ، و « شرح القصائد السبع الطوال » : ٢٣٧ . والدمنة : ما اسود من آثار الديار ، والحومانة : الأرض الغليظة ، جمعها : حوامين ، والدراج والمتثلم : موضعان بالعالية ، والعالية : اسم لكل ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها وعمائرها إلا تهامة ، وما كان دون ذلك من جهة تهامة فهي السافلة . يريد : أدمنة من منازل ، أم أوفى لم تكلم ، وهذا توجع .

(٣) في الأصل تحت كلمة « نواشر » ما نصه : عصب الذراع . وفي الديوان و « مختار الشعر الجاهلي » و « شرح المعلقات » : « مراجع وشم . . . » ويروى : « ودار لها بالرقمتين » قال الأصمعي : الرقمتان : إحداهما قرب المدينة ، والأخرى قرب البصرة ، وإنما صارت هاهنا حيث انتجعت ، يريد أنها تحل الموضعين عند الانتجاع ، ولم يرد أنها تسكنهما جميعاً ، وقوله : « مراجع وشم » أي : معاطف ، أي : رُجِّع الوشم وأعيد ، وكلما رجَّعت شيئاً فقد رددته ، والوشم : أن يثقب ظاهر الذراع بإبرة أو غيرها ، ثم يحشى بالكحل والنؤور ليخضر . والنواشر : عروق ظاهر الذراع خاصة ، وقال يعقوب : النواشر : عصب الذراع من ظاهرها وباطنها ، واحدتها ناشرة .

بها العِينُ والآرامُ يمْشِينَ خِلْفَةً ... وأطلاؤها يَنْهَضْنَ من كلِّ مَجْثَمِ[1]

وقفتُ بها مِنْ بعدِ عشرينَ حِجَّةً ... فلأْياً عَرفْتُ الدَّارَ بعدَ توَهُّمِ[2]

فلمَّا عَرفتُ الدَّارَ قلتُ لِرَبْعِها ... أَلا انْعِمْ صَباحاً أيُّها الرَّبْعُ واسْلَمِ[3]

وقال النَّابغة الذّبياني :

عُوجُوا فحيُّوا لِنُعْمٍ دِمْنَةَ الدَّارِ ... ماذا تُحَيُّونَ من نُؤْيٍ وأحْجارِ[4]

أَقْوى وأقْفَرَ مِن نُعْمٍ وغيَّرَها ... هُوجُ الرِّياحِ بهابي التُّرْبِ مَوَّارِ[5]

(١) العين : بقر الوحش ، الواحدة : عيناء ، والذكر أعين ، والآرام : ظباء بيض خوالص البياض ، واحدها : ريم وريمة ، ومساكنها الرمل . خلفة : يخلف بعضها بعضاً ، والأطلاء : جمع الطلا : وهو ولد البقرة وولد الظبية الصغير ، والمجثم للغزال والأرنب والطائر : موضعه الذي يجثم فيه . قال ابن الأنباري : وقوله : « وأطلاؤها ينهضن » معناه : أنهن ينمن أولادهن إذا أرضعنهن ، ثم يرعين ، فاذا ظنن أن أولادهن قد أنفدن ما في أجوافهن من اللبن ، صوتن بأولادهن فنهضن للأصوات ليشربن .

(٢) الحجة ، بكسر الحاء : السنة ، ولأياً : بعد إبطاء وجهد ، قال يعقوب: يقال : التأت عليه الحاجة : إذا أبطأت ، والتوهم : التفرس وطول التأمل .

(٣) قال ابن الأنباري : « ألا انعم صباحاً » معناه : لقيت يا ربع نعيماً في صباحك ، والدعاء في الظاهر للربع ، وفي المعنى لمن كان يسكن الربع ممن يألفه ويحبه .

(٤) ديوانه : ٨٥ بشرح ابن السكيت و « جمهرة أشعار العرب » : ١١٢ ، قال يعقوب : وهي أبيات منحولة . والنؤي : حاجز يرفع حول البيت من تراب من خارج ، لئلا يدخل الماء البيت .

(٥) أقوى : خلا ، وهابي الترب : سافيه ، موار : يجيء ويذهب .

وقفتُ فيها سَراةَ اليَوْمِ أَسْأَلُها ... عن آلِ نُعمٍ أَمُوناً عَبْرَ أَسْفارِ[1]

فاسْتَعْجَمَتْ دارُ نُعْمٍ ما تُكَلِّمُنا ... والدَّارُ لو كَلَّمَتْنا ذاتُ أخبارِ

وقال كُثَيِّر بن عبد الرحمن الخزاعي :

أهاجَكَ مَغْنى دِمنَةٍ ومَساكِنُ ... خَلَتْ وعَفاها المُعْصِراتُ السَّوافِنُ[2]

ديارُ ابنَةِ السَّعديِّ إِذْ عَقْدُ حَبْلِها ... متينٌ وإِذْ مَعْروفُها لكَ عاهِنُ[3]

وما زِلْتُ في لَيْلى لَدُنْ طَرَّشارِبي ... إلى اليومِ أُطْفي إِحْنَةً وأُداجِنُ[4]

وأَحْمِلُ في لَيْلي لِقَوْمٍ ضَغينةً ... وتُحمَلُ في لَيْلى عليَّ الضَّغائِنُ[5]

(١) سراة اليوم : وسطه ، وناقة أمون : أمينة ، وثيقة الخلق ، قد أمنت أن تكون ضعيفة ، وهي التي أمنت العثار والاعياء .

(٢) ديوانه : ١/٢٠٢ ، ٢٠٣ عدا البيت الأول . والثالث والرابع في «الاغاني» ٢/٣٧٩ وفي الأصل تحت كلمة «السوافن» مانصه : أراد السوافي . وفي «اللسان» أبو عبيد : السوافن : الرياح التي تسفن وجه الأرض ، كأنها تمسحه ، وقال غيره : تقشره ، الواحدة : سافنة .

(٣) في الأصل تحت كلمة « عاهن » أي : حاضر . ورواية البيت في الديوان : « ديار ابنة الضَّمري إذ حبل وصلها . . . » وفي « التـاج » : العاهن : الحاضر وأيضاً : المقيم . وقول كثير : ديار ابنة . . . البيت . يكون : الحاضر والثابت .

(٤) في الديوان : وما زلت من ليلى . . . إلى اليوم أخفي حبهـا . . . » وقوله : طر شاربي ، أي : طلع . وقوله : أداجن ، قال في « اللسان » : المداجنة : حسن المخالطة .

(٥) في الديوان : « تحمَّلُ في ليلى علي الضغائن » والضغينة : الحقد والعداوة والجمع : ضغائن .

وقال ذو الرُّمَّة :

تَحِنُّ إلى مَيٍّ كما حَنَّ نازِعٌ ... دَعاهُ الهوى فارتدَّ في قَيْدِهِ قَسْرا[1]

فقلتُ ارْبَعا يا صاحِبَيَّ بِدِمْنَةٍ ... بذي الرِّمْثِ قد أَقْوَتْ منازِلُها عَصْرا[2]

أَرَشَّتْ بها عَيناكَ حتّى كأنَّما ... يُحِلّانِ مِنْ سَفحِ الدُّموعِ بها نَذْرا[3]

ولا مَيَّ إلّا أن تزورَ بمُشْرِفٍ ... أو الزُّرْقِ مِنْ أطلالِها دِمَناً قَفْرا[4]

وقال أيضاً :

أَمِنْ دِمْنَةٍ بين القِلاتِ وشارِعٍ ... تصابَيْتَ حتى ظَلَّتِ العَيْنُ تَدْمَعُ[5]

(١) ديوانه : ٢٣٦ ، وفيه « فارتاد من قيده . . . » وفي الشرح : نازع : بعير يحن إلى وطنه ، أراد : ارتاد من قيده قصراً ، أي : طلب السعة فوجده مقصوراً . وقيل : قصراً ، أي : ضيقاً . يقول : تحن إلى ميٍّ كما حن هـذا البعير لصاحبته ، يعني : ناقته .

(٢) اربعـا : أقيما . أقوت : أقفرت وخلت ، عصراً ، أي : دهراً ، وذو الرمث : موضع ينبت فيه الرمث ، والرمث : مرعى الابل من الحمض ، وشجر يشبه الغضى .

(٣) أرشَّت ورشَّت ، أي : سالت بالبكاء ، يقول : كلما رأيت منازلها بكيت فكأنما عليك نذر لابد من قضائه .

(٤) يقول : لا تقدر عليها حتى تقطع بلداً قفراً بعيداً ، والأطلال : ما شخص من آثار الديار ، قفراً : خالية .

(٥) ديوانه : ٤٣١ .

أَجلْ عَبرَةٌ ظَلَّتْ إذا ما وزَعْتُها　　بحِلْمِي أَبَتْ منها عَوارِضُ تُسْرِعُ [١]

وما يَرْجِعُ الوَجْدُ الزَّمانَ الذي مَضى　　وما لِلفتى في دِمْنَةِ الدَّار مَجْزَعُ [٢]

عَشيَّةَ ما لي حِيلَةٌ غيرَ أنَّني　　بِلَقْطِ الحصى والخطِّ في الدَّارِ مُولَعُ [٣]

أَخُطُّ وأمحُو الخطَّ ثُمَّ أُعيدُهُ　　بكَفِّيَّ والغِرْبانُ في الدَّارِ وُقَّعُ

كأنَّ سِناناً فارِسياً أصابني　　على كَبِدي بل لَوْعَةُ الحبِّ أوْجَعُ

ألا لَيْتَ أيَّامَ القِلاتِ وشارِعٍ　　رَجَعْنَ لنا ثُمَّ انقضى العَيْشُ أجْمَعُ

وقال أيضاً :

أمِنْ دِمْنةٍ بالجوِّ جوِّ جُلاجِلٍ　　زَميلُكَ مُنهَلُّ الدُّموع جَزُوعُ [٤]

عَصَيْتُ الهَوى يومَ القِلاتِ وإنَّني　　لِدَاعي الهوى يَوْمَ النَّقا لَسَمِيعُ

---

(١) رواية البيت في الديوان :

أجل عبرةٌ كادت إذا ماوزعْتُها　　بحلمي أبت منها عواص تسرَّع

وفيه بعد هذا البيت

تصابيت واهتاجَتْ بها منك حاجةٌ　　ولَوع أبت أقرانُها ما تُقطّعُ

إذا حن منهـا دون ميٍّ تعرُّض　　لنا حنَّ قلبٌ بالصَّبابة مُوزعُ

وأجل : نعم ، وزعتها : كففتها .

(٢) في الديوان : « ولا للفتى من دمنة الدار ... » يقول : ليس ثمَّ جزع ، لا ينفعه الجزع .

(٣) في الديوان : « والخط في الترب ... »

(٤) ديوانه : ٤٤١ . والزميل : الرفيق ، يريد : أمن ذاك زميلك منهـلُّ الدموع ؟ أي : أبكاء صاحبك من ذلك ؟

أَرَبَّتْ به هوْجاءُ تَسْتَدْرِجُ الصَّبا　　مُفرِّقةٌ تُذْرِي التُّرابَ جَمُوعُ [١]

أراجِعَةٌ يا مَيُّ أيامُنا الأُلى　　بذي الرِّمث أم لا ما لَهنَّ رجوعُ [٢]

ولو لم يَهِجْني الظَّاعِنونَ لَهاجَني　　حَمائِمُ وُرْقٌ في الدِّيارِ وُقُوعُ [٣]

تجاوَبْنَ فاستَبْكَيْنَ مَنْ كانَ ذا هوى　　نوائِحُ لم تَذْرِفْ لهنَّ دُمُوعُ

وقال كثيِّر بن عبد الرحمن :

سَقَى دِمنَتَيْنِ لم نَجِدْ لهما مِثْلا　　بحَقْلٍ لكم يا عَزُّ قد زانتا حَقْلا [٤]

نَجاءُ الثُّرَيَّا كلَّ آخِرِ لَيلَةٍ　　تَجودُهُما جَوْداً وتَرْدُفُهُما وَبْلا [٥]

---

(١) في الديوان : « تستدرج الحصى » وهي أجود . أربت : أقامت ، هوجاء : ريح شديدة ، كأن بهـا هوجاً ، مفرقة : تفرق الحصى . جموع : يعني : الريح .

(٢) في الديوان « ... أيامنا التي ... »

(٣) هذا البيت والذي بعده ينسبان مع اختلاف الرواية ، لقيس بن ذريح والمجنون ، وجميـل بثينة ، وعمرو بن حكيم التميمي ، والضحاك بن عمـارة . ويبدو أنهما مقحمان على قصيدة ذي الرمة .

(٤) الأول والثاني في الديوان : ١٧/٢ ، والأغاني : ١١٧/١٢ ، ومعجم البلدان ٣٠٦/٣ .قال ياقوت : وحقل : مكان دون أيلة بستة عشر ميلاً كان لعزة صاحبة كثير فيه بستان ، وقوله : « قد زانتا » فاعـله راجع إلى دمنتين ، ويروى : قد رابنـا ، ويروى أيضاً : قد رابني . وفي الأغاني : البيت للأفوه الأودي ، وانتحله كثير لنفسه .

(٥) في الأغاني « ويتبعه وبلا » وفي معجم ياقوت « وتردفه » والنجـاء : المطر الشديد .

إذا شَحطَتْ دارٌ لِعزَّةَ لم أجِدْ ... لها في الألى يَلْحَيْنَ في وَصْلِها مِثْلا

فيا لَيْتَ شِعْري والحوادِثُ جَمَّةٌ ... متى تجمعُ الأيامُ يوماً بها شَمْلا

وقال أرطاة بن كعب بن قُعين :

يا دارةَ السَّلَمِ التي شَرْقِيَّهـا ... دِمَنٌ يَظَلُّ حمامُه يَبْـكينا [(١)]

ما كنتُ أوّلَ من تَفرّقَ شملُهُ ... ورأى الغَداةَ مِنَ الفراقِ يقينا

وقال ذو الرمة غيلان :

خليليَّ عُوجا حَيِّيا رَسْمَ دِمنةٍ ... مَحَتْها الصَّبا بَعْدي وطارَتْ خِيامُها [(٢)]

هل الدّارُ إنْ عُجْنالكَ الخيرَ ناطِقٌ ... بحاجتنا أطلالُها وثُمامُها [(٣)]

ألا لا ولـكِنْ عائِدُ الشَّوقِ هاجَهُ ... عَلَيْكَ طُلولٌ قد أحالَ مَقامُها [(٤)]

منازِلُ مِنْ حَيٍّ بوَهبِينَ جادَها ... أهاضِيبُ طَلٍّ دَجْنُها وانهِمامُها [(٥)]

---

(١) البيتان مع بيتين آخرين تقدما ص : ٤٣ . وهما « في معجم مااستعجم » : ٥٣٥ ، ومعجم البلدان ١٩/٤ ، والاصابة : ١١١/١ .

(٢) ديوانه : ٧١٩ ، وفيه : « وطار ثمامها » وعوجا : اعطفا ، والثمام : شجر يستظلون به ، وله ظل بارد ، وطار ، أي : سفته الريح .

(٣) في الديوان : « أطلالها وخيامها » .

(٤) عائد الشوق : أي : عائد الشوق هاجه طلول . وأحال مقامها : أتى عليه حول .

(٥) في الديوان : « أهاضيب دَجْنَ طَلّها وانهمامها » جادها من الجود وهو المطر . والأهاضيب : دفعات المطر ، والطل : الخفيف من المطر ، والانهمام : مثله .

وقال أحمر بن الأيهم التَّغلبي :

أَلْمِمْ على دِمَنٍ تقادَمَ عهْدُها ... بالجزْعِ واستَلَبَ الزّمانُ جَمالَها

رَسْمٌ لقاتِلَةِ الغُرانِقِ ما بِـهِ ... إلّا الوُحوشُ خَلَتْ له وخَلا لَها [(١)]

ظَلّتْ تُسائِلُ بالمتيَّمِ أهلَهُ ... وهيَ التي فعلَتْ بـه أفْعالَها

وقال البحتري :

دِمَنٌ لِزَيْنَبَ قَبلَ تشريدِ النَّوى ... من ذي الأراكِ بزينبٍ ولَعُوبِ [(٢)]

تأبى المنازِلُ أن تُجيبَ ومِنْ جوىً ... يَوْمَ الدّيارِ دعوْتُ غيرَ مُجيبِ

فسقى الغَضا والساكِنِيهِ وإنْ هُمُ ... شَبُّوهُ بينَ جوانحٍ وقُلوبِ [(٣)]

قال أبو الفرج الأصبهاني لما قال عليُّ بن أحمد بن أبي أمَيَّة الكاتب :

يا ريحُ مـا تَصْنَعينَ بالدِّمَنِ ... كم لكِ مِنْ مَحوِ منظرٍ حَسَنِ [(٤)]

---

(١) في « اللسان » الغرانق : الشاب الأبيض الناعم الجميل .

(٢) ديوانه ٢٤٦/١ ، والأول والثاني في « الموازنة » ٤٧٦ الدمن : جمع دِمنة ، ماسود من آثار الديار . ذو الأراك : واد قرب مكة ، والأراك : شجر . لعوب : اسم امرأة .

(٣) في الديوان « والنازليه » والغضـا : شجر خشبه من أصلب الخشب ، وجمره يبقى زمناً طويلاً لا ينطفىء ، ويكثر في نجد ، ويسمون لذلك أهل الغضا .

(٤) الخبر مع الأبيات في « الأغاني » ٥٨٥/٢٢ في أخبار علي بن أبي امية ، قال أبو الفرج : وكان أبوه يكتب للمهدي على ديوان بيت المال وديواني الرسائل والخاتم ، وكان منقطعاً إلى ابراهيم بن المهدي وإلى الفضل بن الربيع .

محوتِ آثارنا وأحدثتِ آثا ... راً بربعِ الحبيبِ لم تكنِ
إن تكُ يا ربعُ قد بَليتَ من الرِّيـ ... ـحِ فإنّي بالٍ من الحزنِ
قد كانَ يا ربعُ فيكَ لي سَكَنٌ ... فصرتَ مُذ بانَ بعدهُ سكني (١)
شبّهتُ ما أبلتِ الرياحُ من آ ... ثارِ حبيبي النائي إلى بدني (٢)
حاشاكِ يا ريحُ أن تكوني على العاشقِ عوناً لحادثِ الزمنِ

كثّر الناسُ فيه وتداولوه، وغنّى فيه عمرو الغزّال، فقال أبو موسى الأعمى :

يا ربِّ خُذني وخذْ عليّاً وخُذْ ... « يا ريحُ ما تصنعينَ بالدِّمَنِ »
عجِّلْ إلى النّارِ بالثلاثةِ والرا ... بعِ عمرو الغزّالِ في قَرَنِ

وقال عمرو بن شأس :

متى تعرفِ العينانُ أطلالَ دِمنةٍ ... لِليلى بأعلى ذي معاركَ تدمَعا (٣)
على النحرِ والسِّربالِ حتى تبُلَّهُ ... سَجُومٌ ولم تجزعْ إلى الدارِ مجزعا

(١) في الأغاني : « فصرتَ إذ بان بعده سكني ».

(٢) في الأغاني : « آثار حبيبي النوى بلا بدَنٍ » وفيه بعد هذا البيت :

يا ريح لا تطمسي الرّموس ولا ... تمحي رسوم الدّيار والدِّمَنِ

(٣) الأبيات في « الأغاني » ١١/٢٠٠ ، و « طبقات فحول الشعراء » ١٦٧ و « ذو معارك » على لفظ جمع معركة : موضع في ديار بني تميم .

وفي طبقات فحول الشعراء : « رشاشاً ولم تجزع ... » والرشاش : ما ترشش من الدمع وقطر ، والجزع هنا : الحزن الشديد ، وقال : لم تجزع إلى الدار ، ضمن جزع معنى حن واشتاق .

خليليَّ عُوجا اليومَ نقضِ لُبانةً ... وإلا تعُوجا اليومَ لا ننطلقْ معا (١)

قال أبو عمرو (٢) : كان بيهسُ بن صُهَيب بن عامر بن عبد الله بن نائل يهوى امرأةً من قومه ، يقال لها : صفراء ، وكان يتحدّثُ إليها ، ويجلسُ في بيتها ، ويُكثِر (٣) وجده بها ، ولا يُظهِرُه لأحد ، ولا يخطُبُها إلى أبيها ، لأنه كان صُعلوكاً لا مال له ، وكان ينتظرُ أن يُثري وكان شاعراً شُجاعاً ، له مواقفُ مشهورة ، وكان من أحسنِ الشّباب وجهاً وشارةً وحديثاً وشعراً ، فكان نساءُ الحيِّ يتعرَّضْنَ له ، ويجلسْنَ إليه ، ويتحدَّثن معه ، فمرت به صفراء ، فرأتْهُ جالساً مع فتاةٍ منهن ، فهجرته زماناً لا تُجيبه إذا دعاها ، ولا تخرجُ إليه إذا زارها . وعرَض له سفرٌ ، فخرج فيه ، ثم عاد وقد زوَّجها أبوها رجلاً من بني أسد ، فأخرجها ، وانتقل بها عن ديارهم ، فقال بيهس بن صهيب :

(١) عاج بالمكان : عطف عليه ومال ، واللبانة : حاجة النفس التي تهمها ، لا من فاقة . وفي « الطبقات » بعد هذا البيت :

وإن تنظُراني اليومَ أتبعكُما غداً ... أذلَّ قياداً من جنيبٍ وأطوعا
وقد زعَما أنْ قد أملَّ عليهما ... ثوائي وقولي كلما ارتحلا اربعا
وما لَبثٌ في الحيِّ يوماً وليلةً ... بزائدِ ما قد فاتَ صيفاً ومربعا
فجودا لهندٍ في الكرامةِ منكما ... وإن شئتما أن تمنعا بعدُ فامنعا

(٢) الخبر مع الأبيات في « الأغاني » : ٢٢/١٣٠ .

(٣) في « الأغاني » : ويكتم .

سَقَى دِمْنةً صفراءُ كانَتْ تَحُلُّها ... نِجاءُ الثُّريّا طَلُّها وذِهابُها [١]

وجادَ عليها كُلُّ أَسْحَمَ هاطِلٍ ... ولا زالَ مُخْضَرّاً مَريعاً جَنابُها [٢]

أَحَبُّ ثرى أرضٍ إليَّ وإنْ نأَتْ ... مَحَلُّكِ منها نَبْتُها وتُرابُها

على أنها غضبى عليَّ وحبَّذا ... رِضاها إذا ما أُرْضِيَتْ وعِتابُها

نظرْتُ وقد زالَ الحُمولُ وَوازَنوا ... بِرَكْوةَ والوادي وحنَّتْ رِكابُها

فقلتُ لأَصْحابي أَبِالقُرْبِ منهم ... جَرى الطَّيرُ أم نادى بِبَيْنٍ غُرابُها

وتُوفيت صفراء قبلَ أن يدخل بها زوجُها الأسدي.

ولبيهس بن صهيب فيها أشعار يرثيها، وقد أوردتُ أخبارَه وأشعارَه في صفراء في كتابي المترجم بـ «كتاب أخبار النساء» فاقتصرتُ على ما ذكرتُه هاهنا من شعره لِما اقتضاه التأليفُ من ذِكرِ الدِّمن.

وقال المتنبي:

قِفْ على الدِّمْنَتَيْنِ بالدَّوِّ من رَيّا ... كَخالٍ في وَجْنَةٍ جَنْبَ خالِ [٣]

(١) النجاء: المطر الشديد، والطل: المطر الصغار القطر الدائم، وهو أرسخ المطر ندى. والذهاب، واحده ذهبة: المطرة، وقيل: المطرة الضعيفة، وقيل: الجود.

(٢) الأسحم: السحاب الأسود، والمريع: الخصيب.

(٣) ديوانه: ١٩٢/٣ من قصيدة يمدح بها عبد الرحمن بن المبارك الأنطاكي مطلعها:

صلةُ الهَجْرِ لي وهجْرُ الوِصالِ ... نَكَساني في السُّقْمِ نُكْسَ الهلالِ ـ

بطُلولٍ كأنَّهنَّ نُجومٌ ... في عِراصٍ كأنهنَّ ليالي [١]

وقال أبو تمام:

أَراكَ أكبَرْتَ إدْماني على الدِّمَنِ ... وحَمْلِيَ الشَّوقَ مِنْ بادٍ ومُكتَمِنِ [٢]

لا تُكْثِرَنَّ مَلامي أنْ عَكَفْتُ على ... رَبْعِ الحبيبِ فلم أعْكِفْ على وَثَنِ [٣]

فما وَجَدْتُ على الأحشاءِ أَوْقَدَ مِنْ ... دمعٍ على وَطَنٍ لي في سِوى وطني

صَيَّرْتُ لي من تَبارِي عَبْرَتي سَكَناً ... مُذْ صِرْتُ فرداً بلا إلْفٍ ولا سَكَنِ

ـ والدوّ: الأرض الواسعة المستوية القفرة. وريا: اسم امرأة، أراد: من دِمَن ريا، والخال: شامة تخالف لون الوجه. شبه آثار سواد الدّيار في سعة الأرض بخالين في خد.

(١) قال العكبري: يريد أن الطلول الشاخصة الباقية تلوح في العراص، كالنجوم في الليالي المظلمة. والعراص لا تدرس، بل هي وسط. والمعنى: طلول الأحباب لائحات في عراص خاليات، فهي تلوح فيهن، كما تلوح النجوم في الليالي المظلمات.

(٢) ديوانه: ٣٣٧/٣ من قصيدة قالها في أبي الحسن علي بن مر.

(٣) في الديوان بعد هذا البيت

سلوْتُ إن كنت أدري ما تقول إذن ... مجَّتْ مقالتَها في وجهها أذُني

الحُبُّ أولى بقلبي في تَصَرُّفِه ... مِنْ أن يغادرني يوماً بلا شَجَنِ

حلبتُ صَرْفَ النوى صرفَ الأسى وحداً ... بالبث في دولةِ الاغرام والدَّدَنِ

وقال المتنبي :

ذِكَرُ الصِّبى ومَرابِعُ الآرامِ ... جلَبَتْ حِمامي قَبْلَ وَقْتِ حِمامي [1]

دِمَنٌ تكاثَرَتِ الهُمومُ عليَّ في ... عَرَصاتِها كَتَكاثُرِ اللُّوّامِ

فكأنَّ كُلَّ سَحابَةٍ وقَفَتْ بها ... تَبْكي بعَيْنَيْ عُروَةَ بنِ حِزامِ [2]

ليسَ القِبابُ على الرِّكابِ وإنّما ... هُنَّ الحَياةُ تَرَحَّلَتْ بسَلامِ [3]

ليتَ الذي خَلَقَ النَّوى جعلَ الحصا ... لِخفافِهِنَّ مَفاصِلي وعِظامي [4]

---

(١) ديوانه : ٤/٦ وذِكَر : جمع ذِكْرى ، وروي « ذِكْر » جمع ذِكْرَة . والآرام : جمع ريم ، وهن الظباء ، وأراد بهن النساء ، والمرابع : جمع مربع ، وهو المكان الذي يربعون فيه . ومن روى بالتاء المثناة فوقها ، أراد جمع مرتع ، وهو المرعى . يقول : ذكر الصبى ، ومراتع النساء اللاتي أهيم بهن ، جلبا موتي قبل وقته .

(٢) في الديوان : « وكفت » ، أي : قطرت . وعروة بن حزام : هو صاحب عفراء ، أحد العشاق المتيمين .

(٣) القباب : الهوادج ، والركاب : الابل . قال العكبري : يقول : هذا الذي تراه فوق الابل من هوادجهن ليس هو الهوادج ، وانما هي الحياة ترحلت عنا ، فلا نبقى بعدها .

(٤) النوى : البعد ، والضمير في « خفافهن » للابل ، يقول متمنياً : ليت الذي خلق الفراق جعل أعضائي لأخفاف الابل التي تحملوا عليها حصى حتى تطأني بأخفافها .

وقال أبو نواس الحسن بن هانئ :

لِمَنْ دِمَنٌ تَزْدادُ طِيبَ نَسيمِ ... على طُولِ ما أقْوَتْ وحُسْنَ رُسومِ [1]

تجافى البِلى عنهُنَّ حتّى كأنّما ... لَبِسْنَ على الإقْواءِ ثَوبَ نَعيمِ

وما زالَ مَذلولاً على الرَّبعِ عاشِقٌ ... أسيرُ لُبـاناتٍ طَليحُ هُمومِ [2]

يرى النّاسَ أعباءً على جَفنِ عَينِهِ ... وإن حلَّ في وادي أخٍ وحَميمِ

وقال أيضاً :

يا كَثيرَ النَّوحِ في الدِّمَنِ ... لا عليها بلْ على السَّكَنِ [3]

سُنَّةُ العُشّاقِ واحِدَةٌ ... فإذا أحبَبْتَ فاستَكِنِ [4]

ظَنَّ بي مَنْ قد كُلِفْتُ بهِ ... فهوَ يَجْفوني على الظِّنَنِ [5]

باتَ لا يَعنيهِ ما لَقِيَتْ ... عَينُ مَمْنوعٍ مِنَ الوَسَنِ

رَشأٌ لَوْلا مَلاحَتُهُ ... خَلَتِ الدُّنيا مِنَ الفِتَنِ

ما بَدا إلا اسْتَرَقَّ له ... حُسْنُهُ عَبداً بِلا ثَمَنِ

---

(١) ديوانه : ٥٧٧ ، وفيه : « ... تزداد حسن رسوم ... ما أقوت وطيب نسيم »

(٢) في الديوان : « حسير لبانات » واللبانات : الحاجات والمآرب ، والطليح : المتعب .

(٣) ديوانه : ٦٤٥ . والسكن : أهل الدار ، والحبيب الذي تسكن إليه النفس .

(٤) في الديوان « فاستكن » وهو تحريف .

(٥) يجفوني : يبتعد عني ، والظنة : التهمة ، وجمعها : ظنن .

وقال البحتري :

أفي كلِّ يومٍ منك عينٌ تَرقرقُ ... وقلبٌ على طولِ التذكُّرِ يخفِقُ (١)

على دِمْنةٍ فيها لأُدْمانةِ النَّقا ... محاسنُ أيامٍ تخبُّ وتُعنِقُ (٢)

وَقفتُ فأوقفتُ الجوى موضعَ الهوى ... ليالي عُودُ الدَّهرِ ريَّانُ مُشرِقُ (٣)

فحرَّك بَثّي ربعُها وهي ساكنٌ ... وجدَّدَ وجدي رَسْمُها وهو مُخلِقُ (٤)

وقال ابنُ المولى (٥) وهو محمد بن عبد الله بن المولى مولى الأنصار رضي الله عنهم :

(١) ديوانه : ٢/١٣٣ و « الموازنة » : ٤٢٧ ، ٤٩٣ من قصيدة يمدح بها علي القمي ، وفيه : « أفي كل دار منك ... »

(٢) في « الديوان » : « ... أيام تُحبّ وتُعشق » وفي « اللسان » ابن سيـده : الأدم من الظباء : ظباء بيض يعلوها جُدد فيها غُبْرة ، زاد غيره : وتسكن الجبال ، قال : وهي على ألوان الجبال ، يقال : ظبية أدماء ، قال : وقد جاء في شعر ذي الرمة أدمانة قال :

أقول للركب لما أعرضت أُصُلا ... أدمانة لم تُربِّبها الأجاليد

والنقا : منقطع الرمل ، والخبب والعنق : نوعان من السير . وفي الديوان بعد هذا البيت

نعم قد تباكينا على الشعب مرة ... ومن خلفه شعب لليـلى مفرّق

(٣) في الديوان : « فينان مورق »

(٤) في الديوان : « وهو ساكن » .

(٥) هو محمد بن عبد الله بن مسلم بن المولى مولى الانصار ، ثم من بني عمرو بن عوف شاعر متقدم مجيد من مخضرمي الدولتين ومداحي أهلها ، قدم على المهدي ،—

وقال خليلي والبُكا لي غالبٌ ... أقاضٍ على هذا البُكا والتَّشوُّقُ (١)

وقد طال توقافي أكفكفُ عَبْرةً ... على دِمْنةٍ كادتْ بها النَّفسُ تَزْهَقُ

وإنسانُ عيني في دوائرِ لُجَّةٍ ... من الماءِ يَبدو تارةً ثمَّ يَغرقُ

وقال الشيخ الأمين أبو البركات بن أبي جرادة الحلبي (٢) :

النَّاسُ لاهُون في أماكنهم ... ونحنُ في رِحلةٍ وفي ظَعَنِ

كأننا من مُتيَّمي العرب الـ ... ـعرباء تهوى المَراح بالدِّمَنِ

هذان البيتان للشيخ الأمين أبي البركات بن أبي جرادة وكان أميناً على خزانة الملك العادل نور الدين ، فكان لا يزال معه في سفر ، ولم يكن معتاداً لذلك ، فتبرَّم بما هو فيه من الحركة والسَّفر المستمر في الأخطار والحروب ، فكتب الى أخيه ثقة الملك أبي عبدالله رحمهما الله أبياتاً ، منها البيتان المتقدمان ، وأنا ذاكر القطعة بكمالها :

يا ثقتي أنتَ مُشتكى حَزَني ... قد فاتني كلُّ مَطلبٍ حَسَنِ

—وامتدحه بعدة قصائد ، فوصله بصلات سنية ، والبيت الأول والثاني في « الأغاني » ٣/٢٨١ من قصيدة يمدح بها المهدي مطلعها :

سلا دار ليلى هل تَبين فتنطِقُ ... وأنّى تردُّ القول بيداء سَمْلَقُ

(١) في « الأغاني » أقاض عليك ذا الأسى والتشوق .

(٢) ترجمه ياقوت في « معجم الأدباء » ١٦/١٦ ، فقال : هو أبو البركات عبد القـاهر ابن علي بن عبدالله ابن أبي جرادة ، كان ظريفاً لطيفاً أديباً شاعراً كاتبـاً ، سمع بحلب أباه أبا الحسن وغيره ، وكتب عنه جماعة من العلماء .

ما قصَّرَتْ هِمَّتي فأَجْعلَها　　مَظِنَّةَ الإتِّهامِ والظِّنَنِ

أَمَّلْتُ أَن أَقْتَني من المجدِ والـ　　سؤْدُدِ ما لا يُبَاعُ بالثَّمنِ

وأَقْتفي سُنَّةَ الأُلى دَرَجوا　　قَبلي على واضِحٍ مِنَ السَّنَنِ

راغِبَ نفْسٍ فيما يُزَهِّدُني　　ناعِمَ بالٍ بعَيْشيَ الخَشِنِ

بحَيْثُ لا أَبتَغي مُزاحَمَةَ الـ　　خَلْقِ ولا أَشْرَئِبُّ لِلْمِنَنِ

ولا يراني امرُؤٌ أَلُوذُ بِه　　إلا خَليلِيَ في الله أَو سكَني

هذا الَّذي رُمْتُهُ فعارَضَني　　في كَوْنه عارِضٌ منَ الزَّمَنِ

أَصبَحَ شمْلي إلى الشَّتاتِ وأَصـ　　بَحْتُ غريباً وما نَبا وطَني

ولا جَفاني أَهلُ الصَّفاء ولا　　شَرِبْتُ دَرَّ الصَّفَاءِ بالصَّفَنِ [1]

النـاسُ لاهُوْنَ في أَماكنِهِم　　ونَحْنُ في رِحْـلَةٍ وفي ظَعَنِ

كأَنَّنا مِنْ مُتَيَّمي العَرَبِ الـ　　عَرْباءِ تَهْوَى المعـاج بالدِّمَنِ

لا صبْرَ لي قدخرَجْتُ من جَلَدي　　وقَد سُلِبْتُ الحصينَ من جُنني

وأَسْخَنَ اليأسُ ناظِرَيَّ فما　　يَقَرُّ للمُطمِعاتِ في الوَسَنِ

ومَجَّ سَمْعي لَغْوَ الحديثِ فما　　يطُورُ شَيءٌ منـهُ على أُذُني [2]

---

(١) الصَّفَنُ، بضم الصاد وفتحها وسكون الفاء وفتحها: شيء مثل الدلو أو الركوة يتوضأ فيه.

(٢) في «اللسان»: طـار حول الشيء طوراً وطـوراناً: حام، والطوار: مصدر طار يطور.

وعُدْتُ من كُلِّ ما أُؤَمِّلُهُ　　أَقولُ حَسبي بصِحَّـةِ البدَنِ

أَيُّ عُرى حالةٍ عَلِقتُ بِها　　وأَيُّ شَتَّى قُرِنْتُ في قَرَنِ

جَمَعتُ والهْفتاهُ قلْبَ فتى　　يفِرُّ عنْ هَمِّ شارِخٍ يَفَنِ [1]

ورُتبـةً في العَـلاءِ تَتبعُها　　صورَةُ مُستَبْـذَلٍ ومُمْتَهَـنِ

مُتُّ ونفسي عـليَّ باقيـةٌ　　وضِعتُ والحافِظاتُ تَحفظُني

واخَيْبَةَ الحاسِدينَ كَم مِنَحٍ　　مَغْبوطةٍ وهيَ أَعظمُ المِحَنِ

يا ليتَ أَنِّي قَبْلَ المنِيَّةِ قـد　　غُيِّبتُ في حُفرَتي وفي كَفَني

بَلْ لَيْتَ ما كان من حياتي إذِ الأَمْرُ عـلى ما أَراهُ لَمْ يكُنِ

وقال عُروة بن حزام [2] :

أَلا يا غُرابَيْ دِمنَةِ الدَّارِ بيِّنا　　أَبالهَجْرِ مِنْ عَفراءَ تَنتَجِيانِ [3]

---

(١) في «اللسان»: الشارخ: الشاب، واليفن: الشيخ الكبير.

(٢) هو عروة بن حزام العذري، أحد عشاق العرب الذين قتلهم العشق، وصاحبته عفراء بنت مالك العذرية، مات في أيام معاوية، وتولى دفنه النعمان بن بشير، ترجمته وأخباره في «الأغاني» ١٥٢/٢٠، و«النوادر: ١٥٧»، «والشعر والشعراء» ٦٠٤، و«الخزانة» ٥٣٣/١.

(٣) الأبيات في «النوادر» ١٥٨ من قصيدة تبلغ ثمانين بيتاً، خلط فيها أبو علي رحمه الله بين الروايات حتى تتام له هذا القدر الهائل، وفيه «تنتحبان» وهو تصحيف. وفي «اللسان»: وفي الحديث «لا يتناجى اثنان دون الثالث» وفي رواية: «لا ينتجي اثنان دون صاحبهما» أي: لا يتساروان منفردين.

فَإِن كانَ حقّاً ما تقُولانِ فانْهضَا ... بلحْمي إلى وَكْرَيكُما فكُلاني

فعفْراءُ أَصفى النَّاسِ عِنْدي مَوَدَّةً ... وَعفْراءُ عَنّي المُعْرِضُ المُتواني [1]

فوالله ما حَدَّثتُ سِرّكِ صاحِباً ... نَصِيحاً وَلا فاهَتْ به الشَّفتانِ

سِوى أَنَّني قد قُلْتُ يوماً لصاحِبي ... ضُحىً وقَلُوصانا بِنَا تَخِدانِ

أَلا حَبَّذا مِنْ حُبِّ عَفْراءَ مُلْتَقى ... نعامٍ وَبِرْكٍ حَيثُ يَلتقيانِ [2]

وقال أبو وجْزَةَ السعدي [3] :

لِمَنْ دِمْنةٌ بالنَّعْفِ عافٍ صَعيدُها ... تَغَيَّر باقيها وَمَحَّ جَديدُها [4]

(١) في « النوادر » قال بعض البصريين : ذكَّرَ المعْرِض ، لأنه أراد : وعفراء عني الشخص المعرض ، وقال الكوفيون : ذكَّره بناءً على التشبيه ، أراد : وعفراء عني مثل المعرض ، كما تقول العرب : عبد الله الشمسُ منيرة ، يريدون مثل الشمس في حالة إنارتها .

(٢) نعام وبرك : موضعان ، ورواية الشطر الثاني في « النوادر » : « نعم وألا لا حيث يلتقيان » قال الطوسي : أراد بقوله : « نعم وألا لا » شفتيها ، لأن الكلمتين في الشفتين تلتقيان .

(٣) هو يزيد بن عُبيد ، من بني سعد بن بكر بن هوازن ، أظآر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شاعر مجيد ، راوية للحديث ثقة ، ترجمته في « الأغاني » ١٢/٢٣٩ ، و « الشعر والشعراء » ٦٨٤ ، « والتهذيب » ١٢/٣٤٩ و « الخزانة » ٢/١٥٠ والأبيات في « الأغاني » من قصيدة يمدح بها عمرو بن زياد بن سهيل المزني .

(٤) النعف : موضع ، وأصله : ما انحدر من السفح وغلظ ، وكان فيه صعود وهبوط . عافٍ : دارس ممحو . مح : بلي .

لِسَعْدَةَ في عام الهوَيْمَةِ إذ بِنا ... تصافٍ وإذ لَمّا يَرُعْنا صُدُودُها [1]

وإذْ هِيَ أَمّا نفْسُها فأَرِيبَةٌ ... لِلَهوٍ وأَمّا عن صِباً فتذودُها

تَصَيَّدُ أَلْبابَ الرِّجالِ بدَلِّها ... وشيمَتُها وحْشِيَّةٌ لا نَصيدُها

كباسِقةِ الوَسْمِيِّ ساعَةَ أَسبَلَتْ ... تلألأَ فيها البَرْقُ وابيَضَّ جيدُها [2]

وقال الشريف المرتضى رضي الله عنه :

فإمّا شِئْتُما أنْ تُسعِداني ... فَمُرّا بي على الدِّمَنِ البَوالي [3]

خَرِسْنَ فلو مَلَكْنَ النُّطْقَ يوْماً ... شَكَوْنَ إليكَ مِنْ جَنَفِ اللَّيالي

وقال أيضاً :

فَيا دِمْنَةَ الحَيِّ الَّذينَ تَحَمَّلوا ... بَوادي الغَضا ماذا أَلَمَّ بنا مِنكِ؟ [4]

خَشَعْتِ فَلا عَيْنٌ تَراكِ لِناظِرٍ ... دُثوراً ولا نُطقٌ يُخَبِّرُنا عنكِ

وأَذْكُرُها والشَّيْبُ يَضحَكُ ثَغْرُهُ ... بلِمّاتِنا عَهْدَ الشَّبيبَةِ والفَتْكِ

(١) في « الأغاني » : « ... من عام الهزيمة ... »

(٢) الباسقة : التي فضلت غيرها من الغمام ، وطالت عليه ، والوسمي : مطر الربيع الأول ، وأسبلت : أمطرت .

(٣) ديوانه ٣/١٠٦ من قصيدة يمدح بها فخر الملك مطلعها :

ألا عوجا لمجتمع السيّال ... فثَمَّ شفاءُ ما بي من خَبالِ

(٤) ديوانه ٢/٣٧٥ . والغضا : شجر يشبه الأثل ، إلا أنه لا يعظم عظمة الأثل ، وهو من أجوده وقوداً ، وأبقاه ناراً ، والغضا : واد بنجد .

لياليَ لا حِلمٌ لذي الحِلمِ والنُّهى   هناكَ ولا نُسْكٌ يُصابُ لذي نُسْكِ

وقال لقيط بن زُرارة(١) :

لِمَنْ دِمنةٌ أَقْفَرتْ بالجَنابِ   إلى السَّفحِ بَيْنَ المَلا فالهِضابِ (٢)

بَكَيْتَ لِعِرفانِ آياتِها   وهاجَ لكَ الشَّوقَ نَعبُ الغُرابِ

وقال أشجع بن عمرو السُّلمي(٣) :

دِمَنٌ إذا استَثْبتَّ عَينكَ عهدَها   رَجَعتْ إليكَ بنظرَةِ المُتوسِّمِ (٤)

(١) هو لقيط بن زرارة بن عُدُس بن زيد بن دارم ، فارس شاعر جاهلي ، من أشراف بني زرارة ، قتل يوم جبلة ، ترجمته في « الأغاني » ١٠/٣٤ ، و« المؤتلف والمختلف » ٢٦٦ ، و« الشعر والشعراء » ٦٩٠ .

(٢) البيتان في « الأغاني » ٢٢/١٩٣ من قصيدة يعير بها بني مالك بن حنظلة .

(٣) هو أبو الوليد أشجع بن عمرو السلمي من بني سليم ، من قيس عيلان ، شاعر فحل . كان معاصراً لبشار ، مدح البرامكة ، وانقطع إلى جعفر بن يحيى ، فقربه من الرشيد ، فأعجب الرشيد به . فأثرى وحسنت حاله . ترجمته في « الأغاني » ١٨/١٤٣ و« الشعر والشعراء » ٨٥٧ ، و« تاريخ بغداد » ٧/٤٥ ، و« معاهد التنصيص » ٤/٦٢ و« الخزانة » ١/١٤٣ .

(٤) البيتان في « الاغاني » ١٨/١٥٧ من قصيدة يمدح بها ابراهيم بن عثمان بن نهيك مطلعها :

لمن المنازل مثل ظهر الأرقم   قَدُمت وعهدُ أنيسها لم يقدم

وفيه : « ... بناظر المتوهم » .

فتكت بها سَنَتانِ يعتورانها   بالعاصفاتِ وكلِّ أسحمَ مرزمِ (١)

وقال مهيار :

رحلوا بأيامي الرِّقاقِ على   آثارِهم وبعيشيَ السَّهلِ (٢)

وعكفتُ بعدَهمُ على ضمِنٍ   عرفَ البِلى فَبَلي كما يُبلي (٣)

جسدي ودمنتُه بما نحلا   يتشاكيانِ تصدُّعَ الشَّملِ

مغنىً وضعنا أمسِ من شعفٍ   سافي ثراه مواضعَ الكُحلِ (٤)

(١) في الاغاني : « تعتورانها بالمعصفات » وقد جاء ترتيب هذا البيت في « الاغاني » قبل الأول . واعتور وتعاور : بمعنى ، وتعاورت الرياح رسم الدار : تداولته ، فمرة تهب جنوباً وشمالاً ، ومرة قبولاً ، ومرة دبوراً . والأسحم : السحاب الأسود ، والمرزم من الغيث والسحاب : الذي لا ينقطع رعده .

(٢) ديوانه ٣/٢٠٧ من قصيدة يهنىء بها الوزير أبا القاسم هبة الله بن علي بن ماكولا بالنيروز مطلعها :

ما لي شَرِقتُ بماء ذي الأثلِ   هل كدَّر الوُرّادُ من قبلي ؟

(٣) في الديوان : « ... عرف الهوى ... » والضمن : المبتلى في جسده ، والمراد به هنا : الربع .

(٤) سافي ثراه : التراب المتطاير .

فصل
في ذكر الرسم

قال بشر بن أبي خازم :

عفا رَسْمٌ بِرامَةَ فالتِّلاعِ … فكُثْبانِ الحَضيرِ إلى لُقاعِ [1]

عفاها كُلُّ هطَّالٍ سَكُوبٍ … يُشَبَّهُ صَوْتَهُ صَوْتَ اليَراعِ [2]

وقَفْتُ بها أسائلُها طويلا … وما فيها مُجاوَبَةٌ لِداعِ

تحمَّلَ أهلُها منها فبانوا … فأبكَتْني المَنازِلُ للرَّواعِ [3]

وقال مزاحم بن الحارث العُقَيلي [4] :

أشاقتْكَ بالنَّقْعِ الغَداةَ رُسومُ … دَوارِسُ أدْنى عَهْدِهِنَّ قديمُ

(١) ديوانه ١٠٩ ، والأول في «معجم ما استعجم» ١١٦٠ ، والبلدان : لقاع . وقد مضى بعض أبيات من القصيدة ص : ١٧٩ .

(٢) في الأصل تحت هذا البيت : اليراع : القصب التي يصفر بها ، ويروى : صوت الرِّبَاع ، يقال : رُبَعٌ ورِباع : وهو ولد الناقة إذا كان له عشرة أيام .

(٣) جاء في الشرح : والرواع : صفة امرأة من الروع ، وهو مسحة الجمال الذي يعجب رُوع من يراه فيسره ، وجعله في « اللسان » روع : اسم امرأة ، وليس كذلك ، والدليل في البيت التالي ، إذ صرح باسم هذه المرأة .

(٤) هو مزاحم بن عمرو بن مرة بن الحارث العقيلي شاعر اسلامي ، فارس غزل ، عاصر جريراً والفرزدق ، قال ابن سلام : كان شديد أسْرِ الشِّعْرِ حُلوَه ، وكان مع رِقَّة شعره هجَّاءً وصَّافاً . ترجمته وأخباره في « الأغاني » ١٩/٢٧ و « طبقات فحول الشعراء » : ٥٨٣ ، و « الخزانة » ٣/٤٥ .

دَوارِسُ أمّا أهلُها فتحمَّلوا … فبانوا وأمّا خيْمُها فمُقيمُ

وما ذاكَ إلا من جَميعٍ تفرَّقَتْ … بِهِم نِيَّةٌ بعدَ الجِوارِ قَسيمُ

فعادوا كبُرْدِ العَصْبِ شُقَّ فأصبحوا … فمُحتمِلٌ غادٍ وظلٌّ مُقيمُ [1]

وذلكَ دَأْبٌ للنَّوى ليسَ مُخلِفي … إذا كانَ لي جارٌ عليَّ كَريمُ

وقال أبو تمام :

أما الرُّسومُ فقد أذكَرْنَ ما سلَفا … فلا تَكُفَّنَّ عن شأنيكَ أن يَكِفا [2]

لا عُذْرَ للصَّبِّ أن يَقنى السُّلُوَّ ولا … لِلدَّمعِ بعدَ مُضِيِّ الحيِّ أن يَقِفا [3]

حتّى يَظَلَّ بماءٍ سافحٍ ودَمٍ … في الرَّبْعِ يُحسَبُ مِن عَينيهِ قد رَعَفا [4]

وقال أبو نواس :

ألا لا أرى مِثلي امترى اليومَ في رَسمٍ … تَغَصُّ بهِ عَيني ويَلفِظُهُ وَهمي [5]

(١) في « اللسان » : العصب : برود يمنية ، يعصب غزلها ، أي : يجمع ويشد ، ثم يصبغ وينسج ، فيأتي موشياً لبقاء ما عصب منه أبيض ، لم يأخذه صبغ .

(٢) ديوانه ٢/٣٥٩ من قصيدة يمدح بها أبا دُلف القاسم بن عيسى العجلي . وفيه « أو يكفا » وشأنيك : تثنية شأن ، وهي مجاري الدمع ، ويروى عن شانيك .

(٣) في الديوان : « أن يقنى الحياء ... » يقنى : يدخره ويمسكه ، والقِنية من ذلك .

(٤) قال التبريزي : تقديره : حتى يظلّ هذا الصبُّ يُحسَبُ قد رعف من عينيه بماء سافح ودم ، لاختلاط الدَّمع بالدم .

(٥) ديوانه : ٥٤٢ . امترى : شك ، يلفظه : يرميه .

أَتَتْ صُوَرُ الأشياءِ بَيني وبَيْنَهُ   فَجَهْلي كَلاجَهْلٍ وعِلْمي كَلا عِلْمِ

وقال أبو عبد الله بن الخياط الدِّمشقي :

هُوَ الرَّسْمُ لَوْ أَغنى الوُقوفُ على الرَّسْمِ   هو الحَزْمُ لولا بُعْدُ عَهْدِكَ بالحَزْمِ [١]

عَشِيَّةَ جُنَّ القَلْبُ فيها جُنونَهُ   ونازَعَني شَوْقي مُنازَعَةَ الخَصْمِ

فَلَمَّا أَبى إِلَّا البُكاءَ على الأَسى   بَكَيْتُ فَما أَبقَيْتُ لِلرَّسْمِ مِن رَسْمِ

لَقَدْ وَجَدَتْ وَجْدي الدِّيارُ بِأَهلِها   ولَوْ لَمْ تَجِدْ وَجدي لِما سَقُمَتْ سُقْمي

مَنازِلُ أَدْراسٌ شَجاني نُحُولُها   فَهَلَّا شَجاها ناحِلُ القَلْبِ والجِسْمِ

سَقاها الحَيا قَبْلي فَلَمَّا سَقَيْتُها   دُموعي رَأَتْ فَضْلَ الوَلِيِّ على الوَسْمِي [٢]

وقال العَرْجي [٣] :

أَفي رَسْمِ دارٍ دَمْعُكَ المُتَحَدِّرُ   سَفاهاً ؟ وما اسْتِنطاقُ ما لَيسَ يُخْبِرُ [٤]

تَغَيَّرَ ذاكَ الرَّسْمُ مِن بعدِ جِدَّةٍ   وكُلُّ جَديدٍ مَرَّةً يَتَغَيَّرُ [٥]

---

(١) ديوانه : ٢٢٥ من قصيدة يمدح بها تاج الملوك أبا صعيد بوري ابن ظهير الدين أتابك .

(٢) الولي : المطر يأتي بعد الوسمي ، والوسمي : مطر الربيع الأول ، لأنه يسم الأرض بالنبات ، نسب إلى الوسم .

(٣) هو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان الأموي القرشي ، كان من شعراء قريش ، وممن شُهِرَ بالغزل منها ، ونحا نحو عمر بن أبي ربيعة في ذلك وتشبه به فأجاد . وكان من الفرسان المعدودين مع مسلمة بن عبد الملك بأرض الروم ، وكان له معه بلاء حسن ، ونفقة كثيرة ، توفي سنة ١٢٠ هـ .

(٤) ديوانه : ٨٩ ، وبعد هذا البيت :

بِمُجتَمَعِ الرَّضمَيْنِ غَيَّرَه البِلى   ونكباءُ تُزجي خارجَ المور صرصر

وأسحمُ رجَّافٌ من الدلوِ مُرزِمٌ   جَرورٌ إذا ما رجّه الرَّعدُ مُمطِرُ

(٥) في الديوان : « ... ذاك الربع ... ... متغير »

وقال البحتري :

أَرُسومُ دارٍ أَمْ سُطورُ كِتابِ   دَرَسَتْ بَشاشَتُها مع الأَحْقابِ [١]

يَجتازُ زائِرُها بِغَيرِ لُبانَةٍ   ويُرَدُّ سائِلُها بِغَيرِ جَوابِ [٢]

ولَرُبَّما كانَ الزَّمانُ مُحَبَّباً   فينا بِمَنْ فيها مِنَ الأَحبابِ

وقال زهير بن أبي سُلمى المزني :

هاجَ الفُؤادَ مَعارِفُ الرَّسْمِ   قَفْراً بِذي الهَضَباتِ كالوَشْمِ [٢]

---

(١) ديوانه : ١/٢٩٤ من قصيدة يمدح بها أبا الخطاب الطائي ، وفي « الموازنة » : على الأحقاب . قال الآمدي : أي : على مرّ السنين .

(٢) قال الآمدي : قوله : « يجتاز زائرها بغير لبانة » أي : إذا عرّج عليها زائرها في اجتيازه بها فانه يجتاز ، أي : يجوزها، ويمضي بغير حاجة قضيت له . وأراد : ينصرف عنها زائرها بغير لبانة ، فجعل في موضع « ينصرف » ، « يجتاز » .

(٣) ديوانه : ٣٨٢ . معارفه : علاماته ، والرسم : الأثر ، والهضبات : جبال في هذه المواضع ، شبه آثار الرسم بالوشم ، وهو ما تشمه الجواري على معاصمهن. وفي الديوان بعد البيت

تعتادُه عينٌ مُلَمَّعةٌ   تُزجي جآذِرَها مع الأدم

القفرُ يعطفها أقبُّ ترى   نسفاً بليتَيْه من الكدْم

في عانة بذل العِهادُ لها   وسميَّ غيثٍ صادق النَّجم

فاعتمَّ وافتخرت زواخره   بتهاول كتهاول الرَّقم

ولقدْ أراهَا والُحلولُ بهـا ... مِن بَعْدِ صِرْمٍ أيَّما صِرْمِ [١]

فَاستأْثَر الدَّهرُ الغَداةَ بهِم ... والدَّهـرُ يَرْميني ولا أرْمي

لَوْ كان لي قِرْناً أُناضِلُهُ ... ماطاشَ عِنْدَ حَفيظَةٍ سَهمي

أَوْ كانَ يُعْطي النَّصْفَ قُلْتُ لَهُ ... أَحرزْتَ قِسْمَكَ فالْهُ عن قِسْمي [٢]

وقال الصِّمَّة القشيري[٣] :

خليليَّ عُوجا مِنْكُما اليومَ أوْدعا ... تُحَيِّي رُسُوماً بالقبيبة بلْقَعا

أَربَّتْ بها الأرْواحُ حتّى تَنَسَّفَتْ ... معارِفُها إلّا الصَّفيحَ الموضَّعا

وغيْرَ ثلاثٍ في الدِّيارِ كأنَّها ... ثلاثُ حَماماتٍ تقابلْن وُقَّعا

بَكَتْ عَيْنِيَ اليُسْرى فلمَّا زَجَرْتها ... عَنِ الجَهلِ بعدَ الِحلْمِ أَسْبَلَتا معا

كان الصِّمة أعور ، فيقول : إنه بكى بعينه الصحيحة ، فلما زجرها » أي : كفكفها ، فاضت العين التالفة .

---

(١) الحلول : جمع حال ، يقـــال : رجل حال من قوم حلول . والصرم ، بالكسر : الأبيـــات المجتمعة المتقطعة من الناس ، أو الجماعة من ذلك ، أو الفرقة من الناس ليسوا بالكثير ؛ والجمع أصرام وأصاريم . وبعد البيت

عكَراً إذا ما راح سِربُهُمُ ... وثَنَوْا عُروج قَنابل دُهْمْ

(٢) النصف كالنصفة بمعنى الانصاف ، أي : لو كان ينصفني .

(٣) هو الصِّمة بن عبد الله بن الطفيل بن قرة من بني قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، شاعر إسلامي بدويّ مقل من شعراء الدولة الأموية . والأبيات في « الطرائف » ٧٧ عدا البيت الأول .

وقال جرير بن عطية :

أَقولُ لِصُحْبَتي لَمَّا ارْتحلْنا ... ودَمْعُ العَيْنِ مُنْهَمِرٌ سِجَامُ [١]

أَتمضُونَ الرُّسومَ ولا تُحَيَّا ... كلامُكُم عليَّ إذاً حرامُ [٢]

مَقامُ الحيِّ مرَّ لهُ ثَمانٍ ... إلى عشرينَ قدْ بلي الُمقامُ

تعالي فوقَ أجْرعِكَ الُخزامى ... بنَوْرٍ واستهَلَّ بكِ الغَمامُ

وقال البحتري :

ماعلى الرَّكْبِ من وُقوفِ الرِّكابِ ... في مَغاني الصِّبى ورَسْمِ التَّصابي [٣]

أينَ أهلُ القِبابِ بالأجْرَعِ الفرْ ... دِ تَوَلَّوْا ؟ لا أينَ أهلُ القِبابِ [٤]

عَرِّجُوا، فالدُّموعُ إنْ أبكِ في الرَّسْ ... مِ دُموعي والاكتئابُ اكتئابي

وكَمِثْلِ الأحبابِ ـ لو يعلَمُ العا ... ذِلُ ـ عندي منازِلُ الأحبابِ

---

(١) ديوانه : ٥١٢ ، والأول والثاني في « شواهد المغني » ١٠٧ .

(٢) في شرح شواهد المغني : « تمرون الدِّيارَ ولم تعوجوا » وقال : قال المصنف في شواهده : هكذا أنشده الكوفيون ، وأنشده بعضهم : « أتمضون الرسوم ولا تحيَّا » وفيه أيضاً حذف الجار ، والتقدير : أتمضون عن الرسوم . وروى النحاس عن بلال بن جرير قال : انما قال جدي : « مررتم بالديار » .

(٣) ديوانه : ٨٣/١ من قصيدة يمدح بها أبا القاسم اسماعيل بن شهـــاب كاتب قاضي أحمد بن أبي دواد . والتصابي : التفاعل من صبا يصبو: إذا اشتاق ، وإذا فعل فعل الصبي .

(٤) الأجرع الفرد : ذكره ياقوت بالتثنية ، وقال : إنه موضع باليمامة ، وبعد البيت .

سَقَمٌ دون أعينٍ ذاتِ سُقْمٍ ... وعذاب دون الثنـــايا العِذابِ

وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي :

أَمِنْ رَسْمِ دارٍ دَمعُكَ المترقرقُ   ***   سَفاهاً ؟ وما استنطاقُ ما ليس يَنْطِقُ [١]

بِحَيْثُ التقى جَمْعٌ ومَفْضَى مُحَسِّرٍ   ***   معالِمُهُ كادَتْ على العَهْدِ تَخْلَقُ [٢]

ذَكَرتُ بها ما قد مَضى وتذكُّرُ الـ   ***   ـحَبيبِ ورَسْمُ الدَّارِ مِمَّا يُشَوِّقُ

ليالِيَ من دهرٍ إذِ الحيُّ جيرةٌ   ***   وإذْ هوَ مأهُولُ الخَمِيلَةِ مُونِقُ [٣]

وقال كُثَيِّر بن عبد الرحمن الخزاعي :

أَمِنْ آلِ سَلْمَى الرَّسمُ أنتَ مُسائِلُ   ***   نَعَمْ والمغاني قَدْ دَرَسْنَ مَواثِلُ

فظلْتَ بها تُغْضِي على حرِّ عَبْرَةٍ   ***   كأنَّكَ مِنْ تَجْرِيبِكَ الدَّهرَ جاهِلُ

وَقَدْ كانَ ما فِيهِ لِذي اللُّبِّ عِبْرَةٌ   ***   ورأيٌ لِذي رأيٍ فهلْ أنتَ عاقِلُ

تذكُّرُ إخواناً مَضَوْا فتتابعُوا   ***   وشَيْبٌ علا مِنْكَ المَفارِقَ شامِلُ

وقال ذو الرُّمَّة :

أَهاجَتْكَ أَطْلالُ الرُّسُومِ الدَّواثِرِ   ***   بأَدْعاصِ حَوْضى المُعْتِقاتِ النَّوادِرِ [٤]

(١) ديوانه : ٤٥٤ .

(٢) في الديوان : « وأقصى محسر » وجمع ، بفتح الجيم وسكون الميم : هو المزدلفة ، سمي جمعاً لاجتماع الناس فيه أيام الحج ، ومحسر : موضع بين منى والمزدلفة ، وهو واد برأسه.

(٣) مأهول : عامر بالأهل ، والخميلة : الموضع الكثير الشجر ، ومونق : معجب .

(٤) ديوانه : ٣٧٢ ، وفيه : « أشاقتك أخلاق . . . » والأدعاص : جمع دعص ، وهو كثيب الرمل ، وحوضى : موضع في ديار بني قشير ، والمعنقات : التي لها أعناق متقدمة يعني الأدعاص ، والنوادر : النادرة .

نَعَمْ هاجَتِ الأَطْلالُ شَوْقاً كفى به   ***   مِنَ الشَّوْقِ إلا أنه غَيْرُ ظاهِرِ

فما زِلْتُ أطوي النَّفْسَ حتَّى كأنَّها   ***   بذي الرِّمْثِ لم تَخْطُرْ على بالِ خاطِرِ [١]

حياءً وإشفاقاً من الرَّكْبِ أن يَرَوْا   ***   دليلاً على مُسْتَوْدَعاتِ الضَّمائِرِ

وقال مهيار :

ورُبَّ رَسْمٍ ماثلٍ   ***   أعجمَ ثُمَّ بيَّنا [٢]

وقالَ مِنْ هُنا طَلَعْـ   ***   ـنَ وغَرَبْنَ مِنْ هُنا

يا بأَبي المَسْكُونُ لَوْ   ***   أَنِّي وَجَدْتُ السَّكَنا

قالُوا النَّوى تَسْمِيَةٌ   ***   والمَوْتُ يعني مَنْ عَنى

مَنِ اشتكى أَشْجانَهُ   ***   فما أَجَنَّ الشَّجَنا

لَمْ يَتْرُكِ الغادُونَ لي   ***   قَلْباً يُجِنُّ الحَزَنا

كانَ فُؤادي وَهُمُ   ***   فَظَعَنُوا وظَعَنا

وقال المرتضى رضي الله عنه :

ما بَالُ رَسْمٍ بِكَثِيبِ الحِمَى   ***   عُطْلاً بلا شاءٍ وَلا جامِلِ ؟ [٣]

(١) أطوي النفس : أضمرها على شيء من حبّ ميّة ، وقوله : بذي الرمث : أي : المكان الذي جمعهم فيه المرتبع .

(٢) ديوانه : ٤/١٤٢ من قصيدة كتب بها إلى كمال الملك أبي المعالي يهنئه بالنيروز مطلعها :

أين ظباءُ المنحني   ***   سوالفاً وأعينا

(٣) ديوانه : ٣/١٠٤ من قصيدة يمدح بها فخر الدولة ، وفيه : « ما بال حقف . . . اللوى . . . » والحقف : ما اعوج واستدق من الرمل .

حالَتْ مَغَانِيْهِ ووَجْدي بِهِ   غَضٌّ جَدِيْدٌ لَيس بالحَائِلِ
لَوْ أبصَرَتْنِي نَاحِلاً عَينُهُ   لاسْتأنَسَ النَّاحِلُ بالنَّاحِلِ

وقال القاضي الجليس أبو المعالي عبد العزيز بن الحسين المعروف بابن الحبَّاب [1] :

أجِدَّكَ لا تَرَاكَ العَينُ تُذرِيْ   عَقِيقاً كُلَّما لاحَ العَقِيقُ [2]
سَقَى رَمْلَ الحِمَى ورُسُومَ مَغنَى الـ   ـلِّوى هَزِجٌ يَرُوقُ بما يُرِيقُ [3]
فَيَكْسُو عَاطِلَ الهَضَبَاتِ رَوْضاً   لَهُ مِنْ زَهرِهِ حَلْيٌ أنِيقُ
أرَاقَ الطَّلُّ مَدْمَعَهُ عَلَيْهِ   وَشَقَّ جُيُوبَه فِيهِ الشَّقِيقُ

وقلت :

وقفتُ على رسمٍ ببيْدَاءَ بَلْقَعِ   خَلِيٍّ مِنَ النَّادِي صَمُوتٍ إذا دُعِي [4]

---

(١) هو شاعر أديب من أهل مصر ، وتوفي بالقاهرة ، قال العماد في « الخريدة » كان أوحد عصره في مصره نظماً ونثراً وترسلاً وشعراً . ولي ديوان الانشاء في أيام الفائز ، وعرف بالجليس لمجالسته الخلفاء من بنى عبيد . ترجمته في « خريدة العصر » ١/١٨٩ ، و « فوات الوفيات » ١/٥٧٧ ، و « الروضتين » ١/١٤١ .

(٢) أجدك : معناه : أبجد هذا منك ؟ وهو نصب على المصدر .

(٣) في « الأساس » ومن المجاز : سحاب هزج بالرعد ، وسمعت هزج الرعد والعود .

(٤) ديوانه : ٣٠١ ، والبلقع : الأرض القفر .

نَبَتْ عَنْهُ عَيْني ثُمَّ قال لَها البِلَى   هي الدَّارُ فاذْرِي مِنْ دُموعِك أوْدَعِي [1]
ولا تُنْكِرَنْ للدَّهْرِ إخْلاقَ جِدَّةٍ   وتَشتيتَ أُلَّافٍ ، وإيحاشَ مَجْمَعِ [2]
فَلِلْمَوْتِ سُكَّانُ الدِّيارِ ، ولِلبلَى   مَنَازِلُهُم ، وشَمْلُهُمْ لِلتَصَدُّعِ
فصبراً فإن رَدَّ التَّفجعِ والأَسى   عليكَ الَّذي وَلَّى مِنَ الأَمرِ فاجْزَعِ [3]

وقال الشَّماخُ بنُ ضِرار [4] :

طَالَ الثَّوَاءُ عَلى رَسْمٍ بِتَمْؤُودِ   أَوْدى وَكُلُّ جَدِيدٍ مَرَّةً مُودي [5]

---

(١) في الديوان : « . . . ثم قال لها الهوى . . . فاستمري شؤونك وادمعي » ومرى الشيء : استخرجه . والشؤون : الدموع .

(٢) في الديوان : « ولا تنكري . . . »

(٣) رواية البيت في الديوان :

فصبراً فان عزت نوائب دهرنا   وأحداثه حُسْنَ التصبُّر فاجزع

(٤) هو الشماخ بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الذبياني الغطفاني ، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام ، جعله ابن سلام في الطبقة الثالثة ، وقرنه بالنابغة ولبيد وأبي ذؤيب ووصفه بقوله : كان شديد متون الشعر ، أشد أسر كلام من لبيد ، وفيه كزازة ، ولبيد أسهل منه منطقاً . شهد القادسية . ترجمته في « الاصابة » ٢/١٥١ ، و « الأغاني » ٩/١٥٨ ، و « طبقات فحول الشعراء » ١١٠ ، و « الخزانة » ١/٥٢٦ .

(٥) ديوانه : ٢١ ، و « معجم البلدان » ٨/٥٢٥ من قصيدة يهجو بها الربيع بن علباء السلمي وفيها « يمؤود » بالياء . قال ياقوت : هو واد لغطفان ، وقال البكري : هي حساء بأعلى الرمة لبني مرة وأشجع ، وأنشد البيت . وموْد : اسم فاعل من أودى ، أي : هلك .

دارَ الفَتاةِ الَّتي كُنَّا نَقولُ لَها   يا ظَبْيَةً عُطْلاً حُسَّانَةَ الجِيْدِ [١]

وقال البحتري :

ولَقَدْ نَهَيْتُ الدَّمعَ يَوْمَ سُوَيْقَةٍ   فأبَتْ غَوالِبُ عَبْرَةٍ ما تُغْلَبُ [٢]

عَفَتِ الرُّسُومُ وَما عَفَتْ أحشاؤهُ   مِنْ عَهْدِ شَوقٍ ما يَزُولُ فَيَذْهَبُ [٣]

وَلَوْ أنَّني أنْصَفْتُ في حُكْمِ الهَوَى   ما شِمْتُ بارِقَةً وَرَأْسِي أشْيَبُ

وقال أبو العتاهية :

سَلِ الأيَّامَ عَنْ أُمَمٍ تَقَضَّتْ   سَتُخْبِرُكَ المَعالِمُ وَالرُّسُومُ [٤]

تَنامُ وَلَمْ تَنَمْ عَنْكَ المَنايا   تَنَبَّهْ لِلْمَنِيَّةِ يا نَؤُومُ

تَرُومُ الخُلْدَ في دارِ المَنايا   وَكَمْ قَدْ رامَ قَبْلَكَ ما تَرُومُ

ألا يا أيُّها المَلِكُ المُرَجَّى   عَلَيْكَ نَواهِضُ الدُّنيا تَحُومُ

لأمْرٍ ما تَصَرَّفَتِ اللَّيالِي   وَأَمْرٍ ما تَقَلَّبَتِ النُّجُومُ [٥]

---

(١) العطل : التي لا حلي عليها ، فان كان ذلك عادة لها ، فهي معطال .

(٢) ديوانه : ١/٧٢ من قصيدة يمدح بها اسحاق بن ابراهيم المصعبي مطلعها :

عارَضْنَنَا أُصُلاً فَقُلْنا الرَّبْرَبُ   حتى أضاءَ الأُقحوانُ الأشْنَبُ

(٣) في الديوان : « ... ما يحول فيذهب ».

(٤) ديوانه : ٣٥٥ عدا البيت الرابع مع اختلاف في الترتيب .

(٥) في الديوان : « تُوُليت النجوم » بالبناء للمجهول ، أي : تولاها الله فتطلع ثم تغيب بتأثير قدرته .

فصل آخر
في ذكر الرسم

قال مالكُ بنُ مُعاوِيَةَ بن سَلَمَةَ القُشَيْري :

تَذَكَّرْتَ مِنْ سَلْمى وَذُو الشَّوْقِ ذاكِرُ   وَحاجَةُ مَنْ لَمْ تُقْضَ داءٌ مُخامِرُ

تَذَكُّرُ ذي شَوْقٍ وَهاجَ صَبابَةً   حِبالُ سُلَيْمى وَالرُّسُومُ الدَّواثِرُ

بِجَوٍّ كأنْ لَمْ تَحْتَلِلْهُ وَلَمْ يَكُنْ   لأهْلِكَ مَبْدًى حَوْلَهُ وَمَحاضِرُ

وقال كعب بن مشهور المخبلي [١] :

فَقُولا لِباقي رَسْمِ مَيْلاءَ بِاللِّوَى   لِوَى الهَضْبِ بَيْنَ المَغْرِ والمُتَخَرَّمِ

عَلَيْكَ سَلامٌ أيُّها الرَّسْمُ بِاللِّوى   وَحُيِّيتَ مَسْؤُولاً وَإنْ لَمْ تَكَلَّمِ

بِما كُنْتَ إذْ مَيْلاءُ مَيْلاءُ وَالهَوى   جَمِيعٌ وَشَعْبُ الدَّارِ لَمْ يَتَقَسَّمِ

كَما يَتَمَنَّى مَنْ تَمَنَّى وَلا أرى   دَواماً مِنَ الدُّنْيا لِحَيٍّ بِأَنْعُمِ

---

(١) في هامش « معجم الشعراء » للمرزباني ٢٣٧ نقلاً عن الأصل المخطوط ما نصه : قال الهجري في « نوادره » : أنشدني جماعة من خثعم لكعب بن مشهور المخبلي من جليحة خثعم صاحب ميلاء ، ثم أنشد بيتاً لعله مطلع الأبيات التي أنشدها المؤلف وهو :

خليليّ والراقي عن العرض قابل   لذي البثّ من أشياعه المتلوّمِ

وفي «تزيين الأسواق» هو أبو خثعم كعب بن مالك أو عبد الله أو خثعم ابن أبي رباح ابن ضمرة الطائي من شعراء العصر الأموي ، من أهل الحجاز ، كان ممن اشتهروا بالعشق ، وصاحبته ميلاء .

فإنْ يَخلُ مِنْ مَيْلاءَ رَبعٌ فما خَلا … بناتُ الهَوى مِنْ حُبِّها المُتَقَدِّمِ

صَحا مَنْ تَصابَى مِنْ لِداتي وَحُبُّها … شَريكُ المَنايا خِيضَ في اللَّحْمِ والدَّمِ

وقال البحتري :

عَجَباً لِهَجْرِكِ قَبْلَ تَشتيتِ النَّوى … مِنّا وَوَصْلُكِ في التَّنائي أعْجَبُ [1]

أنّى اهتَدَيْتِ وَما اهْتَدَيْتِ لِمَعْمَدٍ … مِنْ لَيلِ عانَةَ والثُّرَيّا تَجْنَبُ [2]

عَفَتِ الرُّسومُ وَما عَفَتْ أحْشاؤه … مِنْ عَهْدِ شَوْقٍ ما يَحُولُ فَيَذْهَبُ

وقال أبو دُواد الإيادي [3] :

أمِنْ رَسْمٍ تَعَفّى أوْ رَمادِ … وَسُحْمٍ كالحَماماتِ الفِرادِ [4]

(١) ديوانه : ١/٧٣ ، و « طيف الخيال» : ٧١ وقد تقدم ص ٢٢ البيت الثالث وبيتان آخران من القصيدة .

(٢) في الديوان : « كيف اهتديت . . . لمغمدٍ في ليل . . . » تجنب : تدخل في الجنوب ، وعانة : قال ياقوت إنها بلد مشهور بين الرقة وهيت تعد من أعمال الجزيرة وهي مشرفة على الفرات .

(٣) هو جارية بن الحجاج الايادي ، شاعر قديم من شعراء الجاهلية ، كان من وصاف الخيل المجيدين ، وأكثر شعره في وصفها ، وله في غير وصفها تصرف بين مدح وفخر وغير ذلك . ترجمته وأخباره في « الأغاني » ١٦/٢٩٤ ، و « الشعر والشعراء » ١٨٩ ، و « المؤتلف والمختلف » ١٦٦، و« سمط اللآلي » ٨٧٩ ، و« الخزانة »٤/١٩٠ .

(٤) الأبيات عدا الأول لم تذكر في « شعر أبي دواد » الذي جمعه غوستاف فون غرنبادم ، فتستدرك من هنا .

أطاعَتْكَ الشُّؤونُ فظَلْتَ صَبّاً … كأنَّ وَكيفَها وَهْيُ المَزادِ

وَهلْ يَشْتاقُ مِثْلُكَ في دِيارٍ … عَفَتْها الرِّيحُ والدِّيَمُ الغَوادي

ذَكَرْتَ بها سُعادَ فعُجْتَ جَهْلاً … على رَسْمٍ تُسائِلُ عَنْ سُعادِ

وقال ربيعة بن مقروم الضبي :

أمِنْ آلِ هِنْدٍ بالشُّرَيْفِ رُسُومُ … دَوارِسُ مِنْها حادِثٌ وَقَديمُ [1]

مَحَتْها رِياحُ الصَّيفِ بَعْدَكَ والبِلَى … وَأسْحَمُ رَجّافُ العَشِيِّ سَجُومُ

عَهِدْتَ بها هِنْداً وَهِنْدٌ غَريرَةٌ … عَنِ الفُحْشِ بَلْهاءُ العَشِيِّ نَؤُومُ

فَشَطَّتْ نَوىً عَنْكَ الدِّيارُ وأصْبَحَتْ … مَناصِبُ رَضْوى دُونَها وَيَسُومُ [2]

وقال الأخطل :

تَغَيَّرَ الرَّسْمُ مِنْ سَلْمى بأجْفارِ … وأقْفَرَتْ مِنْ سُلَيْمى دِمْنَةُ الدّارِ [3]

وَقدْ تَكُونُ بها سَلْمى تُحَدِّثُني … تَساقُطَ الحَلْيِ حاجاتي وَأوْطاري [4]

ثُمَّ اسْتَمَرَّ بسَلْمى نِيَّةٌ قَذَفٌ … وَسَيْرُ مُنْقَضِبِ الأقْرانِ مِغْيارِ [5]

(١) الشريف : ماء لبني نمير ، وموضع بنجد ، قاله البكري .

(٢) يسوم : على وزن المضارع اسم جبل .

(٣) ديوانه : ١١٢ من قصيدة يمدح بها يزيد بن معاوية . والأول والثاني في الأغاني ٨/٢٩٣ وتأبد الربع ، أي : توحش وفيها: « بأحفار » بالحاء . والأحفار :موضع في بلاد بني تغلب .

(٤) في « الأغاني » : « وقد تحل بها سلمى تجاذبني » وقوله « تساقط الحلي » أي : يتساقط تساقط الجوهر ، وتساقطه : تتابعه .

(٥) في الديوان : « استبد » واستبد الأمر بفلان:إذا غلبه فلم يقدر ضبطه . والنية—

كَأنَّ قلْبي غداةَ البَيْنِ مُنْقَسِمٌ   طارَتْ بهِ عُصَبٌ شتَّى لِأَمْصَار [١]

وَلوْ تلُفُّ النَّوَى مَنْ قدْ تشَوَّقَهُ   إذاً قَضَيْتُ لُبَاناتي وَأسْرَاري [٢]

وقال النابغة الذبياني :

أرَسْماً جديداً منْ سُعَادٍ تَجَنَّبُ   عفَتْ رَوْضَةُ الأَجْدادِ منْهَا فيَثْقَبُ [٣]

عَفا آيَهُ ريحُ الجنوبِ مَعَ الصَّبا   وأسْحَمُ دانٍ مزنُه مُتصوِّبُ [٤]

ـ والطِّيَة واحد ، والقذف : البعد ، ونية قذف : أي : تتقاذف بمن يسلكها . والمنقضب : المنقطع ، وفي الشرح « المغيار » من الغيرة ، ويروى « المغوار » من الغور ، وفيه : أي : سير بعير انقطع عن أصحابه فهمَّ في اللحاق ، وذلك أدعى لسيره .

(١) في الديوان : « مُقْتَسَم » .

(٢) في الديوان « لباناتي وأوطاري » وبعد البيت :

ظلَّت ظباء بني البكَّاء ترصده   حتى اقتنَصْن على بُعْدٍ وإضرار

وفي الشرح : ضمير الفاعل في تشوقه وضمير المفعول في ترصده يرجعان إلى القلب ، والمعنى : لو كانت النوى تجمع بيني وبين من يشتاقه قلبي ، لفزت بقضاء مُنيتي وحاجتي .

(٣) ديوانه : ٣١ بشرح ابن السكيت ، من قصيدة يعتذر بها إلى النعمان بن المنذر . قال يعقوب : الأجداد : خلائق تكون فيها المياه ، أو آبار من ماء حفرت زمن عاد ، والخليقة والجد والقليب : واحد . ويثقب : أرض . جديد : دارس مجدود ، مثل قتيل ومقتول .

(٤) قال ابن السكيت : آيه : علامته ، وأسحم : سحاب أسود ، دان : قريب ، مزنه : مطره ، والمتصوب : المتدلي القريب من الأرض ، ويروى « عفا آيه نسج الجنوب » .

عَهِدْتُ بها سُعْدَى وفي العَيْشِ غرَّة   فَأَصبح باقي وُدِّهَا يَتَقَضَّبُ [١]

وَقَدْ غَنِيَتْ سُعْدَى تُثِيبُ بِوُدِّهَا   لَيَاليَ لا يُسْطَاعُ مِنْها التَّجَنُّبُ [٢]

وقال نافذ بن عطارد [٣] :

أَلا أَيُّها الرَّسْمُ المُحِيلُ أَلَمْ تَكُنْ   بكَ الأَنسُ الرَّاضُونَ والخَيْلُ رُوَّدَا [٤]

وبيضُ العذارَى في جَميع كأنَّها   نِعاجُ المَلا يَلْبَسْنَ رَيْطاً ومجْسَدَا

فإنِّي وتَهْيامي بِهِنَّ لكالّذي   إذا نَالَ مِنْ صَدَّاءَ شرْباً تَرَدَّدا

فإنْ كُنْتَ ذا عقْلٍ فأَقْصِرْ عَنِ الصِّبَى   وَلا تُتْبِعَنْ عَيْنَيْكَ شَعْباً تَبَدَّدَا

وقال جميل بن معمر :

أَهَاجَكَ أَمْ لا بالتَّنَاصُفِ مَرْبَعُ   وَرَسْمٌ بأَجْزَاعِ الغَدِيرَيْنِ بَلْقَعُ [٥]

(١) غرة العيش : أيام الشباب ، إذ هو غِرٌّ لم تحنكه التجارب ، يتقضب : يتقطع .

(٢) رواية البيت في الديوان .

ديارُهُم إذْ هُمْ لِأهلكَ جيرَةٌ   وإذ هي لا يسطاع منها التجنُّب

قال ابن السكيت : ديارهم : يعني ديار حي سعاد ، يقول : لا يقدر على مفارقتها ومباينتها ، والتجنب : التباعد .

(٣) ذكره القالي في « ذيل الأمالي » ١٠٣ ، وأنشد له خمسة أبيات ، ولم يرد له ذكر في كتب التراجم التي بين أيدينا .

(٤) الأنس : سكان الدار .

(٥) ديوانه : ١١٧ ، و « الخزانة » ٣/٦٢٥ . والتناصف : موضع بالبادية قاله ياقوت ، وفي الديوان « بالمداخل » وفي « الخزانة » : بالتناضب ، والأجزاع : جمع ـ

دِيَارٌ لِلَيلَى إذْ نَحُلُّ بِهَا مَعاً ... وَإذْ نَحنُ منها في المَوَدَّةِ نَطْمَعُ

فإنْ تَكُ قَدْ شَطَّتْ نَوَاهَا وإنْ نَأَتْ ... فإنَّ النَّوى مِمَّا تُشِتُّ وَتَجْمَعُ (١)

وقال كثير :

لِعَزَّةَ مِنْ أيَّامِ ذِي الغُصْنِ هَاجَنِي ... بِضَاحِي قَرَارِ الرَّوْضَتَيْنِ رُسُومُ (٢)

هِيَ الدَّارُ وَحْشاً غَيْرَ أنْ قَدْ يَحُلُّهَا ... وَيَغْنَى بِهَا شَخْصٌ عَلَيَّ كَرِيمُ (٣)

سَأَلْتُ حَكِيماً أيْنَ شَطَّتْ بِهَا النَّوى ... فَخَبَّرَنِي مَا لَا أُحِبُّ حَكِيمُ (٤)

تَمُرُّ السِّنُونَ المَاضِيَاتُ وَلَا أَرَى ... بِصَحْنِ الشَّبَا أَطْلَالَهُنَّ تَرِيمُ (٥)

—جزع ، وهو من الوادي حيث تقطعه أو منعطفه ، أو منحناه أو جانبه ، أو ما اتسع من مضايقه أنبت أو لم ينبت . وفي الديوان : « ودار بأجراع الغديرين » والأجراع : جمع جرع وهي الرملة المستوية لا تنبت شيئاً .

(١) في الديوان : « وإن تك قد شطت نواها ودارها » .

(٢) ديوانه : ١٨٥/١ ، و « الأغاني » ١٨٨/١٢ عدا البيت الأخير وهو في معجم البلدان : ٢٢٥/٥ ويريد بقوله « الروضتين » روضة آجام وروضة الدبوب ، قال ابن حبيب : روضة آجام وروضة الدبوب متقاربتان ، قال ذلك في قول كثير وأنشد البيت . . . وقال أيضاً : روضة آجام : هي من جانب ثافل ، وثافل جبلان بتهامة لبني ضمرة . . .

(٣) قوله : « يغنى بها شخص » يعني : صاحبته عزة .

(٤) حكيم هذا : هو أبو السائب بن حكيم راوية كثير .

(٥) في معجم البلدان « السنون الخاليات . . . » والشبا ، بوزن العصا : واد بالأثيل من أعراض المدينة فيه عين يقال لها : خيف الشبا .

وقال ذو الرمة :

أَحَادِرَةٌ دُمُوعَكَ دَارُ مَيٍّ ... وَهَائِجَةٌ صَبَابَتَكَ الرُّسُومُ ؟ (١)

عَفَتْ وَعُهُودُهَا مُتَقَادِمَاتٌ ... وَقَدْ يَبْقَى لَكَ العَهْدُ القَدِيمُ (٢)

وَقَدْ يُمْسِي الجَمِيعُ أولو المَحَاوِي ... بِهَا المُتَجَاوِرُ الحِلَلِ المُقِيمُ (٣)

وقال آخر :

لَمْ يَبْقَ بَعْدَكُمُ رَسْمٌ وَلَا طَلَلُ ... إلَّا وَلِلْبَيْنِ فِي تَغْيِيرِهِ عَمَلُ

غِبْتُمْ فَأَوْحَشْتُمُ الدُّنْيَا لِغَيْبَتِكُمْ ... فَالْيَوْمَ لَا عِوَضٌ مِنْكُمْ وَلَا بَدَلُ

حَمَّلْتُمُونِي عَلَى ضَعْفِي بِفُرْقَتِكُمْ ... مَا لَيْسَ يَحْمِلُهُ سَهْلٌ وَلَا جَبَلُ

إذَا شَمِمْتُ نَسِيماً مِنْ دِيَارِكُمُ ... عَدِمْتُ عَقْلِي كَأَنِّي شَارِبٌ ثَمِلُ

---

(١) ديوانه : ٦٧٠ وفيه بعد هذا البيت :

نَعَمْ سَرِباً كما نَضَحَتْ فريٌّ ... أو الخَلَقُ المبينُ بها الهُزُومُ

بها عُفْرُ الظباءِ لها نَزِيبٌ ... وآجالٌ ملاطِمُهُنَّ شِيْمُ

كأن بلادَهُنَّ سماءُ ليلٍ ... تَكَشَّفَ عن كواكبها الغُيُومُ

(٢) روى أبو عمرو : وقد يسفى بك العهد القديم . وقال : إذا أساء إليه فقد أسفى به .

(٣) الجميع : المجتمعون ، والمحاوي : الأبيات ، الواحد : محوى ، والحلل : جمع حلّة وهو الموضع الذي يحلّونه ، أراد : وقد يمسي المتجاور الحلل فأضاف ، ويجوز نصب الحلل ، كما يقال : الحسن الوجه ، فنصب على التشبيه بالمفعول .

وقال البحتري :

أَصبَا الْأَصائِل إِنَّ بُرْقَةَ ثَهمدِ   تَشْكُو اخْتِلافكِ بالهُبوبِ السَّرْمدِ [١]

لا تُتْعِبِي عَرَصاتِها إِنَّ الْهَوَى   مُلْقىً على تِلْكَ الرُّسُومِ الهُمَّدِ [٢]

دِمَنٌ مواثِلُ كالنُّجُومِ فإِنْ عَفَتْ   فَبِأَيِّ نَجْمٍ في الصَّبَابَةِ نَهْتَدِي!

وقال أيضاً :

وَلَقَدْ وَقَفْتُ على الرُّسُومِ فلَمْ أَجِدْ   عَتْباً على سَكْبِ الدُّمُوعِ الذُّرَّفِ [٢]

وَسَأَلْتُهَا حِينَ انْجَذَبْتُ، فلَمْ تُصِخْ   فِيهِ لِدَعْوَةِ عَاشِقٍ مُسْتَوقِفِ

دِمَنٌ جَنَيْتُ بِهَا الهَوى مِن غُصْنِهِ   وَسَحَبْتُ فيها اللَّهْوَ سَحْبَ المِطْرَفِ

فلأُجرِيَنَّ الدَّمعَ إِذْ لَمْ تُجْرِهِ   وَلأَعرِفَنَّ الوَجْدَ إِنْ لَمْ تَعْرِفِ

وقال ذو الرمة :

أَلا حَيِّ بالزُّرْقِ الرُّسُومَ الخَواليا   وإِنْ لَمْ تَكُنْ إِلا رَمِيماً بَوَالِيَا [٤]

---

(١) ديوانه : ١/٥٤٤ و « الموازنة » ١/٤٧٠ من قصيدة يمدح بها يوسف بن محمد ، وفي الديوان: «برقة منشد» قال الآمدي : ما زلت أسمع الشيوخ من أهل العلم بالشعر يقولون : إنهم ما سمعوا لمتقدم ولا متأخر في هـذا المعنى أحسن من هذا البيت ، ولا أبرع لفظاً ، ولا أكثر ماء ولا رونقاً ، ولا ألطف معنى .

(٢) العرصات : الساحات ، الهمد : البالية المتغيرة .

(٣) ديوانه : ٢/٣١١ من قصيدة يمدح بها يوسف بن محمد مطلعها :

أتراك تسمعُ للحَمَامِ الهُتَّفِ   شَجْواً يَفيءُ بشجوك المستطرف

(٤) ديوانه : ٧٢٨ من قصيدة يمدح بها بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنهم .

عَفَتْ بُرْهَةً أَطْلالُ مَيٍّ وَأَدْرَجَتْ   بِهَا الرِّيحُ تَحتَ الغَيمِ قَطراً وسَافِيَا [١]

تَحَمَّلَ مِنْهَا أَهْلُ مَيٍّ فَوَدَّعُوا   بِهَا أَهْلَهَا لا يَنْظُرُونَ التَّوَالِيَا [٢]

وَقَدْ كُنْتُ مِنْ مَيٍّ إِذِ الحَيُّ جِيرَةٌ   على البُخْلِ مِنها مَيِّتَ القَلْبِ سَاهِيَا

وقال آخر :

بَكَيتُ وَمَا أَبْكَانِيَ الرَّسْمُ إِذْ عَفَا   وَلا الرَّبْعُ أَضْحَى نُؤْيُهُ وَهُوَ دَاثِرُ

وَلَكِنَّنِي لا أَستَفِيقُ تَذَكُّراً   وَلَيْسَ بِمُنْفَكٍ مِنَ الدَّمعِ ذَاكِرُ

---

(١) عفت : درست ، برهة : زمناً ، والسافي : ما سفته الريح من التراب ، والقطر : المطر . وبعد البيت :

رجعتُ الى عِرْفانها بعْدَ نبوةٍ   فما زِلتُ حتى ظنني القوم باكيا

هي الدار إذ مي لأهلكَ جيرةٌ   ليالي لا امثالهنَّ لياليا

(٢) في الشرح : أي لا ينظرون من تأخر ، أي : لا ينتظرون الأواخر . وبعد البيت

عشيَّة جاؤوا بالجمال وبينهم   مخالجة لم يُبرموها كما هيا

فقالوا أقيموا واظعنوا وتنازعوا   وكلٌّ على عيني وسمعي وباليا

وأبصرتهم حتى رأيت قيانَهم   هتكنَ السُّتور وانتزعن الأواخيا

فأيقنت أن البين قد جدَّ جدُّه   وأن التي أرجو من الحيِّ لاهيا

على أمرِ من لم يُشوِني ضرُّ أمره   ولو أنني استأويتُه ما أوى ليا

فصل
في ذكر الآثار

قال تبارك وتعالى : (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ) [يس : ١٢] .

قيل : نُحييهم بالإيمان بَعْدَ الكُفر . وقيل : بالبعث . ونكتُبُ ما قدَّموا : مَا عَمِلُوا من خيرٍ أَوْ شرٍّ . وآثارَهم : ما أَثَرُوا من سُنَّةٍ حَسَنَةٍ وسِيْرَةٍ يُعْمَلُ بها بَعْدَهُم . وقيل : آثارهم : خطاهم إلى المساجد .

وروى سفيان (عن أبي سفيان) عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رحمهم الله قال : كانَتْ بنو سَلِمَةَ في نَاحِيَةٍ من المدينة ، فَأَرَادُوا أن يَنْتَقِلُوا إلى قَرِيبٍ مِنَ المَسْجِدِ ، فنزلت : (إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم) ، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : « إنَّ آثارَكُم تُكْتَبُ » ، فلم يَنْتَقِلُوا [١] .

(١) الترمذي : ١٥٥/٢ وقال : حسن غريب ، والحاكم في « المستدرك » ١٠٧/٢ ، وصححه ، ووافقه الذهبي ، وابن جرير ١٥٤/٢٢ ، وزاد السيوطي نسبته في « الدر المنثور » إلى عبد الرزاق ، والبزار ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، والبيهقي في « شعب الايمان » قلت : وأبو سفيان هو طريف بن شهاب السعدي ضعفه الحافظ في « التقريب » وقوله « فلم ينتقلوا » هكذا جاءت الرواية في تفسير ابن كثير ، وفي « الترمذي » : « فلا تنتقلوا » .

وقد روي عن أبي سعيد الخدري رحمه الله : أنَّ بني سَلِمَةَ شَكَوْا إلى النبي صَلَّى الله عليه وسلم بُعْدَ مَنَازِلِهِم من المسجد ، فأنزل الله سبحانه (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الموتى ونَكْتُبُ ما قدَّموا وآثارَهم) فقالوا : عليكم منازلَكم فإنَّما تُكْتَبُ آثارُكم [١] .

وقال عُمَرُ بنُ عَبْدِ العزيز رضوانُ الله عليه : لَوْ كان الله مُغْفِلاً شيئاً لأغفل هذه الآثارَ التي تَعْفُوها الرِّياحُ ، يعني قوله عز وجل (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الموتى ونَكْتُبُ ما قدَّموا وآثارَهم) .

قال الأحوص :

ضَوْءُ نارٍ بَدَا لِعَيْنِكَ أَمْ شَبَّـ ـتْ بذي الأَثْلِ مِنْ سَلامَةَ نَارُ [٢]
تِلْكَ بَيْنَ الرِّياضِ والأَثْلِ والبا نَاتِ مِنَّا وَمِنْ سَلامَةَ دَارُ
وَكَذاكَ الزَّمانُ يَذْهَبُ بالنَّا سِ وَتَبْقَى الرُّسُومُ والآثَارُ

(١) ذكره ابن كثير في « تفسيره » ٥٦٦/٣ عن البزار من طريق شعبة عن سعيد الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري ، ثم قال : وفيه غرابة من حيث ذكر نزول هذه الآية ، والسورة بكمالها مكية ، قلت : وفي « صحيح مسلم » ٤٦٢/١ عن جابر بن عبدالله قال : خلت البقاع حول المسجد ، فأراد بنو سَلِمَة أن ينتقلوا إلى قرب المسجد ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فقال لهم : « إنه بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد » قالوا : نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك ، فقال : « يا بني سلمة ديارَكم تُكتبْ آثارُكم ، ديارَكم تُكتبْ آثارُكم » .

(٢) الأبيات في « الاغاني » ١٣٢/٩ ، ١٣٣ .

وقال المتنبي :

تَصْفُو الحَيَاةُ لِجَاهِلٍ أَوْ غَافِلٍ عَمَّا مَضَى فِيهَا وَمَا يُتَوَقَّعُ [١]

وَلِمَنْ يُغَالِطُ فِي الحَقَائِقِ نَفْسَهُ وَيَسُومُهَا طَلَبَ المُحَالِ فَيَقْنَعُ [٢]

أَيْنَ الَّذِي الهَرَمَانِ مِنْ بُنْيَانِهِ مَا قَوْمُهُ مَا يَوْمُهُ مَا المَصْرَعُ

تَتَخَلَّفُ الآثَارُ عَنْ أَرْبَابِهَا حِيناً وَيُدْرِكُهَا الفَنَاءُ فَتَتْبَعُ

وَلِلَبِيدِ بنِ ربيعة السَّبْقُ إلى هذا المعنى الَّذي قصده الأحوصُ بقوله :

فَعَفَا آخِرُ الزَّمَانِ عَلَيْهِم فَعَلَى آخِرِ الزَّمَانِ الدَّمَارُ [٣]

وَكَذَاكَ الزَّمَانُ يَذْهَبُ بِالنَّا سِ وَتَبْقَى الرُّسُومُ وَالآثَارُ

وقال سَلْمُ بنُ عمرو الخاسر [٤] :

سَلَامٌ عَلَى الأَطْلَالِ وَالمَنْزِلِ القَفْرِ وَإِنْ كَانَ لَا يَعْنِيهِ وَصْلِي وَلَا هَجْرِي

---

(١) ديوانه : ٢٦٨/٢ من قصيدة يرثي بها أبا شجاع فاتكاً مطلعها :

الحزنُ يُقلِقُ والتَّجمُّلُ يردَعُ والدَّمع بينهما عصيٌّ طيِّعُ

(٢) في الديوان : « فتطمع » قال العكبري : يقول : انما تصفو لمن يغالط فيها عقله ، وتحسن عند من يكابر فيها نفسه ، ويسومها المحال ، فتركن اليه ، أو يمنيها فتعتمد بآمالها عليه .

(٣) في ديوان لبيد : ٤١ قصيدة قالها حين ارتحلت بنو جعفر فنزلت بلاد بني الحارث ابن كعب مطلعها :

إنما يحفظ التُّقى الأبرار وإلى الله يستقرُّ القرار

وليس فيها البيتان اللذان أنشدهما المصنف ، ويرجح أنهما منها .

(٤) هو سلم بن عمرو مولى بني تيم بن مرّة البصري ، شاعر مطبوع ، متصرف في فنون الشعر ، من شعراء الدولة العباسية ، وهو راوية بشار بن برد ، وتلميذه ، وعنه أخذ ، ومن بحره اغترف .

وَلَكِنَّ آثَارَ الأَحِبَّةِ بَيْنَهَا بَلِينَ وما تَبْلَى البَلَابِلُ مِن صَدْرِي

وقال البحتري :

لَا تَأْمُرَنِّي بِالعَزَاءِ وَقَدْ تَرَى أَثَرَ الخَلِيطِ وَلَاتَ حِينَ عَزَاءِ [١]

زِدْنِي اشْتِيَاقاً بِالمُدَامِ وَغَنِّنِي أَعْزِزْ عَلَيَّ بِفُرْقَةِ القُرَنَاءِ

فَلَعَلَّنِي أَلْقَى الرَّدَى فَيُرِيحُنِي عَمَّا قَلِيلٍ مِن جَوَى البُرَحَاءِ [٢]

وقال أبو الفرج الوأواء :

لِمَنْ أُسَائِلُ لَا رَسْمٌ وَلَا أَثَرُ رَحَلْتُمُ وَأَقَامَ الدَّمْعُ وَالسَّهَرُ [٣]

كُنْتُمْ لِعَيْنِي صَبَاحاً لَا مَسَاءَ لَهُ فَعَاضَهَا البَيْنُ لَيْلاً مَا لَهُ سَحَرُ

وَمَا أُعَابُ بِشَيْءٍ بَعْدَ فُرْقَتِكُم غَيْرَ البَقَاءِ فَإِنِّي مِنْهُ أَعْتَذِرُ

وقال عليّ بنُ أحمد بن أبي أميَّة الكاتب :

يَا رِيحُ مَا تَصْنَعِينَ بِالدِّمَنِ كَمْ لَكِ مِنْ مَحْوِ مَنْظَرٍ حَسَنِ

مَحَوْتِ آثَارَنَا وَأَحْدَثْتِ آثَا راً بِرَبْعِ الحَبِيبِ لَمْ تَكُنِ

إِنْ تَكُ يَا رَبْعُ قَدْ بَلِيتَ مِنَ الرِّيـ ـحِ فَإِنِّي بَالٍ مِنَ الحَزَنِ

---

(١) ديوانه : ٥/١ من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الثّغري الطائي . والخليط : الشريك .

(٢) في « عبث الوليد » ١٩ للمعري : الأكثر في كلامهم « لعلّي » وبها جاء القرآن ، وربما جاء « لعلني » .

(٣) لم ترد الأبيات في الديوان .

قد أوردتُ هذهِ الأبياتَ بتمامِها وخبرِها في فصل المغاني [1] .

وقلت :

أعاضني الدَّهرُ مِنْ رؤيا كُمُ نظري   آثارَكُمْ وبِرَغْمي ذلكَ العِوَضُ

ثُمَّ استقالَ فقدْ أضحتْ موانِعُهُ   دُونَ التَّداني مِنَ الآثارِ تعترِضُ

فقُلْ لِمَنْ يمنعُ الحِلَّ المُباحَ غداً   تُوفي وحقِّكَ ما أصبحتَ تفترِضُ

وقال مهيار :

عِمِي صَباحاً بَعْدَنا وانْعَمِي   يادارَ صَفراءَ على الأنْعُمِ [2]

دُعاءَ مَنْ أقنعَهُ البَيْنُ بَعْـ   ـدَ العَيْنِ بالآثارِ والمَعْلَمِ [3]

بَكَى النَّوى أمسِ فلَمْ يدَّخِرْ   دَمْعاً يفيضُ اليومَ في الأرْسُمِ

خانَ بُكاءُ العَيْنِ أجفانَهُ   فناحَ والنَّوْحُ بُكاءُ الفَمِ

رُوِيَ أنَّ الأخطلَ سألَ بَكْرَ بْنَ وائلٍ فلَمَّا انتهى إلى بني غُبَر ،
فنزل بهم أبطؤوا عليه فقال :

تَنَزُّوا الدَّجاجُ عليْهَا وَهْيَ بارِكةٌ   تَرجُو عطاءَ سُويدٍ مِنْ بني غُبَرا [4]

(١) انظر ص : ٢٩٧

(٢) ديوانه : ٣/٣١٣ من قصيدة يمدح بهـا عميد الرؤساء أبا طالب بن أيوب ، وفيه « بعدنا واسلمي » والأنعم ، بضم العين : موضع بالعالية ، وبفتحها : جبل ببطن عاقل بين اليمامة والمدينة .

(٣) المعلم : ما يستدل به على الطريق من أثر ونحوه .

(٤) لم يرد البيتان في الديوان ، وفي الأصل تحت قوله : « تنزو الدجاج » ما نصه : يعني : ناقته :

قُبَيْلَةٌ كشِراكِ النَّعْلِ دارِجَةٌ   إنْ يَهْبِطُوا عَفْوَ أرضٍ لا ترى أثَرا [1]

وقال آخر :

أرى آثارَكُمْ فأذُوبُ شَوْقاً   وأسْفَحُ في منازِلِكُم دُمُوعي

وأسألُ مَنْ بِفُرْقَتِكُم بلاني   يَمُنُّ عَلَيَّ منكم بالرُّجُوعِ

وقال القاضي أبو المجد بن سليمان رحمه الله :

مَرَرْتُ بالدَّارِ وقدْ غُيِّرَتْ   مَعالِمٌ مِنها وآثارُ [2]

فقُلْتُ والقَلْبُ بِهِ لَوْعَةٌ   تَحرِقُهُ والدَّمعُ مِدْرارُ

أينَ زمانٌ فيكِ خلَّفْتُهُ   وأيْنَ سُكَّانُكِ يا دارُ [3]

أجابَتِ الدَّارُ على عِيِّها   إنَّ سُكُوتي عنكَ إقرارُ

أما تراني اليومَ مِنْ بَعْدِهِمْ   مُقْفِرَةً ما فيَّ دَيَّارُ

وقال آخر :

أعادَ الدُّجى في الصُّبْحِ مِنْ بعدِ فقْدِهم   أمِ الحُزْنُ غطَّى ناظرَ العَيْنِ بالدَّمعِ؟

وقفْتُ على آثارِهِمْ فقَرَيْتُها   دُمُوعَ اشْتياقٍ مِثْلَ مُنْهَمِرِ الرَّجْعِ

دُمُوعاً جرتْ جرياً تَحَلَّلَ عِقْدُهُ   غداةَ رَبَعْنا بالهُمُومِ على الرَّبْعِ

سلامٌ على قلبي فقدْ بانَ إثْرَهم   وقدْ صُمَّ إلَّا عنْ حديثِهِمُ سمعي

(١) في الأصل تحت قوله : « لا ترى أثراً » : يذمهم بالقلة والضعف .

(٢) أورد الأبيات الثلاثة الأولى العماد الاصفهاني في « خريدة القصر » ١٠/٢ قسم شعراء الشام . وفيها : « وقفت » .

(٣) في الخريدة : « قضَّيته » .

كَتَبَ أرسطاطاليس إلى الاسكندر كتاباً يُوصيهِ فيه بمصالح ملكه، ثم قال له فيه : إعلم أن الأيام تأتي علي كلِّ شيء ، فتُخلِقُ الأفعالَ وتمحو الآثارَ ، وتُميتُ الذكر إلا ما رسخ في القلوب بمحبَّةٍ تتوارثها الأعقابُ ، فاجْهَدْ أنْ تظفرَ بالذِّكْرِ الذي لا يموت ، بأن تُودِعَ النَّاسَ محبَّةً يبقى بها ذكر مناقبك .

وقال أبو العلاء بن سليمان :

إتْبعْ طريقاً للهُدى لاحباً ... وخلِّ آثاراً بملحوبِ [1]

أفٍّ لدُنيايَ فإنّي بها ... لَمْ أخلُ منْ همٍّ وتَعْذيبِ [2]

قُلتُ لها امضي غيرَ مصحُوبَةٍ ... فقالت اذهبْ غيرَ مصحُوبِ

---

(١) اللزوميات : ١/١٤٥ . واللاحب : الواضح ، وملحوب : وادي متالع ، أو ماء لبني أسد على رأس تل سمي بملحوب بن لويم بن طسم ، قاله البكري .

(٢) في « اللزوميات » : لم أخل من إثم ومن حوب .

فصل

في ذكر المساكن والمحل والمعاهد والأعلام والمعالم والعرصات

المساكن

قال أبو العتاهية :

جَمَعُوا فما أكلوا الذي جمعُوا ... وبَنَوا مساكِنَهم فما سكَنُوا [1]

وكأنَّهم كانوا بها ظُعُناً ... لَمَّا استراحوا ساعةً ظَعَنُوا [2]

رُوِيَ عن أبي الدرداء [3] رضي الله عنه : أنه أشرف على أهل حمص ، فقال : ألا تستحيون تَبْنُونَ ما لا تسكُنُون ، وتأمُلُون ما لا تُدرِكُون ، وتَجمَعُون ما لا تأكُلون ، أينَ الّذين بنَوا قبلَكُم تشييدا ، وجمعوا كثيرا ، وأمَّلوا بعيدا ، أصبحتْ مساكِنُهم قُبُورا ، وآمالُهم غُرُورا ، وجمعُهم بُورا [4] .

---

(١) ديوانه : ٣٨٩

(٢) في الدوان : « فكأنهم ظُعُنٌ بها نزلوا » .

(٣) هو الصحابي الجليل عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصاري الخزرجي ، كان من العلماء الحكماء ، وهو أحد الذين جمعوا القرآن حفظاً على عهد النبي ﷺ بلا خلاف ، مات بالشام سنة ٣٢ هـ .

(٤) الخبر باختلاف يسير في « حلية الأولياء » لأبي نعيم ١/٢١٧ ، وفيه «مالا تبلغون» مكان قوله « ما لا تدركون » .

وقال أبو العلاء بن سُلَيمان المعري :

سكَنْتُكِ يا دُنيا بِرَغمي مُكْرَهاً   وَما كانَ لي في ذاكَ صُنعٌ ولا أمرُ (١)

وجرَّبتُ حتّى قَدْ قَتَلْتُكِ خِبرَةً   فأنتِ وِعاءٌ حَشوُهُ الهَمُّ والوِزْرُ

فإنْ أرتَحِلْ يَوماً أدَعْكِ ذَميمَةً   وَما فيكِ مِن عُودي غِراسٌ ولا بَذْرُ

عن حاتم الأصمّ (٢) رحمه الله أنه قال : ما مِن صباحٍ إلا والشَّيْطانُ يقول لي : ما تأكُلُ ، وما تلبَسُ ، وأينَ تسكُن؟ فأقول : آكُلُ الموتَ ، وألبَسُ الكَفَن ، وأسكُنُ القَبر .

وقال النابغة الذبياني :

لِلَيْلى بِشرقيِّ النِّجادِ مساكِنُ   قِفارٌ تعفَّتْها شمالٌ وَداجِنُ

تَوَهَّمتُ منها مَعْهَداً فعرَفْتُه   لِسبْعةِ أعوامٍ وَذا العامُ ثامِنُ

أقامت على رَيبِ الزَّمانِ وأزْعجَتْ   بِلَيْلى نوىً عن دارِ أهلِكَ شاطِنُ

وقال كثيِّر بنُ عبد الرحمن :

غَشِيْتُ لِلَيْلى بالبَرُودِ مساكِناً   تقادَمنَ واستَنَّتْ عليْهَا الأعاصِرُ (٣)

(١) لم يرد هذا الشعر في « اللزوميات » ولا في « السقط » .

(٢) هو ابو عبد الرحمن حاتم بن عنوان المعروف بالأصم من أهل بلخ ، زار بغداد ، واجتمع بالامام أحمد بن حنبل ، وشهد بعض معارك الفتوح ، اشتهر بالزهد والورع ، ومات بوَاشَجَرْد (من قرى ما وراء النهر) عند رباط يقال له : رأس سروند سنة سبع وثلاثين ومائتين .

(٣) غشيه : إذا جاءه وأتاه ، والبرود : قرب رابغ ، وأعاصر : جمع أعصار ، وهو جمع عصر ، وهو الدهر .

وأوحشن بَعدَ الحيِّ إلّا مَساكِناً   يُرَيْنَ حديثاتٍ وَهُنَّ دَواثِرُ (١)

وكانَتْ إذا أخلَتْ وأمْرَعَ رَبْعُها   يَكُونُ عَلَيْهَا مِنْ صَديقِكَ حاضِرُ (٢)

فقَدْ خفَّ مِنها الحيُّ بَعدَ إقامَةٍ   فَما إنْ بِها إلّا الرِّياحُ العَواثِرُ (٣)

محلُّ

قال العربي :

لَعمْري لَئِن أبكَتْكَ كُلُّ مَحَلَّةٍ   لأسماءَ أو طَيفٌ مَتى تُمْسِ يَطْرُقِ

لَتلْتَمِسَنْ عيناً سِوى عَينِكَ التي   ذَهَبْتَ بِجاري دَمعِها المُتَرَقْرِقِ

وقال البحتري :

أسْقَى مَحَلَّتَكَ الغَمامُ ولا يَزَلْ   نَوْرٌ بِها خَضِلٌ وَنَورٌ جاسِدُ (٤)

فلَقَدْ عهِدْتُ العَيْشَ في أحيائِها   فَيْنانَ يُحمَدُ مُجْتَناهُ الرّائِدُ

وقال أيضا :

قُلْ لِلسَّحابِ إذا حَداهُ الشَّمْأَلُ   وَسَرى بِلَيْلٍ رَكْبُهُ المُتَحَمِّلُ (٥)

(١) أوحشن : صرن قفرا ، والضمير للمنازل ، والمعالم : جمع معلم ، وهو الأثر الذي يستدل به على الدار ، وحديثات: جديدات .

(٢) يقال : أخلت الأرض : إذا كثر خلاها ، والخلى مقصوراً : الرطب من الحشيش . وأمرعت الأرض: أخصبت .

(٣) قوله « الرياح العواثر » أي : الرياح المتعاقبة .

(٤) ديوانه : ١/٦٠١ ، وفيه « ... ولا يزل روض بها خضير .. » والنور : الزهر أو الأبيض منه . والجاسد : اللاصق .

(٥) ديوانه : ١/٣٠ من قصيدة يمدح بها المتوكل .

عَرِّجْ على حَلَبٍ فَسقِّ مَحَلَّةً ... مأنوسةً فيها لِعَلْوَةَ منزِلُ (١)

لِغُرَيْرةٍ أدنو وتَبعُدُ في الهوى ... وأجودُ بالوُدِّ المَصونِ وتَبْخَلُ

أحنو عَلَيْكِ وفي فؤادي لَوْعةٌ ... وأصُدُّ عنكِ ووجهُ وِدّي مُقْبِلُ (٢)

وأعِزُّ ثُمَّ أذِلُّ ذِلَّةَ عاشِقٍ ... والحُبُّ فيهِ تَعَزُّزٌ وتَذَلُّلُ

وإذا هَمَمْتُ بوَصْلِ غيرِكِ رَدَّني ... وَلَهٌ عليكِ وشافِعٌ لكِ أوَّلُ (٣)

وقال البحتري أيضا :

أمحلَّتَيْ سلمى بكاظمةَ اسلَما ... وتعلَّما أنَّ الهوى ما هِجْتُما (٤)

هل تَرْويانِ من الأحبَّةِ حائماً ... أو تُسعِدانِ على الصَّبابةِ مُغرَما

أبكيكُما دمعاً ولو أنّي على ... قَدْرِ الهوى أبكي بكيتُكُما دَما

طَلَلاً أُكَفْكِفُ فيه دَمْعاً مُعْرِباً ... بِجَوىً وأقرأُ فيه خَطّاً أعْجَما

تأبى رُباهُ أن تُجيبَ ولم يكنْ ... مُسْتَخْبِرٌ لِيُجيبَ حتّى تَفْهَما

وقال أبو العلاء بن سليمان :

مَحَلٌّ بأرضِ الشّامِ يطرُدُ أهلَهُ ... ولكنَّهُم عمّا يقولُ نِيامُ (٥)

---

(١) في الديوان : « فحيِّ محلّةً » .

(٢) في الديوان : « أحنو إليك » والود ، بكسر الواو : الحبُّ .

(٣) في الديوان : « ولهٌ إليك » .

(٤) ديوانه : ١/٢٦٠ من قصيدة يمدح بها أحمد وإبراهيم ابني المدبر ، والبيت الأول في « الموازنة » ١/٤١٨ .

(٥) شروح سقط الزند : ٢/٦٠٧ ، قال البطليوسي : يقول : هذا المحل فيه دلائل–

وقد تَنْطِقُ الأشياءُ وهي صَوامِتٌ ... وما كلُّ نُطقِ المُخبِرينَ كَلامُ (١)

وقال الشريف المرتضى رضي الله عنه :

يا مَحلّاً أبلَتْهُ هُوجُ الليالي ... وغرامي بساكنيهِ قشيبُ (٢)

ما اطمأنَّتْ بكَ المحاسنُ حتّى ... شرَّدَتْها عنّي وعنكَ الخُطوبُ

ساءَ عهدي لقاطنيكَ متى آ ... وَيْتُ دمعاً في مُقلَةٍ لا يَصوبُ

لستَ فرداً فيما دَهَتْهُ الليالي ... كلُّ شيءٍ بكُرْهِهِنَّ سَليبُ

وقال مهيار :

سُقيتَ محلّاً وأُحْيِيَتْ رُباكَ ... مدامعُ كلِّ فتىً تَهْمِلُ (٣)

ولا بَرِحَتْ تضعُ المُثْقَلاتُ ... مِنَ المُزْنِ فوقَكَ ما تَحمِلُ

وقال البحتري (٤)

– تدل من اعتبر بها على أن أهله سيُخْبَرُونَ عنه ، ولكن أهله نيام عن الاعتبار بتلك الدلائل.

(١) وقوله : « وقد تنطق الأشياء وهي صوامت » يريد أن ما في الشيء من دلائل الاعتبار يجري مجرى الكلام والنطق ، وإن لم يكن له صوت يسمع .

(٢) لم ترد هذه الأبيات في الديوان .

(٣) ديوانه : ٣/١٢٥ من قصيدة يمدح بها الوزير أبا القاسم الحسين بن علي المغربي مطلعها : عسى معرضٌ وجهه مقبل ... فيوهَبَ للآخِرِ الأوّلُ

(٤) ديوانه : ٢/١٠٤٥ من قصيدة يرثي بها المتوكل ، وقد ذكر الحصري في « زهر الآداب » ١/٢١٦ أن أبا العباس ثعلب كان يقول في هذه القصيدة : « ما قيلت هاشمية أحسن منها » ، وقد صرح فيها تصريح من أذهلته المصائب عن تخوف العواقب » .

مَحلٌّ مِنَ القَاطُولِ أَخْلَقَ عامِرُهُ ... وعادَتْ صُروفُ الدَّهرِ جَيْشاً يُغاوِرُهْ [١]

كأَنَّ الصَّبا تُوفِي نُذُوراً إذا سَرَتْ ... تُراوِحُهُ أَذْيالُهُ وَتُبَاكِرُهْ [٢]

وَرُبَّ زَمانٍ ناعِمٍ ـ ثَمَّ ـ عَهْدُهُ ... تَرِقُّ حَواشِيهِ وَيُورِقُ نَاضِرُهْ [٣]

تَغَيَّرَ حُسْنُ الجَعْفَرِيِّ وَأُنْسُهُ ... وَقُوِّضَ بَادِي الجَعْفَرِيِّ وَحَاضِرُهْ [٤]

تَحَمَّلَ عَنْهُ ساكِنُوهُ فُجَاءَةً ... فَعادَتْ سَواءً دُورُهُ وَمَقَابِرُهْ

إِذا نَحْنُ زُرْنَاهُ أَجَدَّ لَنَا الأَسَى ... وَقَدْ كانَ قَبْلَ اليَوْمِ يَبْهَجُ زَائِرُهْ

وَلَمْ أَنْسَ وَحْشَ القَصْرِ إِذْ رِيعَ سِرْبُهُ ... وَإِذْ ذُعِرَتْ أَطْلاؤُهُ وَجَآذِرُهْ [٥]

وَإِذْ صِيحَ فِيهِ بِالرَّحِيلِ وَهُتِّكَتْ ... عَلى عَجَلٍ أَسْتارُهُ وَسَتائِرُهْ

وَوَحْشَتَهُ حتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ ... أَنِيسٌ وَلَمْ تَحْسُنْ لِعَيْنٍ مَنَاظِرُهْ

المعاهد

قال أبو تمام :

قِفُوا جَدِّدُوا مِنْ عَهْدِكُم بِالمَعاهِدِ ... وَإِنْ هِيَ لَمْ تَسْمَعْ لِنِشْدانِ نَاشِدِ [٦]

(١) في الديوان : « محل على . . . أخلق . . . تغاوره » وأخلق : بلي ، ويغاوره : يحاربه، والقاطول : نهر كأنه مقطوع من دجلة ، كان في موضع «سر من رأى» قبل أن تعمر .

(٢) تراوحه : تهب عليه في العشي ، وتباكره : تهب عليه في الصباح .

(٣) في الديوان : « ويونق ناضره » .

(٤) الجعفري : قصر المتوكل . قوّض : تهدم ، باديه : ظاهره ، حاضره : داخله .

(٥) السرب : القطيع ، والاطلال : جمع الطلا ، وهو الظبي ، والجآذر : جمع الجؤذر ، وهو ولد البقر الوحشي ، تشبه به المرأة في جمال العينين .

(٦) ديوانه ٢/٦٨ من قصيدة يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبانة . قال ـ

لَقَدْ أَطْرَقَ الرَّبْعُ المُحِيلُ لِفَقْدِهِم ... وَبَيْنِهِمُ إِطْرَاقَ ثَكْلانَ فَاقِدِ [١]

سَقَتْهُ ذُعافاً عادَةُ الدَّهْرِ فِيهِمُ ... وَسَمُّ اللَّيالِي فَوْقَ سَمِّ الأَسَاوِدِ [٢]

بِهِ عِلَّةٌ لِلْبَيْنِ صَمَّاءُ لَمْ تُصِخْ ... لِبُرْءٍ وَلَمْ تُوجِبْ عِيادَةَ عَائِدِ

وقال البحتري :

سُقِيتْ مَعاهِدُكِ اللَّواتِي شُقْنَنِي ... وَمَحَلُّ مَنْزِلِكِ الَّذِي أَبْكَانِي [٣]

إِمَّا أَقَمْتِ فَإِنَّ لُبِّي ظَاعِنٌ ... أَوْ سِرْتِ مُنْطَلِقاً فَقَلْبِي عَانِ

وقال الشَّريف الرضي رضي الله عنه :

أَمَعاهِدَ الأَحْبَابِ هَلْ عَوْدٌ إِلى ... مَغْدىً نَبُلُّ بِهِ الجَوَى وَمَرَاحِ [٤]

يَكْفِيكِ مِنْ أَنْفاسِنَا وَدُمُوعِنا ... أَنْ تُمْطَرِي مِنْ بَعْدِنا وَتُرَاحِي

فَسَقَى اللِّوَى صَوْبُ الغَمامِ وَدَرُّهُ ... وَسَقَى النَّوازِلَ فِيهِ صَوْبُ الرَّاحِ

فَلَرُبَّ عَيْشٍ رَقَّ فِيهِ نَسِيمُهُ ... كالمَاءِ رَقَّ عَلى جُنُوبِ بِطَاحِ

ـ الآمدي : أراد لنشدان الناشد الذي يقول : أين أهلك يا دار ، كما ينشد الناشد الضالة إذا طلبها .

(١) قال التبريزي : أطرق : إذا أدام النظر إلى الأرض ، واستعاره للربع ، وإنما أراد أنه استوحش لفقدهم ، وعلته كآبة لذاك ، لأن من شأن المهموم أن ينظر إلى الأرض .

(٢) الهاء في « سقته » للربع ، و « عادة الدهر » فاعل .

(٣) ديوانه : ٢/٢٨٦ من قصيدة يمدح بها عبيد الله بن يحيى بن خاقان .

(٤) ديوانه : ١/٢٥٠ من قصيدة مطلعها :

بعضَ الملامِ فقد غضضْتُ طِماحي ... وكفَيْتُ من نفسي العذول اللاحي

المعالم والأعلام

قال أبو الطيب المتنبي :

أَنَا لائِمِي إنْ كُنْتُ وَقْتَ اللَّوائِمِ   عَلِمْتُ بِمَا بِي بَيْنَ تِلْكَ المَعَالِمِ [1]

وَلٰكِنَّنِي مِمَّا ذَهِلْتُ مُتَيَّمٌ   كَسَالٍ وَقَلْبِي بائِحٌ مِثْلُ كاتِمِ [2]

وَقَفْنا كَأَنَّا كُلُّ وَجْدِ قُلُوبِنا   تَمَكَّنَ مِنْ أَذْوادِنا في القَوائِمِ [3]

وَدُسْنا بِأَخْفافِ المَطِيِّ تُرابَها   فَلا زِلْتُ أَسْتَشْفِي بِلَثْمِ المَناسِمِ

وقال الرئيس أبو علي أبزون العُماني [4] :

تَحُلُّ عُقودَ الصَّبْرِ مِنِّي المَعالِمُ   وَتُبْدِي دُموعُ العَيْنِ ما أَنا كاتِمُ

وَتَطْمِسُ آثارَ العَزاءِ إذا بَدَتْ   رُسُومُ دِيارِ الحَيِّ وَهْيَ طَواسِمُ

خَلَتْ مِن ظِباءِ الأُنسِ ثُمَّ تَبَدَّلَتْ   ظِباءً وَقَلْبِي بِالْمُبَدَّلِ هائِمُ

(١) ديوانه : ٤/١١٠ من قصيدة يمدح بها أبا محمد الحسن بن عبيد الله ، وقوله « أنا لائمي » أي : أنا لائم نفسي ، وقوله « وقت اللوائم » أي : وقت لوم اللوائم .

(٢) في الديوان : « شدِهت » قال العكبري : يروى : شدهت وذهلت . والشده : التحير .

(٣) الأذواد : جمع ذود ، وهو ما بين الثلاثة إلى العشرة ، والمعنى : يقول : أطلنا الوقوف من الحيرة والوجد بأهل المعالم ، فكأن هوى قلوبنا تمكن في قوائم إبلنا فتحيرت ، فلم تبرح ، فوقفت بنا .

(٤) هو أبزون بن مهبرد المجوسي العماني الكافي مات سنة ٤٣٠ هـ ، ترجمه الصفدي في « الوافي » ٥/١٠٣ ، ١٠٤ .

« يُدِيرُونَنِي عَنْ سالِمٍ وَأُدِيرُهُمْ   وَجِلْدَةُ بَيْنَ العَيْنِ وَالأَنْفِ سالِمُ » [1]

وقال جميل بن معمر العذري :

أَهاجَتْكَ المَعالِمُ وَالطُّلُولُ   عَفَوْنَ وَخَفَّ مِنْهُنَّ الحُلُولُ

نَعَمْ وَذَكَرْتَ دُنْيا قَدْ تَوَلَّتْ   وَأَيُّ نَعِيمِ دُنْيا لا يَزُولُ ؟!

أُسائِلُ دارَ بَثْنَةَ أَيْنَ حَلَّتْ   كَأَنَّ الدّارَ تَفْهَمُ ما أَقُولُ

وقال جميل أيضا :

أَلا تِلْكُما أَعْلامُ بَثْنَةَ قَدْ بَدَتْ   كَأَنَّ ذُراها عُمِّمَتْ بِسَبِيبِ [2]

طَوامِسُ فِيما دُونَهُنَّ عَداوَةٌ   لَنا وَوَراءَ الطّامِساتِ حَبِيبُ [3]

بَعِيدٌ على مَنْ لَيْسَ يَطْلُبُ حاجَةً   وَأَمّا على ذِي حاجَةٍ فَقَرِيبُ

وقال آخر :

خَلِيلَيَّ لا وَاللهِ ما أَمْلِكُ البُكا   إذا عَلَمٌ مِنْ أَرْضِ لَيْلَى بَدا لِيا [4]

(١) في الأصل عند انتهاء هذا البيت ما نصه : « مضمن » قلت : وهو في « السمط » : ٦٦ ، قال الميمني : وأظهر الأقوال أنه لزهير بن أبي سُلمى في ولد له يدعى سالماً . انظر « الخزانة » ٢/٤٠٣ .

(٢) ديوانه ٢٩ ، وديوان المعاني ٢/١٢٩ ، وسمط اللآلي : ٧١٩ . ورواية البيت في الديوان :

ألا تلك أعلام لبثنة قد بدت   كأن ذراها قد عممته سبيب

وليس فيه إقواء على هذه الرواية ! والسبيب : الشقة البيضاء .

(٣) رواية البيت في المصادر المتقدمة .

طوامسُ لي من دونهن عداوة   ولي من وراء الطامسات حبيب

(٤) الأول والثاني منسوبان للمجنون في ديوانه : ٢٩٣ من قصيدته المؤنسة وهي أشهر قصائده .

خَلِيلَيَّ إن لا تَبْكِيَا لِيَ أَسْتَعِنْ ... خَلِيلاً إذا أَذْرَيْتُ دَمعاً بَكى لِيَا [1]

كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنٌ إِذَا كانَ بَعْدَهُ ... تَلاقٍ ولكِنْ لا إِخالُ تَلاقِيَا

وقال مُزاحِم العُقَيْلي :

أَفي كُلِّ يَومٍ أَنتَ مِنْ غُبَّرِ الهوى ... إلى الشُّمِّ مِنْ أعلامِ مَيْلاءَ نَاظِرُ [2]

بِعَمْشَاءَ مِنْ طُولِ البُكَاءِ كَأَنَّمَا ... بِهَا خَزَرٌ أَوْ طَرْفُهَا مُتَخَازِرُ

تَمَنَّى المُنَى حتَّى إذا نالتِ المُنَى ... بَدَا وَاكِفٌ مِنْ دَمعِهَا مُتَبَادِرُ

كَمَا ارْفَضَّ هَلَكَى بَعْدَ ما ضُمَّ ضَمَّةً ... بِحَبْلِ الفَتِيلِ اللُّؤْلُؤُ المُتَنَاثِرُ

وقال أبو عبد الله محمَّدُ بنُ عثمان المعروف بابنِ الحدَّاد[3] :

أَلا أَيُّهَا الأَعلامُ مِنْ هَضَبَاتِهَا ... فَكَيْفَ تَكُفُّ العَيْنُ عَنْ عَبَرَاتِهَا

ذَرَانِي وَإِذْرَاءَ الدُّمُوعِ لَعَلَّهَا ... تُسَكِّنُ ما قَدْ هاجَ مِنْ ذِكَرَاتِهَا

عَهِدْتُ بِهَا أَصنامَ حُسْنٍ عَهِدْتُني ... هَوًى عَبْدَ عُزَّاها وَعَبْدَ مَنَاتِهَا

أُهِلُّ بِأَشْواقي إِلَيْهَا وَأَتَّقي ... شَرَائِعَهَا في الحُبِّ حَقَّ تُقَاتِهَا

---

(١) في الديوان : « . . . إن لا تبكياني ألتمس . . . إذا أزفت دمعي . . . »

(٢) في « اللسان » : غبَّر كل شيء : بقيته .

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان القيسي ، شاعر أندلسي ، أصله من وادي آش ، سكن المرية ، واختص بالمعتصم محمد بن معن بن صمادح ، فأكثر من مدحه ، ثم سار إلى سرقسطة سنة ٤٦١ ، فأكرمه المقتدر بن هود وابنه المؤتمن من بعده ، وعاد إلى المعتصم وتوفي في أيامه بالمرية . انظر « الذخيرة » لابن بسام ٢/٢٠١ ، و « التكملة » لابن الأبار : ١٣٣ ، و « فوات الوفيات » ٢/٣٤١ ، و « المغرب » ٢/١٤٣ .

وقال محمد بن هانئ المغربي :

مَا لِلمَعَالِمِ والطُّلُولِ أَمَا كَفَى ... بِالعَاشِقِينَ مَعَالِماً وَطُلُولا [1]

فَكَأَنَّنا شَمْلُ الدُّمُوعِ تَفَرُّقاً ... وَكَأَنَّنا سِرُّ الوَدَاعِ نُحُولا

سَأَرُوعُ مَنْ ضَمَّتْ حِجَالُكُمُ ولو ... غَدَتِ الأَسِنَّةُ دُونَ ذلكَ غِيلا

أَعصِي رِمَاحَ الخَطِّ دُونَكَ شُرَّعاً ... وأُطِيعُ فِيكَ صَبَابَةً وغَلِيلا

وقال أعرابي :

سَقى العَلَمَ الفَرْدَ الَّذي في ظِلالِهِ ... غَزَالانِ مَكْحُولانِ مُؤْتَلِفَانِ [2]

أَرَغْتُهُمَا صَيْداً فَلَمْ أَسْتَطِعْهُمَا ... وَرَمْياً فَفَاتَانِي وَقَدْ قَتَلاني [3]

وقال ابن هانئ المَغْرِبي :

لا مَزَارٌ مِنْكُمْ يُدْنِي سِوَى ... أَنْ أَرَى أعلامَ هَضْبٍ وَنِجَادِ [4]

---

(١) ديوانه : ١١٨ من قصيدة يمدح بها المعز لدين الله مطلعها

أتظنُّ راحاً في الشمال شمولا ... أتظنُّها سكرى تجرُّ ذيولا

وترتيب الأبيات في الديوان يختلف عما هنا .

(٢) البيتان غير منسوبين في « الأغاني » ٩/٢٧٨ ، وهما في ديوان المجنون : ٢٧٣ ، ورواية الشطر الأول من البيت الأول فيه : أيا جبل الثلج الذي في ظلاله .

(٣) رواية البيت في ديوان المجنون :

أرغتهما ختلاً فلم أستطعهما ... ففرًّا وشيكاً بعد ما قتلاني

وأرغتهما : أردتهما وطلبتهما على وجه المكر ، وختلاً : خداعاً ، ووشيكاً : سريعاً .

(٤) ديوانه : ٣١٥ من قصيدة يمدح بها الأميرين طاهراً وأبا عبد الله الحسين ابني المنصور بالله وهما أخوا المعز لدين الله .

قَدْ عَقَلْنَـا العِيسَ فِي أَوْطَانِهـا ... وَهْيَ ما بَيْنَ ذَمِيـلٍ ووِخادِ[1]

أَسْـلُوْاً عَنْـكُمْ أَهْجُرُكُـمْ ... قَلَّما تَسْلُو عنِ المَاءِ الصَّوَادي

فعَـلَى الأَيَّامِ مِنْ بَعْـدِكُمُ ... ما على الظَّلْماءِ مِنْ ثَوْبِ الحِدادِ

عرصات

قال الرماح بن ميادة :

ما هاجَ شَوْقَكَ من معارفِ عَرْصَةٍ ... بالبُرْقِ بَيْنَ أصالِفٍ وفَدافِدِ[2]

ولَقَدْ رَدَدْتُ بها السُّؤالَ صَبابةً ... وَالدَّارُ قَبْلي ما تَبِينُ لِنَاشِدِ

ولَقَدْ نَظَرْتُ فما رَأَيْتُ لِنَاظِرٍ ... غَيْرَ الصَّفِيحِ وغَيْرَ آسٍ بائِدِ

وقال الشريف المرتضى رضي الله عنه :

عَرَصاتٌ أَصْبَحْنَ وَهْيَ سَماءٌ ... ثُمَّ أَمْسَيْنَ بالحَوادِثِ أَرْضا[3]

وَثَرىً يُنْبِتُ النَّعِيمَ إِذا أَنْـ ... ـبَتَ تُرْبُ البِلادِ عُشْباً وحَمْضا

وقال أبو محمد بن سنان[4] :

(١) الذميل : السير اللين ، والوخاد : السير السريع .

(٢) الأصلف : ما اشتد من الأرض وصلب ، والفدفد : الفلاة التي لا شيء بها ، وقيل : هي الأرض الغليظة ذات الحصى .

(٣) ديوانه : ٢/١٦٠ من قصيدة يصف بها ايوان كسرى مطلعها :

هل مجير من غصَّة ما تقضَّى ... أو شفيعٌ في حاجةٍ ليس تقضى ؟

(٤) هو عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي ، أخذ الأدب عن أبي العلاء المعري وغيره ، وكان له ولاية بقلعة اعزاز ، من أعمال حلب ، وعصى بها ، فاحتيل عليه—

عَرَصاتٌ كَأَنَّهُنَّ لَيالٍ ... فارَقَتْها عِنْدَ الكَمالِ البُدُورُ

تُخْبِرُ الغافِلِينَ كَيْفَ يَحُولُ الدَّ ... هْرُ عَنْ حالِهِ وكَيْفَ يَجُورُ

وقال الفرزدق :

أَلَسْتُمْ عائِجِينَ لَنا لَعَنَّا ... نَرَى العَرَصاتِ أَوْ أَثَرَ الخِيامِ[1]

فَقالُوا إنْ عَرَضْتَ فَأَغْنِ عَنَّا ... دُمُوعاً غَيْرَ راقِيَةِ السِّجامِ[2]

—باطعامه طعاماً مسموماً فمات سنة ٤٦٦ هـ ، وحمل إلى حلب «فوات الوفيات» : ١/٤٨٩ ، و «إعلام النبلاء» ٤/٢٠١ .

(١) ديوانه : ٢/٢٩٠ مطلع قصيدة يمدح بها هشام بن عبد الملك ، ولعنا : لغة في لعلنا .

(٢) في الديوان : إن فعلت .

فصل
في ذكر الأرض

قالت وَجيهَة بنت أوْس الضبية[1] :

وعـاذِلَةٍ تَغْدُو عليَّ تَلومني   على الشَّوْقِ لم تَمحُ الصَّبابَةَ من قلبي[2]

فما لِيَ إنْ أحْبَبْتُ أرْضَ عشيرَتي   وأَبْغَضْتُ طَرْفاءَ القُصَيْبَةِ من ذَنْبِ[3]

ولَوْ أنَّ ريحاً بلَّغَتْ وَحيَ مُرْسِلٍ   حَفِيٍّ لناجَيْتُ الجَنُوبَ على النَّقْبِ[4]

وقُلْتُ لها أدّي إليهم رِسالَتي   ولا تَخلِطيها طالَ سعْدُكِ بالتُّرْبِ[5]

وقالت عُلَيَّة بنت المهدي[6] :

(١) لم نجد لها ترجمة في المصادر ، وقد استشهد البكري ببيت من شعرها على صحة اسم « النميرة » في ديار بني تميم ، مما يدل على أنها جاهلية أو في أوائل العصر الاسلامي .

(٢) الأبيات في « ديوان الحماسة » ٣/١٨٧ ، ومعجم البلدان : ٧/١١٥ وفيه : «وعاذلة هبت بليل . . . » وقولها : « لم تمح الصبابة من قلبي » أي : لم يؤد عتبها إلى طائل .

(٣) القصيبة : موضع قريب من خيبر ، وقوله : «من ذنب» موضعه رفع ، لأنه اسم «ما» .

(٤) الوحي : مصـدر : وحيت لك بخير ، أي : أخبرت ، والحفي : يكون المُلِحّ ، ويكون اللطيف ، ومصدرها : الحفاية ، والنقب : الطريق في الجبل .

(٥) في « الحماسة » بعد هذا البيت :

فاني إذا هبَّتْ شمالاً سألتُها   هل ازداد صدّاحُ النُّمَيْرَةِ مِنْ قربِ

(٦) هي علية بنت المهدي بن المنصور ، من بني العباس ، أخت هارون الرشيد ، شاعرة أديبة ، تحسن صناعة الغنـاء ، من أجمل النساء وأظرفهن ، وأكملهن ديناً وفضلاً وعقلاً وصيانة ، والبيتان في « الأغاني » ١٠/١٩٣ ، ومعجم البلدان : ٨/١٦ .

ومُغْتَرِبٍ بالمَرْجِ يَبْكي لِشَجْوِه   وقد بانَ عنْهُ المُسْعِدُونَ على الحُبِّ[1]

إذا ما أتاهُ الرَّكْبُ منْ نحوِ أرْضِهِ   تَنَفَّسَ يَسْتَشْفِي برائحةِ القُرْبِ[2]

وقال قيس بن ذريح :

وما أحْبَبْتُ أرْضَكُمُ ولكِنْ   أقَبِّلُ إثْرَ مَنْ وَطِئَ التُّرابا[3]

لقَدْ لاقَيْتُ مِنْ كَلَفي بِلُبْنَى   بَلاءً لا أُسيغُ لهُ شَرابا[4]

إذا نادى المُنادي باسْمِ لُبْنَى   عَيِيتُ فما أرُدُّ لهُ جَوابا[5]

وقال آخر :

سَقَى اللهُ أرْضاً لوْ ظَفِرْتُ بِتُرْبِها   كَحَلْتُ بِها منْ شِدَّةِ الشَّوْقِ أجْفاني

فهَلْ بَعْدَ هذا للمُحِبِّينَ غايَةٌ   وهَلْ أحدٌ أشْجانُه مثْلُ أشْجاني

وقال الشريف المرتضى رضي الله عنه :

ألا يا نَسيمَ الرِّيحِ منْ أرْضِ بابِلٍ   تَحَمَّلْ إلى أهلِ الخِيامِ سَلامي[6]

(١) في الأغاني : «وقد غاب عنه . . .» ، المرج : تريد به مرج القلعة ، قال ياقوت : بينه وبين حلوان منزل ، وهو من حلوان ، إلى جهة همذان .

(٢) في الأغاني : « تنشق يستشفي برائحة الركب » .

(٣) ديوانه : ٦٨ ، ورواية البيت في «الأمالي» ٢/٧٦ :

فما حبي لطيب تراب أرض   ولكن حب من وطىء الترابا

(٤) في الديوان : « بلاءً ما أسيغ به الشرابا » .

(٥) في الديوان : «عييت فما أطيق له جوابا » .

(٦) ديوانه : ٣/٢٢٨ .

وَقُلْ لِحَبِيبٍ فِيكَ بعضُ نَسِيمِه   أَمَا آنَ أنْ تَسْطِيعَ رَجْعَ كلامي

وإنّي لأهوى أنْ أكونَ بأرضِكم   على أنّني منها اسْتَفَدْتُ سَقَامي

وقال آخر :

أرى كُلَّ أرضٍ دَمَّنَتْها وإن مضتْ   لَهَا حِجَجٌ يَزْدَادُ طِيباً تُرَابُها [١]

ألمْ تَعْلَمَنْ يا ربِّ أنْ رُبَّ دَعْوَةٍ   دَعَوْتُكَ فيها مُخْلِصاً لو أجابُها

فأقسِمُ لو أنّي أرى نَسَباً لها   ذِئابَ الفلا حَنَّتْ إليَّ ذِئابُها [٢]

لَعَمْرُ أبي ليلى لَئِنْ هِيَ أصبحتْ   بِوَادي القُرى ما ضَرَّ غيري اغترابُها

وقال قَعْنَبُ بنُ أُمِّ صاحِب [٣] :

قد كُنْتُ أقصرتُ عن نجدٍ فهيَّجني   على تذكُّرِها الخَفّانُ والحَضَنُ [٤]

لمّا وَرَدْتُ بلاداً لستُ أعرفُها   وشاقني ذِكْرُ أُخرى هاجَ لي حَزَنُ

فقلتُ قد حانَ من أرضٍ وُلِدْتُ بها   أَوْبٌ وقد حانَ من صَرْفِ النوى قَرَنُ

علَّ النوى بكَ يوماً أن تريعَ فقد   تدنو الغريبةُ حتّى يدنُوَ الوَطَنُ

(١) الأبيات منسوبة المجنون في ديوانه : ٦٦ ، وفي الزهرة ٢٧١ ما عدا الثالث بدون نسبة . ودمنتها : لزمتها من : دمن بابه : إذا لزمه ، وفي الديوان : « دست فيها . . . »

(٢) في الديوان « ذباب الفلا حنّت إليَّ ذبابها » وهو تصحيف .

(٣) هو قعنب بن ضمرة الغطفاني من شعراء العصر الأموي ، وكان في أيام الوليد بن عبد الملك، وسماه ابن حبيب في كتابه «من نسب إلى أمه» ٩٢ : قعنب بن أم صاحب الفزاري ، وفزارة من غطفان .

(٤) الخفان : موضع قِبَل اليمامة ، والحضن : جبل في ديار بني عامر ، يقال في المثل : «أنجد من رأى حضناً» .

وقال أبو نصر بن النَّحّاس الحلَبي [١] :

سقى الله أرضاً لبِسْنا الشَّبابَ   بأرجائها وخلَعْنا الوَقارا

دياراً شكَتْ فُرقةَ الظّاعنين   بألوانها فتحلَّتْ بَهارا

زَماناً صَحِبْناهُ مُستعذَباً   فبانَ ولم يُبقِ إلّا ادِّكارا

وقال آخر :

تعوَّضتُ من دَوْدانَ حملاً وأرضَها   فما طابَ لي شُربي ولا راقَ مَشرَبي

فإن يلتبسْ حِلّي بدَوْدانَ لا أرِمْ   أَئِنْ كنتُ ذا ذنبٍ وإن غيرَ مُذنبِ

ألا إنّ قومَ المرءِ خيرُ بقيّةٍ   من الأبعدِ الأقصى وإن لم يُقرِّبِ

وقال مروان بنُ أبي حفصة من قصيدة في معن بن زائدة الشيباني :

إنّي إلى كلِّ أرضٍ أنتَ ساكنُها   صَبٌّ وإن كنتُ عنها نازحَ الوطنِ

قلّدتني منكَ حبلاً فاعتصمتُ به   أسبابُه غيرُ رثّاتٍ ولا وُهُنِ

تضيقُ أعطانُ قومٍ إن هُمُ سُئلوا   وأنتَ بالخيرِ سهلٌ واسعُ العَطَنِ

لو لم تكنْ للندى جاراً فتطلقَه   ما انفكَّ والبُخلُ مجموعَينِ في قَرَنِ

وقال أبو الفتيان محمّدُ بنُ حَيّوس الغَنوي من قصيدة يرثي بها محمود بن نصر بن صالح ، ويعزّي ولده نصر بن محمود ويمدحه :

فللّهِ مَلْكٌ زيَّنَ الأرضَ مُلكُه   وجادَ الحيا مَلْكاً تضمَّنَهُ القبرُ [٢]

(١) هو أبو نصر محمد بن الحسن بن النحاس الكاتب الحلبي ، كان وزيراً لمحمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابي أحد الأمراء المرداسيين أصحاب حلب .

(٢) ديوانه : ١/٢٤٣ ، وفيه : « زين الدست » .

وَكُنّا نظُنُّ الأَرضَ تُظلِمُ بعْدَهُ　　　فقُمْتَ مَقامَ البَدْرِ إذْ أفَلَ البَدْرُ [١]

وَكادَ شِعارُ الخَوفِ يَنْبُتُ في الوَرَى　　　فنادَى شِعارُ الأَمنِ يا نصرُ يا نصرُ

وقال أعرابي :

سقَى اللهُ أرضاً يَعلَمُ الضبُّ أنَّها　　　بَعِيدٌ منَ الأَدْواءِ طَيِّبَةُ البَقْلِ [٢]

بَنى بَيْتَهُ في رَأسِ نشزٍ وَكُدْيَةٍ　　　وكُلُّ امرىءٍ في حرفةِ العَيْشِ ذُو عَقْلِ [٣]

(١) في الديوان : « فقمت مقام الشمس إذ غُيِّب البدر » .

(٢) البيتان غير منسوبين في الحيوان ٣/٨٣ والوحشيات : ١٩١ ، والسمط ٢/٦٩١ . وفي الوحشيات : « بعيد من الأهواء » . وفي السمط : « رعى الله . . . »

(٣) في « الوحشيات » : « بنى بيته فيها بعلياء مسهلة وكان امرءاً . . . » وفي السمط :

بنى بيته منها على رأس كديةٍ　　　وكلُّ امرىءٍ في عيشه ثاقب العقل

والنشز : المكان المرتفع ، والكدية : الأرض الغليظة .

فصل آخر

في ذكر الأرض

قال أبو العلاء بن سليمان :

تحَمَّلْ عن الأَرْضِ المَرِيضَةِ غادياً　　　ولا ترضَ للدّاءِ العَياءِ سوَى الحَسْمِ [١]

وَما فتِئتْ رُوحُ الفتى في نوائبٍ　　　تُمارِسُها حتّى استقَلَّتْ عن الجِسْمِ

إذا ما تفرَّقْنا خلَصْنا من الأذى　　　ولَم يَحْتَجِ الرّاعي المُسِيمُ إلى الوَسْمِ [٢]

وقال الشَّنفَرَى [٣] :

وَفي الأَرضِ مَنْأىً للكَرِيمِ عنِ الأذى　　　وَفيها لِمَن رامَ القِلَى مُتَحَوَّلُ

(١) اللزوميات : ٢/٢٩٣ ، وفيها : « تحمل على الأرض . . . » والحسم : القطع .

(٢) في اللزوميات : « ولم يحوج . . . »

(٣) هو عمرو بن مالك الأزدي ، شاعر جاهلي من بني الحارث بن ربيعة ، والشنفرى : لقب له ، ومعناه : عظيم الشفة ، وهو ابن أخت تأبط شراً ، وكان من فتاك العرب وعدّائيهم ، وبه يضرب المثل ، فيقال : أعدى من الشنفرى .

(٤) الأبيات في « أعجب العجب » للزمخشري و « مختار الشعر الجاهلي » ٢/٥٩٧ من لاميته المشهورة ومطلعها :

أقيموا بني أمي صُدُورَ مطيِّكم　　　فإني إلى قَوْمٍ سِواكم لأميل

وفي « أعجب العجب » : « وفيها لمن خاف القلى متعزل » والمنأى والمنتأى : الموضع البعيد ، والقلى : البغض ، والمتعزل : الموضع الذي يعتزل فيه .

لعمرك ما بالأرض ضيق على امرئ ... سرى راغباً أو راهباً وهو يعقل [1]

أديم مطال الجوع حتى أمله ... وأضرب عنه الذكر صفحاً فأذهل [2]

وأستف ترب الأرض كيلا يرى له ... علي من الطول امرؤ متطول [3]

ولولا اجتناب الذأم لم يلف مشرب ... يعاش به إلا لدي وما كل [4]

ولكن نفساً مرة لا تقيم بي ... على الضيم إلا ريثما أتحول [5]

عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه[6] : أن رجلاً من بني كلاب ، يكنى : أبا حبال نزل على عبد الله بن عمر بن حفص ، ومعه ابنه حبال ، فمرض ابنه ، ثم مات . قال عبد الله : فأمر أبي بكفنه ، فكفناه ، فلما فرغنا منه ، استأذن أبوه أبي أن يدخل عليه فيسلم عليه ويودعه ، فأذن له فدخل ، فأكب عليه فسمعناه يقول :

(١) في « أعجب العجب » : « لعمرك ما في الأرض . . . » والعمر : الحياة والبقاء ، والرغبة : إرادة الشيء ، يقال : رغب في الشيء : إذا أراده ، ورغبت عن الشيء : زهدت فيه .

(٢) في « أعجب العجب » « . . . حتى أميته . . . » المطال : مأخوذ من المماطلة ، وهي امتداد المدة . والصفح : الاعراض ، وذهل عن الشيء : نسيه وغفل عنه .

(٣) الطول : المن ، يقال : طال عليه وتطول : إذا امتن .

(٤) الذام : العيب يهمز ولا يهمز ، يقال : ذأمه يذأمه : إذا عابه وحقره .

(٥) في «أعجب العجب» : «على الذأم إلا ريثما أتحول» وريثما : بمعنى : قدر ما ، ومعنى الريث : الابطاء .

(٦) الخبر مع اختلاف يسير في « مجالس ثعلب » ٩٥ .

ولولا حبال لم تنخ بي مطيتي ... بأرض بها الحمى بورد وصالب [1]

وقائلة أرداك والله حبه ... بنفسي حبال من خليل وصاحب

فجعل يكرر ذلك ، ثم فقدنا صوته ، فقال لنا أبي : أظنه والله قد مات ، فدخلنا ، فوجدناه ميتاً ، فجهزناهما ، وحملناهما ، فقبرناهما .

وقال آخر ، وتروى لحاتم :

إن كنت تزعم أن الأرض واسعة ... فيها لغيرك مرتاد ومرتحل

فارحل فإن بلاد الله ما خلقت ... إلا ليسكن منها السهل والجبل

وابغ المكاسب من أرض مطالبها ... من حيث يحمل حتى ينفد الأجل

وقال آخر :

كيف المقام بأرض لا أشد بها ... نضوي إذا اعترتني سورة الغضب

وقال آخر :

واسوأتا لامرئ شبيبته ... في عنفوان وماؤه خضل

وهو مقيم بأرض مضيعة ... يمنعه من طلابه الكسل

إلى متى تخدم الرجال ولا ... تخدم يوماً لأمك الهبل [2]

وقال آخر :

(١) في مجالس ثعلب : « ببرد وصالب » والصالب من الحمى : الحارة غير النافض ، تذكر وتؤنث ، يقال : أخذته الحمى بصالب ، وأخذته حمى صالب ، والأول أفصح ، ولا يكادون يضيفون .

(٢) قوله : لأمك الهبل ، أي : الثكل .

مَا أَشغَلَ الحَيَّ في الدُّنيا بِحاجَتِهِ وَالمَيْتُ بالمَوْتِ مَشْغُولٌ عَنِ الحَيِّ

هَوِّنْ عَلَيْكَ فَأَرضُ اللهِ واسِعَةٌ والشَّيءُ يُغْنيكَ في الدُّنيا عَنِ الشَّيِّ

وقال البحتري :

الأَرض أوسَعُ من دارٍ أُلِظُّ بِها والنَّاسُ أَكْثَرُ من خِلٍّ أُجاذِبُهُ [1]

أُعاتِبُ الخِلَّ فيما ساءَ واحِدَةً ثُمَّ السَّلامُ عَلَيْهِ لا أُعاتِبُهُ [2]

وقال أيضا :

إِنَّني ما حَلَلْتُ بالأَرضِ إِلَّا كُنْتُ في أَهْلِها المُجَلَّ المُفَدَّى [3]

وإِذا القَوْمُ لَمْ يُراحُوا لِقُرْبى كانَ لي عَنْهُمُ مَراحٌ وَمَغْدَى

وقال أيضاً :

فَلا تَسْأَلَنْ عن مَضْجَعي وَنُبُوِّهِ بِأَرْضِي وَعَنْ نَوْمِي بها وامتِناعِهِ [4]

---

(١) ديوانه : ٢٢٦/١ من قصيدة يمدح بها محمد بن بدر مطلعها :

عهدي بربعك مأنوساً ملاعبه أشباهُ آرامه حسناً كواعبه

وفيه « ألط » بالطاء ، وألط وألظ بمعنى: ألازم .

(٢) في الديوان : « أعاتب المرء فيما جاء واحدة » .

(٣) ديوانه : ٥٧٠/١ من قصيدة يمدح بها أبا العباس أحمد بن محمد بن موسى بن الفرات مطلعها :

بت أبدي وجداً وأكتم وجداً لخيالٍ من البخيلة يُهدى

(٤) ديوانه : ١٣١٨/٢ من قصيدة يمدح بها عبدالله بن يحيى مطلعها :

تبيت له من شوقه ونزاعه أحاديث نفس أوشكت من زَمَاعِه

أَرانِيَ مُشْتاقاً وأَهْلِيَ حُضَّرٌ عَلَى رأْيِ عَيْنَيَّ ناظِرٍ واستِماعِه [1]

ومُغْتَرِبَ المَثْوى وَسَرْحِيَ سارِبٌ بأَوْدِيَةِ السَّاجُور أَوْ بِتلاعِهِ [2]

لِفُرقَةِ مَن خَلَّيْتُ دُنيايَ غَضَّةً لَدَيهِ وَعِزِّي مُعْصَماً في يَفاعِهِ [3]

وَما غَلَبَتْني نِيَّةُ الدَّارِ عِنْدَهُ على رِفْدِهِ في ساحَتي واصْطِناعِه

وقال آخر :

في سَعَةِ الأَرْضِ وَفي أَهْلِهَا مُسْتَبْدَلٌ بالخِلِّ والجارِ

فَمَنْ دَنا مِنْكَ فَأَهْلاً بِهِ وَمَنْ تَناءَى فإِلى النَّارِ

وقال آخر :

إِذا المَرْءُ لَمْ يُجْبِبْكَ إِلَّا تَكَرُّهاً فَدَعْهُ وَلا يُعْجِزْكَ عَنْهُ التَّحَوُّلُ

وَفي الأَرْضِ أَكْفاءٌ وَفيها مُراغَمٌ عَرِيضٌ لِمَنْ خافَ الهَوانَ وَمَرْحَلُ

وقال آخر :

طَلَبْتُ المُسْتَقَرَّ بِكُلِّ أَرْضٍ فَلَمْ أَرَ لي بأَرْضٍ مُسْتَقَرّا

أَطَعْتُ مَطامِعي فاسْتَعْبَدَتْني وَلَوْ أَنِّي قَنِعْتُ لَعِشْتُ حُرّا

---

(١) في الديوان : « على لحظ عيني . . . »

(٢) السرح : المال السائم كالماشية ، والتلاع : جمع تلعة وهي ما علا من الأرض ، والسارب : الذاهب على وجهه في الأرض ، والساجور : نهر بمنبج .

(٣) في الديوان : « لفرقة من خلفت » واليفاع : المشرف من الأرض والجبل ، المعصم : الممتنع .

وقال إياس بن قبيصة الطائي[١] :

فَمَا وَلَدَتْني حَاصِنٌ رَبَعِيَّةٌ   لَئِنْ أنا مالأْتُ الهوى لِاتِّبَاعِهَا[٢]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الأَرْضَ رَحْبٌ فَسِيحَةٌ   فَهَلْ تُعْجِزَنِّي بُقْعَةٌ مِنْ بِقاعِهَا

وقال أبو العلاء بن سليمان :

أَقُولُ لِصاحِبي إذ هامَ وَجْداً   بِبَرْقٍ لَيْسَ يُثْبِتُهُ نُزُوحَا[٣]

---

(١) هو إياس بن قبيصة الطائي ، من أشراف طيىء وفصحائها وشجعانها في الجاهلية، كان عاملاً لكسرى على عين التمر وما والاها إلى الحيرة ، وقد جعله كسرى على رأس العرب يوم ذي قار ،وهو اليوم الذي كان بين بكر بن وائل ، وبين الفرس وأحلافهم من تغلب وطيىء وضبة وتميم وبهراء وتنوخ ، وقد هزمت الفرس وأحلافها .

(٢) البيتان في «الحماسة»: ٢٠٨/١ . يقال : امرأة حاصن وحصان ، أي: ممتنعة عن الرفث عفيفة . وربعية : منسوبة إلى ربيعة . يقول : لست ابن امرأة من بني ربيعة كريمة عفيفة إن كنت شايعت الهوى ، وتابعته في طلب امرأة .

(٣) «شروح سقط الزند» ٢٤١/١ من قصيدة يجيب بها الشريف أبا ابراهيم العلوي مطلعها : ألاح وقد رأى برقاً مليحا   سرى فأتى الحمى نضواً طليحا

قال البطليوسي : يقال : هام يهيم : إذا اعتراه شبه الجنون من شدة الشوق ، ومعنى « يثبته » يتحققه ، والنزوح : البعد . وفي « السقط » بعد هذا البيت :

وهاجته الجنوب لوصل حيٍّ   أقام ويمموا داراً طروحا

سقاهُ لوعةً النجديّ لمّا   تنسّم من حِيال الشام ريحا

وغيٌّ لمحُ عينك شطْرَ نجدٍ   إذا ما آنسَتْ بَرقاً لموحا

وأمراضُ المواعد أعلمتني   بأنّ وراءها سقماً صحيحا

مَتَى نُصْبِحْ وَقَدْ قُتْنَا الرَّزَايَا   نُقِمْ حَتَّى تَقُولَ الشَّمْسُ رُوحَا[١]

بِأَرْضٍ لِلْحَمَامَةِ أَنْ تَغَنَّى   بِهَا وَلِمَنْ تَأَسَّفَ أَنْ يَنُوحَا[٢]

وقال أحمدُ بنُ محمد بن الفضل الخازن[٣] :

سُقِيتِ لِمَعْنًى حَلَّ فيكِ أَوَدُّهُ   وَلَوْلاهُ لَمْ أَسْمَحْ لِتُرْبِكِ بِالْقَطْرِ

فَإِنَّكِ أَرْضٌ ما وَجَدْتُ بِها رِضًى   وَحَرَّةُ سُوْءٍ ما تُضِيعُ سِوَى الْحُرّ

قَدِ اعْتَلَّ فِيها كُلُّ شَيءٍ سِوَى الصَّبا   وَرَقَّ سِوَى الأخلاقِ والماءِ والخَمْرِ

وقلت وأنا بمصر :

وَدِّعْ أَخَا العَزْمِ مِصْراً لا لَمِيسَ وَخُضْ   بالسَّابِحاتِ غِمارَ المَهْمَهِ البِيْدِ

وَسِرْ عَنِ الأَرْضِ تَنْبُو بِالكِرامِ فَقَدْ   طَالَ انْتِظارُ الجَنَى مِنْ يابِسِ العُودِ

وقلت :

تَطَامَنْ إذا أَنْكَرْتَ دَهْرَكَ إِنَّما   يَفُوزُ بِخَفْضِ العَيْشِ مَنْ عاشَ في خَفْضِ

---

(١) في « السقط » . . . وقد فتنا الأعادي . قال البطليوسي : يقول : مخافتنا الأعداء تحملنا على مواصلة السرى والسهر ، وترك الاستراحة من ألم السفر ، فاذا أصبحنا وقد قطعنا أرض المخافة ، وصرنا في بلاد الأمن والسلامة ، أقمنا حتى تذهب وقدة الهجير ، وتأمرنا الشمس بالرواح والمسير ، والشمس لا تقول ، ولكنه جعل ذهاب حدتها ، وسكون وقدتها قولاً لها ، لأنها لو كانت ممن يتكلم لقالت ذلك .

(٢) قوله : « بأرض للحمامة » يريد أنها أرض آمنة يتغنى بها الحمام ، وينوح أهل التأسف والغرام ، لأن الأرض المخوفة لا يرفع بها أحد صوته .

(٣) هو أبو الفضل أحمد بن محمد بن الفضل بن عبد الخالق المعروف بابن الخازن الكاتب الشاعر الدينوري الأصل ، البغدادي الأصل والوفاة توفي سنة ٥١٨ هـ .

وَكُنْ كالذُّبابِ إن رأى الرِّيحَ عاصِفاً　　تلاصقَ مِنْ خوفِ الأذيَّةِ بالأرضِ

وقال البُستي [١] :

إن تَزِمكَ الغُربةُ في مَعْشَرٍ　　تَوافقُوا فيكَ على بُغْضِهِمْ

فَدارِهِمْ ما دُمتَ في دارِهِمْ　　وأرْضِهِم ما دُمتَ في أرضِهِمْ

★ ★ ★

تم بعون الله تعالى الجزء الأول من المنازل والديار

ويليه الجزء الثاني ، وأوله : فصل

في « ذكر الأوطان »

---

(١) هو علي بن محمد بن الحسين بن يوسف بن محمد بن عبد العزيز البستي، شاعر عصره وكاتبه ، كان من كتاب الدولة السامانية في خراسان .